

# الكفاية

## في التفسير بالمأثور والدرّاية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه

عبدالله خضر حمد

باحث عراقي

الجزء الثاني والثلاثون

[سورة الزخرف، الآية: ١٩] - [سورة محمد، الآية: ١٥]

منشور إلكترونياً

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

**ملاحظة:**

**إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى  
مراسلة المؤلف -لطفًا وتكرما- على البريد الإلكتروني الآتي، وذلك  
لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإياكم لما  
يرضيه برحمته، أمين.**

**[abdulla.khdhir@gmail.com](mailto:abdulla.khdhir@gmail.com)**

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

## القرآن

{وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ  
[١٩] } { [الزخرف : ١٩]

التفسير:

وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنثاءً، أحضروا حالة خلقهم حتى يحكموا بأنهم إنثاء؟ سكتب شهادتهم، ويسألون عنها في الآخرة.

قوله تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً} [الزخرف : ١٩]، أي: "وجعل هؤلاء المشركون بالله الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنثاءً"<sup>(١)</sup>.

عن السُّدِّيِّ: " {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ}، يعني: وصفوا"<sup>(٢)</sup>.

عن قتادة: " {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً}، قَالَ: قد قَالَ ذَلِكَ أَنَسٌ مِنَ النَّاسِ وَلَمْ نَعْلَمْهُمْ إِلَّا الْيَهُودَ: أن الله عز وجل صاهر الجنَّ فخرجت من بنيه الْمَلَائِكَةَ"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: " وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدمونه إنثاء، فقالوا: هم بنات الله جهلا منهم بحق الله، وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: " يقول: ووصفوا {الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنثاء}، لقولهم إن الملائكة بنات الله"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : اعتقدوا فيهم ذلك"<sup>(٦)</sup>.

قال الزجاج: " «الْجَعْلُ» -ههنا- في معنى: القول والحكم على الشيء. تقول: قد جَعَلْتُ زيدا أعلم الناس، أي: قد وصفته بذلك وحكمت به"<sup>(٧)</sup>.

قال السمعاني: " معناه: وصفوا، وليس الجعل هاهنا بمعنى الخلق، إنما هو بمعنى الوصف والتسمية"<sup>(٨)</sup>.

قال أبو هلال العسكري: " أي: جعلوا اسمهم اسم الإناث ووصفهم، وفعلوا ذلك"<sup>(٩)</sup>.

قال الزمخشري: " قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات. وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد، ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة...، فاستخفوا بهم واحتقروهم"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن قتيبة: " {عِبَادُ الرَّحْمَنِ}، أي: عبيده، يقال: عبد وعبيد وعباد"<sup>(١١)</sup>.

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: {عِبَادُ الرَّحْمَنِ} بالنون، وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي «عبد الرحمن»، بالياء<sup>(١٢)</sup>، وقرأ «عند الرحمن»<sup>(١٣)</sup>.

عن سعيد بن جبير، قال: "كنت أقرأ هذا الحرف: {الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثَاءً}، فسألت ابن عباس فقال: {عِبَادُ الرَّحْمَنِ}، قلت: فإنها في مصحفي «عند الرحمن»، قال: فامحها واكتبها

(١) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٢) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ١٨٠ / ٤ -.

(٣) الدر المنثور: ٣٧١/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) تفسير الطبري: ٥٨١/٢١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٢٣/٧.

(٧) معاني القرآن: ٤٠٧/٤.

(٨) تفسير السمعاني: ٩٦-٩٥/٥.

(٩) الوجوه والنظائر: ١٥٩.

(١٠) الكشاف: ٢٤٣/٤-٢٤٤.

(١١) غريب القرآن: ٣٩٧.

(١٢) وتصديق هذه القراءة، قوله: {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} [الأنبياء : ٢٦]..

(١٣) انظر: السبعة في القراءات: ٥٨٥.

(١٤) انظر: الكشف والبيان: ٣٣١/٨، قال الثعلبي: "وقرأ الآخرون «عند الرحمن»، بالنون، واختاره أبو حاتم، قال: لأن هذا مدح، وإذا قلت: {عباد الرحمن}، وتصديقها قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ} [الأعراف : ٢٠٦]".

{عِبَادُ الرَّحْمَنِ}، بالألف والباء. وقال: أتاني رجل اليوم وددت أنه لم يأتني فقال: كيف تقرأ هذا الحرف: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا}، قال: إن أناسا يقرءون «الذين هم عند الرحمن» فسكت عنه، فقلت: اذهب إلى أهلك!<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: {أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ} [الزخرف: ١٩]، أي: "أحضرُوا حالة خَلْقِهِمْ حتى يحكموا بأنهم إناث؟"<sup>(٢)</sup>

قال الطبري: يقول: "أشهدوا هم ذلك فعلموه؟"<sup>(٣)</sup>

قال الثعلبي: "أحضرُوا خلقهم حتى يعرفوا إنهم أناث"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: اعتقدوا فيهم ذلك، فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك، فقال: {أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ} أي: شاهدوه وقد خلقهم الله إناثاً"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "يقول الله- تعالى- للنبي- صلى الله عليه وسلم-: أشهدوا خلقهم؟ فسئلوا فقالوا: لا. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: فما يدريكم أنها إناث؟ قالوا: سمعنا من آبائنا، وشهدوا أنهم لم يكذبوا، وأنهم إناث؟"<sup>(٦)</sup>

قال يحيى: "أي: ما أشهدتهم شيئاً من ذلك، فمن أين ادعوا أن الملائكة بنات الله؟"<sup>(٧)</sup>

قال الزمخشري: "وهذا تهكم بهم، بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم، فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك، ولا تطرقوا إليه باستدلال، ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم، فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم، فأخبروا عن هذه المشاهدة"<sup>(٨)</sup>.

قال الشوكاني: "وبخهم وقرعهم فقال: {أشهدوا خلقهم}، أي: أحضروا خلق الله إياهم فهو من الشهادة التي هي الحضور، وفي هذا تهكم بهم وتجهيل لهم"<sup>(٩)</sup>.

وقرى: «أشهدوا خلقهم»، بضم الألف<sup>(١٠)</sup>.

قوله تعالى: {سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف: ١٩]، أي: "ستكتب شهادتهم، ويُسألون عنها في الآخرة"<sup>(١١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ستكتب شهادة هؤلاء القائلين: الملائكة بنات الله في الدنيا، بما شهدوا به عليهم، ويسألون عن شهادتهم تلك في الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلاً"<sup>(١٢)</sup>.

قال مقاتل: "ستكتب شهادتهم} بأن الملائكة بنات الله، في الدنيا، {ويُسألون} عنهما في الآخرة"<sup>(١٣)</sup>.

قال الزمخشري: "سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ} التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم، {ويُسألون}، وهذا وعيد"<sup>(١٤)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٩٨) ص: ٣٢٨١/١٠-٣٢٨٢، والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٣٦٧٠) ص: ٤٨٥/٢، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٣) تفسير الطبري: ٥٨٢/٢١.

(٤) الكشف والبيان: ٣٣١/٨.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٢٣/٧.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٣.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ١٩٢/١.

(٨) الكشف: ٢٤٤/٤.

(٩) فتح القدير: ٦٣٠/٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٨١/٢١، قال: "بمعنى: أشهد الله هؤلاء المشركين الجاعلين ملائكة الله إناثاً، خلق ملائكته الذين هم عنده، فعلموا ما هم، وأنهم إناث، فوصفهم بذلك، لعلمهم بهم، وبرؤيتهم إياهم".

(١١) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٨٢/٢١.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٣.

(١٤) الكشف: ٢٤٤/٤.

قال ابن كثير: "سُكِّتَبُ شَهَادَتُهُمْ"، أي: بذلك، {ويسألون} عن ذلك يوم القيامة. وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد"<sup>(١)</sup>.

قال الشوكاني: "المعنى: سنكتب هذه الشهادة التي شهدوا بها في ديوان أعمالهم لنجازيهم على ذلك ويسألون عنها يوم القيامة"<sup>(٢)</sup>.

قرأ الجمهور: {سُكِّتَبُ شَهَادَتُهُمْ}، بضم التاء الفوقية وبناء الفعل للمفعول ورفع: {شَهَادَتُهُمْ}، وقرأ السلمي وابن السميع وهبيرة عن حفص «سنكتب» بالنون، وبناء الفعل للفاعل ونصب: «شهادتهم»، وقرأ أبو رجاء «شهاداتهم» بالجمع<sup>(٣)</sup>.  
فوائد الآية الكريمة:

- ١- بيان افتراء هؤلاء المشركين من وجهين:  
الأول: أنهم جعلوا الملائكة إناثا، وما يدريهم؟!  
الثاني: أنهم نسيوهم إلى الله عز وجل.
- ٢- تحدي هؤلاء المفترين بقوله: {أشهدوا خلقهم} والجواب: لا.
- ٣- تهديد أولئك المفترين بأن شهادتهم سنكتب، ويعاقبون عليها؛ لقوله: {سنكتب شهادتهم}.
- ٤- إثبات الحساب في قوله: {ويسألون}.
- ٥- أن أقوال الإنسان تكتب عليه كأفعاله؛ لأن «الشهادة» -هنا- بالقول.

### القرآن

{وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)}

[الزخرف: ٢٠]

التفسير:

وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحداً من دونه، وهذه حجة باطلة، فقد أقام الله الحجة على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل من بعد إنذار الرسل لهم. ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، وإنما يقولونه تخرفاً وكذباً؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان.

قوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} [الزخرف: ٢٠]، أي: "وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أحداً من دونه"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وقال هؤلاء المشركون من قريش: لو شاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا التي نعبدها من دونه، وإنما لم يحل بنا عقوبة على عبادتنا إياها لرضاه منا بعبادتناها"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن زمنين: "أي: لو كره الله هذا الدين الذي نحن عليه لحولنا عنه إلى غيره، ولكن الله لم يكرهه"<sup>(٦)</sup>.

قال الثعلبي: "وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضا منا بعبادتها"<sup>(٧)</sup>.

قال القشيري: "إنما قالوا ذلك استهزاء واستبعادا لا إيماناً وإخلاصاً"<sup>(٨)</sup>.

عن مجاهد، قوله: "لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ"، يعنون الأوثان، لأنهم عبدوا الأوثان"<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٢٣/٧.

(٢) فتح القدير: ٦٣٠/٤.

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني: ٦٣٠/٤.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٥) تفسير الطبري: ٥٨٢/٢١-٥٨٣.

(٦) تفسير ابن أبي زمنين: ١٨٠/٤.

(٧) الكشف والبيان: ٣٣١/٨.

(٨) لطائف الإشارات: ٣٦٤/٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٩٩) ص: ٣٢٨٢/١٠، والطبري: ٥٨٣/٢١.

قوله تعالى: {مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ} [الزخرف : ٢٠]، أي: "ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم" (١).

قال الطبري: "يقول: ما لهم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم، لأنهم لا خبر عندهم مني بذلك ولا برهان، وإنما يقولونه ظنا وحسابا" (٢).

قال ابن كثير: "أي: بصحة ما قالوه واحتجوا به" (٣).

قال ابن أبي زمنين: "قال الله: {ما لهم به من علم} بأني أمرت أن يعبدوا غيري، إنما قالوا ذلك على الشك والظن" (٤).

قال مجاهد: "يقول الله: {مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ}، يعني: الأوثان أنهم لا يعلمون" (٥).

وقال قتادة: عبدوا الملائكة" (٦).

قوله تعالى: {إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الزخرف : ٢٠]، أي: "إنما يقولونه تخرُّصًا وكذبًا؛ لأنه لا خبر عندهم من الله بذلك ولا برهان" (٧).

قال الطبري: "يقول: ما هم إلا متخرِّصون هذا القول الذي قالوه، وذلك قولهم: {لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ}" (٨).

قال الواحدي: "أي: ما هم إلا كاذبون فيما قالوا" (٩).

قال ابن كثير: "أي: يكذبون ويتقولون" (١٠).

قال البغوي: "أي: ما هم إلا كاذبون في قولهم: إن الله تعالى رضي منا بعبادتها، وقيل: إن هم إلا يخرصون، في قولهم: إن الملائكة إناث وإنهم بنات الله" (١١).

قال ابن عطية: "ذكر الله تعالى احتجاج الكفار لمذهبهم لبيِّن فساد منزعهم، وذلك أنهم جعلوا إمهال الله لهم وإنعامه عليهم وهم يعبدون الأصنام، دليلا على أنه يرضى عبادة الأصنام دينًا، وأن ذلك كالأمر به، فنفى الله عن الكفرة أن يكون لهم علم بهذا وليس عندهم كتاب منزل يقتضي ذلك، وإنما هم يظنون ويخرِّصون ويخمنون، وهذا هو الخرص والتخرص" (١٢).

قال مجاهد، قوله: " {إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}، قال: ما يعلمون قدرة الله على ذلك" (١٣).

وفي رواية: "لم يعلموا قدرة الله عز وجل على ذلك" (١٤).

قال السمعاني: تعلق بهذه الآية القدريَّة، وقالوا: حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم، ثم عقبه بالإنكار والتهديد فقال: {ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون} أي: يكذبون، وعندكم أن الأمر على ما قالوا.

والجواب من وجهين:

- 
- (١) التفسير الميسر: ٤٩٠.
- (٢) تفسير الطبري: ٥٨٣/٢١.
- (٣) تفسير ابن كثير: ٢٢٤/٧.
- (٤) تفسير ابن أبي زمنين: ١٨٠/٤.
- (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٩٩): ص ٣٢٨٢/١٠، والطبري: ٥٨٣/٢١.
- (٦) الدر المنثور: ٣٧٢/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
- (٧) التفسير الميسر: ٤٩٠.
- (٨) تفسير الطبري: ٥٨٣/٢١.
- (٩) التفسير الوسيط: ٦٨/٤.
- (١٠) تفسير ابن كثير: ٢٢٤/٧.
- (١١) تفسير البغوي: ٢٠٩/٧.
- (١٢) المحرر الوجيز: ٥٠/٥.
- (١٣) أخرجه الطبري ٥٨٣/٢١، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٢٤/٧، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٨٤٩٩): ص ٣٢٨٢/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٣٧٢/٧. وفي المصدرين الأخيرين: " يعلمون قدرة الله على ذلك". بدون «ما» في أوله.
- (١٤) تفسير مجاهد: ٥٩٣.

أحدهما: أن معنى قوله: {ما لهم بذلك من علم} أي: ما لهم بقولهم إن الملائكة بنات الله من علم إن هم إلا يخرصون يعنى: في هذا القول وقد تم الكلام على هذا عند قوله: {لو شاء الرحمن ما عبدناهم} والإنكار غير راجع إليه، ويجوز أن يحكى من الكفار ما هو حق مثل قوله: {وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه} وهذا القول حق وصدق، فإن قيل: أول الآية وأخرها خرج مخرج الإنكار عليهم فكيف يحكى عنهم ما هو حق؟ والجواب عنه: أنهم قالوا هذا لا على اعتقاد الحق ولكن لدفع القبول عن أنفسهم، وقد كانوا أمروا بالقبول، فأرادوا أن يدفعوا القبول من أنفسهم بهذا القول، كما أن في الآية الأخرى أرادوا أن يدفعوا الأمر بالإنفاق عن أنفسهم بما قالوه، والقول على هذا القصد غير صحيح. والوجه الثاني: أن معنى قوله: {ما لهم بذلك من علم} أي: ما لهم في هذا القول من عذر. وقوله: {إن هم غلا يخرصون} أي: يطلبون ما لا يكون من طلب العذر بهذا الكلام، حكاة النحاس، والأول ذكره الفراء والزجاج وغيرهما<sup>(١)</sup>. من فوائد الآية الكريمة:

١- أن هؤلاء احتجوا بالقدر فقالوا: {لو شاء الرحمن ما عبدناهم}.

٢- بطلان الاحتجاج بالقدر؛ لقوله: {ما لهم بذلك من علم}.

وقولهم: {لو شاء الرحمن ما عبدناهم} صحيح، لكن الاحتجاج به غير صحيح، ولو شاء الرحمن ما عبدوهم كقوله: {ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا} [البقرة: ٢٥٣]، فهذا القول صحيح، لكن الاحتجاج به غير صحيح، وإنما قلنا: إنه صحيح، لأن الله تعالى يشاء كل شيء، كل شيء فهو واقع بمشيئة الله، لكن لا حجة بشيء لا تعلمه أنت، إذ إنك لا تعلم أن هذا مقدر عليك إلا إذا وقع، فالقدر سر مكتوم لا يعلم إلا إذا وقع المقدر.

٣- الرد على القدرية الذين ينكرون أن الله تعالى يشاء أفعال العباد، فالقدرية -وهم المعتزلة- يقولون: إن الإنسان خالق عمله، مريد له، مستقل به، وأن الله سبحانه وتعالى لا إرادة له به، سبحان الله! أيقول الله عز وجل: {إنا كل شيء خلقناه بقدر (٤٩)} [القمر: ٤٩] وتقولون أنتم: لا؟!!

قابلهم قوم آخرون، وهم الجبرية، وقالوا: كل شيء واقع فهو بمشيئة الله، والإنسان مجبر على العمل وليس مختاراً، وهذا أيضاً قول باطل، وكل يعرف الفرق بين الفعل الاختياري وبين الفعل الاضطراري، فكل يعرف الفرق بين أن ينزل الإنسان من السطح من على الدرج شيئاً فشيئاً وبين أن يتدحرج بدون اختيار منه، وهم -أعني: الجبرية- يقولون: إن الكل سواء، ينزل باختيار، أو يتدحرج بغير اختيار، الكل سواء، وما حركة الإنسان إلا كحركة السعفة في الريح.

وهذا أيضاً قول باطل، ولا يمكن أن تقوم به أمة، ولا أن تقوم به ملة، ولا أن تقوم به دنيا ولا أخرى، وإلا لقلنا: كل إنسان يتسلط على آخر، ثم يقول: هذا بقضاء الله وقدره، ما أملك، هل يرضى هؤلاء أن يأتي شخص ويرضهم رضا، ثم يقول: هذا بقدر الله؟

الجواب: لا أحد يرضى بذلك، ولما جاء سارق إلى عمر بن الخطاب قال: مهلاً يا أمير المؤمنين! والله! ما سرقت إلا بقدر الله. فقال: وأنا أقطع يدك بقدر الله<sup>(٢)</sup>. فكل إنسان يعرف أن الإنسان مختار، وله إرادة تامة بها يفعل، لو أننا قلنا بقول الجبرية لكانت عقوبة الله للمجرمين ظلماً؛ لأنهم سيقولون: يا ربنا فعلنا هذا بغير اختيارنا، والذين يقولون: إن الله لا علاقة له بفعل العبد فهم أيضاً مخطئون.

(١) تفسير السمعاني: ٩٦/٥-٩٧.

(٢) انظر: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، محمد حسن عبد الغفار: (دروس صوتية/الدرس ١١/٣٢).



ولهذا يسمى هؤلاء القدرية مجوس هذه الأمة؛ لأنهم جعلوا للحوادث خالقين، حوادث بشرية من خلق البشر، وحوادث إلهية من خلق الله عز وجل، فسموا مجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يقولون: إن الحوادث لها خالقان: الشر تخلقه الظلمة، والنور يخلق الخير، هذ عقيدة المجوس، وفي ذلك يقول المتنبي في ممدوحه<sup>(١)</sup>:  
وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن المانوية تكذب  
ظلام الليل ظلمة، وأنت أيها الممدوح لك الكرم في الليل والنهار.  
فقولهم: {لو شاء الرحمن ما عبدناهم} صحيح لكن ليس حجة؛ ولهذا قال الله عز وجل: {ما لهم بذلك من علم}.

٤- أن المحتج بالقدر لا علم عنده. وكيف لا يكون عنده علم، وهو يعلم أنه إنما وقع بمشيئة الله؟

فالجواب: هو إنما علم بعد الوقوع، لكن قبل الوقوع لا يعلم؛ إذن لا حجة له، لأن الحجة دليل، والدليل لا بد أن يسبق المدلول، فعلمهم لاحق، وليس بسابق.  
٥- أن قولهم هذا مبني على الكذب، لقوله عز وجل: {إن هم إلا يخرسون} أي: يكذبون. ولنا أن نقول: {يخرسون} بمعنى يظنون، كما قال الله عز وجل في آية أخرى {إن هم إلا يظنون} [الجاثية: ٢٤].

## القرآن

{أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١)} [الزخرف: ٢١]

التفسير:

أَحْضَرُوا خَلْقَ الْمَلَائِكَةِ، أَمْ أُعْطِينَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ، فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، وَيَحْتَجُونَ بِهِ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ؟

قوله تعالى: {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ} [الزخرف: ٢١]، أي: "أَحْضَرُوا خَلْقَ الْمَلَائِكَةِ، أَمْ أُعْطِينَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ما آتينا هؤلاء المتخرفين القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا الآلهة كتابا بحقيقة ما يقولون من ذلك، من قبل هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد"<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: "أي: أم هل قالوا عن كتاب، المعنى: أشهدوا خلقهم أم آتيناهم بكتاب بما قالوه من عبادتهم ما يعبدون من دون الله"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: {أَمْ} أُعْطِينَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ بَأَنَّ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ"<sup>(٥)</sup>.

قال الزمخشري: " {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا} قَبْلَ هَذَا الْكِتَابِ، نَسَبْنَا فِيهِ الْكُفْرَ وَالْقَبَائِحَ إِلَيْنَا، فَحَصَلَ لَهُمْ عِلْمٌ بِذَلِكَ مِنْ جِهَةِ الْوَحْيِ"<sup>(٦)</sup>.

قال يحيى: "بما هم عليه من الشرك"<sup>(٧)</sup>.

قال السمعاني: "أي: بما زعموا ان الملائكة خلقوا إناثا"<sup>(٨)</sup>.

قال الماتريدي: "أي: لم نؤتاهم كتابا ليكون لهم العلم بذلك؛ يسفههم في قولهم؛ لأنهم قوم لا يؤمنون ولا يصدقون"<sup>(٩)</sup>.

(١) ديوان المتنبي: ٤٦٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٣) تفسير الطبري: ٥٨٣/٢١.

(٤) معاني القرآن: ٤٠٨/٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٢/٣.

(٦) الكشاف: ٢٤٥/٤.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٥/٢.

(٨) تفسير السمعاني: ٩٧/٥.

(٩) تاويلات أهل السنة: ١٥٩/٩.

قوله تعالى: {فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ} [الزخرف: ٢١]، أي: "فهم به مستمسكون يعملون بما فيه، ويحتجون به عليك أيها الرسول؟"<sup>(١)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: فهم بذلك الكتاب الذي جاءهم من عندي من قبل هذا القرآن، مستمسكون يعملون به، ويدينون بما فيه، ويحتجون به عليك"<sup>(٢)</sup>.  
 قال السمعاني: "وهذا على طريق الإنكار أيضا"<sup>(٣)</sup>.  
 قال مقاتل: "فإننا لم نعظهم"<sup>(٤)</sup>.  
 قال الراغب: "استمسكت بالشيء: إذا تحريت الإمساك"<sup>(٥)</sup>.  
 من فوائد الآية الكريمة:

- ١- تكرار الحجج بقدر إنكار الخصم، وكلما تكررت الحجج ازداد الأمر قوة.
- ٢- أنك إذا أتيت بدليل مقنع فلا لوم عليك، إذا آليت بدليل آخر وثالث، ما دام المقام يقتضي ذلك، فإن هذا من أجل التقوية، مثلا: شيخ الإسلام له كتاب اسمه «التسعينية في الرد على الأشعرية» الذين قالوا: إن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، أبطل رحمه الله هذا القول من تسعين وجها، ويكفي في إبطاله وجه واحد، يعني: كلما تكررت الأدلة قويت الحجة.
- وقال العلماء رحمه الله: إن المتواتر يفيد القطع؛ لكثرة من رواه، المتواتر يعني: الحديث الذي يأتي من طرق كثيرة.
- ٣- أنه لم ينزل على العرب كتاب سوى القرآن؛ لقوله سبحانه وتعالى: {أم آتيناهم كتابا من قبله}.
- ٤- منة الله سبحانه وتعالى على العرب؛ حيث أنزل عليهم كتابا واحدا هداية للخلق أجمعين إلى يوم القيامة، بينما الرسل الآخرون تنزل عليهم الكتب هداية لأقوامهم، فهي -أي: الكتب- هداية في قوم معينين، وفي وقت معين، لكن هذا الكتاب -جعلني الله وإياكم من المتمسكين به- نازل صالحا لكل زمان ومكان وأمة.

## القرآن

{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ} [الزخرف: ٢٢]

التفسير:

بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ومذهب ودين، وإنا على آثار آباءنا فيما كانوا عليه متبعون لهم، ومقتدون بهم.  
 سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في الوليد بن المغيرة، وصخر بن حرب، وأبي جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، كلهم من قريش"<sup>(٦)</sup>.  
 قوله تعالى: {بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ} [الزخرف: ٢٢]، أي: "بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على طريقة ومذهب ودين"<sup>(٧)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "ما آتينا هؤلاء القائلين: لو شاء الرحمن ما عبدنا هؤلاء الأوثان بالأمر بعبادتها، كتابا من عندنا، ولكنهم قالوا: بل وجدنا آباءنا على دين وملة، وذلك هو عبادتهم الأوثان"<sup>(٨)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٢) تفسير الطبري: ٥٨٣/٢١.

(٣) تفسير السمعاني: ٩٧/٥.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٢/٣.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٧٦٩.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٢/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٠.

قال ابن كثير: "أي: ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد، بأنهم كانوا على أمة، والمراد بها الدين هاهنا، وفي قوله: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [الأنبياء: ٩٢]"<sup>(٢)</sup>.

عن مجاهد، قوله: "{عَلَى أُمَّةٍ}: مِلَّةٌ"<sup>(٣)</sup>.

قال الشافعي: "على دين"<sup>(٤)</sup>.

قال مجاهد: "يقول: وجدنا آباءنا على دين"<sup>(٥)</sup>.

عن السدي: "{قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ}"، قال: على دين"<sup>(٦)</sup>.

قال قتادة: "قد قال ذلك مشركو قريش: إنا وجدنا آباءنا على دين"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: أي: "ملة، وهي ملة الشرك"<sup>(٨)</sup>.

قال الزجاج: "ويقرأ «عَلَى إِمَّةٍ»<sup>(٩)</sup>، بالكسر، فالمعنى: على طريقة"<sup>(١٠)</sup>.

قال الفراء: "{إِمَّةٌ} لغة بني تميم، يريدون: حالا حسنة، أنشدني المفضل"<sup>(١١)</sup>:

ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَّاحِ وَالرُّشْدِ وَالْإِمَّةِ ... مِلَّةً وَأَرْثَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ"<sup>(١٢)</sup>.

قال الزمخشري: "وقرى: «على إمة»، بالكسر، وكتاهما من: «الأم» وهو القصد،

فالأمة: الطريقة التي تؤم، أي: تقصد، كالرحلة للمرحول إليه. والأمة: الحالة التي يكون عليها

الأم وهو القاصد. وقيل: على نعمة وحالة حسنة"<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَأِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٢]، أي: "وإنا على آثار آباءنا فيما

كانوا عليه متبعون لهم، ومقتدون بهم"<sup>(١٤)</sup>.

قال قتادة: "وإنا مُتَّبِعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ"<sup>(١٥)</sup>.

قال الطبري: أي: "فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها"<sup>(١٦)</sup>.

قال ابن كثير: "{وَأِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ}"، أي: ورائهم {مهتدون}، دعوى منهم بلا دليل"<sup>(١٧)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: "أي: أنهم كانوا على هدى ونحن نتبعهم على ذلك الهدى"<sup>(١٨)</sup>.

قال القشيري: "أخبر أنهم ركنوا إلى تقليد لا يفضى إلى العلم"<sup>(١٩)</sup>.

## القرآن

(١) تفسير الطبري: ٥٨٣/٢١-٥٨٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٢٤/٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢١.

(٤) تفسير الإمام الشافعي: ٩٨٠/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢١.

(٨) تفسير ابن أبي زمنين: ١٨١/٤.

(٩) وهي قراءة: وقرأ مجاهد وعمر بن عبد العزيز، انظر: تفسير الطبري: ٥٨٤/٢١.

(١٠) معاني القرآن: ٤٠٨/٤.

(١١) من قصيدة لعدي بن زيد، ذكرها ابن قتيبة في "الشعر والشعراء"، وتعتبر من غرر شعره، ويروى

(الملك) بدل (الرشد) و (الإمه) بكسر الهمزة: غضارة العيش والنعمة. انظر "الشعر والشعراء" ص ١٣٠،

"تهذيب اللغة" (فلج) ٣/ ٢٨٢٦، "اللسان" (فلج) ٦/ ٣٤٥٨.

(١٢) كتاب فيه لغات القرآن: ١٢٧-١٢٨.

(١٣) الكشاف: ٢٤٥/٤.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢١.

(١٦) تفسير الطبري: ٥٨٣/٢١.

(١٧) تفسير ابن كثير: ٢٢٤/٧.

(١٨) تفسير ابن أبي زمنين: ١٨١/٤.

(١٩) لطائف الإشارات: ٣٦٣/٣.

{وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِنَّا قَالَ مُتْرِفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٣]

التفسير:

وكذلك ما أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- في قرية من نذير ينذرهم عقابنا على كفرهم بنا، فأندروهم وحذروهم سخطنا وحلول عقوبتنا، إلا قال الذين أبطرتهم النعمة من الرؤساء والكبراء: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ ملة ودين، وإنا على مناهجهم وطريقتهم مقتدون.

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِنَّا قَالَ مُتْرِفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ} [الزخرف: ٢٣]، أي: "وكذلك ما أرسلنا من قبلك -أيها الرسول- في قرية من نذير ينذرهم عقابنا على كفرهم بنا، فأندروهم وحذروهم سخطنا وحلول عقوبتنا، إلا قال الذين أبطرتهم النعمة من الرؤساء والكبراء: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ ملة ودين"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله، وقالوا مثل قولهم، لم نرسل من قبلك يا محمد في قرية، يعني إلى أهلها رسلا تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأندروهم وحذروهم سخطنا، وحلول عقوبتنا بهم {لا قال} رؤسائهم وكبرائهم: إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين"<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "أي: قد قال لك هؤلاء كما قال أمثالهم للرسول من قبلك"<sup>(٣)</sup>.

عن قتادة، قوله: "{إلا قال مترفوها}"، قال: رؤسائهم وأشرفهم"<sup>(٤)</sup>.

وقال قتادة: "قادتهم ورعوسهم في الشرك"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: "هم أهل السمعة والقادة في الشرك"<sup>(٦)</sup>.

قال الواحدي: "ملوكها وأغنيائها، ورؤسائوها"<sup>(٧)</sup>.

قال الزمخشري: "«مترفوها»: الذين أترفهم النعمة، أي: أبطرتهم، فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي، ويعافون مشاق الدين وتكاليفه"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٣]، أي: "وإنا على مناهجهم وطريقتهم مقتدون"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يعني: وإنا على مناهجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم نفع كالذي فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون؛ يقول جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم: فإنما سلك مشركو قومك مناهج من قبلهم من إخوانهم من أهل الشرك بالله في إجابتهم إياك بما أجابوك به، وردهم ما ردوا عليك من النصيحة، واحتجاجهم بما احتجوا به لمقامهم على دينهم الباطل"<sup>(١٠)</sup>.

قال الزجاج: "معناه: نفتدي بهم"<sup>(١١)</sup>.

قال الثعلبي: أي: "مستنون متبعون"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: "أي: أنهم كانوا مهتدين فنحن نفتدي بهداهم"<sup>(١٣)</sup>.

عن مجاهد، قوله: "{وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ}"، قال: بفعلهم"<sup>(١٤)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٢) تفسير الطبري: ٥٨٦/٢١.

(٣) معاني القرآن: ٤٠٨/٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢١.

(٦) تفسير ابن أبي زمنين: ١٨١/٤.

(٧) التفسير الوسيط: ٦٩/٤.

(٨) الكشف: ٢٤٥/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩١.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٨٦/٢١.

(١١) معاني القرآن: ٤٠٨/٤.

(١٢) الكشف والبيان: ٣٣٢/٨.

(١٣) تفسير ابن أبي زمنين: ١٨١/٤.

قال مجاهد: "أي: نفتدي بفعلهم"<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: "فاتبعوهم على ذلك"<sup>(٣)</sup>.

فوائد الآيتين: [٢٢، ٢٣]:

١- ذم من عول في إعتقاده على إتباع الآباء والجدود، قال تعالى: {بل قَالُوا إِنَّا وجدنا آباءنا على أمة وَإِنَّا على آثارهم مهتدون}{الزخرف: ٢٢}.

قال السمعاني: "وفي الآيتين دليل على ذم التقليد والرجوع إلى قول الآباء من غير حجة"<sup>(٤)</sup>.

ولقد زل بسبب الإعراض عن أصل الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل.

فهؤلاء جعلوا اتباع الآباء في أصل الدين هو المرجوع إليه دون غيره، حتى ردوا بذلك براهين الرسالة، وحجة القرآن ودليل العقل فقالوا: {إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون}{الآية، فحين نبهوا على وجه الحجة بقوله تعالى: {قال أولو جنثكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم}، لم يكن لهم جواب إلا الإنكار، اعتمادا على اتباع الآباء واطراحا لما سواه، ولم يزل مثل هذا مذموما في الشرائع، كما حكى الله عن قوم نوح عليه السلام بقوله تعالى: {ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في أبائنا الأولين}.

ومثله رأي الإمامية في اتباع الإمام المعصوم - في زعمهم - وإن خالف ما جاء به النبي المعصوم حقا، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فحكموا الرجال على الشريعة ولم يحكموا الشريعة على الرجال، وإنما أنزل الكتاب ليكون حكما على الخلق على الإطلاق والعموم<sup>(٥)</sup>.

٢- ومن الفوائد أيضا: أن «أمة» في القرآن تدل على عدة معان:

- أنها تكون بمعنى: إمام، مثل قوله سبحانه وتعالى: {إن إبراهيم كان أمة قانتا}{النحل: ١٢٠}.

- تكون بمعنى: وقت، كقوله تعالى: {وادكر بعد أمة}{يوسف: ٤٥}.

- تكون بمعنى: طائفة من الناس، كقوله تعالى: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولا}.

- تكون بمعنى الدين، كقوله: {إنا وجدنا آباءنا على أمة}{أي: على ملة}.

٣- ومن الفوائد: تسليية النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن هذا الذي قيل له قد قيل لمن قبله، قال تعالى: {وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مُثْرِفُوها.}{الآية}{الزخرف: ٢٣}، وكقوله تعالى: {ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك}{فصلت: ٤٣}.

٤- اتفاق أهل الباطل على هدف واحد، ألا وهو تكذيب الرسل، واتباع آبائهم.

٥- تحريم التقليد بالباطل، وأما التقليد بالحق فلا بأس به، فإذا كان رجل لا يعرف حكم مسألة في دين الله، وليس عنده قدرة على الاجتهاد، فإن فرضه التقليد؛ لقول الله تعالى: {فاسألوا أهل الذكر}{النحل: ٤٣}؛ ولقول الله تعالى: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}{البقرة: ٢٨٦}؛ ولقوله سبحانه وتعالى: {فاتقوا الله ما استطعتم}{التغابن: ١٦}.

(١) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢١.

(٢) تفسير مجاهد: ٥٩٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢١.

(٤) تفسير السمعاني: ٩٨/٥.

(٥) انظر: الاعتصام للشاطبي: ٣١٨/٣ - وما بعدها.

وأما من حرم التقليد مطلقاً فقولُه باطل مخالف لظاهر القرآن، وأما من ألزم به مطلقاً فقولُه باطل مخالف لما يجب الإيمان به من اتباع الرسل.

فالصواب: أن التقليد للضرورة جائز؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "التقليد بمنزلة أكل الميتة، إن اضطر إنسان إليه فهو جائز، وإلا فلا" (١).

ولكن لا يمكن أن نقول للعامي صاحب السوق: اجتهد في هذه المسألة حتى تعرف حكم الله، ولو بقي يجتهد لخطئه، لكن فرضه أن يسأل.

٦- أن هؤلاء القوم المكذبين للرسل ليس عندهم حجة إلا مجرد ما كان عليه الآباء، وهذا ليس بحجة، وعلى هذا فلا يجوز الاحتجاج بعمل الناس، كما يفعله بعض القوم، فإذا نهيت عن شيء يفعله كل الناس فهذا ليس بحجة، ولا يمكن أن تقابل الله بهذا الحجة، كل الناس يفعلون هذا، فهذا لا يمكن أن ينفك عند الله، قل: هذا دل الكتاب أو السنة على جوازه.

## القرآن

{قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤)}

[الزخرف: ٢٤]

التفسير:

قال محمد صلى الله عليه وسلم ومن سبقه من الرسل لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة: أتتبعون آباءكم، ولو جنتكم من عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق وأدلى على سبيل الرشاد مما وجدتم عليه آباءكم من الدين والملة؟ قالوا في عناد: إنا بما أرسلتم به جاحدون كافرون.

قوله تعالى: {قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ} [الزخرف: ٢٤]، أي: "قال محمد صلى الله عليه وسلم ومن سبقه من الرسل لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة: أتتبعون آباءكم، ولو جنتكم من عند ربكم بأهدى إلى طريق الحق وأدلى على سبيل الرشاد مما وجدتم عليه آباءكم من الدين والملة؟" (٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون {أَوْلَوْ جِنَّتُمْ} أيها القوم من عند ربكم {بأهدى} إلى طريق الحق، وأدل لكم على سبيل الرشاد {مِمَّا وَجَدْتُمْ} أنتم عليه آبائكم من الدين والملة" (٣).

قال السمعاني: "معناه: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جنتكم بأهدى منه" (٤).

قال ابن كثير: "قل {أي: يا محمد لهؤلاء المشركين: {أَوْلَوْ جِنَّتُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ}.} (٥).

وقرأ أبو جعفر وأبو شيخ وخالد: «أو لو جنناكم»، بالنون والألف، وقرأ الأعمش: «أو لو أتيتم» (٦).

قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} [الزخرف: ٢٤]، أي: "قالوا في عناد: إنا بما أرسلتم به جاحدون كافرون" (٧).

قال الطبري: "يقول: فقال ذلك لهم، فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لأنبيائها: إنا بما أرسلتم به يا أيها القوم جاحدون منكرون" (٨).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠/٢٠٣ - ٢٠٤)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٢/١٨٥).

(٢) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٣) تفسير الطبري: ٥٨٧/٢١.

(٤) تفسير السمعاني: ٩٨/٥.

(٥) تفسير ابن كثير ٢٢٤/٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٧/٢١، والمحرم الوجيز: ٥١/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩١.

قال ابن كثير: "أي : ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به، لما انقادوا لذلك بسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله"<sup>(١)</sup>.  
فوائد الآية الكريمة:

- ١- بيان معالجة الرسل عليهم الصلاة والسلام للمكذبين، أنهم يدلون عليهم بالحجج المقنعة، ولكن الكافرون يعاندون.
- ٢- جواز التفضيل بين شيئين قد لا يكون في الطرف الآخر شيء من المعنى، لقوله: {وأولو جئتم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم}: {بأهدى} اسم تفضيل، ومع ذلك فإننا نقول: ما وجدوا عليه آباءهم ليس فيه هدى؛ لكن التنزل مع الخصم لا بأس به، وإن لم يكن في الطرف الآخر شيء.
- ٣- أن أولئك المعاندين الذين يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم ليس عندهم نية في أن يؤمنوا، لأنهم لما غلبوا في الحجة {قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون} يعني: لن نؤمن، مهما أوتيتهم من الحجة فلن نؤمن، وهذا غاية ما يكون من الاستكبار عن الحق.

### القرآن

#### {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (٢٥)} [الزخرف: ٢٥]

التفسير:

فانتقمنا من هذه الأمم المكذبة رسلها بإحلالنا العقوبة بهم خَسَفًا و غرقًا وغير ذلك، فانظر -أيها الرسول- كيف كان عاقبة أمرهم إذ كذبوا بآيات الله ورسوله؟ وليحذر قومك أن يستمروا على تكذيبهم، فيصيبهم مثل ما أصابهم.

قوله تعالى: {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الزخرف: ٢٥]، أي: "فانتقمنا من هذه الأمم المكذبة رسلها بإحلالنا العقوبة بهم خَسَفًا و غرقًا وغير ذلك"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فانتقمنا من هؤلاء المكذبة رسلها من الأمم الكافرة بربها، بإحلالنا العقوبة بهم"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب، كما فصله تعالى في قصصهم"<sup>(٤)</sup>.

قال السمعاني: "أي: بالإهلاك والعقوبة"<sup>(٥)</sup>.

قال الشوكاني: "وذلك الانتقام: ما أوقعه الله بقوم نوح، و عاد، و ثمود"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} [الزخرف: ٢٥]، أي: "فانظر -أيها الرسول- كيف كان عاقبة أمرهم إذ كذبوا بآيات الله ورسوله؟"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: "فانظر يا محمد كيف كان عقبي أمر الذين كذبوا رسل الله إلام صار، يقول: ألم نهلكهم فنجعلهم عبرة لغيرهم؟"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : كيف بادوا وهلكوا، وكيف نجى الله المؤمنين؟"<sup>(٩)</sup>.

قال الشوكاني: "فإن آثارهم موجودة"<sup>(١٠)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٥٨٧/٢١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٢٤/٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٤) تفسير الطبري: ٥٨٨/٢١.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٢٤/٧.

(٦) تفسير السمعاني: ٩٨/٥.

(٧) فتح القدير: ٤/٦٣٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٩) تفسير الطبري: ٥٨٨/٢١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٢٤/٧.

(١١) فتح القدير: ٤/٦٣٣.

عن قتادة: "فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ" قال: شر والله، أخذهم بخسف وغرق، ثم أهلكهم فأدخلهم النار"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن عطية: "الآية وعيد لقريش وضرب مثل بمن سلف من الأمم المعذبة المكذبة بأنبيائها كما كذبت هي بمحمد عليه السلام"<sup>(٢)</sup>.  
من فوائد الآية الكريمة:

١- بيان قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه تبارك وتعالى يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، فإن الله قادر على أن ينتقم منهم بأول مرة، لكن يملئ للظالم، فإذا أخذه أخذ عزيز مقتدر.

٢- الأمر بالاعتبار والنظر في الأمور؛ لقوله: {فانظر كيف كان عاقبة المكذبين} والنظر هنا نظر قلب.

٣- أن عاقبة المكذبين الهلاك والدمار؛ لأن الله أهلك كل المكذبين، أهلك قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وفرعون، كل المكذبين أهلكهم الله سبحانه وتعالى، لكن هذ الأمة -الله الحمد- جعل الله هلاك عدوها على يدها، وذلك بالحروب؛ لأن هلاك عدوك على يدك أشقى للقلب من هلاكه به من عند الله عز وجل.

ولهذا كان هلاك المكذبين للرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - على أيديهم كما قال عز وجل: {قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين (١٤) ويذهب غيظ قلوبهم} [التوبة: ١٤ - ١٥].

٤- وجوب النظر والاعتبار.

٥- أن عاقبة المكذبين للرسول هي الهلاك والدمار.

٦- هذه الأمة من تكذيب رسولها أن يصيبهم ما أصاب غيرهم.

## القرآن

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦)} [الزخرف: ٢٦]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون ما يعبده قومك: إنني براء مما تعبدون من دون الله.

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ} [الزخرف: ٢٦]، أي: "واذكر -أيها الرسول- إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون ما يعبده قومك:"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: " {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ} الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يا محمد"<sup>(٤)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: واذكر لهم وقت قوله لأبيه وقومه الذين قلدوا آباءهم وعبدوا الأصنام"<sup>(٥)</sup>.

قال القاسمي: "أي: اذكر وقت قوله هذا، ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل. أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بد من التقليد، فإنه أشرف آباءهم"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عطية: "المعنى: واذكر إذا قال إبراهيم، ولما ضرب تعالى المثل لمحمد صلى الله عليه وسلم بالنذر وجعلهم إسوة له، خص إبراهيم بالذكر لعظم منزلته، وذكر محمدا صلى الله عليه وسلم بمنابذة إبراهيم عليه السلام لقومه، أي: فافعل أنت فعله وتجد جلدته"<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢١.

(٢) المحرر الوجيز: ٥١/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٤) تفسير الطبري: ٥٨٨/٢١.

(٥) فتح القدير: ٤/٦٣٣.

(٦) محاسن التأويل: ٣٨٦/٨.



قوله تعالى: {إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ} [الزخرف: ٢٦]، أي: "براء مما تعبدون من دون الله" (٢).

قال القاسمي: "أي: بريء من عبادتكم أو معبودكم" (٣).  
قال الطبري: يقول: " {إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ} من دون الله، فكذبوه، فانتقمنا منهم كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذبة رسلها" (٤).

قال الفراء: "العرب تقول: نحن منك البراء والخلا" (٥).  
قال الأخفش: "تقول العرب: أنا براء منك" (٦).

قال الزجاج: " {بَرَاءٌ} بمعنى: بريء، {مِمَّا تَعْبُدُونَ}، والعرب تقول للواحد منها: أنا البراء منك، وكذلك الاثنان والجماعة والذكر والأنثى يقولون: نحن البراء منك والخلاء منك، ولا يقولون: نحن البراءان منك ولا البراءون" (٧).

عن قتادة، قوله: " {إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ}، يقول: إنني بريء مما تعبدون، إلا الذي خلقتي" (٨).

عن قتادة، قوله: " {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيهِ وَقَوْمِهِ، ... الآية}، قال: كأيدهم، كانوا يقولون: إن الله ربنا: {وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}، فلم يبرأ من ربه" (٩).  
وفي قراءة ابن مسعود: «بريء» (١٠).

قال الفراء: "العرب تكتب: يستهزيء يستهزأ، فيجعلون الهمزة مكتوبة بالألف في كل حالاتها. يكتبون: شيء، شيئاً، ومثله كثير في مصاحف عبد الله وفي مصحفنا: {وَيُهَيِّئُ لَكُمْ [الكهف: ١٦]، و«يهيأ»، بالألف" (١١).

## القرآن

### {إِنَّا الَّذِي فَطَرْنِي فإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)} [الزخرف: ٢٧]

التفسير:

إلا الذي خلقتني، فإنه سيوفقتني لاتباع سبيل الرشاد.

قال الطبري: "يقول: إنني بريء مما تعبدون من شيء إلا من الذي خلقتني، فإنه سيوفقتني للدين الحق، ويوفقتني لاتباع سبيل الرشاد" (١٢).

قال الزجاج: "المعنى: إنا نتبرأ مما تعبدون إلا من الله عز وجل، ويجوز أن يكون {إلا}، بمعنى: «لكن»، فيكون المعنى: لكن الذي فطرنني فإنه سيهديني" (١٣).

عن السدي: " {إِنَّا الَّذِي فَطَرْنِي}، قال: خلقتي" (١٤).

قال السمعاني: " {سيهدين}، أي: يرشدني" (١٥).

(١) المحرر الوجيز: ٥١/٥.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٣) محاسن التأويل: ٣٨٦/٨.

(٤) تفسير الطبري: ٥٨٨/٢١.

(٥) معاني القرآن: ٣٠/٣.

(٦) معاني القرآن: ٥١٣/٢.

(٧) معاني القرآن: ٤٠٩/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.

(١٠) انظر: تفسير السمعاني: ٩٨/٥.

(١١) معاني القرآن: ٣٠/٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٨٨/٢١.

(١٣) معاني القرآن: ٤٠٩/٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.

(١٥) تفسير السمعاني: ٩٨/٥.

قال الماتريدي: "أي: سيثبتني على الهدى"<sup>(١)</sup>.  
 قال الشوكاني: "سيرشدي لدينه ويثبتني على الحق"<sup>(٢)</sup>.  
 قال المراغي: "أي: سيهديني إلى سبيل الرشاد، ويوفقي إلى اتباع الحق، وقد جزم بذلك  
 لثقتة بربه، ولقوة يقينه"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى قوله: {سَيَهْدِينِ}، على التسوييف؟  
 قلت: قال مرة: {فَهُوَ يَهْدِينِ}، ومرة: {فَأَيْهُ سَيَهْدِينِ}، فاجمع بينهما وقدر، كأنه قال: فهو  
 يهدين وسيهدين، فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال"<sup>(٤)</sup>.  
 قال القاسمي: "«السين» إما للتأكيد، ويؤيده آية الشعراء {يَهْدِينِ} [الشعراء : ٧٨]،  
 بدونها. والقصة واحدة، والمضارع في الموضوعين للاستمرار. وإما للتسوييف والاستقبال،  
 والمراد: هداية زائدة على ما كان له أولاً. فيتغاير ما في الآيتين من الحكاية أو المحكي، بناء  
 على تكرر قصته"<sup>(٥)</sup>.

## القرآن

### {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)} [الزخرف : ٢٨]

التفسير:

وجعل إبراهيم عليه السلام كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) باقية فيمن بعده؛ لعلهم يرجعون إلى  
 طاعة ربهم وتوحيده، ويتوبون من كفرهم وذنوبهم.

قوله تعالى: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ} [الزخرف : ٢٨]، أي: "وجعل إبراهيم عليه  
 السلام كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله» باقية فيمن بعده"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وجعل قوله: {إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي}، وهو قول:  
 «لا إله إلا الله»، كلمة باقية في عقبه، وهم ذريته، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده"<sup>(٢)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما  
 سواه من الأوثان، وهي «لا إله إلا الله»، أي: جعلها دائمة في ذريته يفتدي به فيها من هداه الله  
 من ذرية إبراهيم، عليه السلام"<sup>(٣)</sup>.

قال صاحب المنار: "أي: جعل البراءة من الشرك ونزغاته وتقاليده والاعتصام بالتوحيد  
 الخالص كلمة باقية في عقبه يدعو إليها النبيون والمرسلون منهم"<sup>(٤)</sup>.

قال القاسمي: "أي: شهادة التوحيد، كلمة موصي بها، مورثة متداولة محفوظة"<sup>(٥)</sup>.  
 قال السعدي: "وَجَعَلَهَا" أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال وأساسها، وهي  
 إخلاص العبادة لله وحده، والتبري من عبادة ما سواه، {كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ} أي: ذريته.. فلم  
 تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته عليه السلام حتى دخلهم الترف والطغيان"<sup>(٦)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ} [الزخرف : ٢٨]، وجهان من التفسير:  
 أحدهما: يعني: «لا إله إلا الله»، لم يزل في ذريته من يقولها، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>، وقتادة<sup>(٢)</sup>،  
 وعكرمة<sup>(٣)</sup>، والسدي<sup>(٤)</sup>، وبه قال ابن قتبية<sup>(٥)</sup>، والزجاج<sup>(٦)</sup>.

(١) تأويلات أهل السنة: ١٦٠/٩.

(٢) فتح القدير: ٤/٦٣٣.

(٣) تفسير المراغي: ٨٤/٢٥.

(٤) الكشف: ٢٤٦/٤.

(٥) محاسن التأويل: ٣٨٦/٨.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٧) تفسير الطبري: ٥٨٩/٢١.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٢٥/٧.

(٩) تفسير المنار: ٣٥٧/٥.

(١٠) محاسن التأويل: ٣٨٧/٨.

(١١) تفسير السعدي: ٧٦٤.

قال قتادة: "شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد لم يزل في ذريته من يقولها من بعده"<sup>(٧)</sup>.  
قال قتادة: "التوحيد والإخلاص، ولا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده"<sup>(٨)</sup>.  
قال الزجاج: "يعني بها: كلمة التوحيد، وهي: «لا إله إلا الله»، باقية في عقب إبراهيم، لا يزال من ولده من يوحد الله عزَّ وجلَّ"<sup>(٩)</sup>.  
قال الزمخشري: يعني: "وجعل إبراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله: {إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا نَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي}، {كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ}، في ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيدهِ"<sup>(١٠)</sup>.  
الثاني: الإسلام، لقوله تعالى: {هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ} [الحج: ١٧٨]<sup>(١١)</sup>، وقوله: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ} [البقرة: ١٢٨]<sup>(١٢)</sup>، وقوله تعالى: {وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٢]<sup>(١٣)</sup>. قاله عكرمة<sup>(١٤)</sup>، وابن زيد<sup>(١٥)</sup>، والقرظي<sup>(١٦)</sup>.  
قال ابن كثير: "وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة"<sup>(١٧)</sup>.  
قال الفراء: أي: "اسم الإسلام، يقول لازمة لمن اتبعه، وكان من ولده"<sup>(١٨)</sup>.  
وقال عبدالقاهر الجرجاني: "بأنه وضع في تلبية الحج: «لبيك لا شريك لك»، وبأنه قال: {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]<sup>(١٩)</sup>.  
وفي قوله تعالى: {فِي عَقْبِهِ} [الزخرف: ٢٨]، وجوه:  
أحدها: ولده، قاله مجاهد<sup>(٢٠)</sup>، عكرمة<sup>(٢١)</sup>، والزجاج<sup>(٢٢)</sup>.  
قال ابن زيد: "عقبه: ذريته"<sup>(٢٣)</sup>.  
قال عكرمة: "أوصى بها ولده"<sup>(٢٤)</sup>.  
قال ابن شهاب: "العقب: الولد، وولد الولد"<sup>(٢٥)</sup>.

- 
- (١) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/٢١.
  - (٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/٢١.
  - (٣) انظر: تفسير سفيان الثوري (٨٧٢: ٢٨: ٢: ١٨): ص ٢٧٠.
  - (٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/٢١.
  - (٥) انظر: غريب القرآن: ٣٩٧.
  - (٦) انظر: معاني القرآن: ٤٠٩/٤.
  - (٧) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.
  - (٨) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.
  - (٩) معاني القرآن: ٤٠٩/٤.
  - (١٠) الكشاف: ٢٤٦/٤.
  - (١١) قاله ابن زيد، انظر: تفسير الطبري: ٥٩٠/٢١.
  - (١٢) قاله ابن زيد، انظر: تفسير الطبري: ٥٩٠/٢١، وقرأ: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [البقرة: ١٣١].
  - (١٣) قاله القرظي، انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٩٦): ص ١٤٦/٢.
  - (١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٠٠): ص ٣٢٨٢/١٠.
  - (١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٠/٢١.
  - (١٦) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٩٦): ص ١٤٦/٢.
  - (١٧) تفسير ابن كثير: ٢٢٥/٧.
  - (١٨) معاني القرآن: ٣١/٣.
  - (١٩) درج الدرر في تفسير الآي والسور: ١٥٢٢/٤.
  - (٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٠/٢١.
  - (٢١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٠٠): ص ٣٢٨٢/١٠.
  - (٢٢) انظر: معاني القرآن: ٤٠٩/٤.
  - (٢٣) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢١.
  - (٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٠٠): ص ٣٢٨٢/١٠.
  - (٢٥) أخرجه الطبري: ٥٩٠/٢١.

قال الراغب: "العقب": مؤخر الرجل، وقيل: عقب، وجمعه: أعقاب، وروي: «ويل للأعقاب من النار»<sup>(١)</sup>، واستعير العقب للولد وولد الولد<sup>(٢)</sup>.  
الثاني: في آل محمد -صلى الله عليه وسلم-، قاله السدي<sup>(٣)</sup>.  
الثالث: أنه رجل واحد، وذلك محمد-صلى الله عليه وسلم-. حكاه السمعاني<sup>(٤)</sup>.  
الرابع: يعني: من خلفه، قاله ابن عباس<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف: ٢٨]، أي: "لعلهم يرجعون إلى طاعة ربهم وتوحيده، ويتوبون من كفرهم وذنوبهم"<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربهم، ويثوبوا إلى عبادته، ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم"<sup>(٧)</sup>.  
قال السمعاني: "أي: يرجعون إلى الهدى بعد الضلالة"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن أبي زمنين: "أي: لكي يرجعوا إلى الإيمان"<sup>(٩)</sup>.  
وقال عبدالقاهر الجرجاني: "أي: يعرضون عن الكفر ويعتزلونه"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الزمخشري: يعني: "لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم"<sup>(١١)</sup>.  
قال الفراء: "أي: لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين إذا كانوا من ولد إبراهيم صلى الله عليه، فذلك قوله: {لعلهم يرجعون} إلى دينك ودين إبراهيم صلى الله عليهما"<sup>(١٢)</sup>.  
قال النحاس: "أي: إلى دينك ودين إبراهيم صلى الله عليهما إذ كانوا من ولده"<sup>(١٣)</sup>.  
فوائد الآيات: [٢٦-٢٨]:  
١- مزية عظيمة لإبراهيم عليه السلام: وهي إعلانه البراءة مما يعبد قومه {إنني براء مما تعبدون}.  
٢- التوحيد الخالص في إبراهيم؛ لقوله سبحانه وتعالى: {إنني براء مما تعبدون (٢٦) إلا الذي فطرني} وهذا معنى قولي: «لا إله إلا الله». ف {إنني براء} بإزاء «لا إله»، و {إلا الذي فطرني} بإزاء «إلا الله»، إذن هذه الكلمة {إنني براء مما تعبدون} بمعنى: لا إله إلا الله تماماً.  
٣- أنه ينبغي للإنسان أن يقرن الحكم بالدليل؛ لأنه أبلغ، ذلك حين قال إبراهيم: {إلا الذي فطرني}.  
٤- قوة الرجاء -أي: رجاء إبراهيم بالله عز وجل-؛ لقوله: {فإنه سيهدين} والسين هذ تدل على التحقيق.  
والهداية نوعان:

(١) الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: تخلف النبي عنا في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقنا العصر، فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا، فنأدى بأعلى صوته: ويل للأعقاب من النار. أخرجه البخاري في الوضوء باب غسل الرجلين ١/ ٢٦٥، ومسلم برقم (٢٤١).

(٢) المفردات: ٥٧٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٠/٢١.

(٤) انظر: تفسير السمعاني: ٩٩/٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٠/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٧) تفسير الطبري: ٥٩٠/٢١.

(٨) تفسير السمعاني: ٩٩/٥.

(٩) تفسير ابن أبي زمنين: ١٨٢/٤.

(١٠) درج الدرر في تفسير الآي والسور: ١٥٢٢/٤.

(١١) الكشاف: ٢٤٦/٤.

(١٢) معاني القرآن: ٣١/٣.

(١٣) معاني القرآن: ٣٥٠/٦.

النوع الأول: هداية الدلالة: بمعنى الدلالة على الحق، وهذه تكون من الله، ومن عباد الله، قال تعالى: {وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم} [الشورى: ٥٢]، هذه هداية دلالة يعني: تدل الناس إلى الصراط المستقيم.

الثاني: هداية التوفيق للحق: وهذه لا تكون إلا من الله عز وجل لا أحد يملكها، نسأل الله أن يهدينا وإياكم.

ومثال هداية التوفيق: قول الله سبحانه وتعالى: {إنك لا تهدي من أحببت} [القصص: ٥٦]، يقول للرسول - صلى الله عليه وسلم - يعني: لن توفق أحدا لهداية ولو كنت تحبه؛ ولهذا حاول النبي عليه الصلاة والسلام حين حضر عمه أبا طالب وهو في سياق الموت، حاول أن يوحد الله ولكن عجز، قال في سياق الموت: "يا عم قل: لا إله إلا الله. كلمة أحاج لك بها عند الله" وكان عنده رجلان من قريش جليسا سوء، فقالا لأبي طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب.

يعني: جده الذي تفتخر به قريش، فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب<sup>(١)</sup>. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فالهداية التي عجز عنها النبي - صلى الله عليه وسلم - هي هداية التوفيق، أما هداية الدلالة، فقد قال: "قل: لا إله إلا الله"، وقول الله عز وجل: {وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى} [فصلت: ١٧] من هداية الدلالة، وقوله تعالى: {واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم} [الأنعام: ٨٧] يشمل الأمرين جميعا هداية الدلالة والتوفيق.

٥- تمام نصح إبراهيم عليه السلام لعقبه؛ حيث جعل كلمة التوحيد باقية فيه، وهذا بمنزلة الوصية للعقب أن يقوموا بهذه الوصية.

٦- الرجوع إلى ما كان عليه الأسلاف من الحق؛ لقوله عز وجل: {لعلهم يرجعون}.

## القرآن

**{بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩)} [الزخرف: ٢٩]**

التفسير:

بل متعت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك وأبائهم من قبلهم بالحياة، فلم أعجلهم بالعقوبة على كفرهم، حتى جاءهم القرآن ورسول يبين لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم.

قوله تعالى: {بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ} [الزخرف: ٢٩]، أي: "بل متعت -أيها الرسول-

هؤلاء المشركين من قومك وأبائهم من قبلهم بالحياة، فلم أعجلهم بالعقوبة على كفرهم"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: " {بَلْ مَتَّعْتُ} يا محمد {هَؤُلَاءِ} المشركين من قومك {وَأَبَاءَهُمْ} من

قبلهم بالحياة، فلم أعجلهم بالعقوبة على كفرهم"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: كفار مكة وأبائهم"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: "يعني: قريشا لم أعذبهم"<sup>(٥)</sup>.

قال الثعلبي: أي: "لم أهلكهم ولم أعجلهم بالعقوبة على كفرهم"<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}، رقم (٤٧٧٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت، رقم (٢٤)، من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٣) تفسير الطبري: ٥٩١/٢١.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٣/٣.

(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ١٨٢/٤.

(٦) الكشف والبيان: ٣٣٢/٨.

قال الواحدي: "يعني: المشركين، يقول: أمتعهم بأنفسهم وأموالهم، وأنواع النعم، ولم أعاجلهم بعقوبة كفرهم"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن كثير: "بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ، يعني: المشركين، {وَأَبَاءَهُمْ}، أي: فتناول عليهم العمر في ضلالهم"<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري: "يعني: أهل مكة، وهم من عقب إبراهيم بالمد في العمر والنعمة، فاغتروا بالمهلة، وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد"<sup>(٣)</sup>.  
وقرئ: «بل متعنا»<sup>(٤)</sup>.

عن قتادة: "أته كان يقرؤها: (بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ) بنصب التاء"<sup>(٥)</sup>.  
قال الزمخشري: "فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ: {مَتَّعْتُ} بفتح التاء؟ قلت: كان الله تعالى اعترض على ذاته في قوله: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، فقال: بل متعهم بما متعهم به من طول العمر والسعة في الرزق، حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد. وأراد بذلك الإطناب في تعبيرهم، لأنه إذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان، لا أن يشركوا به ويجعلوا له أندادا، فمثاله أن يشكو الرجل إساءة من أحسن إليه، ثم يقبل على نفسه فيقول: أنت السبب في ذلك بمعروفك وإحسانك، وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ} [الزخرف: ٢٩]، أي: "حتى جاءهم القرآن ورسول يبين لهم ما يحتاجون إليه من أمور دينهم"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم القرآن، وبعثت فيهم رسولا مبينا، يعني: محمدا صلى الله عليه وسلم، يبين لهم بالحجج التي يحتج بها عليهم أنه الله رسول محق فيما يقول"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: "حتى جاءهم الحق"، يعني: القرآن، {ورسول مبين}، يعني: محمدا- صلى الله عليه وسلم- بين أمره"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: بين الرسالة والندارة"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الثعلبي: "يبين لهم الأعلام والأحكام وهو محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(١١)</sup>.  
قال الواحدي: "يبين لهم الأحكام والدين، وكان من حق هذا الإنعام أن يطيعوا الرسول بإجابته، فلم يجيبوه، وعصوا"<sup>(١٢)</sup>.

قال الزمخشري: "{مبين} الرسالة واضحا بما معه من الآيات البينة"<sup>(١٣)</sup>.  
عن الضحاك: {حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ}، "قال: الإسلام"<sup>(١٤)</sup>.

- 
- (١) التفسير الوسيط: ٧٠/٤.
  - (٢) تفسير ابن كثير: ٢٢٥/٧.
  - (٣) الكشاف: ٢٤٦/٤.
  - (٤) انظر: الكشاف: ٢٤٦/٤.
  - (٥) الدر المنثور: ٣٧٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. وهي قراءة شاذة، تروى أيضا عن الأعمش، وقراءة العشرة: {بَلْ مَتَّعْتُ} برفع التاء. انظر: المحرر الوجيز ٥/٥٢، والبحر المحيط ٨/١٤.
  - (٦) الكشاف: ٢٤٦/٤-٢٤٧.
  - (٧) التفسير الميسر: ٤٩١.
  - (٨) تفسير الطبري: ٥٩١/٢١.
  - (٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٣/٣.
  - (١٠) تفسير ابن كثير: ٢٢٥/٧.
  - (١١) الكشاف والبيان: ٣٣٢/٨.
  - (١٢) التفسير الوسيط: ٧٠/٤.
  - (١٣) الكشاف: ٢٤٦/٤.
  - (١٤) تفسير الثعلبي: ٤٢٧/٢٣. ط. دار التفسير، والتفسير البسيط للواحدي: ٣٢/٢٠، وذكره البغوي في

عن قتادة بن دعامة: (بَلْ مَتَّعْتَ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ)، قال: هذا قول أهل الكتاب لهذه الأمة<sup>(١)</sup>.  
فوائد الآية الكريمة:

- ١- بيان أن الله بيده كل شيء؛ إن شاء متع الناس وأبقاهم، وإن شاء أهلكهم، لقوله: ﴿بَلْ مَتَّعْتَ هَؤُلَاءِ﴾ فالتمتع عائد إليه وحده، وأفعال الله ليس لها حصر، فالذي متعهم الله عز وجل، وكل ما في الكون فهو من فعل الله فلا حصر له.
  - ٢- أن الله عز وجل له الحكمة في إبقاء الكافر على وجه الأرض، وإلا لأهلكه، لكن له الحكمة، ومن الحكمة أن يأتي حق فيؤمن به، فيسعد في الدنيا والآخرة، ومن الحكمة في بقاء الكفار أن يكون في ذلك امتحان للمؤمنين مع هؤلاء الكفار، بجهاد الكفار، وظهور نعمة الله على المسلمين بالإسلام.
  - ٣- أن ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو حق، إن كان أخباراً فهي صدق، وإن كانت أحكاماً فهي عدل، وليس فيما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - باطل، كله حق.
  - ٤- أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - رسول الله حقا.
  - ٥- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بين كل ما تحتاجه أمته إليه من خير فتفعله، ومن شر فتتركه، قال أبو ذر - رضي الله عنه -: لقد توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً<sup>(٢)</sup>.
- وإذا شئت مصداق هذا القول فانظر: الشريعة الإسلامية جاءت بتقرير التوحيد، وهذا أعظم ما يكون، جاءت ببيان الصلاة والزكاة والحج والصيام، جاءت بأداب الأكل والشرب، جاءت بأداب التخلي منهما - من الأكل والشرب - جاءت بأداب اللباس، حتى لبس الثوب جاءت الشريعة به، تدخل الكم الأيمن قبل الأيسر، وتخلع الأيسر قبل الأيمن، جاءت بأداب معاملة الناس بعضهم مع بعض.
- كل شيء دقيق أو جليل فالشريعة جاءت ببيانه - والله الحمد- لكن يضل من يضل، ويهتدي من يهتدي.

## القرآن

**{وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠)} [الزخرف : ٣٠]**

التفسير:

ولما جاءهم القرآن من عند الله قالوا: هذا الذي جاءنا به هذا الرسول سحرٌ يسحرنا به، وليس بوحى من عند الله، وإنا به مكذبون.  
سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في: سفيان بن حرب وأبي جهل بن هشام وعتبة وشيبة"<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ} [الزخرف : ٣٠]، أي: "ولما جاءهم القرآن من عند الله"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولما جاء هؤلاء المشركين القرآن من عند الله، ورسول من الله أرسله إليهم بالدعاء إليه"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن الجوزي: "يعني: قريشاً في قول الأكثرين"<sup>(١)</sup>.

"تفسيره" ٧ / ٢١١، وابن عادل في "اللباب" ١٧ / ٢٥٣، والخازن في "تفسيره" ٤ / ١٠٤ ولم ينسبه.

(١) الدر المنثور: ٧ / ٣٧٤، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٥٣ / ٥).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٣ / ٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٥) تفسير الطبري: ٥٩١ / ٢١.

وقال قتادة: "هم اليهود"<sup>(٢)</sup>.  
 قوله تعالى: {قَالُوا هَذَا سِحْرٌ} [الزخرف: ٣٠]، أي: قالوا: "هذا الذي جاءنا به هذا  
 الرسول سحرٌ يسحرنا به، وليس بوحي من عند الله"<sup>(٣)</sup>.  
 قال الزمخشري: "فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا، ولم يوجد منهم ما رجاه  
 إبراهيم"<sup>(٤)</sup>.  
 قال السدي: "هؤلاء قريش، قالوا القرآن الذي جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هذا  
 سحر"<sup>(٥)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَأِنَّا بِهِ كَافِرُونَ} [الزخرف: ٣٠]، أي: "وإننا به مكذبون، لا نصدّق أنه كلام  
 الله"<sup>(٦)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: قالوا: وإننا به جاحدون، ننكر أن يكون هذا من الله"<sup>(٧)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: كابروه وعاندوه ودفعوا بالصدور والراح كفرا وحسدا وبغيا"<sup>(٨)</sup>.  
 من فوائد الآية الكريمة:  
 ١- شدة عناد المكذبين للرسول - صلى الله عليه وسلم -؛ حيث زعموا أن ما جاء به سحر  
 مع أنه حق.  
 ٢- شدة عنادهم؛ حيث أعلنوا إعلانا صريحا أنهم كافرون به {قالوا هذا سحر وإننا به  
 كافرون}.

## القرآن

### {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْثِيِّنَ عَظِيمٍ (٣١)} [الزخرف: ٣١]

التفسير:

وقال هؤلاء المشركون من قريش: إن كان هذا القرآن من عند الله حقا، فهلا نُزِّلَ على رجل  
 عظيم من إحدى هاتين القريتين «مكة» أو «الطائف».  
 سبب نزول الآيتين: [٣١-٣٢]:

قال ابن عباس: "لَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَسُولًا أَنْكَرَتِ الْعَرَبُ  
 ذَلِكَ، أَوْ مَنْ أَنْكَرَ مِنْهُمْ، فَقَالُوا: اللهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ بَشَرًا مِثْلَ مُحَمَّدٍ. فَأَنْزَلَ اللهُ: {أَكَانَ  
 لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ} الآية، {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا} الآية [الأنبياء: ٧].  
 فَلَمَّا كَرَّرَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْحُجْجَ قَالُوا: وَإِذَا كَانَ بَشَرًا فَغَيْرُ مُحَمَّدٍ كَانَ أَحَقَّ بِالرَّسَالَةِ، {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا  
 الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْثِيِّنَ عَظِيمٍ} [الزخرف: ٣١]، يقول: أشرف من محمد، يعنون: الوليد  
 بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف؛ فَأَنْزَلَ اللهُ رَدًّا عَلَيْهِمْ: {أَهُمْ يَتَسَبَّحُونَ  
 رَحْمَتَ رَبِّكَ} الآية [الزخرف: ٣٢]"<sup>(٩)</sup>.

(١) زاد المسير: ٧٦/٤.  
 (٢) نحكاة ابن الجوزي في زاد المسير: ٧٦/٤. بدون سند.  
 (٣) تفسير الطبري: ٥٩١/٢١.  
 (٤) الكشف: ٢٤٦/٤.  
 (٥) أخرجه الطبري: ٥٩١/٢١.  
 (٦) التفسير الميسر: ٤٩١، وصفوة التفاسير: ١٤٥/٣.  
 (٧) تفسير الطبري: ٥٩١/٢١.  
 (٨) تفسير ابن كثير: ٢٢٥/٧.  
 (٩) أخرجه ابن جرير: ١٣/١٥، و٢٠٨/١٧، و٥٩٤/٢١، وابن أبي حاتم ٦/ ١٩٢٢ (١٠١٩٣)، من طريق بشر  
 بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس به.  
 إسناده ضعيف جداً؛ فيه بشر بن عمار، قال عنه ابن حجر في التقريب (٦٩٧): «ضعيف». والضحاك  
 معروف بكثرة الإرسال، ولم يسمع من ابن عباس شيئا، ولم يره، كما في جامع التحصيل للعلاني ص ١٩٩.



قال الطبري: يقول: " وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش لما جاءهم القرآن من عند الله: هذا سحر، فإن كان حقا فهلا نزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين: «مكة» أو «الطائف»" (١).

قال ابن كثير: " أي : هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين؟ يعنون: مكة والطائف" (٢).

قال الفراء: " قال هذا: الوليد بن المغيرة المخزومي، والقريتان: مكة والطائف" (٣).  
قال الزجاج: " المعنى: على رجل من رجُلَي القريتين عظيم.. والقريتان -ههنا- مكة والطائف" (٤).

عن ابن عباس، وقتادة: " القريتان: الطائف ومكة" (٥).

وفي عظيم «مكة»، قولان:

أحدهما : أنه الوليد بن المغيرة القرشي، قاله ابن عباس (٦)، وقتادة (٧)، والسدي (٨)، والشعبي (٩)، والفراء (١٠)، والزجاج (١١).

قال قتادة: " الرجل: الوليد بن المغيرة، قال: لو كان ما يقول محمد حقا أنزل عليّ هذا" (١٢).

قال قتادة: " القريتان: مكة والطائف؛ قال: قد قال ذلك مشركو قريش، قال: بلغنا أنه ليس فخذ من قريش إلا قد ادّعته، وقالوا: هو منا، فكنّا نحدّث أن الرجلين: الوليد بن المغيرة، وعروة الثقفي أبو مسعود، يقولون: هلا كان أنزل على أحد هذين الرجلين" (١٣).

الثاني : عتبة بن ربيعة، قاله مجاهد (١٤).

قال مجاهد: " هو عتبة بن ربيعة، وكان ريحانة قريش يومئذ" (١٥).

وأما عظيم «الطائف»، ففيه أربعة أقوال:

أحدها : أنه حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، قاله ابن عباس (١٦)، والزجاج (١٧).

الثاني : عمير بن عبد ياليل الثقفي، قاله مجاهد (١٨).

الثالث : عروة ابن مسعود الثقفي، قاله قتادة (١٩)، وابن زيد (٢٠)، والفراء (٢١).

(١) تفسير الطبري: ٥٩٢/٢١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٢٥/٧.

(٣) معاني القرآن: ٣١/٣.

(٤) معاني القرآن: ٤٠٩/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٩٢/٢١، ٥٩٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٢/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢١.

(٩) الدر المنثور: ٣٧٥/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(١٠) انظر: معاني القرآن: ٣١/٣.

(١١) انظر: مهعاني القرآن: ٤٠٩/٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢١.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٩٣.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢١ مختصراً، وعبد بن حميد كما في الفتح ٦ / ٣١٥ - مصرحاً بلفظ التّزول.

وعزاه السيوطي في " الدر المنثور": ٣٧٥/٧، إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٢/٢١.

(١٧) انظر: مهعاني القرآن: ٤٠٩/٤.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٩٣.

(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢١.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٣/٢١.

(٢١) انظر: معاني القرآن: ٣١/٣.

قال ابن زيد: " كان أحد العظيمين: عروة بن مسعود الثقفي، كان عظيم أهل الطائف" (١).  
 الرابع: أنه كنانة بن عبد بن عمرو بن عمير، قاله السدي (٢)، والشعبي (٣).  
 قال ابن كثير: "الظاهر: أن مرادهم رجل كبير من أي البلديتين كان" (٤).  
 قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه، مخبرا عن هؤلاء المشركين: {وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}، إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء، ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، والاختلاف فيه موجود على ما بينت" (٥).  
 وقال النحاس: "قول قتادة أشبه بالصواب، لأن معمرا روى عنه، أنه قال: «قال الوليد بن المغيرة: لو كان ما يقول محمد حقا، أنزل علي أو على أبي مسعود الثقفي». فخير قتادة بسبب نزول الآية" (٦).  
 قال ابن عطية: "وإنما قصدوا إلى من عظم ذكره بالسن والقدم، وإلا فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان حينئذ أعظم من هؤلاء، لكن لما عظم أولئك قبل مدة النبي وفي صباه استمر ذلك لهم" (٧).

### القرآن

{أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)} [الزخرف: ٣٢]

التفسير:

أهم يقسمون النبوة فيضعونها حيث شاؤوا؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات: هذا غني وهذا فقير، وهذا قوي وهذا ضعيف؛ ليكون بعضهم مسخرًا لبعض في المعاش. ورحمة ربك -أيها الرسول- بإدخالهم الجنة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني.  
 قوله تعالى: {أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ} [الزخرف: ٣٢]، أي: "أهم يقسمون النبوة فيضعونها حيث شاؤوا؟" (٨).

قال الماوردي: "يعني: النبوة فيضعوها حيث شاءوا" (٩).  
 قال الطبري: يقول: "أهؤلاء القائلون: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يا محمد، يقسمون رحمة ربك بين خلقه، فيجعلون كرامته لمن شاءوا، وفضله لمن أرادوا، أم الله الذي يقسم ذلك، فيعطي من أحب، ويحرمه من شاء؟" (١٠).  
 قال ابن كثير: "أي: ليس الأمر مردودا إليهم، بل إلى الله، عز وجل، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبا ونفسا، وأشرفهم بيتا وأظهرهم أصلا" (١١).

(١) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٤/٢١.

(٣) الدر المنثور: ٣٧٥/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٢٦/٧.

(٥) تفسير الطبري: ٥٩٤/٢١.

(٦) معاني القرآن: ٣٥١/٦.

(٧) المحرر الوجيز: ٥٣/٥.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٩) النكت والعيون: ٢٢٣/٥.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٩٤/٢١.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٢٦/٧.

قال الزجاج: "أي: قولهم: لِمَ لَمْ يَنْزَلْ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ اعْتِرَاضَ مِنْهُمْ، وَلَيْسَ تَفْضُلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقْسِمُهُ غَيْرُهُ"<sup>(١)</sup>.

قال ابن عطية: "وقف على جهة التوبيخ لهم بقوله: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ}، المعنى: على اختيارهم وإرادتهم تنقسم الفضائل والمكانة عند الله. والرحمة: اسم يعم جميع هذا"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عباس: "لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك، ومن أنكر منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد، قال: فأنزل الله عز وجل: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ}، وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدُّكُرِ}، يعني: أهل الكتب الماضية، أبشرا كانت الرسل التي أنتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنتكم، وإن كانوا بشرا فلا تنكرون أن يكون محمد رسولا قال: ثم قال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْفَرَى}، أي: ليسوا من أهل السماء كما قلتم؛ قال: فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا، وإذا كان بشرا فغير محمد كان أحق بالرسالة فـ {لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْبِينَ عَظِيمٍ}، يقولون: أشرف من محمد صلى الله عليه وسلم، يعنون الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان يسمى ريحانة قريش، هذا من مكة، ومسعود بن عمرو بن عبيد الله الثقفي من أهل الطائف، قال: يقول الله عز وجل ردا عليهم: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ}، أنا أفعل ما شئت"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الزخرف: ٣٢]، أي: نحن قسمنا بينهم معيشتهم في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: "بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسولا ومن أردنا صديقا، ونتخذ من أردنا خليلا كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات"<sup>(٥)</sup>.

قال النحاس: "أي: كما قسمنا بينهم الأرزاق وفضلنا بعضهم على بعض كذلك فضلنا بعضهم على بعض بالاصطفاء بالرسالة"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "بين تعالى أنه قد فaut بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم، وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة"<sup>(٧)</sup>.

قال قتادة: "فتلقاه ضعيف الحيلة، عي اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، سليل اللسان، وهو مقتور عليه، قال الله جل ثناؤه: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن عطية: "المعنى: فإذا كان اهتمامنا بهم أن نقسم هذا الحقيق الفاني، فأحرى أن نقسم الأهم الخطير، وفي قوله تعالى: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ} تزييد في السعيات، وعون على التوكل على الله تعالى، والله در القائل"<sup>(٩)</sup>.  
لما أتى نحن قسمنا بينهم زال المرا"<sup>(١)</sup>.

(١) معاني القرآن: ٤/٤١٠.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٥٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢١/٥٩٤-٥٩٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩١.

(٥) تفسير الطبري: ٢١/٥٩٥.

(٦) معاني القرآن: ٦/٣٥٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٧/٢٢٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٢١/٥٩٥.

(٩) انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: ١/٥٩٦، وتفسير الثعالبي "الجواهر الحسان":

١٧٩/٥، ذكروا بعض الرجز، قال الراغب: "وقال عبدان:

لقله نحن قسمنا ... بينهم زال المرا

ولو تولى غيره ... قسمة أرزاق الوري

جرت حظوظ بيننا ... لكئنا تحت العرا".

وقرأ ابن مسعود والأعمش: «معائشهم»<sup>(٢)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} [الزخرف: ٣٢]، أي: "فضلنا بين  
 الخلق في الرزق والعيش، وجعلناهم مراتب: هذا غني، وهذا فقير، وهذا قوي وهذا ضعيف"<sup>(٣)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنيا، وهذا  
 فقيرا، وهذا ملكا، وهذا مملوكا"<sup>(٤)</sup>.  
 قوله تعالى: {لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف: ٣٢]، أي: "ليكون كلٌ منهم مسخراً  
 للآخر، ويخدم بعضهم بعضاً، لينتظم أمر الحياة"<sup>(٥)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه، وفي عود هذا على هذا بما في  
 يديه من فضل، يقول: جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا في المعاش، في الدنيا"<sup>(٦)</sup>.  
 وفي قوله تعالى: {لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف: ٣٢]، وجهان من التفسير:  
 أحدهما: خدماً، يعني: ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال، لاحتياج هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا  
 قاله السدي<sup>(٧)</sup>، وابن زيد<sup>(٨)</sup>.  
 قال السدي: "يستخدم بعضهم بعضاً في السخرة"<sup>(٩)</sup>.  
 قال ابن زيد: "هم بنو آدم جميعاً، قال: وهذا عبد هذا، ورفع هذا على هذا درجة، فهو  
 يسخره بالعمل، يستعمله به، كما يقال: سخر فلان فلانا"<sup>(١٠)</sup>.  
 الثاني: ملكاً، يعني: ليملك بعضهم بعضاً. قاله الضحاك<sup>(١١)</sup>، وقتادة<sup>(١٢)</sup>.  
 قال ابن كثير: "وهو راجع إلى الأول"<sup>(١٣)</sup>.  
 قال الضحاك: "يعني بذلك: العبيد والخدم، سخر لهم"<sup>(١٤)</sup>.  
 قال النحاس: "ليكون بعضهم لبعض خولا"<sup>(١٥)</sup>،<sup>(١٦)</sup>.  
 قال الفراء: "فرعنا المولى فوق عبده، وجعلنا بعضهم يسبي بعضاً، فيكون العبد والذي  
 يسبي مسخرين لمن فوقهما"<sup>(١٧)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣٢]، أي: "ورحمة ربك -أيها  
 الرسول- بإدخالهم الجنة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني"<sup>(١٨)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ورحمة ربك يا محمد بإدخالهم الجنة خير لهم مما  
 يجمعون من الأموال في الدنيا"<sup>(١٩)</sup>.

- 
- (١) المحرر الوجيز: ٥٣/٥.  
 (٢) انظر: المحرر الوجيز: ٥٣/٥.  
 (٣) التفسير الميسر: ٤٩١، وصفوة التفاسير: ١٤٥/٣.  
 (٤) تفسير الطبري: ٥٩٥/٢١.  
 (٥) صفوة التفاسير: ١٤٥/٣.  
 (٦) تفسير الطبري: ٥٩٥/٢١.  
 (٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢١.  
 (٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢١.  
 (٩) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢١.  
 (١٠) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢١.  
 (١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢١.  
 (١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢١.  
 (١٣) تفسير ابن كثير: ٢٢٦/٧.  
 (١٤) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢١.  
 (١٥) الخول: اسم يقع على العبد والامة.  
 (١٦) معاني القرآن: ٣٥٢/٦.  
 (١٧) معاني القرآن: ٣١/٣.  
 (١٨) التفسير الميسر: ٤٩١.  
 (١٩) تفسير الطبري: ٥٩٦/٢١.

قال ابن كثير: "أي: رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا"<sup>(١)</sup>.

عن قتادة: "وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ"، يعني: الجنة"<sup>(٢)</sup>.

قال السدي: "يقول: الجنة خير مما يجمعون في الدنيا"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عطية: "لا شك أن الجنة هي الغاية، ورحمة الله في الدنيا بالهداية، والإيمان خير من كل مال، وهذا اللفظ تحقير للدنيا"<sup>(٤)</sup>.  
من فوائد الآيتين: [٣١-٣٢]:

١- مجادلة المشركين بالباطل؛ لقولهم: {وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم} وجه ذلك أن قريشا تعرف أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - أحق الناس بالرسالة لو صدقوا بها؛ لأنه من خيرة العرب نسبا، ولأنه الأمين الصادق، وهم يسمونه الأمين من قبل أن يأتي بالرسالة.

٢- أن القرية تطلق على المدن الكبيرة، بل على أم المدن؛ لقوله: {من القريتين عظيم}؛ ولقوله تعالى في آية أخرى: {وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك} [محمد: ١٣]، قريته التي أخرجته هي مكة، في عرفنا الآن تطلق القرية على المدينة الصغيرة، ولو أنك قلت لأهل المدينة الكبيرة: أنتم أهل القرية. لاشتاطوا غضبا، ولكن يقال: القرآن بيننا، القرية تطلق حتى على المدينة الكبيرة؛ لأنها مأخوذة من: «القرى»، وهو: الاجتماع.

٣- إنكار الله عليهم، وبيان أنهم ليسوا الذين يقسمون رحمة الله؛ لقوله: {أهم يقسمون رحمت ربك}.

٤- إقامة الدليل الذي لا انفكاك عنه بأنهم لا يستطيعون قسم رحمة الله، يؤخذ من قوله: {نحن قسمنا بينهم معيشتهم} فهذا لا يمكنهم إنكاره، هم يعرفون أن فيهم الغني والفقير، والقوي والضعيف، والذكي والبليد، والعاقل والسفيه، هم يعرفون هذا.

٥- الحكمة في أن الله عز وجل جعل الناس على درجات؛ لقوله: {ليتخذ بعضهم بعضا سخريا}.

٦- إثبات التعليل والحكمة لأفعال الله سبحانه وتعالى أي: أنه عز وجل يفعل لحكمة - لا بد أن يكون لحكمة - لقوله: {ليتخذ بعضهم بعضا سخريا} لأن «اللام» - هنا: - للتعليل، وتعليل أحكام الله الكونية موجود بكثرة في القرآن، والأحكام الشرعية كالإيجاب والتحريم والإباحة معللة، فكل حكم من أحكام الله الكونية أو الشرعية لا بد له من حكمة.

٧- جواز استخدام العمال، تؤخذ من قوله تعالى: {ليتخذ بعضهم بعضا سخريا}.

٨- الحكمة العظيمة في هذا - أي: في التفاوت - لأنه لولا هذا التفاوت ما عرف قدر نعمة الله على الغني بالغنى، وعلى العاقل بالعقل، وعلى القوي بالقوة، وهكذا، لولا الجنون ما عرف قدر قيمة العقل، ولولا المرض ما عرف قدر قيمة الصحة، إذن هذا من الحكمة.

٩- أن رحمة الله سبحانه وتعالى - ومنها الجنة - {خير مما يجمعون}، أي: من كل ما يجمعون؛ لأنه الغاية التي يسعى إليها كل مؤمن، بل يجب أن يسعى إليها كل عاقل.

١٠- الإشارة إلى خطورة الجمع - أي: جمع الأموال - وأن ذلك قد ينسي الآخرة، وهو كذلك، فجمع الأموال ينسي الآخرة إلا من رحم ربي؛ ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتتافسوها كما تنافسها من قبلكم، فتهلككم كما أهلكتهم"<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٢٦/٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢١.

(٤) المحرر الوجيز: ٥٣/٥.

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم (٦٤٢٥)، ومسلم: كتاب

وهذا هو الواقع، فالدنيا والدين في الغالب لا يجتمعان، إلا من رحم الله، وكم من إنسان كان فقيراً مستقيماً على دين الله فأغناه الله فصار غناه سبباً لطغيانه واستغناؤه عن ربه، قال الله سبحانه وتعالى: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا} [العلق: ٦ - ٧].

## القرآن

{وَلَوْ لَأَنَّ الْيَهُودِيَّ وَالنَّاسِيَّ عَلِمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَذَلَّ لَأَخَذُوا مِنْكُمْ مَالَكُمْ أَكْثَرًا} [الزخرف: ٣٣]

التفسير:

ولولا أن يكون الناس جماعة واحدة على الكفر، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُفُفًا من فضة وسلام عليها يصعدون.

قوله تعالى: {وَلَوْ لَأَنَّ الْيَهُودِيَّ وَالنَّاسِيَّ عَلِمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَذَلَّ} [الزخرف: ٣٣]، أي: "ولولا أن يرغب الناس في الكفر إذا رأوا الكافر في سعة من الرزق، ويصيروا أمة واحدة في الكفر" (١). قال مقاتل: "يقول: لولا أن ترغب الناس في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة من الخير والرزق" (٢).

قال ابن كثير: "أي: لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه، فيجتمعوا على الكفر لأجل المال {لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُفُفًا مِنْ فِضَّةٍ...}" (٣).

قال الطبري: "أمة واحدة": جماعة واحدة" (٤). قال الفراء: "يقول: نفع ذلك بهم ليكون فتنة عليهم في الدنيا، وزيادة في عذاب الآخرة" (٥).

قال الزجاج: "المعنى: لامتحنا بمحنة تثقل" (٦). وقال الزجاج: "لولا أن تميل بهم الدنيا فيصير الخلق كفاراً لأعطى الله الكافر في الدنيا غاية ما يتمنى فيها لِفَتْيَتِهَا عِنْدَهُ، ولكنه - عزَّ وجلَّ - لم يفعل ذلك لعلمه بأن الغالب على الخلق حُبُّ الْعَاجِلَةِ" (٧).

وفي قوله تعالى: {وَلَوْ لَأَنَّ الْيَهُودِيَّ وَالنَّاسِيَّ عَلِمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَذَلَّ} [الزخرف: ٣٣]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدهما: على دين واحد كفاراً، قاله ابن عباس (٨)، وقتادة (٩)، والسدي (١٠). قال ابن عباس: "يقول الله سبحانه: لولا أن أجعل الناس كلهم كفاراً، لجعلت للكفار لبيوتهم سقفاً من فضة" (١١).

قال الحسن: "لولا أن يكون الناس كفاراً أجمعون، يميلون إلى الدنيا، لجعل الله تبارك وتعالى الذي قال، تم قال: والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها، وما فعل ذلك، فكيف لو فعله" (١٢).

الزهد والرفائق، رقم (٢٩٦١)، من حديث عمرو بن عوف - رضي الله عنه -.

(١) صفوة التفاسير: ١٤٦/٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٤/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٢٥/٧.

(٤) تفسير الطبري: ٥٩٨/٢١.

(٥) معاني القرآن: ١٩٤/٣.

(٦) معاني القرآن: ٣٧١/١.

(٧) معاني القرآن: ٤١١/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٨/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٨/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٨/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٩٨/٢١.

الثاني : على اختيار الدنيا على الدين، قاله ابن زيد<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن زيد: "لولا أن يختار الناس دنياهم على دينهم، لجعلنا هذا لأهل الكفر"<sup>(٣)</sup>.  
الثالث: المعنى: لولا إرادتنا أن يكون في الكفار غني وفقير وفي المسلمين مثل ذلك لأعطينا الكفار من الدنيا هذا لهوانها على الله جل وعز. حكاه النحاس عن الكسائي<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: {لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ} [الزخرف: ٣٣]، أي: "لخصصنا هذه الدنيا بالكفار، وجعلنا لهم القصور الشاهقة المزخرفة بأنواع الزينة والنقوش، سقفا من الفضة الخالصة"<sup>(٥)</sup>.  
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لجعلنا لمن يكفر بالرحمن في الدنيا سقفا، يعني أعالي بيوتهم، وهي السطوح فضة"<sup>(٦)</sup>.  
قال الزجاج: "المعنى: جعلنا لبيت كل واحد منهم سقفا من فضة"<sup>(٧)</sup>.  
قال مقاتل: "لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لهوان الدنيا عليه {البيوتهم سقفا من فضة}، يعني: بالسقف سماء البيت"<sup>(٨)</sup>.  
قال قتادة: "السقف: أعلى البيوت"<sup>(٩)</sup>.  
عن سفيان، قوله: "لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ"، قال: الجذوع"<sup>(١٠)</sup>.  
عن الشعبي: "سقفا من فضة"، قال جزوعا"<sup>(١١)</sup>.  
وقرى: «سُقْفًا»، بفتح السين وسكون القاف"<sup>(١٢)</sup>.  
قوله تعالى: {وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف: ٣٣]، أي: "وجعلنا لهم مصاعد وسلام من فضة عليها يرتقون ويصعدون"<sup>(١٣)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: ومراقي ودرجا عليها يصعدون، فيظهرون على السقف والمعارج: هي الدرج نفسها"<sup>(١٤)</sup>.  
قال أبو عبيدة: "المعارج الدرج قال جندل بن المثنى"<sup>(١٥)</sup>.  
يا ربّ ربّ البيت ذى المعارج"<sup>(١٦)</sup>.  
قال الزجاج: "«معارج»: درج، واحدها: معرج، المعنى: وجعلنا معارج من فضة"<sup>(١٧)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: سلام ودرجا من فضة {عَلَيْهَا}، يصعدون"<sup>(١)</sup>.

- 
- (١) أخرجه الطبري: ٥٩٨/٢١.  
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٨/٢١.  
(٣) أخرجه الطبري: ٥٩٨/٢١.  
(٤) انظر: معاني القرآن: ٣٥٣/٦-٣٥٤.  
(٥) صفوة التفاسير: ١٤٦/٣.  
(٦) تفسير الطبري: ٥٩٨/٢١.  
(٧) معاني القرآن: ٤١٠/٤.  
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٤/٣.  
(٩) أخرجه الطبري: ٥٩٨/٢١.  
(١٠) تفسير سفيان الثوري (٨٧٦: ٦: ١٠): ص ٢٧١.  
(١١) رواه سفيان، كما في معاني القرآن للنحاس: ٣٥٤/٦.  
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٨/٢١.  
(١٣) صفوة التفاسير: ١٤٦/٣.  
(١٤) تفسير الطبري: ٥٩٩/٢١.  
(١٥) لعله من أرجوزة بعضها في العيني ٤٥٧ / ٣ وذكرها العيني قائلا: أقول قائله هو أبو جندل الطهوي (هكذا) كذا قال أبو حاتم في كتاب الطير وهو من قصيدة جيمية من الرجز المسدس يصف بها الجراد إلخ والشطر في تفسير الطبري ٥٩٩/٢١، ونسبه إلى المثنى بن جندل، والصواب هو جندل بن المثنى الطهوي، كما في سمط اللآلي (٧٠٢).  
(١٦) مجاز القرآن: ٢٠٣/٢-٢٠٤.  
(١٧) معاني القرآن: ٤١١/٤.

قال مقاتل: "يقول: درجا على ظهور بيوتهم يرتقون"<sup>(٢)</sup>.  
 قال السدي: "المعارج: المراقي"<sup>(٣)</sup>.  
 عن سفيان، قوله: "وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ"، قال: الدرج"<sup>(٤)</sup>.  
 قال ابن زيد: "المعارج: درج من فضة"<sup>(٥)</sup>.  
 قال ابن عباس: "معارج من فضة، وهي: درج"<sup>(٦)</sup>، وقال في رواية: "درج عليها يصعدون إلى الغرف"<sup>(٧)</sup>.  
 قال قتادة: "أي: درجا عليها يصعدون"<sup>(٨)</sup>. وفي رواية: "درج عليها يرفعون"<sup>(٩)</sup>.  
 عن سهل بن سعد، قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة، فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها، فقال: «أترون هذه هينة على صاحبها؟ فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرا منها قطرة أبدا»"<sup>(١٠)</sup>.

### القرآن

{وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَسْمَاءَ أَسْمَاءِ الْوُجُوهِ الَّتِي فِي الْكِتَابِ وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا} [الزخرف: ٣٤] وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا [الزخرف: ٣٥]

التفسير:

وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة، وجعلنا لهم سرراً عليها يتكئون، وجعلنا لهم ذهباً، وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، وهو متاع قليل زائل، ونعيم الآخرة مدخر عند ربك للمتقين ليس لغيرهم.  
 قوله تعالى: {وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَسْمَاءَ أَسْمَاءِ الْوُجُوهِ الَّتِي فِي الْكِتَابِ وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا} [الزخرف: ٣٥]، أي: "ولجعلنا لبيوت الكفار أبواباً من فضة وسرراً من فضة"<sup>(١١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وجعلنا لبيوتهم أبواباً من فضة، وسرراً من فضة"<sup>(١٢)</sup>.

قال الزجاج: "أي: أبواباً من فضة وسرراً من فضة"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن عباس: "سرر فضة"<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن زيد: "الأبواب من فضة، والسرر من فضة"<sup>(١٥)</sup>.

قال ابن كثير: "وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَسْمَاءَ أَسْمَاءِ الْوُجُوهِ الَّتِي فِي الْكِتَابِ وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا وَرَأْيَهُمْ فِيهَا} أي: أغلقا على أبوابهم {وَسُرُورًا}، أي: جميع ذلك يكون فضة"<sup>(١٦)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٢٥/٧.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٤/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢١.

(٤) تفسير سفيان الثوري (٨٧٦: ٦: ١٠): ص ٢٧١.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢١.

(١٠) أخرجه ابن ماجه (١٣٧٦/٢)، رقم (٤١١٠)، قال البوصيري (٢١٣/٤): إسناده ضعيف. والدارقطني في الأفراد كما في أطراف ابن طاهر (٩٥/٣)، رقم (٢١٣٤)، والطبراني (١٥٧/٦)، رقم (٥٨٤٠)، والحاكم (٣٤١/٤)، رقم (٧٨٤٧)، وقال: صحيح الإسناد. قال الذهبي: زكريا بن منظور ضعوفه. وأخرجه أيضا: البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٥/٧) رقم (١٠٤٦٥).

(١١) التفسير الوسيط: ٨٠٥/٩.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٠١/٢١.

(١٣) معاني القرآن: ٤١١/٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢١.

(١٥) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢١.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٢٢٦/٧.



قوله تعالى: {عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ} [الزخرف: ٣٥]، أي: "على تلك الأسرة الفضيّة يتكئون ويجلسون"<sup>(١)</sup>.

قال ابن زيد: "يقول: على السرر يتكئون"<sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: ينامون"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَزُخْرُفًا} [الزخرف: ٣٥]، أي: "وجعلنا لهم ذهباً"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ولجعلنا لهم مع ذلك زخرفاً، وهو الذهب"<sup>(٥)</sup>.

قال المراغي: أي: "وزينة في كل ما يرتفق به من شؤون الحياة"<sup>(٦)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَزُخْرُفًا} [الزخرف: ٣٥]، ثلاثة وجوه:

أحدها: أنه الذهب: قاله ابن عباس<sup>(٧)</sup>، والحسن<sup>(٨)</sup>، ومجاهد<sup>(٩)</sup>، وقتادة<sup>(١٠)</sup>، والضحاك<sup>(١١)</sup>، والسدي<sup>(١٢)</sup>، وسفيان<sup>(١٣)</sup>، ومقاتل<sup>(١٤)</sup>، وأنشد قطرب قول ذي الأصبع<sup>(١٥)</sup>:

زخارف أشباهاً تخال بلوغها .. سواطع جمر من لظى يتلهب

قال مقاتل: "يقول: وجعلنا كل شيء لهم من ذهب"<sup>(١٦)</sup>.

قال مجاهد: "قال كنت لا أدري ما معنى: {وزخرفاً}، حتى وجدته في قراءة عبد الله بن مسعود: «وذهباً»"<sup>(١٧)</sup>.

وقال الحسن: "بيتنا من ذهب"<sup>(١٨)</sup>.

قال قتادة: "الزخرف: الذهب، قال: قد والله كانت تكره ثياب الشهرة. وذكر لنا أن نبي

الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إياكم والحمرة فإنها من أحب الزينة إلى الشيطان»"<sup>(١٩)</sup>.

وفي معنى «الذهب» على هذا التفسير، قولان<sup>(٢٠)</sup>:

أحدهما: أن المعنى: وجعلنا لهم زخرفاً، أي: غنى. اختاره الفراء<sup>(٢١)</sup>.

والآخر: أن المعنى: من فضة ومن زخرف، ثم حذف «من» ونصب.

الثاني: أنه الأثاث والفرش ومتاع البيت، قاله ابن زيد<sup>(٢٢)</sup>.

(١) صفوة التفاسير: ١٤٦/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٥/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٥) تفسير الطبري: ٦٠١/٢١.

(٦) تفسير المراغي: ٨٦/٢٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٠١/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٠١/٢١.

(٩) رواه شعبة، كما في معاني القرآن للنحاس: ٣٥٥/٦.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٠١/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٢/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠١/٢١.

(١٣) انظر: تفسير سفيان الثوري (٨٧٦: ٦: ١٠): ص ٢٧١-٢٧٢.

(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٥/٣.

(١٥) نقلاً عن: النكت والعيون: ٢٢٥/٥.

(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٥/٣.

(١٧) رواه شعبة، كما في معاني القرآن للنحاس: ٣٥٥/٦.

(١٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٧٦٦): ص ١٦٨/٣، وأخرجه الطبري: ٦٠١/٢١. بتفاوت يسير في الألفاظ.

(١٩) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢١.

(٢٠) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٢/٣، ومعاني القرآن للنحاس: ٣٥٥/٦-٣٥٦.

(٢١) انظر: معاني القرآن: ٣٢/٣.

(٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٢/٢١.

قال ابن زيد: "الزخرف: سمي هذا الذي سمي السقف، والمعارج والأبواب والسرر من الأثاث والفرش والمتاع"<sup>(١)</sup>.  
الثالث: أنه النقوش، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "الزخرف -في اللغة- "الزينة وكمال الشيء فيها، ودليل ذلك قوله: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا} [يونس: ٢٤]، أي: كمالها وتَمَامُهَا"<sup>(٣)</sup>.  
وقال أبو هلال العسكري: "الزخرف أصله: الذهب، ثم استعمل في التزيين، فيقال: زخرفت البيت إذا زينته، وزخرفت القول إذا زورته وحنثته، وسُميت أنوار الربيع: زخارف؛ لأنها تزين الأرض. وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:  
الأول: الذهب، قال الله: {وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ}، وقال: {أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ}، يعني: الذهب.

الثاني: الزينة والحسن، قال الله: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا}، يعني: حسنها وزينتها.  
الثالث: تزوير القول حتى يشبه كذبه صدقا وغروره حقا، قال تعالى: {زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}، والمعنى: أن بعضهم يزين لبعض الأعمال القبيحة، و{غُرُورًا} منصوب على المصدر ومحمول على المعنى، كأنه قال: يغرون غرورا"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الزخرف: ٣٥]، أي: "وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، وهو متاع قليل زائل"<sup>(٥)</sup>.  
عن الأعمش: "متاع الحياة الدنيا}، قال: مثل زاد الراعي"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وما كل هذه الأشياء التي ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والأبواب والسرر من الفضة والزخرف، إلا متاع يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا"<sup>(٧)</sup>.  
قوله تعالى: {وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ} [الزخرف: ٣٥]، أي: "ونعيم الآخرة مدخر عند ربك للمتقين ليس لغيرهم"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وزين الدار الآخرة وبهاؤها عند ربك للمتقين، الذين اتقوا الله فخافوا عقابه، فجدوا في طاعته، وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله"<sup>(٩)</sup>.  
عن قتادة (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) خصوصا"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن عثيمين: "متاع كالمَتَاعِ يحملُه المسافر {وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ}، لأن الدنيا مهما طالَت بالإنسان، فلا بد من الزوال، إما أن تزول الدنيا عنه، وإما أن يزول هو عن الدنيا، ولهذا قال الشاعر<sup>(١١)</sup>:

لا طيب للعيش ما دامت منغصة ... لذاته بادكار الموت والهرم  
صحيح أن الإنسان إذا تذكر أين ماله، إما موت مبكر، وإما هرم مخرف، الآن يوجد الذين بلغوا عمرا طويلا، ووصلوا إلى حد الهرمة، هم بأنفسهم متضايقون وأهلوهم متضايقون، تجد الإنسان يتضايق من أبيه وأمه، وإن كان المؤمن يصبر لكن لا بد أن يتضايق، أو موت عاجل وينتهي الموضوع.

(١) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢١.  
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٢٥/٥.  
(٣) معاني القرآن: ٤١١/٤.  
(٤) الوجوه والنظائر: ٢٣٩.  
(٥) التفسير الميسر: ٤٩٢.  
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٠٧): ص ١٩٤٠/٦.  
(٧) تفسير الطبري ٦٠٢/٢١.  
(٨) التفسير الميسر: ٤٩٢.  
(٩) تفسير الطبري ٦٠٣-٦٠٢/٢١.  
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٠٣/٢١.  
(١١) غير منسوب، وانظره في: أوضح المسالك (١/ ٢٣٩)، شرح ابن عقيل (١/ ٢٧٤)، مع الهوامع (١/ ٤٢٨).

هذا حال الدنيا في الواقع، ولذلك الغنيمة الغنيمة، بادر العمر قبل فواته، اعمل صالحا، وطلب العلم من أفضل الأعمال، لكن بشرط أن يكون العالم عاملا، أما علم بلا عمل فالجهل - والله- خير منه"<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»<sup>(٢)</sup>.  
قال المناوي في شرحه لهذا الحديث: "«الدنيا»، أي: الحياة الدنيا، «سجن المؤمن» بالنسبة لما أعد له في الآخرة من النعيم المقيم، «وجنة الكافر» بالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم واما قريب يحصل في السجن المستدام نسأل الله السلام يوم القيامة وقيل المؤمن صرف نفسه عن لذاتها فكأنه في السجن لمنع الملاذ عنه والكافر سرحها في الشهوات فهي له كالجنة قال السهروردي: والسجن والخروج منه يتعاقبان على قلب المؤمن عاى توالي الساعات ومرور الأوقات لأن النفس كلما ظهرت صفاتها أظلم الوقت على القلب حتى ضاق وانكمد وهل السجن إلا تضيق وحجر من الخروج؟ فكلما هم القلب بالتبيري عن مشائم الأهواء الدنيوية والتخلص عن قيود الشهوات العاجلة تشهيا إلى الأجلة وتنزها في فضاء الملكوت ومشاهدة للجمال الأزلي حجزه الشيطان المردود من هذا الباب المطرود بالاحتجاب فتدلى بحبل النفس الأمانة إليه ففكر صفو العيش عليه وحال بينه وبين محبوب طبعه وهذا من أعظم السجون وأضيقها فإن من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه.

«تتمة»: ذكروا أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة مر يوما بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة فقبض على لجام بغلته وقال: يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فأبي سجن أنت فيه وأي جنة أنا فيها فقال: أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في جنة فأسلم اليهودي"<sup>(٣)</sup>.  
فوائد الآية الكريمة:

- ١- أن هذ المتعة الدنيوية ما هي إلا متاع الحياة الدنيا فهي زائلة، ويتفرع على هذه الفائدة: أن لا يتعلق الإنسان بها، وأن لا يهتم بها، وأن يعلم أنه عائش بدونها وليس لك من الدنيا إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت.
- ٢- التزهيد في هذ الأمور، وأن لا تهتم بها، لا تعلق قلبك بمظاهر الدنيا، فإنك إن فعلت هلكت؛ ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا رأى من الدنيا ما يعجبه قال: "لبيك إن العيش عيش الآخرة"<sup>(٤)</sup>، لبيك يعني: إجابة لك؛ ليصرف قلبه عما يعجبه مما رآه في الدنيا، ثم وطن النفس وقال: "إن العيش عيش الآخرة" والله هذا هو الحق.

(١) تفسير العثيمين: الزخرف: ١٤٤-١٤٥.  
(٢) حديث أبي هريرة: أخرجه أحمد (٣٢٣/٢)، رقم (٨٢٧٢)، ومسلم (٢٢٧٢/٤)، رقم (٢٩٥٦)، والترمذي (٥٦٢/٤)، رقم (٢٣٢٤) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٣٧٨/٢)، رقم (٤١١٣)، وابن حبان (٤٦٢/٢)، رقم (٦٨٧). وأخرجه أيضا: أبو يعلى (٤٠٤/١١)، رقم (٦٥٢٦)، والطبراني في الأوسط (١٥٧/٣)، رقم (٢٧٨٢)، وأبو نعيم (٣٥٠/٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٨/٧)، رقم (٩٧٩٧)، والديلمي (٢٢٩/٢)، رقم (٣١٠٣).  
حديث سلمان: أخرجه الطبراني (٢٣٦/٦)، رقم (٦٠٨٧)، قال الهيثمي (٢٨٩/١٠): وفيه سعيد بن محمد الوراق، وهو متروك. والحاكم (٦٩٩/٣)، رقم (٦٥٤٥) وقال: غريب صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٢٧/٥)، رقم (٥٦٤٥).

حديث ابن عمر: أخرجه القضاة (١١٨/١)، رقم (١٤٥)، والخطيب (٤٠١/٦)، وابن عساكر (١٤/٦٢). وأخرجه أيضا: الطبراني في الأوسط (٦٥/٩)، رقم (٩١٣٦). قال الهيثمي (٢٨٩/١٠): "رواه البزار بسنتين أحدهما ضعيف والآخر فيه جماعة لم أعرفهم".

(٣) فيض القدير: ٥٤٦/٣.

(٤) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -: أصلح الأنصار والمهاجرة، رقم (٣٧٩٥)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم (١٨٠٤)، من حديث أنس - رضي الله عنه -

أما عيش الدنيا فإنه مهما طاب لك محفوف بنكد قبله ونكد بعده؛ لأنك لن تحصله غالباً إلا بتعب، ثم إذا حصلته هل سيبقى لك هذا أو لا يبقى؟ هل ستبقى له أو لا تبقى؟ ولا بد من أحد الأمرين: إما تموت وتتركه، وإما أن يهلك وأنت حي.

٣- البشرى للمتقين، وأن لهم الآخرة، فالآخرة خير للمتقين، ففيه البشارة وأن الإنسان المتقي إذا انتقل من الدنيا فلا يندم؛ لأنه انتقل إلى دار أحسن وأفضل مما فارقهم.

٤- الحث على التقوى، وذلك لأن ذكر الجزاء والثواب يستثير النفس حتى يصل الإنسان إلى الوصف الذي يحصل به على الثواب.

## القرآن

{وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيْضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)} [الزخرف: ٣٦]

التفسير:

ومن يُعرض عن ذكر الرحمن، وهو القرآن، فلم يَخَفْ عقابه، ولم يهتد بهدأيته، نجعل له شيطاناً في الدنيا يغويه؛ جزاء له على إعراضه عن ذكر الله، فهو له ملازم ومصاحب يمنعه الحلال، ويبعته على الحرام.

سبب النزول:

عن محمد بن عثمان المخرمي: "أن قريشا قالت: قيسوا لكل رجل رجلاً من أصحاب محمد يأخذوه، فقيضوا لأبي بكر رضي الله عنه طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم، فقال أبو بكر رضي الله عنه، إلام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى! قال أبو بكر رضي الله عنه: وما اللات؟ قال: ربنا قال: وما العزى؟ قال: بنات الله. قال أبو بكر رضي الله عنه: فمن أهمهم؟ فسكت طلحة، فلم يجبه. فقال طلحة لأصحابه: أحبيوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأنزل الله: {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيْضٌ لَهُ شَيْطَانًا}، الآية" (١).

قوله تعالى: {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ} [الزخرف: ٣٦]، أي: "ومن يُعرض عن ذكر الرحمن، وهو القرآن، فلم يَخَفْ عقابه، ولم يهتد بهدأيته" (٢).

قال الطبري: "معنى الكلام: ومن لا ينظر في حجج الله بالإعراض منه عنه إلا نظراً ضعيفاً، كنظر من قد عشي بصره" (٣).

قال ابن كثير: "أي: يتعمى ويتعافل ويعرض، {عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ}، والعشا في العين: ضعف بصرها. والمراد هاهنا: عشا البصيرة" (٤).

قال السعدي: "أي: [ومن] يعرض ويصد {عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ} الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض عنها وردها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبداً" (٥).

وفي قوله تعالى: {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ} [الزخرف: ٣٦]، أقوال:

أحدها: معناه: يعرض عن ذكر الله، وهو القرآن. قاله الضحاك عن ابن عباس (٦)، وبه قال قتادة (٧)، والسدي (٨)، والفراء (٩).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٠٥): ص ٣٢٨٣/١٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٣) تفسير الطبري: ٦٠٤/٢١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٧.

(٥) تفسير السعدي: ٧٦٦.

(٦) انظر: زاد المسير: ٧٨/٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٤/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٤/٢١-٦٠٥.

(٩) انظر: معاني القرآن: ٣٢/٣.

قال الفراء: " يريد: "ومن يعرض عنه"<sup>(١)</sup>، "العربُ تقولُ: عَشَوْتُ إليك، وعنك، وبعضُهُم: عَشَيْتُ إليك أَعَشَيْتِي، فَعَشَوْتُ إِلَيْكَ: أَتَيْتُكَ فِي اللَّيْلِ، وَعَشَوْتُ عَنْكَ: أَعْرَضْتُ عَنْكَ"<sup>(٢)</sup>. واعترض النحاس، قائلا: "وأما قول قتادة «يعش» يعرض- وهو قول الفراء- فغير معروف في اللغة، إنما يقال: عشا يعيشو، إذا مشى ببصر ضعيف"<sup>(٣)</sup>. الثاني: يَغْمَ بصره عن ذكر الرحمن. روي عن ابن عباس أيضاً<sup>(٤)</sup>، وبه قال عطاء<sup>(٥)</sup>، وابن زيد<sup>(٦)</sup>، ومقاتل<sup>(٧)</sup>، والزهري<sup>(٨)</sup>. قال النحاس: " يجب على قول ابن عباس ان تكون القراءة: «ومن يَعِش» ، بفتح الشين"<sup>(٩)</sup>.

قال الفراء: "ومن قرأها: «ومن يَعِشَ عَنْ» يريد: يَغْمَ عَنْهُ"<sup>(١٠)</sup>. روي عن ابن عباس في قوله: {ومن يعش} الآية. قال: "من جانب الحق، وأنكره وهو يعلم أن الحلال حلال وأن الحرام حرام، فترك العلم بالحلال والحق لهوى نفسه. وقضى حاجته ثم أراد من الحرام، قيص له شيطان"<sup>(١١)</sup>. الثالث: أنه السير في الظلمة، مأخوذ من: العشو، وهو البصر الضعيف، حكاه الماوردي<sup>(١٢)</sup>، وأنشد ومنه قول الشاعر<sup>(١٣)</sup>:

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره ... إذا الريح هبّت والمكان جديب  
الرابع: معناه: يُظلم بصره عنه، كأن عليها غشاوة، قاله أبو عبيدة<sup>(١٤)</sup>، واستشهد بقول الحطيئة<sup>(١٥)</sup>:

متى تأتته تعشو إلى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد"<sup>(١٦)</sup>.  
أي: تنتظر إليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء<sup>(١٧)</sup>، وقال حاتم<sup>(١٨)</sup>:

أَعَشَوْتُ إِذَا مَا جَارَتِي بَرَزَتْ . . . حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِذْرُ

- 
- (١) معاني القرآن: ٣٢/٣.  
(٢) كتاب فيه لغات القرآن: ١٢٩.  
(٣) معاني القرآن: ٣٥٧/٦.  
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٠٦): ص ٣٢٨٣/١٠.  
(٥) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليجيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي: ٢٢٧، وانظر: زاد المسير: ٧٨/٤.  
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٥/٢١.  
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٥/٣.  
(٨) انظر: معاني القرآن: ٤١١/٤.  
(٩) معاني القرآن: ٣٥٦/٦.  
(١٠) معاني القرآن: ٣٢/٣.

قال الزمخشري: " قرئ: «ومن يعش»، بضم الشين وفتحها، والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل: «عشى». وإذا نظر نظر العشى ولا آفة به، قيل: «عشا»، ونظيره: «عرج»، لمن به الآفة، و: «عرج»، لمن مشى مشية العرجان من غير عرج... ومعنى القراءة بالفتح: «ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن»، كقوله تعالى: {صَمُّكُمْ عُمِّي}، وأما القراءة بالضم فمعناها: «ومن يتعام عن ذكره»، أي: يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابي، كقوله تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ}. [الكشاف: ٢٥٠/٤-٢٥١].

- (١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٠٧): ص ٣٢٨٣/١٠.  
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٢٥/٥.  
(١٣) الشعر غير منسوب في النكت والعيون: ٢٢٥/٥، وتفسير القرطبي: ٨٩/١٦.  
(١٤) مجاز القرآن: ٢٠٤/٢.  
(١٥) البيت في ديوانه ٨٦ والكتاب ١/ ٣٩٦ والشنتمري ١/ ٤٤٥ والقرطبي والسمط ص ٣٤٦، والصاح واللسان والتاج (عشا) والقرطبي ١٦/ ٨٩ والعيون ٤/ ٤٣٩ والخزانة ٣/ ٦٦٠ وشواهد الكشاف ٩٨.  
(١٦) مجاز القرآن: ٢٠٤/٢.  
(١٧) انظر: الكشاف: ٢٥١/٤.  
(١٨) انظر: أمالي المرتضى ١/ ٤٣- ٤٤ ثم ٤٧٤، من قصيدة رواها وشرحها، وخزانة الأدب ١/ ٤٦٨.

أي: أنظرُ نَظَرَ العَشي.

وقال النحاس: " وأصح ما في هذا، قول أبي عبيدة"<sup>(١)</sup>.

قال ابن قتيبة: " ولا أرى القول إلا قولَ أبي عبيدة. ولم أرَ أحدًا يُجيز: عَشَوْتُ عن الشيء: أعرضتُ عنه؛ إنما يقال: "تَعَشَيْتُ عن كذا؛ أي: تغافلتُ عنه كأنني لم أره. ومثله: "تَعَامَيْتُ، والعرب تقول: عَشَوْتُ إلى النار، إذا استدلتُّ إليها ببصر ضعيف، قال الحطّيب"<sup>(٢)</sup>.

مَنْى نَأَى نَعَشُوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ ... تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ  
ومنه حديث ابن المسيب: «أن إحدى عينيّه ذهبت وهو يَعَشُو بالأخرى»<sup>(٣)</sup>؛ أي: يبصر بها بصرًا ضعيفًا"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا} [الزخرف: ٣٦]، أي: "نجعل له شيطانًا في الدنيا يغويه؛ جزاء له على إعراضه عن ذكر الله"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: "نسب له شيطانًا، يجعل الله له ذلك جزاءه"<sup>(٦)</sup>.

قال السعدي: "قَبِضَ له الرحمن شيطانًا مريداً، يقارنه ويصاحبه، ويعدّه ويمنيه، ويؤزّه إلى المعاصي أزا"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: " {نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} كقوله: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥]، وكقوله: {قَلَمًا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: ٥]، وكقوله: {وَقَبِضْنَا لَهُمْ قُرُونًا قَرَينًا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [فصلت: ٢٥]"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: ٣٦]، أي: "فهو له ملازم ومصاحب يمنعه الحلال، ويبعثه على الحرام"<sup>(٩)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: صاحب يزين لهم الغي"<sup>(١٠)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: ملازم له لا يفارقه، أو هو ملازم للشيطان لا يفارقه، بل يتبعه في جميع أمورهِ ويطيعه في كل ما يوسوس به إليه"<sup>(١١)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: {نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: ٣٦]، قولان: أحدهما: أنه شيطان يقبض له في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام، وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية، وهو معنى قول ابن عباس"<sup>(١٢)</sup>.

الثاني: هو أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصير بهما الله إلى النار، قاله سعيد بن جبير"<sup>(١٣)</sup>.

عن سعيد الجريري: "بلغنا أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره شفع بيده شيطان، فلا يفارقه حتى يصير بهما الله إلى النار فذلك حيث يقول: {يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس

(١) معاني القرآن: ٣٥٧/٦.

(٢) البيت له: في ديوانه ٢٥، واللسان ٢٨٦/١٩. وغير منسوب: في القرطبي ٨٩/١٦. وبعجز آخر - هو: « تَجِدُ حَطْبًا جَزَلًا وَنَارًا تَأْجَجَا ( ) -» في الطبري: ٦٠٣/٢١. وهو بيت آخر مشهور.

(٣) كما في اللسان ٢٨٦/١٩، والنهاية ٨٩/٣.

(٤) غريب القرآن: ٣٩٨.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٦) معاني القرآن: ٤١٢/٤. ونقله السجستاني في غريب القرآن: ٣٧٩. ولم يشر إليه.

(٧) تفسير السعدي: ٧٦٦.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٧.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٥/٣.

(١١) فتح القدير: ٦٣٧/٤.

(١٢) انظر: ابن أبي حاتم(١٨٥٠٧):ص٣٢٨٣/١٠، والنكت والعيون: ٢٢٦/٥.

(١٣) النكت والعيون: ٢٢٦/٥.

القرين}، وأما المؤمن فيوكل به ملك حتى قال: «إنما يقضى بين الناس أو يصير إلى ما شاء الله»<sup>(١)</sup>.

قال سهل بن عبدالله في الآية: "قد حكم الله أنه لا يعرض عبد عن ذكره، وهو أن يرى بقلبه شيئاً سواه ساكناً إياه، إلا سلط الله عليه شيطاناً ليضلّه عن طريق الحق ويغريه"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

**{وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُوْنَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ} [الزخرف: ٣٧]**

التفسير:

وإن الشياطين ليصدون عن سبيل الحق هؤلاء الذين يعرضون عن ذكر الله، فيزيّنون لهم الضلالة، ويكرهون لهم الإيمان بالله والعمل بطاعته، ويظن هؤلاء المعرضون بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلال أنهم على الحق والهدى.

قوله تعالى: {وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُوْنَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} [الزخرف: ٣٧]، أي: "وإن الشياطين ليصدون عن سبيل الحق هؤلاء الذين يعرضون عن ذكر الله، فيزيّنون لهم الضلالة، ويكرهون لهم الإيمان بالله والعمل بطاعته"<sup>(٣)</sup>.

عن قتادة: "وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُوْنَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ"، قال: عَنِ الدِّينِ"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وإن الشياطين ليصدون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله، عن سبيل الحق، فيزيّنون لهم الضلالة، ويكرهون إليهم الإيمان بالله، والعمل بطاعته"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضلّه، ويهديه إلى صراط الجحيم"<sup>(٦)</sup>.

قال السعدي: "أي: {عَنِ السَّبِيلِ} أي: الصراط المستقيم، والدين القويم"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {وَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ} [الزخرف: ٣٧]، أي: "ويظن هؤلاء المعرضون بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلال أنهم على الحق والهدى"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: "ويحسب بنو آدم أنهم على هدى"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ويظن المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة، أنهم على الحق والصواب، يخبر تعالى ذكره عنهم أنهم من الذي هم عليه من الشرك على شكّ وعلى غير بصيرة"<sup>(١٠)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: يحسب الكفار أن الشياطين مهتدون فيطيعونهم، أو يحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة أنهم في أنفسهم مهتدون"<sup>(١١)</sup>.

قال السعدي: "وَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ} بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له، وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا وهذا.

فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من حيث إنه ظن أنه مهتد، وليس كذلك؟

قيل: لا عذر لهذا وأمثاله، الذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله، مع تمكنهم على

الاهتداء، فزهدوا في الهدى مع القدرة عليه، ورغبوا في الباطل، فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم.

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٧٦٧): ص ١٦٩/٣.

(٢) تفسير التستري: ١٤٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٤) الدر المنثور: ٣٧٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وأبْن جرير.

(٥) تفسير الطبري: ٦٠٥/٢١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٧.

(٧) تفسير السعدي: ٧٦٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٥/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٦٠٥/٢١.

(١١) فتح القدير: ٦٣٧/٤.

فهذه حالة هذا المعرض عن ذكر الله في الدنيا، مع قرينه، وهو الضلال والغي، وانقلاب الحقائق. وأما حاله، إذا جاء ربه في الآخرة، فهو شر الأحوال، وهو: إظهار الندم والتحسر<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبُئْسَ الْقَرِينُ (٣٨)} [الزخرف: ٣٨]

التفسير:

حتى إذا جاءنا الذي أعرض عن ذكر الرحمن للحساب والجزاء، قال لقرينه: وددت أن بيني وبينك بُعد ما بين المشرق والمغرب، فبئس القرين لي أنت؛ حيث أغويتني.

قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا} [الزخرف: ٣٨]، أي: "حتى إذا جاءنا الذي أعرض عن ذكر الرحمن للحساب والجزاء"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "حتى إذا جاءنا هذا العاشي من بني آدم عن ذكر الرحمن"<sup>(٣)</sup>.

قال قتادة: "حتى إذا جاءنا هو وقرينه جميعاً"<sup>(٤)</sup>.

قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص: {جَاءَنَا}، على التوحيد، يعني: ابن

آدم، وقرأ الباقون: «جَاءَنَا»، على التثنية، يعني: ابن آدم وقرينه<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "يعني: القرين والمقارن"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ} [الزخرف: ٣٨]، أي: "قال لقرينه:

وددت أن بيني وبينك بُعد ما بين المشرق والمغرب"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "قال أحد هذين القرينين لصاحبه الآخر: وددت أن بيني وبينك بعد

المشرقين: أي بعد ما بين المشرق والمغرب، فغلب اسم أحدهما على الآخر، كما قيل: شبه القمرين"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "فإذا وافى الله يوم القيامة يتبرم بالشيطان الذي وكل به، {قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي

وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ...}"<sup>(٩)</sup>.

وفي: «المشرقين»، قولان :

أحدهما : أنه المشرق والمغرب، فغلب أحدهما على الآخر. كما قالوا: سنة العُمَريين، يراد: سنة أبي بكر وعمر. اختاره الفراء<sup>(١٠)</sup>، والزجاج<sup>(١١)</sup>.

قال الفراء: "لأن العرب قد تجمع الاسم بين علي تسمية أشهرهما، فيقال:

قد جاءك الزهدمان، وإنما أحدهما: زهدم، قال الشاعر<sup>(١٢)</sup>:

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ ... لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ

يريد: الشمس والقمر.

وقال الآخر<sup>(١)</sup>:

(١) تفسير السعدي: ٧٦٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٣) تفسير الطبري: ٦٠٦/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٧.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٨) تفسير الطبري: ٦٠٦-٦٠٧/٢١.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٧.

(١٠) انظر: معاني القرآن: ٣٣/٣. ونقله الطبري: ٦٠٦-٦٠٧/٢١، ولم يشر إليه.

(١١) انظر: معاني القرآن: ٤١٢/٤.

(١٢) البيت للفرزدق، انظر: ديوانه: ٥١٩، والكمال: ١/١٤٣، وتفسير القرطبي ٩١/١٦.

قال: وقمرها: الشمس والقمر، ثناهما تغليبا. ورواه المبرد في الكامل: "أخذنا بأطراف" في موضع، ورواه في

آخر بأفاق.



فَسَمُوا الْبِلَادَ فَمَا بَهَا لِمَقِيلِهِمْ ... تَضَعِيثٌ مُفْتَصِلٌ يُبَاغُ فَصِيلُهُ  
فَقَرَى الْعِرَاقَ مَسِيرَهُ يَوْمَ وَاحِدٍ ... فَالْبَصْرَتَانِ فَوَاسِطُ تَكْمِيلُهُ  
يريد: البصرة والكوفة.

وأشدني رجل من طيء<sup>(٢)</sup>:

فَبَصْرَةُ الْأَرْدِ مِثْلُ الْعِرَاقِ لَنَا ... وَالْمَوْصِلَانِ وَمِثْلُ مِصْرٍ وَالْحَرَمِ  
يريد: الجزيرة، والموصل<sup>(٣)</sup>.

الثاني : أنه مشرق الشتاء ومشرق الصيف. كقوله تعالى {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ  
[الرحمن : ١٧]}. به قال مقاتل<sup>(٤)</sup>، وأبو عبيدة<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: ما بين مشرق الصيف إلى مشرق الشتاء، أطول يوم في السنة  
وأقصر يوم في السنة"<sup>(٦)</sup>.

وروي عن قتادة، في قوله: {رب المشرقين ورب المغربين} [الرحمن: ١٧]، قال: "لها  
مشرق في الشتاء، ومشرق في الصيف، ومغرب في الشتاء، ومغرب في الصيف"<sup>(٧)</sup>.  
قوله تعالى: {فَبَيْسَ الْقُرَيْنِ} [الزخرف: ٣٨]، أي: "فبئس القرين لي أنت؛ حيث  
أغويتني"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : فبئس القرين كنت لي في الدنيا"<sup>(٩)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: فبئس الصاحب معه في النار في سلسلة واحدة"<sup>(١٠)</sup>.

فوائد الآيات: [٣٦-٣٨]:

١- التحذير من الغفلة عن ذكر الله؛ لأنك إذا غفلت عن ذي الله تعالى حل محل ذكر الله  
وساوس الشيطان.

٢- أن الله - سبحانه وتعالى - يعاقب العبد بما يقتضيه الذنب، وهذا كقوله تعالى: {فَكَلَا أَخَذْنَا  
بذَنبِهِ} [العنكبوت: ٤٠]، فهذا الرجل لما أخلى قلبه من ذكر الله عوقب أن يحل محله  
الشيطان.

٣- الحذر من قرناء السوء؛ لأن الشياطين ليس اسما خاصا لشياطين الجن، بل حتى الإنس  
لهم شياطين، قال الله - سبحانه وتعالى -: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ  
وَالْجِنِّ} [الأنعام : ١١٢]، وقال تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَه  
النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ  
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)}. [الناس: ١ - ٦].

ففي هذا التحذير من قرناء السوء، وقد حذر النبي - صلى الله عليه من قرناء  
السوء؛ حيث شبه قرين السوء أو جليس السوء بنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما  
أن تجد منه رائحة كريهة<sup>(١١)</sup>، ثم إن الواقع كذلك.

(١) أنشد البيت الثاني أبو عبيد في الغريب المصنّف (٦٧٥: ٣)، ونقله عنه ابن سيده في المخصّص، ط: دار  
الفكر (٢٢٥: ١٣ - ٢٢٨)، وهو تحت هذا الباب المذكور، وقد أورده صاحب لسان العرب وتاج العروس في  
مادة (كمل).

(٢) البيت في لسان العرب وتاج العروس مادة (وصل).

(٣) معاني القرآن: ٣٣/٣ - ٣٤.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٥/٣.

(٥) انظر: مجاز القرآن: ٢٤٣/٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٥/٣.

(٧) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٣/٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٧.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٥/٣.

(١١) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب  
استحباب مجالسة الصالحين، رقم (٢٦٢٨)، من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -.

فما أكثر ما يمر علينا ممن يتصلون بنا يشكون من قوم كانوا مستقيمين وأئمة مساجد، أو مؤذني مساجد اتصل بهم أناس من أصحاب السوء، فانحرفوا انحرافا كاملا، ومثل هؤلاء -والعياذ بالله- إذا انحرفوا -نسأل الله الثبات- يكون انحرافهم أشد وأعظم، كالماء الذي حبسته ثم أطلقت الحبس سيندفع بقوة.

فالمهم: أن الإنسان إذا أعرض عن ذكر الله قبيض الله له الشيطان من الإنس أو من الجن، فهو له قرين.

٤- أن الملازم أشد تأثيرا من العابر الذي يلازمك، ويبقى قرينا معك أشد تأثيرا من العابر، بمعنى: أنك لو جلست مع إنسان صاحب سوء لمدة ساعة أو ساعتين ربما تأثرت به وربما لا تتأثر، لكن إذا كان مقارنا فإنه سيؤثر؛ ولهذا قال: {فهو له قرين}.

فحذاري من الاستمرار مع قرناء السوء؛ ولتعلموا أنكم متى علمتم أنه قرين سوء فإنه يجب عليكم البعد عنه، لا تقل: أخشى أن يتأثر، أخشى أن يقول: لماذا كان الرجل صاحباً لي ثم فارقتي؟ لا يهملك هذا، الذي يهملك هو نفسك فأنتقها.

٥- العمى عمى القلب -والعياذ بالله- لما تعامى بعينه عن ذكر الرحمن، وبقلبه أيضاً؛ قبيض له هذا الشيطان الذي يصدّه عن الهدى وهو يحسب أنه مهتد {وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون} وما أكثر هذا! أهل البدع الذين أصروا على بدعهم، صغيرة كانت أو كبيرة، ألم يكونوا قد استحسنوها؟ فلماذا استحسنوها وهي بدعة مضللة؛ لأن الشيطان صدهم عن الحق، أهل الأفكار الرديئة، كالعلمانيين، والشيوخيين، والبعثيين، ومن أشبههم، لماذا استمروا على ذلك؟ لأن الشيطان ركب قلوبهم -والعياذ بالله- فجعلهم يظنون أن هذا السيئ حسن، وهذا أشد ما يكون من الفتنة أن يرى الإنسان السيئ حسنا فيمضي فيه.

٦- أن بعض الظن إثم، وجهه أن هؤلاء ظنوا أنهم على حق فاستمروا في الباطل.

٧- أن هذا القرين في الدنيا يتبرأ من صاحبه يوم القيامة يقول: {ياليت بيني وبينك بعد المشرقين}.

٨- أنه مع تمنيه هذا الذي لن يدرك منه شيئاً، يثني على قرينه هذا بالذم والقبح فيقول: فبئس القرين أنت.

٩- أن من القرناء من هو قرين خير وقرين سوء، وهو كذلك، وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا أبين شيء؛ حيث قال: "مثل الجليس الصالح كحامل المسك، إما أن يحذيك" يعني: يعطيك هدية، "وإما أن يبيع، وإما أن تجد منه رائحة طيبة، والجليس السوء كنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك" بالشر الذي يتطاير من النار إذا نفخت "وإما أن تجد منه رائحة كريهة"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩)} [الزخرف: ٣٩]

التفسير:

ولن ينفعكم اليوم -أيها المعرضون- عن ذكر الله إذ أشركتم في الدنيا أنكم في العذاب مشتركون أنتم وقرنائكم، فلكل واحد نصيبه الأوفر من العذاب، كما اشتركتكم في الكفر.

قال الطبري: "يقول: لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه، لأن لكل واحد منكم نصيبه منه"<sup>(٢)</sup>.

قال الفراء: "يقول: لن ينفعكم اشتراككم يعني: الشيطان وقرينه"<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٤)، ومسلم: كتاب البر والصلة، باب استحباب مجالسة الصالحين، رقم (٢٦٢٨)، من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - .

(٢) تفسير الطبري: ٦٠٧/٢١.

(٣) معاني القرآن: ٣٤/٣.

قال الزجاج: "المعنى: لَنْ تَنْفَعَكُمْ الشَّرْكَةُ فِي الْعَذَابِ"<sup>(١)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: لا يغني عنكم اجتماعكم في النار واشتراككم في العذاب الأليم"<sup>(٢)</sup>.  
 عن السدي: "فَأَغْوَيْنَاكُمْ} قَالَ: الشَّيَاطِينُ تَقُولُ {فَأَغْوَيْنَاكُمْ} فِي الدُّنْيَا {إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ} {فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ} وَمَنْ أَغْوَا فِي الدُّنْيَا {فِي الْعَذَابِ} مُشْتَرِكُونَ"<sup>(٣)</sup>.  
 قال محمد بن يزيد: -في جواب هذه الآية- "إِنَّهُمْ مُنْعُوا رَوْحَ النَّاسِي، لِأَنَّ النَّاسِي يُسَهِّلُ المصيبة، فأعلموا أن لَنْ يَنْفَعَهُمُ الاِشْتِرَاكُ فِي الْعَذَابِ، وَأَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لَا يَجْعَلُ فِيهِ أَسْوَةً، قَالَ وَأَنْشَدَنِي فِي الْمَعْنَى لِلْخَنَسَاءِ"<sup>(٤)</sup>:  
 وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي. . . عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي  
 وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ. . . أَعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِي"<sup>(٥)</sup>.  
 قرأ ابن عامر وحده: «إنكم» بكسر الألف، وقرأ الباقر: {أنكم في العذاب} بفتح الألف<sup>(٦)</sup>.

من فوائد الآية الكريمة:

- ١- أن المشتركين في عذاب الآخرة لا ينفعهم الاشتراك، بخلاف الاشتراك في العذاب في الدنيا فإنه يسلي الإنسان، ويهون عليه.  
 قال ابن كثير: "ولما كان الاشتراك في المصيبة في الدنيا يحصل به تسلية لمن شاركه في مصيبتة. قطع الله بذلك بين أهل النار، فلا يحصل لهم بذلك تآسي وتسلية ولا تخفيف"<sup>(٧)</sup>.
- ٢- أن هؤلاء المعذبين هم الذين ظلموا، وما ظلموا لقوله: {إذ ظلمتم}.
- ٣- أنهم -أي: المعذبين- يعرفون أنهم مشتركون في العذاب، ولكن ذلك لا يسليهم ولا يهون عنهم المصيبة.

## القرآن

{أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّمَ أَوْ تُهْدِي الْعُمِّيَّ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٠)} [الزخرف: ٤٠]

التفسير:

أفأنت -أيها الرسول- تُسمع مَنْ أصمَّهُ الله عن سماع الحق، أو تهدي إلى طريق الهدى مَنْ أعمى قلبه عن إبطاره، أو تهدي مَنْ كان في ضلال عن الحق بيِّن واضح؟ ليس ذلك إليك، إنما عليك البلاغ، وليس عليك هداهم، ولكن الله يهدي مَنْ يشاء، ويضلُّ مَنْ يشاء.  
 سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في رجل من كفار مكة"<sup>(٨)</sup>.

قال المارتردي: "جائز أن يكون قوله - تعالى -: {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّمَ أَوْ تُهْدِي}، إنما ذكر لإيصال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن إيمان قوم علم الله - تعالى - أنهم لا يؤمنون، والله أعلم"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّمَ} [الزخرف: ٤٠]، أي: "أفأنت -أيها الرسول- تُسمع مَنْ أصمَّهُ الله عن سماع الحق"<sup>(١)</sup>.

(١) معاني القرآن: ٤١٢/٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٦٨) ص: ٣٢٠٩/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٨٦/٧.

(٤) ديوان الخنساء ط. دار المعرفة (ص: ٧٢)، الكامل للمبرد (١٦/١).

(٥) حكاة عنه الزجاج في معاني القرآن: ٤١٣/٤.

(٦) انظر: السبعة في القراءات: ٥٨٦.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٢٨/٧.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.

(٩) تاويلات أهل السنة: ١٦٧/٩.

قال مقاتل: "الذين لا يسمعون بالإيمان، يعنى: الكفار" (٢).

قال السمعاني: "أي: لا تسمع" (٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ}: من قد سلبه الله استماع حججه التي احتجّ بها في هذا الكتاب فأصمه عنه؟" (٤).

قال السعدي: "يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، مسلماً له عن امتناع المكذبين عن الاستجابة له، وأنهم لا خير فيهم، ولا فيهم زكاء يدعوهم إلى الهدى: {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ} أي: الذين لا يسمعون" (٥).

قال الزجاج: "أي: ظاهرهم ظاهر من يستمع، وهم لشدة عداوتهم وبغضهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - وسوء استماعهم بمنزلة الصُّمَّ" (٦).

قال قتادة: "هذا مثل ضربه الله، فالكافر لا يسمع الهدى ولا يفهمه" (٧).

قال الزمخشري: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكدّ روحه في دعاء قومه، وهم لا يزيدون على دعائه إلا تصميماً على الكفر وتمادياً في الغي، فأنكر عليه بقوله: {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ}، إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم، وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم إلا هو وحده على سبيل الإلجاء والقسر، كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر: ٢٢]" (٨).

قوله تعالى: {أَوْ تَهْدِي الْعُمَى} [الزخرف: ٤٠]، أي: "أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى قلبه عن إبطاره" (٩).

قال مقاتل: "الذين لا يبصرون بالإيمان" (١٠).

قال السمعاني: "أي: لا تهدي" (١١).

قال الطبري: "أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبطاره، واستحوذ عليه الشيطان، فزين له الردى؟" (١٢).

قال السعدي: "أي: الذين لا يبصرون" (١٣).

عن يحيى بن يعمر، قوله: "وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم؟، أي: ما تفعل ذلك؟" (١٤).

قوله تعالى: {وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [الزخرف: ٤٠]، أي: "أو تهدي من كان في ضلال عن الحق بين واضح؟" (١٥).

- 
- (١) التفسير الميسر: ٤٩٢.
- (٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٥/٣-٧٩٦.
- (٣) تفسير السمعاني: ١٠٤/٥.
- (٤) تفسير الطبري: ٦٠٨/٢١.
- (٥) تفسير السعدي: ٧٦٦.
- (٦) معاني القرآن: ٢٢/٣. قاله الزجاج في تفسير قوله تعالى: {أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} [يونس: ٤٢].
- (٧) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٦٤/٢. عن قتادة، في قوله: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَكُورًا مُدْبِرِينَ} [النمل: ٨٠]، قال: "هذا مثل ضربه الله، فالكافر لا يسمع الهدى ولا يفهمه كما لا يسمع الميت، ولا يسمع الأصم الدعاء إلا ولى مدبراً".
- (٨) الكشف: ٢٥٣/٤.
- (٩) التفسير الميسر: ٤٩٢.
- (١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.
- (١١) تفسير السمعاني: ١٠٤/٥.
- (١٢) تفسير الطبري: ٦٠٨/٢١.
- (١٣) تفسير السعدي: ٧٦٦.
- (١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٨٢): ص ٢٩٢١/٩.
- (١٥) التفسير الميسر: ٤٩٢.

قال الطبري: " يقول: أو تهدي من كان في جور عن قصد السبيل، سالك غير سبيل الحق، قد أبان ضلاله أنه عن الحق زائل، وعن قصد السبيل جائر: يقول جلّ ثناؤه: ليس ذلك إليك، إنما ذلك إلى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء، وإنما أنت منذر، فبلغهم النذارة"<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: {ضلال مبين}، " يعني: بين الضلالة"<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي في الآية: " فكما أن الأصم لا يسمع الأصوات، والأعمى لا يبصر، والضال ضلالاً مبيناً لا يهتدي، فهؤلاء قد فسدت فطرهم وعقولهم، بإعراضهم عن الذكر، واستحدثوا عقائد فاسدة، وصفات خبيثة، تمنعهم وتحول بينهم وبين الهدى، وتوجب لهم الازدياد من الردى، فهؤلاء لم يبق إلا عذابهم ونكالهم، إما في الدنيا، أو في الآخرة"<sup>(٣)</sup>.

قال الماتريدي في الآية: " ثم معلوم أنه لم يرد بالهدى هداية البيان، ولا إسماع الآذان؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يملك ذلك كله، وقد فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكنه أراد الهداية التي لا يملكها إلا هو، والاسم اع الذي لا يملكه غيره، وهو التوفيق والعصمة والرشد الذي إذا أعطي من أعطي اهتدى؛ يذكر عجز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك، وهو على المعتزلة؛ لأنه أخبر أن عنده لطائف وأشياء لم يعطها كل أحد، إنما أعطى بعضها دون بعض، فمن أعطاه تلك اللطائف اهتدى، وهو ما ذكرنا من التوفيق والعصمة"<sup>(٤)</sup>.

فوائد الآية الكريمة:

- ١- تسلية النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث كان يندم على عدم اهتداء الناس، فبين الله له أن الأمر ليس إليه، بل إلى الله، وحينئذ تهون عليه المصيبة ويرضى ويسلم -عليه الصلاة والسلام-.
- ٢- أن الكفار بمنزلة أهل الصمم الذين لا يسمعون، وقد وصفهم الله تعالى في آيات أخرى بأنهم {صم بكم عمي فهم لا يعقلون} أو {صم بكم عمي فهم لا يرجعون} [البقرة: ١٨].
- ٣- أن العمى سبب لأن يتيه الإنسان عن الطريق؛ لقوله: {أو تهدي العمى}.
- ٤- أن من كان في ضلال مبين -أي: منغمساً في الضلال- فإنه لا يهتدي في الغالب.

## القرآن

{فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ (٤٢)}

[الزخرف: ٤١-٤٢]

التفسير:

فإن توفيناك -أيها الرسول- قبل نصرك على المكذبين من قومك، فإننا منهم منتقمون في الآخرة، أو نرينك الذي وعدناهم من العذاب النازل بهم كيوم «بدر»، فإننا عليهم مقتدرون نُظْهِرُكَ عَلَيْهِمْ، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك.

قوله تعالى: {فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ} [الزخرف: ٤١]، أي: "فإن توفيناك -أيها الرسول- قبل نصرك على المكذبين من قومك، فإننا منهم منتقمون في الآخرة"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم، ولو ذهب أنت"<sup>(٦)</sup>.

وفي قوله تعالى: {فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ} [الزخرف: ٤١]، وجهان من التفسير<sup>(١)</sup>:

(١) تفسير الطبري: ٦٠٨/٢١.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.

(٣) تفسير السعدي: ٧٦٦.

(٤) تأويلات أهل السنة: ١٦٧/٩.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ٧: ٢٢٩.

أحدهما: معناه: فأما نخرجنك من مكة، فإننا منتقمون منهم يوم بدر بالقتل والأسر.  
الثاني: {فأما نذهبن بك} يعني: بالوفاة، فإننا منتقمون منهم بعدك، ويقال: يوم القيامة.  
قال أبو عبيدة: "فَأَمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ"، معناه: "فإن نذهبن بك"<sup>(٢)</sup>.  
وقال مقاتل: "فأما نذهبن بك"، يقول: ففميتك يا محمد {فإننا منهم}، يعني: كفار مكة  
{منتقمون} بعدك بالقتل يوم بدر"<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن الجوزي: "وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله: {فَأَمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ} منسوخ بآية  
السيف، ولا وجه له"<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: {أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ} [الزخرف : ٤٢]، أي: "أو  
نرينك الذي وعدناهم من العذاب النازل بهم كيوم «بدر» ، فإننا عليهم مقتدرون نُظْهِرُكَ عَلَيْهِمْ،  
ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي : نحن قادرون على هذا وعلى هذا. ولم يقبض الله رسوله حتى أقر  
عينه من أعدائه، وحكمه في نواصيهم، وملكه ما تضمنته صياصيهم"<sup>(٦)</sup>.  
واختلف أهل التفسير في المعنيين بهذا الوعيد في قوله تعالى: {أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ  
فَأِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ} [الزخرف : ٤٢] ، وفيه قولان:  
أحدهما: أنه عني به أهل الشرك من قريش، وقالوا: قد أرى الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم.  
وهذا معنى قول ابن عباس<sup>(٧)</sup>، السدي<sup>(٨)</sup>، ومقاتل<sup>(٩)</sup>، وحكاه القرطبي عن أكثر المفسرين<sup>(١٠)</sup>.  
عن السدي، قوله: "فَأَمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ"، كما انتقمنا من الأمم الماضية.  
{أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ}، فقد أراه الله ذلك وأظهره عليه"<sup>(١١)</sup>.  
قال مقاتل: "{أو نرينك} في حياتك {الذي وعدناهم} من العذاب ببدر، {فإننا عليهم  
مقتدرون}"<sup>(١٢)</sup>.  
الثاني: أنه عني به أهل الإسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام، وأن الله تعالى أكرم نبيه على  
أن ينتقم منهم بحضرته وفي حياته، فوعدت النعمة منهم بعد أن ذهب به، وذلك في الفتن الحادثة  
في صدر الإسلام مع الخوارج وغيرهم. وهذا قول الحسن<sup>(١٣)</sup>، وقتادة<sup>(١٤)</sup>.  
قال القرطبي: "يريد ما كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن. و{نذهبن بك}-على  
هذا-: نتوفينك"<sup>(١٥)</sup>.  
قال الحسن: "لقد كانت بعد نبي الله نعمة شديدة، فأكرم الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه  
وسلم أن يريه في أمته ما كان من النعمة بعده"<sup>(١٦)</sup>.

- 
- (١) انظر: تفسير السمعاني: ١٠٤/٥.  
(٢) مجاز القرآن: ٢٠٤/٢.  
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.  
(٤) زاد المسير: ٧٩٩/٤.  
(٥) التفسير الميسر: ٤٩٢.  
(٦) تفسير ابن كثير: ٧: ٢٢٩.  
(٧) انظر: الدر المنثور: ٣٨٠/٧، وفيه: عن قوله: "{أو نرينك الذي وعدناهم} الآية، قال: يوم بدر".  
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢١.  
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢١.  
(١٠) انظر: تفسير القرطبي: ٩٢/١٦.  
(١١) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢١.  
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.  
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٨/٢١.  
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٨/٢١، وأخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٧٦٧): ص ١٦٩/٣. باختصار.  
(١٥) تفسير القرطبي: ٩٢/١٦.  
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٠٨/٢١.

قال قتادة: "ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقيت النعمة، ولم ير الله نبيه صلى الله عليه وسلم في أمته شيئاً يكرهه حتى مضى، ولم يكن نبي قط إلا رأى العقوبة في أمته، إلا نبيكم صلى الله عليه وسلم. قال: وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ما يصيب أمته بعده، فما رأي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله"<sup>(١)</sup>.

عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قلبها، فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة، عذبها ونبيها حي، فأهلكها وهو ينظر، فأقر عينه بهلكتها حين كذبه وعصوا أمره"<sup>(٢)</sup>.

عن أبي بردة، عن أبيه، قال: "صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا، فخرج علينا، فقال: «ما زلتُم هاهنا؟» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال «أحسنتم أو أصبتم» قال فرجع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمانة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»"<sup>(٣)</sup>.

وروي عن جابر بن عبد الله: "عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {فإنما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون}، نزلت في علي بن أبي طالب أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عطية: "القول الأول من توعد الكفار أكثر، والآية تتضمن وعيدا واقعا، وذهب جمهور العلماء إلى أن المتوعدين هم الكفار، وأن الله تعالى أرى نبيه الذي توعدهم في بدر والفتح وغير ذلك"<sup>(٥)</sup>.

واختار الطبري القول الأول، واحتج بأن: "ذلك في سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهديدا لهم أولى من أن يكون وعيدا لمن لم يجر له ذكر. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك: فإن نذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين، فنخرجك من بينهم {فإنما منهم مُنتَقِمُونَ}، كما فعلنا ذلك بغيرهم من الأمم المكذبة رسلها. {أَوْ تُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ} يا محمد من الظفر بهم، وإعلانك عليهم {فإنما عليهم مُقْتَدِرُونَ} أن نظهرك عليهم، ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك"<sup>(٦)</sup>.

فوائد الآيتين: [٤١ - ٤٢]:

- ١- التهديد للمكذبين للرسول - صلى الله عليه وسلم - وأن عذابهم واقع لا محالة.
- ٢- تسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن رسول الله جاء بالهدى والحق والآيات، فإذا كذب فسيكون ذلك ثقيلًا على نفسه، فسلاه الله - عز وجل - بهذا الوعيد.
- ٣- وصف الله تبارك وتعالى بالانتقام، كما وصفه في آيات أخرى، وهو ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٧)</sup>، وإنما جاء في القرآن مقيداً في آيات،

(١) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢١.

(٢) رواه مسلم (٢٢٨٨): ٤/١٧٩١.

(٣) رواه مسلم (٢٥٣١): ٤/١٩٦١.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٨٠/٧، وعزاه إلى ابن مردويه من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر بن عبد الله....

(٥) المحرر الوجيز: ٥٦/٥.

(٦) تفسير الطبري: ٦٠٩/٢١.

(٧) الحديث الذي في عدد الاسم الحسنى الذي يذكر فيه المنتقم فذكر في سياقه: «البر التواب المنتقم العفو الرؤف»، ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز أو عن بعض شيوخه؛ ولهذا لم يروه أحد من أهل الكتب المشهورة إلا الترمذي (٣٥٠٧): ٥/٤١١، رواه عن طريق الوليد بن مسلم بسياق ورواه غيره باختلاف في الاسم وفي ترتيبها: يبين أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وسائر من روى هذا الحديث عن أبي هريرة، ثم عن الأعرج ثم عن أبي الزناد لم يذكروا أعيان الاسم بل ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»، وهكذا أخرجه أهل الصحيح كالبخاري ومسلم وغيرهما ولكن

منها، {فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ} [الزخرف: ٤١]، وقوله تعالى: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} [السجدة: ٢٢]، وقوله تعالى: {وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} المائدة: من الآية ٩٥. وقوله سبحانه: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} [الدخان: ١٦]<sup>(١)</sup>.

قال الزجاج: "المنتقم: النعمة كراهة يضامها سخط فمن كره أمرا من الأمور مع سخط منه له فهو منتقم وقد كرهه الله تعالى أمورا وسخط أمورا فهو منتقم"<sup>(٢)</sup>.

قال الغزالي: "المنتقم: هو الذي يقصم ظهور العتاة وينكل بالجنة ويشدد العقاب على الطغاة وذلك بعد الإعدار والإنذار وبعد التمكين والإمهال وهو أشد للانتقام من المعالجة بالعقوبة فإنه إذا عوجل بالعقوبة لم يعمن في المعصية فلم يستوجب غاية النكال في العقوبة تنبيه المحمود من انتقام العبد أن ينتقم من أعداء الله تعالى وأعدى الأعداء نفسه وحقه أن ينتقم منها مهما قارفت معصية أو أخلت بعبادة كما نقل عن أبي يزيد رحمه الله أنه قال تكاسلت نفسي علي في بعض الليالي عن بعض الأوراد فعاقبتها بأن منعتها الماء سنة فهكذا ينبغي أن يسلك سبيل الانتقام"<sup>(٣)</sup>.

قال حافظ بن أحمد الحكمي: "من [الاسم] الحسنى ما يطلق على الله مفردا أو مع غيره، وهو ما تضمن صفة الكمال بأي إطلاق، كالحي القيوم الأحد الصمد ونحو ذلك، ومنها ما لا يطلق على الله إلا مع مقابله، وهو ما إذا أفرد أو هم نقصا كالضار النافع، والخافض الرافع، والمعطي المانع، والمعز المذل، ونحو ذلك، فلا يجوز إطلاق الضار ولا الخافض ولا المانع ولا المذل على انفراده، ولم يطلق قط شيء منها في الوحي كذلك لا في الكتاب ولا في السنة، ومن ذلك اسمه تعالى المنتقم، لم يطلق في القرآن إلا مع متعلقه كقوله تعالى: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} [السجدة: ٢٢] أو بإضافة ذو إلى الصفة المشتق منها كقوله تعالى: {وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [آل عمران: ٤٤]"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عثيمين: "كلمة «المنتقم» ليست مدحا في ذاتها حتى تقابل بما يكون سببا للانتقام؛ ولهذا تمر بنا أسماء الله الحسنى التي عدها بعض الناس منها المنتقم، وهذا غلط، فإن ذلك ليس من أسماء الله؛ لأن الله لم يذكر ذلك من أسمائه، وإنما ذكره مقيدا بحال من الأحوال؛ وهنا {فإننا منهم منتقمون} مقيد بحال من الأحوال، وهي تكذيب هؤلاء، وهو كقوله تعالى: {إننا من المجرمين منتقمون} [السجدة: ٢٢]"<sup>(٥)</sup>.

٤- عظمة الله - عز وجل - حيث وصف نفسه بالجمع، ومن المعلوم أنه ليس المراد بالجمع التعدد؛ لأن الله إله واحد، لكن المراد بالجمع هنا التعظيم.

٥- أن الوعد يأتي في الشر والعقوبة، خلافا لمن قال: الوعد في الخير والإيعاد في الشر، وأنشدوا على ذلك قول الشاعر<sup>(٦)</sup>:

وإني إن أوعدته أو وعدته ... لمخلف العادي ومنجز مواعيدي

روي عدد الاسم اء من طريق أخرى من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة ورواه ابن ماجه وإسناده ضعيف يعلم أهل الحديث أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس في عدد الاسم اء الحسنى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذان الحديثان كلاهما مروى من طريق أبي هريرة. والله اعلم. وتحقيق الألباني: "صحيح، ضعيف - بسرد الاسم اء -"، المشكاة (٢٢٨٨ / التحقيق الثاني) // ضعيف الجامع الصغير (١٩٤٥).

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٨ / ٩٦. الألفاظ الموضحات لأخطاء دلائل الخيرات، للدويش ١٣ / ٢ - ١٤، وانظر: معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ: ٥١٦-٥١٧.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى: ٦٢.

(٣) المقصد الأسنى: ١٣٩-١٤٠.

(٤) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حقيق: حازم القاضي: ٣٠-٣١.

(٥) تفسير العثيمين. الزخرف: ١٦٣.

(٦) البيت ينسب لعامر بن الطفيل، انظر: لسان العرب (١ / ٦٣).



فالصواب أن معناها أنها تطلق على هذا وعلى هذا، فهذا، فهذا قال: {الذي وعدناهم} وعلى قياس قول البيت يكون التعبير: الذي وعدناهم، ولكن الصحيح أنها جائزة لهذا وهذا.

٦- بيان غلبة قدرة الله -عز وجل- على كل قدرة؛ لقوله: {فإننا عليهم مقتدرون} وهو كذلك، ولما قالت عاد: {من أشد منا قوة} قال الله -عز وجل-: {أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة} [فصلت: ١٥]، فلا قوة تمانع قوة الله -عز وجل-، ولا قدرة تمانع قدرته، بل هو العزيز الغالب على كل أحد.

## القرآن

### {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣)} [الزخرف: ٤٣]

التفسير:

فاستمسك -أيها الرسول- بما يأمرك به الله في هذا القرآن الذي أوحاه إليك؛ إنك على صراط مستقيم، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام.

قوله تعالى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ} [الزخرف: ٤٣]، أي: "فاستمسك -أيها الرسول- بما يأمرك به الله في هذا القرآن الذي أوحاه إليك" (١).

عن السدي: "فاستمسك بالذي أوحى إليك بالقرآن" (٢). قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فتمسك يا محمد بما

يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك" (٣). قال ابن كثير: "أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك" (٤).

قال الزمخشري: "أي: فكن مستمسكا بما أوحينا إليك وبالعامل به" (٥). قال ابن عطية: "أمر تعالى نبيه بالتمسك بما جاء من عند الله من الوحي المثلث

وغيره" (٦). قوله تعالى: {إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الزخرف: ٤٣]، أي: "إنك على صراط مستقيم،

وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام" (٧). قال الطبري: يقول: "إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" ومنهاج سديد، وذلك هو دين الله الذي

أمر به، وهو الإسلام" (٨). قال ابن عطية: "الصراط: الطريق" (٩).

قال السمعاني: "أي: طريق واضح" (١٠). قال مقاتل: "يعنى: دين مستقيم" (١١).

عن السدي: "إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" قال: على دين مستقيم" (١٢). قال قتادة: "أي: الإسلام" (١٣).

(١) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(٣) تفسير الطبري: ٦١٠/٢١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٢٩/٧.

(٥) الكشاف: ٢٥٤/٤.

(٦) المحرر الوجيز: ٥٦/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٨) تفسير الطبري: ٦١٠/٢١.

(٩) المحرر الوجيز: ٥٦/٥.

(١٠) تفسير السمعاني: ١٠٥/٥.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

قال ابن كثير: " فإنه هو الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم"<sup>(١)</sup>.  
 قال الزمخشري: فإنه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقى، وزد كل يوم صلابة في المحاماة على دين الله، ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في أمرك، ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر، ولا يثبطه تأخيره"<sup>(٢)</sup>.  
 قال الإمام الشافعي: " ففرض عليه الاستمسك بما أوحى إليه، وشهد له أنه على صراط مستقيم"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

**{وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤)} [الزخرف : ٤٤]**

التفسير:

وإن هذا القرآن لشرف لك ولقومك من قريش؛ حيث أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به، وأعملهم بمقتضاه، وسوف تُسألون أنت ومن معك عن الشكر لله عليه والعمل به.

قوله تعالى: {وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف : ٤٤]، أي: " وإن هذا القرآن لشرف لك ولقومك من قريش؛ حيث أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به، وأعملهم بمقتضاه"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: " وإن هذا القرآن الذي أوحى إليك يا محمد الذي أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: " يقول: القرآن لشرف لك ولقومك ولمن آمن منهم"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عباس: " يقول: إن القرآن شرف لك"<sup>(٧)</sup>.

عن قتادة: " {وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ}، وهو هذا القرآن"<sup>(٨)</sup>.

قال السدي: " شرف لك ولقومك، يعني القرآن"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن زيد: " أولم تكن النبوة والقرآن الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ذكرا له ولقومه"<sup>(١٠)</sup>.

عن مجاهد، قوله: " {وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ}، قال: يقول للرجل: من أنت؟ فيقول: من العرب، فيقال: من أيّ العرب؟ فيقول: من قريش"<sup>(١١)</sup>.

وحكي النحاس: أن " معنى: {وإنه لذكرك}: وإن الذي أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لذكر، أي: أنزل لتذكروا به وتعرفوا أمر دينكم"<sup>(١٢)</sup>.

قال النحاس: " «قومه» -هاهنا-: من آمن به وكان على منهاجه"<sup>(١٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٢٩/٧.

(٢) الكشاف: ٢٥٤/٤.

(٣) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٤٣/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٥) تفسير الطبري: ٦١٠/٢١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٦١١/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦١١/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(١٢) إعراب القرآن: ٧٤/٤.

(١٣) إعراب القرآن: ٧٤/٤.

قال القشيري: "أي: إن هذا القرآن لذكر لك أي شرف لك، وحسن صيت، واستحقاق منزلة"<sup>(١)</sup>.

عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن هذا الأمر في قريش لا ينازعهم فيه أحد إلا أكبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "وقيل معناه: أنه شرف لهم من حيث إنه أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخُلص من المهاجرين السابقين الأولين، ومن شابههم وتابعهم، وقيل: معناه: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ}، أي: لتذكير لك ولقومك، وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم، كقوله: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء: ١٠]، وكقوله: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَسَوْفَ نُسْأَلُونَ} [الزخرف: ٤٤]، أي: "وسوف تُسألون أنت ومن معك عن الشكر لله عليه والعمل به"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وسوف يسألك ربك وإياهم عما عملتم فيه، وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه، وانتهيت عما نهاكم عنه فيه؟"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "في الآخرة عن من يكذب به"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف: ٤٥]

التفسير:

واسأل -أيها الرسول- أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا وحملة شرائعهم: أجاأت رسلهم بعبادة غير الله؟ فإنهم يخبرونك أن ذلك لم يقع؛ فإن جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده، لا شريك له، ونهوا عن عبادة ما سوى الله.

قوله تعالى: {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} [الزخرف: ٤٥]، أي: "واسأل -أيها الرسول- أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا وحملة شرائعهم"<sup>(٨)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا} [الزخرف: ٤٥]، وجوه من

التفسير:

أحدها: يعني: الأنبياء الذين جمعوا له ليلة الإسراء، قاله ابن عباس<sup>(٩)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(١٠)</sup>، والزهري<sup>(١١)</sup>، وابن زيد<sup>(١٢)</sup>.

(١) لطائف الإشارات: ٣/٣٦٩.

(٢) معالم التنزيل للبخاري (٢١٥/٧) وصحيح البخاري برقم (٣٥٠٠).

(٣) تفسير ابن كثير: ٧/٢٢٩.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢١/٦١٠.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٧٩٦.

(٧) تفسير ابن كثير: ٧/٢٣٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٥/٢٢٨، وزاد المسير: ٤/٨٠، وقال: "رواه عطاء عن ابن عباس.

(١٠) انظر: رواه النحاس في معاني القرآن: ٦/٣٦٥، وانظر: الدر المنثور: ٧/٣٨١، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وانظر: زاد المسير: ٤/٨٠.

(١١) انظر: زاد المسير: ٤/٨٠. بدون سند.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٦١٢.

وروي عن سعيد بن جبير، في قوله: {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ}، قال: "لقي الرسل صلى الله عليهم ليلة أسري به" (١).

قال ابن عباس: "وكانوا سبعين نبياً منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فلم يسألهم لأنه كان أعلم بالله منهم، قاله ابن عباس.

قال ابن زيد: "جمعوا له ليلة أسري به ببيت المقدس، فأهمهم، وصلى بهم، فقال الله له: سلمهم، قال: فكان أشد إيماناً وبقينا بالله وبما جاء من الله أن يسألهم، وقرأ: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ}، قال: فلم يكن في شك، ولم يسأل الأنبياء، ولا الذين يقرءون الكتاب. قال: ونادى جبرائيل صلى الله عليه وسلم، فقلت في نفسي: "الآن يؤمنا أبونا إبراهيم"; قال: "فدفع جبرائيل في ظهري"، قال: تقدم يا محمد فصل، وقرأ: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} ... حتى بلغ: {لِئْرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا} (٢).

وروي عن ابن عباس: "وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا" قال: سل الذين أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا" (٣).

الثاني: أن المراد: أسأل مؤمني أهل الكتاب من الذين أرسلت إليهم الأنبياء، قاله ابن عباس - أيضاً (٤)، والحسن (٥)، ومجاهد (٦)، وقتادة (٧)، والضحاك (٨)، وبه قال ابن قتيبة (٩)، والطبري (١٠)، والزجاج (١١)، والنحاس (١٢).

قال النحاس: "ويكون تقديره: "سل أمم من أرسلنا من قبلك من رسلنا" (١٣).

قال ابن الأنباري: والمعنى: سل أتباع من أرسلنا قبلك، كما تقول: السخاء حاتم، أي: سخاء حاتم، والشعر زهير، أي: شعر زهير" (١٤).

قال مقاتل: "يقول: سل يا محمد مؤمني أهل الكتاب" (١٥).

قال ابن قتيبة: "أي سل من أرسلنا إليه رسولا - من رسلنا - قبلك؛ يعني: أهل الكتاب" (١٦).

قال ابن الجوزي: "وعند المفسرين أنه لم يسأل على القولين" (١٧).

قال الزجاج: "يكون معنى السؤال -ههنا- على جهة التقرير كما قال: {وَلَوْ لَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}، فليس يسألهم ههنا عن خلقهم إلا على جهة التقرير وكذلك إذا سال جميع أمم الأنبياء لم يأتوا بأن في كتبهم أن اعبدوا غيري" (١٨).

(١) رواه النحاس في معاني القرآن: ٣٦٥/٦، وانظر: الدر المنثور: ٣٨١/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢١.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٨٢/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد من طريق الكلبي عن أبي صالح.

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٨٠/٤. بدون سند.

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٨٠/٤. بدون سند.

(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٨٠/٤. بدون سند.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢١-٦١٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦١٢/٢١.

(٩) انظر: غريب القرآن: ٣٩٩.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦١٢/٢١.

(١١) انظر: معاني القرآن: ٤١٤/٤.

(١٢) انظر: إعراب القرآن: ٧٤/٤.

(١٣) إعراب القرآن للنحاس: ٧٤/٤.

(١٤) نقلا عن: زاد المسير: ٨٠/٤.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.

(١٦) غريب القرآن: ٣٩٩.

(١٧) زاد المسير: ٨٠/٤.

(١٨) معاني القرآن: ٤١٤/٤.

قال قتادة: "يقول: سل أهل التوراة والإنجيل: هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد أن يوحدوا الله وحده؟" (١). وفي رواية: "سل أهل الكتاب: أما كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد؟ أما كانت تأتي بالإخلاص؟" (٢).

قال مجاهد: "وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «وَأَسْأَلُ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلَنَا» (٣).

قال ابن كثير: "وهذا كأنه تفسير لا تلاوة، والله أعلم" (٤).

الثالث: جبريل، ويكون تقديره . وأسأل عما أرسلنا من قبلك من رسلنا ، حكاه يحيى بن سلام (٥)، والنقاش (٦).

الرابع: أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد: أمته، فيكون المعنى: سلوا. ومنه قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ} [الطلاق: ١]. حكاه الزجاج (٧).

قال النحاس: وهذا "الكلام فيه نظر" (٨).

الخامس: أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد: المشركون. قاله ابن قتيبة (٩).

قال ابن قتيبة: "أي: سل من أرسلنا إليه من قبلك رسلا من رسلنا، يعني: أهل الكتاب، فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد المشركون، ومثل هذا قول الكمي في مدح رسول الله، صلى الله عليه وسلم (١٠):

إلى السراج المنير أحمد لا ... يعدلني رغبة ولا رهب

عنه إلى غيره ولو رفع النّ ... اس إليّ العيون وارتقبوا

وقيل: أفرطت، بل قصدت ولو ... عثفتي القائلون أو تلبوا

لجّ بتفضيلك اللسان ولو ... أكثر فيك اللجاج والتّجب

أنت المصقّى المحض المهذب في النّس ... بة إن نصّ قومك النّسب

فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد أهل بيته، فورى عن ذكرهم به، وأراد بالعائنين واللائمين بني أمية (١١).

الخامس: أنه تعالى خاطب الشاكين في أمر الإسلام، فقال: فإن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فسل الأكبر من أهل الكتاب والعلماء الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، مثل: عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وتميم الداري وأشباههم، ولم يرد المعاندين منهم فيشهدون على صدقه، ويخبرونك بنبوته. ذكره ابن قتيبة، وقال: جائز وحسن (١٢).

قوله تعالى: {أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف: ٤٥]، أي: "أجاءت

رسلهم بعبادة غير الله؟" (١٣).

قال مقاتل: "هل جاءهم رسول يدعوهم إلى غير عبادة الله" (١٤).

(١) أخرجه الطبري: ٦١١/٢١-٦١٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٠/٧.

(٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٠٢/٢.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٢٨/٥.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٤١٤/٤.

(٨) انظر: إعراب القرآن: ٧٤/٤.

(٩) تأويل مشكل القرآن: ١٦٧-١٦٨. وحكي النحاس أيضا « أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد:

المشركون»، انظر: إعراب القرآن: ٧٤/٤.

(١٠) في الهاشميات ص ٥٨-٥٩، وأمالى المرتضى ٣/١٦٦، وشرح شواهد الشافية ص ٣١١، وتفسير

الطبري ١/٣٨٣-٣٨٤، والعمدة ٢/١٣٥-١٣٦، ومجمع البيان ١/١٨٢، والموازنة ص ٤٠.

(١١) تأويل مشكل القرآن: ١٦٧-١٦٨.

(١٢) انظر: تأويل مشكل القرآن: ١٦٨.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٩٢.

قال الطبري: " يقول: أمرناهم بعبادة الآلهة من دون الله فيما جاؤهم به، أو أتوهم بالأمر بذلك من عندنا"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد، كقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦]"<sup>(٣)</sup>.

عن السدي: "﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾؟ أنتهم الرسل يأمرونهم بعبادة الآلهة من دون الله؟"<sup>(٤)</sup>.

قال النحاس: " «قومه» -هاهنا-: من آمن به وكان على منهاجه"<sup>(٥)</sup>.

فوائد الآيات: [٤٣ - ٤٥]:

١- حث النبي - صلى الله عليه وسلم - على التمسك بما أوحى إليه، وإذا كان النبي - صلى

الله عليه وسلم - يبحث على ذلك فنحن من باب أولى.

٢- أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - كان رسول الله حقا؛ لإثبات الوحي إليه.

٣- تثبيت النبي - صلى الله عليه وسلم - على الاستمسك بما أوحى إليه، وذلك بأنه على صراط مستقيم.

٤- أن الشريعة التي جاء بها محمد -عليه الصلاة والسلام- صراط مستقيم، لا اعوجاج فيه، ولا انحراف.

٥- أن هذا القرآن الكريم فيه ذكر للعرب -أي: شرف لهم- وفيه تذكير لهم؛ لقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

٦- تحميل المسؤولية العظيمة على العرب، وهي أنهم سوف يسألون عن هذا الوحي هل قاموا بحقه أو لم يقوموا بحقه.

٧- إقامة البينة الكبرى على أنه لم يقل أحد من الرسل السابقين: إن هناك آلهة تعبد من دون الله؛ لقوله: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾.

٨- إثبات اسم الرحمن لله -عز وجل-؛ لقوله: ﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ والرحمن هو أحد الاسم بين اللذين لا يسمى بهما غير الله، وهما الله والرحمن، لا يوصف بهما سوى الله، الرحيم يوصف به غير الله، العزيز يوصف به غير الله، السميع يوصف به غير الله، وهكذا، لكن هذين الاسم بين الكريمين -الله والرحمن- لا يوصف بهما أحد، ولا يسمى بهما أحد إلا الله تعالى وحده لا شريك له.

٩- اتفاق الرسل على التوحيد، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وهذا قد اتفق عليه الرسل، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والرسل ما جاءت إلا لإصلاح الخلق، والخلق لا يمكن صلاحهم ولا إصلاحهم

إلا إذا قاموا بتوحيد الله -سبحانه وتعالى-، فإن لم يقوموا بتوحيده تشتتت قلوبهم، وصار

كل واحد منهم يذهب مذهبا غير الآخر، لأن كل أمة تريد أن يكون لها معبود خاص،

فتحصل الفوضى بين العباد، فإذا اجتمع الناس على عبادة الله وحده؛ حصل الاتفاق

بدون فوضى.

## القرآن

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٦١٣/٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٣٠/٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٦١٣/٢١.

(٥) إعراب القرآن: ٧٤/٤.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧)} [الزخرف: ٤٦-٤٧]  
التفسير:

ولقد أرسلنا موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك -أيها الرسول- إلى هؤلاء  
المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، فلما جاءهم بالبينات الواضحات  
الدالة على صدقه في دعوته، إذا فرعون وملؤه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر  
يضحكون.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ} [الزخرف: ٤٦]، أي: "ولقد  
أرسلنا موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك -أيها الرسول- إلى هؤلاء  
المشركين من قومك"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه،  
كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك"<sup>(٢)</sup>.

قال الكلبي: "ألقي عصاه لهم فإذا هي ثعبان مبین فضحك القوم وهزئوا به وقالوا: هل  
يأتاه غير هذه؟ قال: نعم، فأراهم يده لها شعاع كشعاع الشمس يضيء لها الوادي فضحكوا منه  
وهزئوا"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزخرف: ٤٦]، أي: "فقال لهم موسى:  
إني رسول رب العالمين"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، كما قلت أنت لقومك من  
قريش. إني رسول الله إليكم"<sup>(٥)</sup>.

قال البيضاوي: "يريد باقتصاصه تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم  
{لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ} [الزخرف: ٣١]، والاستشهاد بدعوة  
موسى عليه السلام إلى التوحيد ليتأملوا فيها"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ} [الزخرف: ٤٧]، أي: "فلما  
جاءهم بالبينات الواضحات الدالة على صدقه في دعوته، إذا فرعون وملؤه مما جاءهم به موسى  
من الآيات والعبر يضحكون"<sup>(٧)</sup>.

قال أبو حيان: "فلما جاءهم بآياتنا، قبله كلام محذوف تقديره: فطالبوه بما يدل على  
صحة دعواه الرسالة من الله. فلما جاءهم بآياتنا، وهي: انقلاب العصا ثعباناً وعودها عصاً،  
وإخراج اليد البيضاء نيرة، وعودها إلى لونها الأول، إذا هم منها يضحكون، أي فاجأهم الضحك  
بحيث لم يفكروا ولم يتأملوا، بل بنفس ما رأوا ذلك ضحكوا سخرياً واستهزاءً، كما كانت قريش  
تضحك"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: "استهزاء وتكديبا"<sup>(٩)</sup>.

قال القشيري: "فقوبل بالهزاء والضحك والتكذيب"<sup>(١٠)</sup>.

قال الواحدي: "أي: يهزءون بآياته، ويضحكون منها، جهلاً وغفلة"<sup>(١١)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٢) تفسير الطبري: ٦١٤/٢١.

(٣) التفسير البسيط للواحدي: ٥٤/٢٠، وانظر: "تنوير المقباس" ص ٤٩٢، ص ٤٩٣ فقد ذكر نحوه.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٥) تفسير الطبري: ٦١٤/٢١.

(٦) تفسير البيضاوي: ٩٢/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٢.

(٨) البحر المحيط: ٣٧٨/٩.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٢.

(١٠) لطائف الإشارات: ٣٧٠/٣-٣٧١.

(١١) التفسير الوسيط: ٧٥/٤.

قال الزمخشري: "أى: يسخرون منها ويهزءون بها ويسمونها سحرا"<sup>(١)</sup>.  
قال السعدي: "أى: ردوها وأنكروها، واستهزأوا بها، ظلما وعلوا، فلم يكن لقصور  
بالآيات، وعدم وضوح فيها"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فلما جاء موسى فرعون وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله،  
فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به  
موسى من الآيات والعبر يضحكون؛ كما أن قومك مما جنتهم به من الآيات والعبر يسخرون،  
وهذا تسليية من الله عزّ وجلّ نبيه صلّى الله عليه وسلّم عما كان يلقي من مشركي قومه، وإعلام  
منه له، أن قومه من أهل الشرك لن يعدوا أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على مناهجهم في  
الكفر بالله وتكذيب رسله، وندب منه نبيه صلّى الله عليه وسلّم إلى الاستئنان في الصبر عليهم  
بسنتن أولي العزم من الرسل، وإخبار منه له أن عقبى مردتهم إلى البوار والهلاك كسنته في  
المتمردين عليه قبلهم، وإظفاره بهم، وإعلائه أمره، كالذي فعل بموسى عليه السلام، وقومه  
الذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملئه"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "ابتعثه إلى فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة، والأتباع  
والرعايا، من القبط وبني إسرائيل، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة  
ما سواه، وأنه بعث معه آيات عظاما، كيده وعصاه، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل  
والضفادع والدم، ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها  
والانقياد لها، وكذبوها وسخروا منها، وضحكوا ممن جاءهم بها"<sup>(٤)</sup>.

قال البيضاوي: {إذا هم منها يضحكون}، أي: "فاجؤوا وقت ضحكهم منها، أي:  
استهزءوا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها"<sup>(٥)</sup>.

قال الزمخشري: "«إذا»: للمفاجأة. فإن قلت: كيف جاز أن يجاب «لما» بـ«إذا»  
المفاجأة؟

قلت: لأنّ فعل المفاجأة معها مقدر<sup>(٦)</sup>. وهو عامل النصب في محلها، كأنه قيل: فلما  
جاءهم بآياتنا فاجئوا وقت ضحكهم"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨)} [الزخرف  
٤٨:]

التفسير:

(١) الكشاف: ٢٥٥/٤.  
(٢) تفسير السعدي: ٧٦٧.  
(٣) تفسير الطبري: ٦١٤/٢١.  
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٠/٥.  
(٥) تفسير البيضاوي: ٩٢/٥.  
(٦) قال أبو حيان: "ولا نعلم نحويا ذهب إلى ما ذهب إليه هذا الرجل، من أن إذا الفجائية تكون منصوبة بفعل  
مقدر تقديره فاجأ، بل المذاهب فيها ثلاثة: مذهب أنها حرف، فلا تحتاج إلى عامل، ومذهب أنها ظرف مكان،  
فإن صرح بعد الاسم بعدها بخبر له كان ذلك الخبر عاملا فيها نحو: خرجت فإذا زيد قائم، فقائم ناصب لإذا،  
كأن التقدير: خرجت ففي المكان الذي خرجت فيه زيد قائم ومذهب أنها ظرف زمان، والعامل فيه الخبر أيضا،  
كأنه قال: ففي الزمان الذي خرجت فيه زيد قائم، وإن لم يذكر بعد الاسم خبر، أو ذكر اسم منصوب على  
الحال، كانت إذا خبرا للمبتدأ. فإن كان المبتدأ جثة، وقلنا إذا ظرف مكان، كان الأمر واضحا وإن قلنا ظرف  
زمان، كان الكلام على حذف، أي ففي الزمان حضور زيد. وما ادعاه الزمخشري من إضمار فعل المفاجأة، لم  
ينطق به ولا في موضع واحد. ثم المفاجأة التي ادعاه لا يدل المعنى على أنها تكون من الكلام السابق، بل  
المعنى يدل على أن المفاجأة تكون من الكلام الذي فيه إذا. تقول: خرجت فإذا الأسد، والمعنى: ففاجئني الأسد،  
وليس المعنى: ففاجأت الأسد". [البحر المحيط: ٣٧٨/٩-٣٧٩].  
(٧) الكشاف: ٢٥٥/٤.



وما تُري فرعون وملاه من حجة إلا هي أعظم من التي قبلها، وأدل على صحة ما يدعوهم موسى عليه، وأخذناهم بصنوف العذاب كالجراد والقمل والضفادع والظوفان، وغير ذلك؛ لعلهم يرجعون عن كفرهم بالله إلى توحيده وطاعته.

قوله تعالى: {وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا} [الزخرف: ٤٨]، أي: "وما تُري فرعون وملاه من حجة إلا هي أعظم من التي قبلها، وأدل على صحة ما يدعوهم موسى عليه"<sup>(١)</sup>.

قال الحسن: "كانت اليدُ أكبرَ من العصا"<sup>(٢)</sup>.

قال يحيى بن سلام: "كانت اليد أكبر من العصا"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: اليد بيضاء لها شعاع مثل شعاع الشمس، يغطي البصر فكانت اليد أكبر من العصا، وكان موسى- عليه السلام- بدأ بالعصا فألقاها، وأخرج يده فلم يؤمنوا"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وما نرى فرعون وملاه حجة لنا عليه بحقيقة ما يدعو إليه رسولنا موسى إلا التي نرى من ذلك أعظم في الحجة عليهم وأوكد من التي مضت قبلها من الآيات، وأدل على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "ومع هذا ما رجعوا عن غيهم وضلالهم، وجهلهم وخبالهم"<sup>(٦)</sup>.

قال السجستاني: "إلا هي أكبرُ مِنْ أُخْتِهَا"، أي: من التي تشبهها وتؤاخيها"<sup>(٧)</sup>.

قال الفراء: "يريد: من الآية التي مضت قبلها"<sup>(٨)</sup>.

قال الثعلبي: أي: من "قرينتها وصاحبته التي كانت قبلها"<sup>(٩)</sup>.

قال القشيري: "أن الله سبحانه لم يجر عليه من البينات شيئاً إلا كان أوضح مما قبله إلا أنهم لم يقابلوه إلا بجفاء أو حش مما قبله"<sup>(١٠)</sup>.

قال الزمخشري: "فإن قلت: إذا جاءت آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات؟ قلت: أختها التي هي آية مثلها. وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة، كما تقول: هو أفضل رجل رأيت، تريد: تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قروتهم رجلاً رجلاً"<sup>(١١)</sup>.

فإن قلت: هو كلام متناقض، لأنّ معناه: ما من آية من التسع إلا هي أكبر من كل واحدة منها، فتكون واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة.

قلت: الغرض بهذا الكلام أنهنّ موصوفات بالكبر، لا يكمن يتفاوتن فيه، وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها، فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك، فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا: رأيت رجلاً بعضهم أفضل من بعض، وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها، فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك. ومنه بيت الحماسة<sup>(١٢)</sup>:

(١) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٢) ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين ١٨٨ / ٤ -.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٢٥٧/١، وحكاه ابن أبي زمنين في التفسير عن الحسن: ١٨٨/٤.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣.

(٥) تفسير الطبري: ٦١٤/٢١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٣٠/٥.

(٧) غريب القرآن: ١٤٦.

(٨) معاني القرآن: ٣٥/٣.

(٩) الكشف والبيان: ٣٣٨/٨.

(١٠) لطائف الإشارات: ٣٧٠/٣.

(١١) أي: تتبعتهم.

(١٢) هينون لينون أيسار ذوو كرم ... سواس مكرمة أبناء أيسار  
إن يسئلوا الخير يعطوه وإن جهدوا ... فالجهد يخرج منهم طيب أخبار

من تلق منهم ثقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسرى بها الساري  
وقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيتها، ثم قالت: لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت.  
تكلتهم<sup>(١)</sup> إن كنت أعلم أيهم أفضل، هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها<sup>(٢)</sup>.

قال السمعاني: أي: أعظم من الآية المتقدمة، وفي تفسير النقاش: أن الآية الأولى من  
آيات موسى أن فرعون كان قد جعل على قصره سبع حوائط، بين كل حائطين سباع وغياض،  
والأبواب على الحيطان كانت ثققل ولا تفتح إلا بإذنه؛ فلما حضر موسى باب فرعون، انفتحت  
له الأبواب، وانكسرت الأقفال، وسجدت له السباع حتى وصل إلى قصر فرعون، فهذه الآية  
الأولى، ثم إنه لما أحضر فرعون السحرة وألقوا العصا والحبال، وهي شبه الحيات الكبار في  
أعين الناس ثم ألقى موسى العصا التي كانت معه، وتلقفت جميع الحبال والعصي على ما هو  
المعروف في القصة، فهذه الآية أعظم من الأولى. وزعم بعضهم أن الآيات كلها سواء في  
الإعجاز والدلالة، إلا أنه سمي الآية الحاضرة أكبر من الذاهية لحضور هذه الآية وذهاب تلك.  
وهذا كالرجل يقول في علة تصيبه: ما مرت بي علة مثل هذه العلة، وإن كان قد مرت عليه علة  
هي أكبر منها أو مثلها، ولكنه يقول هذا القول لحضور هذه العلة وذهاب تلك العلة. ومنهم من  
قال: المراد من الآيات قوله تعالى: {فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم}  
وما من آية أظهرها بعد آية إلا وهي أكبر من الأولى، وما ذكرناه من القول الأول هو الأحسن  
في المعنى<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَأَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الزخرف: ٤٨]، أي: "وأخذناهم  
بصنوف العذاب كالجراد والقمل والضفادع والطوفان، وغير ذلك؛ لعلهم يرجعون عن كفرهم  
بالله إلى توحيده وطاعته"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: "وأخذناهم بالعذاب"، يعنى: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم  
والطمس والسنين .. لكي يرجعوا من الكفر إلى الإيمان"<sup>(٥)</sup>.

---

وإن توددتهم لأنوا وإن شهموا ... كشفت أذمار شرّ غير أشرار  
لا ينطقون عن الفحشا وإن نطقوا ... ولا يمارون من ماري بإكثار  
من تلق منهم ثقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسرى بها الساري  
لعبيد بن الأبرص. وقيل للعرندس. وهينون لينون: جمع هين ولين: تخفيف هين ولين بالتشديد، على فيعل.  
وأيسار: جمع يسر، كقطب وأقطاب، وهو في الأصل ضد العسر، سمي به الرجل مبالغة، أو جمع يسرة كقصبه،  
وهي في الأصل: الخط في باطن الكف، أطلقت على الرجل إشعارا بالكرم. وسواس: جمع سائس، بمعنى مالك  
متصرف بالمصلحة، وبمعنى الولي المصلح، وجهده الطعام: إذا اشتاق إليه واشتهاه. وجهده الرجل فهو مجهود:  
أصابه القحوط والمشقة. وقوله «فالجهد يخرج منهم» جواب الشرط. ويحتمل أنه استئناف مفرغ على ما قبله.  
وإن جهدوا: جوابه دل عليه ما قبله. والشهامة: الخشونة، وشهمت الفرس حركته ليسرع. وأذمار شر: أي  
شجعان حرب: جمع ذمر ككبد، من ذمر الرجل: عبس وغضب. وذمر الأسد زأر بصوته، أي: إن حملتهم على  
الحرب أظهرت منهم شجعان حرب غير أشرار. وضمن النطق معنى الاخبار، فعدها بعن. ويجوز أنها بمعنى  
الباء.

والممارة: الجدال. وباكثار: متعلق بمارى، أو بيمارون. من تلقه منهم ثقل فيه: لاقيت أشرفهم لتساويهم في  
الشرف، فهم مثل النجوم في التساوي في الشرف والاهتداء والاستضاءة بكل، فكما أن النجم يهتدى به المسافر،  
كذلك هم يهتدى بهم المختبئ الطالب للمعروف أو المتحير في أمر معضل. ويروى بدل «وإن جهدوا ... الخ»:

... وإن خبروا ... في الجهد أدرك منهم طيب أخبار

أي: إن اختبروا علم كرمهم وحسن سيرتهم.

(١) التكل: فقدان المرأة ولدها.

(٢) الكشف: ٢٥٥/٤-٢٥٦.

(٣) تفسير السمعاني: ١٠٦/٥-١٠٧.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٦/٣-٧٩٧.

قال الطبري: " يقول: وأنزلنا بهم العذاب، وذلك كأخذه تعالى ذكره إياهم بالسنين، ونقص من الثمرات، وبالجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ليرجعوا عن كفرهم بالله إلى توحيده وطاعته، والتوبة مما هم عليه مقيمون من معاصيهم"<sup>(١)</sup>.  
 قال الواحدي: " لأنهم عذبوا بهذه الآيات، فكانت عذابا لهم، ودلالات لموسى عليه السلام، فغلب عليهم الشقاء، ولم يؤمنوا"<sup>(٢)</sup>.  
 عن قتادة، قوله: "وَأَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"، أي: يتوبون، أو يذكرون"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

**﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ (٥٠)﴾ [الزخرف: ٤٩-٥٠]**  
 التفسير:

وقال فرعون وملؤه لموسى: يا أيها العالم -وكان الساحر فيهم عظيماً يُوقرُونه ولم يكن السحر صفة ذم- ادع لنا ربك بعهد الذي عهد إليك وما خصك به من الفضائل أن يكشف عنا العذاب، فإن كشف عنا العذاب فإننا لمهتدون مؤمنون بما جئتنا به. فلما دعا موسى برفع العذاب عنهم، ورفعناه عنهم إذا هم يغدرون، ويصرون على ضلالهم.  
 قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ [الزخرف: ٥٠]، أي: "وقال فرعون وملؤه لموسى: يا أيها العالم، ادع لنا ربك بعهد الذي عهد إليك وما خصك به من الفضائل أن يكشف عنا العذاب"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: " يقول: سل لنا ربك، فلم يفعل، وقال: تسموني ساحرا، .. وكان الله- تعالى- عهد إلى موسى- عليه السلام- لئن آمنوا كشف عنهم"<sup>(٥)</sup>.  
 وفي في خطابهم له بهذا ثلاثة أقوال:  
 أحدها: أنهم قالوه على جهة الاستهزاء، قاله الحسن<sup>(٦)</sup>.  
 قال الثعلبي: " يحتمل: إنهم أرادوا به الساحر على الحقيقة عيبا منهم إياه، فلم يناقشهم موسى -عليه السلام- في مخاطبتهم إياه بذلك رجاء أن يؤمنوا"<sup>(٧)</sup>.  
 وحكي السمعاني: " إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء والسخرية ولم يكونوا اعتقدوا أن يؤمنوا به"<sup>(٨)</sup>.

الثاني: أنهم خاطبوه بما تقدّم له عندهم من التسمية بالساحر، قاله الزجاج<sup>(٩)</sup>.  
 الثالث: أنهم أرادوا: يا أيها العالم، وكان الساحر فيهم عظيماً، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١٠)</sup>.  
 عباس<sup>(١٠)</sup>.

وقال الكلبي: "يا أيها العالم، وكان الساحر فيهم عظيماً يعظمونه، ولم يكن صفة ذم"<sup>(١١)</sup>.  
 قال الطبري: " إن الساحر كان عندهم معناه: العالم، ولم يكن السحر عندهم ذماً، وإنما دعوه بهذا الاسم ، لأن معناه عندهم كان: يا أيها العالم"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٦١٤/٢١-٦١٥.

(٢) التفسير الوسيط: ٧٦/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٧/٣.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٢٩/٥، وزاد المسير: ٨٠/٤. والخبر بدون سند.

(٧) الكشف والبيان: ٣٣٨/٨.

(٨) تفسير السمعاني: ١٠٧/٥.

(٩) انظر: معاني القرآن: ٤١٤/٤.

(١٠) زاد المسير: ٨٠/٤. حكاه بدون سند.

(١١) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط: ٧٦/٤.

(١٢) تفسير الطبري: ٦١٥/٢١.

قال النحاس: " قيل: كانوا يسمون العلماء: سحرة، فالمعنى: يا أيها العالم" (١).  
 قال النسفي: " كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لتعظيمهم على السحر" (٢).  
 قال ابن جزى: " لأن السحر كان علم أهل زمانهم، وكأنهم قالوا: يا أيها العالم" (٣).  
 قال الثعلبي: أي: " يا أيها العالم الكامل الحاذق، وإنما قالوا هذا توقيراً وتعظيماً منهم،  
 لأن السحر كان عندهم علماً عظيماً وصفة ممدوحه، وقيل: معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره،  
 كقول العرب: خاصمته فخصمته، ونحوها" (٤).

قال ابن كثير: " كان علماء زمانهم هم السحرة. ولم يكن السحر عندهم في زمانهم  
 مذموماً، فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم؛ لأن الحال حال ضرورة منهم إليه لا تناسب  
 ذلك، وإنما هو تعظيم في زعمهم، ففي كل مرة يحدون موسى -عليه السلام- إن كشف عنهم هذا  
 أن يؤمنوا ويرسلوا معه بني إسرائيل. وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه، وهذا كقوله  
 تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا  
 قَوْمًا مُجْرِمِينَ. وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن  
 كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ  
 بِالْغُورَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ} [الأعراف: ١٣٣ - ١٣٥]" (٥).

عن مجاهد، قوله: "يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ"، أي: لئن أمنا ليكشفن  
 عنا العذاب" (٦).

قال الفراء: " {بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ}، مجازه: أوصاك وأعلمك" (٧).  
 قال الزجاج: " أي: بما عهد عندك فيمن آمن به من كشف العذاب عنه، الدليل على ذلك  
 قوله: {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ}" (٨).

قال الثعلبي: " أي: بما أخبرتنا عن عهده إليك: إنا إن أمنا كشف عنا" (٩).  
 قال الماتريدي: " كان الله - عز وجل - عاهد موسى - عليه السلام - لئن آمنوا، أكشف  
 عنهم العذاب، فلما دعا وكشف عنهم العذاب، لم يؤمنوا" (١٠).

قال الزمخشري: {بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ}، أي: "بعهده عندك: من أن دعوتك مستجابة. أو بعهده  
 عندك وهو النبوة. أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الإيمان والطاعة. أو بما عهد عندك من  
 كشف العذاب عن اهتدى" (١١).

قال السعدي: " {بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ}، أي: بما خصك الله به، وفضلك به، من الفضائل  
 والمناقب" (١٢).

قرأ ابن عامر وحده: «يأيه»، برفع الهاء (١٣).  
 قوله تعالى: {إِنَّا لَمُهْتَدُونَ} [الزخرف: ٥٠]، أي: "فإن كشف عنا العذاب فإننا لمهتدون  
 مؤمنون بما جئتنا به" (١٤).

(١) معاني القرآن: ٣٦٨/٦.

(٢) تفسير النسفي: ٢٧٥/٣-٢٧٦.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٦٠/٢.

(٤) الكشف والبيان: ٣٣٨/٨.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٣٠/٧.

(٦) تفسير مجاهد: ٥٩٤.

(٧) مجاز القرآن: ٢٢٧/١.

(٨) معاني القرآن: ٤١٤/٤.

(٩) الكشف والبيان: ٣٣٨/٨.

(١٠) تأويلات أهل السنة: ١٧٢/٩.

(١١) الكشاف: ٢٥٧/٤.

(١٢) تفسير السعدي: ٧٦٧.

(١٣) انظر: السبعة في القراءات: ٥٨٦.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٩٣.

قال مقاتل: "يعني: مؤمنين لك"<sup>(١)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: قالوا: إنا لمتبعوك فمصدقوك فيما جئتنا به، وموحدو الله فمبصرو سبيل الرشاد"<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: "قالوا يا موسى: ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك"<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ} [الزخرف : ٥٠]، أي: فلما دعا موسى برفع العذاب عنهم، ورفعناه عنهم إذا هم يغدرون، ويصرون على ضلالهم"<sup>(٤)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "فلما رفعنا عنهم العذاب الذي أنزلنا بهم، الذي وعدوا أنهم إن كشف عنهم اهتدوا لسبيل الحق، إذا هم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذي عاهدونا: يقول: يغدرون ويصرون على ضلالهم، ويتمادون في غيهم"<sup>(٥)</sup>.  
قال الزجاج: "أي: إذا هم ينقضون عهدهم"<sup>(٦)</sup>.  
قال الثعلبي: "ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ويتمارون في غيهم"<sup>(٧)</sup>.  
قال السمعاني: "أي: ينقضون العهد، ولا يقولون بقولهم"<sup>(٨)</sup>.  
عن قتادة: "إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ"، أي: يغدرون"<sup>(٩)</sup>.  
فوائد الآيات: [٤٦-٥٠]:

- ١- الآيات دليل على صدق من جاء بها، ولكن لا تستلزم الإيمان ممن شاهدها.
- ٢- قد يؤاخذ الله الأفراد أو الجماعات بالذنب المرة بعد المرة لعلمهم يتوبون إليه.
- ٣- حرمة خلف الوعد ونكث العهد، وأنهما من آيات النفاق وعلاماته.

## القرآن

{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢)} [الزخرف : ٥١-٥٢]  
التفسير:

ونادى فرعون في عظماء قومه متبجحا مفتخرا بملك «مصر»: أليس لي ملك «مصر» وهذه الأنهار تجري من تحت قصري ومن بين يدي في بساتيني، أفلا تبصرون عظمتي وقوتي، وضعف موسى وقره؟ بل أنا خير من هذا الذي لا عز معه، فهو يمتهن نفسه في حاجاته لضعفه وحقارته، ولا يكاد يبين الكلام لعي لسانه، وقد حمل فرعون على هذا القول الكفر والعناد والصد عن سبيل الله.

قوله تعالى: {وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ} [الزخرف : ٥١]، أي: "ونادى فرعون في عظماء قومه متبجحا مفتخرا بملك «مصر»: أليس لي ملك «مصر»"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "جمع قومه، فنادى فيهم متبجحا مفتخرا بملك مصر وتصرفه فيها: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي}"<sup>(١١)</sup>.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٧/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٦١٦-٦١٥/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٥) تفسير الطبري: ٦١٦/٢١.

(٦) معاني القرآن: ٤١٤/٤.

(٧) الكشف والبيان: ٣٣٨/٨.

(٨) تفسير السمعاني: ١٠٨/٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢١.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٧.

قال الزمخشري: "المعنى: أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأما كنهم من نادى فيها بذلك، فأسند النداء إليه، كقولك: قطع الأمير اللص، إذا أمر بقطعه. ويجوز أن يكون عنده عظام القبط، فيرفع صوته بذلك فيما بينهم، ثم ينشر عنه في جموع القبط، فكأنه نودي به بينهم" (١).  
قال النحاس: "كان نداؤه كراهة أن يتبع قومه موسى صلى الله عليه وسلم لأنه لما دعا كشف عنهم العذاب فتبين عجز فرعون عن كشفه فكره أن يتبعوه فقال: أنا أولى بالاتباع منه" (٢).

وفي قوله تعالى: {أَلَيْسَ لِي مَلِكُ مِصْرَ} [الزخرف : ٥١]، قولان: أحدهما : أنها الإسكندرية، قاله مجاهد (٣). الثاني : أنه ملك منها أربعين فرسخاً في مثلها، قاله مقاتل (٤).  
قال السمعاني: "وقال بعضهم: مسيرة أربعين يوماً في أربعين يوماً" (٥).  
عن الأسود بن يزيد قال: "قلت لعائشة: ألا تعجبين من رجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد في الخلافة قالت: وما تعجب من ذلك هو سلطان الله يؤتاه البر والفاجر وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة سنة" (٦).

قوله تعالى: {وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي} [الزخرف : ٥١]، أي: "وهذه الأنهار تجري من تحت قصري ومن بين يدي في بساتيني" (٧).  
وفي قوله تعالى: {وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي} [الزخرف : ٥١]، وجوه من التفسير: أحدها : كانت جنات وأنهاراً تجري من تحت قصره (٨)، قاله قتادة (٩).  
قال ابن أبي زمنين: "من تحتي} أي: في ملكي" (١٠).  
قال الطبري: "يعنى بقوله: {مِنْ تَحْتِي}: من بين يدي في الجنان" (١١).  
قال قتادة: "كانت لهم جنات وأنهار ماء" (١٢).

الثاني : أنه أراد النيل يجري من تحتي، أي: أسفل مني. حكاه الماوردي (١٣)، وبه قال الزمخشري، قيل: كانت تجري تحت قصره. وقيل: تحت سريره لارتفاعه. وقيل: بين يدي في جناني وبساتيني (١٤).

قال الزمخشري: "يعنى: أنهار النيل ومعظمهما أربعة: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تنيس" (١٥).  
الثالث : أن معنى قوله : {وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي}، أي: القواد والجبايرة يسرون تحت لوائى ، قاله الضحاك (١٦).

- (١) الكشف: ٢٥٧/٤.
- (٢) إعراب القرآن: ٧٥/٤.
- (٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٢٩/٥. بدون سند.
- (٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٧/٣.
- (٥) تفسير السمعاني: ١٠٨/٥.
- (٦) الدرا لمنثور: ٣٨٣/٧. وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
- (٧) التفسير الميسر: ٤٩٣.
- (٨) وحكي الماوردي: "وقيل من تحت سريره". [النكت والعيون: ٢٣٠/٥].
- (٩) انظر: تفسير الطبري: ٦١٦/٢١-٦١٧.
- (١٠) تفسير ابن أبي زمنين: ١٨٨/٤.
- (١١) تفسير الطبري: ٦١٦/٢١.
- (١٢) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢١-٦١٧.
- (١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٣٠/٥.
- (١٤) انظر: الكشف: ٢٥٧/٤.
- (١٥) الكشف: ٢٥٧/٤.
- (١٦) انظر: النكت والعيون: ٢٣٠/٥.

الرابع : أنه أراد بالأنهار الأموال، وعبر عنها بالأنهار لكثرتها وظهورها وقوله: {تَجْرِي مِنْ تَحْتِي}، أي: أفرقها على من يتبعني لأن الترغيب والقدرة في الأموال في الأنهار . أفاده الماوردي<sup>(١)</sup>.

قال الزجاج: " «مصر» -هنا- يعني: بها مدينة مصر المعروفة، فمصر مذكر سُمِّيَ بِهِ مؤنث، لأن المدينة الغالب عليها التأنيث، وَقَدْ يَجُوزُ مَلِكُ مِصْرَ، يذهب به إلى أن مصر اسم لبلد، وهذا فيه بُعْدٌ مِنْ قِيلِ أَنْ أَكْثَرَ مَا يَسْتَعْمَلُ الْبَلَدَ لِمَا يَضُمُّ مَدْنًا كَبِيرَةً نَحْوَ بِلَادِ الرُّومِ وَبِلَادِ الشَّامِ وَبِلَادِ خِرَاسَانَ، وَيَجُوزُ أَنْ تَصْرَفَ مِصْرًا إِذَا جَعَلْتَهُ اسْمًا لِبَلَدٍ عِنْدَ جَمِيعِ النَّحْوِيِّينَ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ"<sup>(٢)</sup>.

قال السمعاني: " وفي تفسير النقاش: أنه كان في زمان فرعون خمسة أنهار بمصر اندرست من بعد، ولم يبق منها شيء. وفي هذا التفسير أيضا: أنه كان بمصر سبع خلج التي واحدها خليج، واندرست من بعد، وكان فرعون يركب من فيوم إلى دمياط والإسكندرية فلا يسير إلا تحت الأشجار ملتفة وأنهار جارية"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الزخرف : ٥١]، أي: " أفلا تبصرون عظمتي وقوتي، وضعف موسى وفقره"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك، يعني : وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء. وهذا كقوله تعالى: {فَحَسْرَتَ فَنَادَى: فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى. فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} [النازعات : ٢٣ - ٢٥]"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: " يقول: أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير، وما فيه موسى من الفقر وعي اللسان، افتخر بملكه مصر عدو الله، وما قد مكن له من الدنيا استدراجا من الله له، وحسب أن الذي هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله، وأن موسى إنما لم يصل إلى الذي يصفه، فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة محتجًا على جهلة قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محققًا فيما يأتي به من الآيات والعبر، ولم يكن ذلك سحرا، لأكسب نفسه من الملك والنعمة، مثل الذي هو فيه من ذلك جهلا بالله واغترارًا منه بإملائه إياه"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ} [الزخرف : ٥٢]، أي: " بل أنا خير من هذا الذي لا عز معه، فهو يمتهن نفسه في حاجاته لضعفه وحقارته"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: أي: "من هذا الذي هو ضعيف لقلته ماله، وأنه ليس له من الملك والسلطان ماله"<sup>(٨)</sup>.

عن السدي، قوله: " {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ}، قال: بل أنا خير من هذا"<sup>(٩)</sup>.

عن قتادة: " {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ}، قال: ضعيف"<sup>(١٠)</sup>.

قال السدي: " المهين: الضعيف"<sup>(١١)</sup>.

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٣٠/٥.

(٢) معاني القرآن: ٤١٤/٤-٤١٥.

(٣) تفسير السمعاني: ١٠٨/٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٧.

(٦) تفسير الطبري: ٦١٧/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٨) تفسير الطبري: ٦١٨/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٦١٧/٢١. قال ابن كثير: ٢٣١/٧: " وهكذا قال بعض نحاة البصرة : إن "أم" هاهنا بمعنى "بل". ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها : "أما أنا خير من هذا الذي هو مهين". قال ابن جرير : ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحا واضحا، ولكنها خلاف قراءة الأمصار، فإنهم قرؤوا : {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ} ؟ على الاستفهام".

(١٠) أخرجه الطبري: ٦١٨/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٦١٧/٢١.

وقال سفيان : "حقير"<sup>(١)</sup>.  
قال الزجاج: "ومعنى: «مَهِين» قليل. يقال: شَيْءٌ مَهِينٌ، أي: قَلِيلٌ، وهو: فعيل، من المهانة"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "فإنما يعني فرعون - عليه اللعنة- أنه خير من موسى، عليه السلام، وقد كذب في قوله هذا كذبا بينا واضحا، فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة"<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: {وَلَا يَكَادُ يُبِينُ} [الزخرف : ٥٢]، أي: "ولا يكاد يُبين الكلام لعيّ لسانه"<sup>(٤)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: ولا يكاد يبين الكلام من عيّ لسانه"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن كثير: "يعني : لا يكاد يفصح عن كلامه، فهو عيي حصر"<sup>(٦)</sup>.  
قال الصابوني: "أي: لا يكاد يفصح عن كلامه، ويوضّح مقصوده، فكيف يصلح للرسالة؟"<sup>(٧)</sup>.

قال سفيان : "يعني في لسانه شيء من الجمرة حين وضعها في فيه وهو صغير"<sup>(٨)</sup>.  
عن السدي: "وَلَا يَكَادُ يُبِينُ، الكلام"<sup>(٩)</sup>.  
عن قتادة: "وَلَا يَكَادُ يُبِينُ، أي: عَيَّ اللسان"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الزجاج: "قال ذلك لأنه كانت في لسان موسى عليه السلام لثغة، والأنبياء- صلوات الله عليهم - أجمعون مُبَيَّنُونَ بُلْغَاءً"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "وهذا الذي قاله فرعون - لعنه الله - كذب واختلاق، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد، وهو ينظر إلى موسى، عليه السلام، بعين كافرة شقية، وقد كان موسى، عليه السلام، من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الأبصار والألباب. وقوله: {مَهِين} كذب، بل هو المهين الحقير خُلِقَ وخلقنا وديننا. وموسى -عليه السلام- هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد وقوله: {وَلَا يَكَادُ يُبِينُ} افتراء أيضا، فإنه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة، فقد سأل الله، عز وجل، أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله، وقد استجاب الله له في ذلك في قوله: {قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى} [طه : ٢٦]، وبتقدير أن يكون قد بقى شيء لم يسأل إزالته، كما قاله الحسن البصري، وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإبلاغ والإفهام، فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا، وإنما أراد الترويج على رعيته، فإنهم كانوا جهلة أغبياء"<sup>(١٢)</sup>.

قال أبو السعود: "قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصه عليه السلام في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع رته، وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى {قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ} [طه : ٣٦]"<sup>(١٣)</sup>.

## القرآن

(١) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٢٣١/٧.

(٢) معاني القرآن: ٤١٥/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٧.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٥) تفسير الطبري: ٦١٩/٢١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٧.

(٧) صفوة التفاسير: ١٤٩/٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢١.

(١١) معاني القرآن: ٤١٥/٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٣١/٧.

(١٣) تفسير أبي السعود: ٥٠/٨.



**{فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أُسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣)} [الزخرف: ٥٣]**

التفسير:

فهلا ألقى على موسى -إن كان صادقاً أنه رسول رب العالمين- أسورة من ذهب، أو جاء معه الملائكة قد اقترن بعضهم ببعض، فتتابعوا يشهدون له بأنه رسول الله إلينا.

قوله تعالى: {فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أُسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ} [الزخرف: ٥٣]، أي: "فهلا ألقى على موسى -إن كان صادقاً أنه رسول رب العالمين- أسورة من ذهب"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فهلا ألقى على موسى إن كان صادقاً أنه رسول رب العالمين أسورة من ذهب، وهو جمع سوار، وهو الفُلب الذي يجعل في اليد"<sup>(٢)</sup>.

عن ابن عباس، وقتادة، قوله: " {أُسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ}، يقول: أقلبه من ذهب"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "وهي: ما يجعل في الأيدي من الحلبي"<sup>(٤)</sup>.

قال مجاهد: "كانوا إذا سودوا رجلاً سوره بسوار، وطوقه بطوق من ذهب؛ ليكون ذلك دلالة لسيادته، وعلامة لرياسته، فقال فرعون: هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيِّداً تجب علينا طاعته"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: "كانه لما وصّف نفسه بالملك والرياسة قال: هلا جاء موسى بشيء يُلقى عليه فيكون ذلك أسورة من ذهب تدل على أنها من عند إلهه الذي يدعوكم إلى توحيدهِ"<sup>(٦)</sup>.

وقرئ: «أَسَاوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ»<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} [الزخرف: ٥٣]، أي: "أو جاء معه الملائكة قد اقترن بعضهم ببعض، فتتابعوا يشهدون له بأنه رسول الله إلينا"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول: أو هلا إن كان صادقاً جاء معه الملائكة مقترنين قد اقترن بعضهم ببعض، فتتابعوا يشهدون له بأنه رسول إلههم"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: يكتنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه، نظر إلى الشكل الظاهر، ولم يفهم السر المعنوي الذي هو أظهر مما نظر إليه، لو كان يعلم"<sup>(١٠)</sup>.

وفي قوله تعالى: {أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} [الزخرف: ٥٣]، ثلاثة وجوه:

أحدها: متتابعين، قاله قتادة<sup>(١١)</sup>.

الثاني: يقارن بعضهم بعضاً في المعونة، قاله السدي<sup>(١٢)</sup>.

الثالث: مقترنين أي يمشون معاً، قاله مجاهد<sup>(١٣)</sup>.

قال الزجاج: "أي: يمشون معه فيدلُّون على صحة نبوته، وقد أتى موسى عليه السلام من الآيات بما فيه دلالة على تثبيت النبوة، وليس للذين يرسل إليهم الأنبياء أن يفتَرِحُوا من الآيات ما يريدون هم"<sup>(١٤)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٢) تفسير الطبري: ٦١٩/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٧.

(٥) تفسير الثعلبي ٨ / ٣٣٩، وتفسير البيهقي ٧ / ٢١٧.

(٦) معاني القرآن: ٤١٥/٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٩) تفسير الطبري: ٦٢٠/٢١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٧.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٢١/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٢١/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٢١-٦٢٠/٢١.

(١٤) معاني القرآن: ٤١٥/٤.

## القرآن

{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤)} [الزخرف : ٥٤]

التفسير:

فَاسْتَخَفَّ فرعون عقول قومه فدعاهم إلى الضلالة، فأطاعوه وكذبوا موسى، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله وصراطه المستقيم.

قوله تعالى: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ} [الزخرف : ٥٤]، أي: "فَاسْتَخَفَّ فرعون عقول قومه فدعاهم إلى الضلالة، فأطاعوه وكذبوا موسى"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "فَاسْتَخَفَّ فرعون خلقًا من قومه من القبط، بقوله الذي أخبر الله تبارك وتعالى عنه أنه قال لهم، فقبلوا ذلك منه فأطاعوه، وكذبوا موسى"<sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: استغفر قومه القبط فأطاعوه في الذي قال لهم على التكذيب، حين قال لهم: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غافر : ٢٩]، فأطاعوه في الذي قال لهم"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: استخف عقولهم، فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له"<sup>(٤)</sup>.

قال الفراء: "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، يريد: استغفرهم"<sup>(٥)</sup>.

قال القرطبي: "استغفرهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة والطاعة وهي الإسراع {فأطاعوه}"<sup>(٦)</sup>.

قال الماتريدي: "قال بعضهم: أي: فاستخف بقومه واستزلهم فأطاعوه. وقال بعضهم: أي: استزلهم واستغفرهم بالخروج على أتباع موسى وطلبه فأطاعوه، وذلك أنه أمرهم بالخروج معه في طلب موسى لما خرج من عندهم نحو البحر، فأطاعوه في ذلك، وخرجوا معه في طلبه، حتى أصابهم ما أصابهم؛ وكان هذا أشبه وأقرب"<sup>(٧)</sup>.

عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: "لم يخرج فرعون من زاد على الأربعين سنة ومن دون العشرين، فذلَّك قَوْلُهُ: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ} يَعْنِي استخف قومه في طلب موسى عَلَيْهِ السَّلَام"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [الزخرف : ٥٤]، أي: "إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله وصراطه المستقيم"<sup>(٩)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: عاصين"<sup>(١٠)</sup>.

قال القرطبي: "خارجين عن دين الله"<sup>(١١)</sup>.

قال الطبري: "قال الله: وإنما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم إليه عدو الله من تصديقه، وتكذيب موسى، لأنهم كانوا قوماً عن طاعة الله خارجين بخذلانه إياهم، وطبعه على قلوبهم"<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

(١) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٢) تفسير الطبري: ٦٢١/٢١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٨/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٧.

(٥) معاني القرآن: ٣٥/٣.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٧٧/٣.

(٧) تأويلات أهل السنة: ٧٨/٧.

(٨) الدر المنثور: ٣٨٣/٧، وعزاه إلى ابن عبد الحكم في فتوح مصر.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٨/٣.

(١١) تفسير القرطبي: ٢٧٧/٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٢١/٢١.

{فَلَمَّا أَسْفُونَا اِنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَاقًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٦)}  
[الزخرف: ٥٥-٥٦]

التفسير:

فلما أغضبونا -بعصياننا، وتكذيب موسى وما جاء به من الآيات- انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عَجَّلْنَاهُ لَهُمْ، فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فِي الْبَحْرِ. فَجَعَلْنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْبَحْرِ سَلَاقًا لِمَنْ يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِمْ مِمَّنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعَذَابِ، وَعِبْرَةً وَعِظَةً لِلْآخِرِينَ.

قوله تعالى: {فَلَمَّا أَسْفُونَا اِنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} [الزخرف: ٥٥]، أي: "فلما أغضبونا -بعصياننا، وتكذيب موسى وما جاء به من الآيات- انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عَجَّلْنَاهُ لَهُمْ" (١).

قال الطبري: "يعني بقوله: أسفونا: أغضبونا، انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجلناه لهم، فأغرقناهم جميعا في البحر" (٢).

قال الزمخشري: "معناه: أنهم أفرطوا في المعاصي وعدوا طورهم، فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا، وأن لا نعلم عنهم" (٣).

قال الماتريدي: "أي: فلما عملوا الأعمال التي استوجبوا لها الغضب انتقمنا منهم على ذلك، وقيل: {فلما} أغضبوا أوليائنا، سلطانا عليهم بدعاء أولئك الأولياء، أو ننتقم منهم بسبب إغضابهم أوليائنا" (٤).

عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، والسدي، وابن زيد، قوله: {فَلَمَّا أَسْفُونَا}، يقول: لما أغضبونا" (٥).

وفي رواية عن ابن عباس: "يقول: أسخطونا" (٦).  
عن الحسن (٧)، ومجاهد (٨)، وقتادة (٩)، وعكرمة (١٠)، ووهب بن منبه (١١): {فَلَمَّا أَسْفُونَا}، قالوا: "أغضبونا".

عن السدي: "فَلَمَّا أَسْفُونَا}، قال: أغضبونا، وهو على قول يعقوب: {يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ}، قال: يَا حَزَنِي عَلَى يُوسُفَ" (١٢).  
قال قتادة: "أغضبوا ربهم" (١٣).

قال عبدالرزاق: "سمعت ابن جريج، يقول: وغضب في شيء فقيل له: أتغضب يا أبا خالد، فقال: "قد غضب خالق الأحلام إن الله تعالى يقول: {فلما أسفونا} [الزخرف: ٥٥]: أغضبونا" (١٤).

عن معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: {فلما أسفونا} [الزخرف: ٥٥]، قال: "حدثني سماك بن الفضل، قال: كنت عند عروة بن محمد جالسا وعنده وهب بن منبه، فأتي بعامل

(١) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٢) تفسير الطبري: ٦٢١/٢١، ٦٢٢.

(٣) الكشاف: ٢٥٩/٤.

(٤) تأويلات أهل السنة: ٧٨/٧. [باختصار]

(٥) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢١.

(٧) أخرجه أبو حاتم الرازي في الزهد ص ٤٢.

(٨) تفسير مجاهد ص ٥٩٤، وأخرجه الطبري: ٦٢٢/٢١، وابن وهب في "تفسير القرآن من الجامع لان ووهب (٤٥): ص ٤٥، والفريابي -كما في تعليق التعليق ٣٠٧/٤، والفتح ٥٦٧/٨ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٩) تفسير عبدالرزاق (٢٧٧٢): ص ١٧٠/٣.

(١٠) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٩٢/٤٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢١.

(١٤) تفسير عبدالرزاق (٢٧٩٦): ص ١٧٨/٣.

لعروة فشكي فأكثرُوا عليه ، فقالوا: فعل وفعل وثبتت عليه البينة ، قال: فلم يملك وهب نفسه فضربه على قرنه بعضا ، فإذا دماؤه تشخب ، وقال: أفي زمن عمر بن عبد العزيز يصنع مثل هذا؟ قال: فاستهانها عروة وكان حليما أيضا ، فاستلقى على قفاه يضحك وقال: يعيب علينا أبو عبد الله الغضب وهو يغضب ، قال وهب: " قد غضب خالق الأحلام إن الله يقول: {فلما أسفونا انتقمنا منهم} [الزخرف: ٥٥] يقول: أغضبونا"<sup>(١)</sup>.

عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد ما شاء، وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك استدراج منه له" ثم تلا {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ}"<sup>(٢)</sup>.

عن طارق بن شهاب قال : "كنت عند عبد الله فذكر عنده موت الفجأة، فقال : تخفيف على المؤمن، وحسرة على الكافر. ثم قرأ: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ}"<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: {فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الزخرف : ٥٥]، أي: " فأغرقناهم أجمعين في البحر"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: " لم ينج منهم أحد"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: " أغرق الله آل فرعون عدوهم نعمًا من الله يعرفهم بها لكي ما يشكروا ويعرفوا حقه"<sup>(٦)</sup>.

عن عمرو بن ميمون الأودي : "لما خرج موسى ببني إسرائيل، بلغ ذلك فرعون فقال: لا تتبعوهم حتى يصيح الديك. قال فو الله ما صاح ليلتند ذيك حتى أصبحوا، فدعا بشاة فذبحت ثم قال: لا أفرغ من كبدها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط. فلم يفرغ حتى اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط، ثم سار فلما أتى موسى قال له رجل من أصحابه يقال له يوشع بن نون: أين أمر ربك يا موسى؟ قال: أمامك يشير إلى البحر. فاقتحم يوشع فرسه في البحر حتى بلغ الغمر فذهب به الغمر، ثم رجع فقال: أين أمر ربك يا موسى، فو الله ما كذبت ولا كذبت ففعل ذلك ثلاث مرار، ثم أوحى الله إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. يقول مثل الجبل، ثم سار موسى ومن معه واتبعهم فرعون في طريقهم حتى إذا تتاموا فيه أطبقه الله عليهم، فلذلك قال أغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون"<sup>(٧)</sup>.

قال عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه- : "وجدت النعمة مع الغفلة، يعني قوله: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}"<sup>(٨)</sup>.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : "وجدت النعمة مع الغفلة، يعني قوله: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهُمْ سُلَاقًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ} [الزخرف : ٥٦]، أي: " فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم في البحر سلقًا لمن يعمل مثل عملهم ممن يأتي بعدهم في استحقاق العذاب، وعبرة وعظة للآخرين"<sup>(١٠)</sup>.

(١) تفسير عبدالرزاق (٢٨٠٠):ص١٧٩/٣.

(٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٣١/٧، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٩٢٦) "مجمع البحرين"، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٥٤٠) من طريق عبد الله ابن صالح عن حرمة بن عمران به، ورواه أحمد في مسنده (١٤٥/٤) عن رشدين بن سعد، والدولابي في الكنى (١١١/١) عن حجاج بن سليمان كلاهما عن حرمة بن عمران به، وقد حسنه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٧.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٨/٣.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٩١٧٩):ص١٧١٩/٥.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٠٨):ص١٠٦/١.

(٨) نقلًا عن تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٧.

(٩) نقلًا عن تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٩٣.

قال مقاتل {جعلناهم سلفاً}، يعني: مضوا في العذاب، {ومثلاً للآخرين}، يعني: عبرة لمن بعدهم<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "فجعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون في البحر مقدّمة يتقدمون إلى النار، كفار قومك يا محمد من قريش، وكفار قومك لهم بالأثر، وعبرة وعظة يتعظ بهم مَنْ بعدهم من الأمم، فينتهوا عن الكفر بالله"<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "جعلناهم سلفاً مُتَقَدِّمِينَ لِيَتَعَزَّ بِهَمِ الْآخَرُونَ"<sup>(٣)</sup>.

قال أبو مجلز: "سلفاً} لمثل من عمل بعملهم، {ومثلاً}، أي: عبرة لمن بعدهم"<sup>(٤)</sup>.  
عن مجاهد، قوله: "فَجَعَلْنَاهُمْ سَلْفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ}، قال: قوم فرعون كفارهم سلفاً لكفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(٥)</sup>، "عبرة لمن بعدهم"<sup>(٦)</sup>.

عن قتادة: "فَجَعَلْنَاهُمْ سَلْفًا}، في النار"<sup>(٧)</sup>، {وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ}، أي عظة للآخرين"<sup>(٨)</sup>.

عن معمر: "فَجَعَلْنَاهُمْ سَلْفًا}، قال: سلفاً إلى النار"<sup>(٩)</sup>.

عن السدي: "فَجَعَلْنَاهُمْ سَلْفًا وَمَثَلًا}، قال: عبرة"<sup>(١٠)</sup>.

ويُقرأ: «سُلفاً» - بضم السين واللام، ويُقرأ: «سُلفاً» - بضم السين وفتح اللام - فمن قال: «سُلفاً» - بضمّتين - فهو جمع سليف، أي: جميع قد مضى. ومن قرأ: «سُلفاً»، فهو جمع: سُلفَةٌ أي: فرقة قد مضت"<sup>(١١)</sup>.

فوائد الآيات: [٥٦-٥١]:

- ١- ذم الفخر والمباهاة إذ هما من صفات المتكبرين والظالمين.
- ٢- الاحتقار للفقراء والازدراء بهم من صفات الجبارين الظلمة المتكبرين.
- ٣- الفسق يجعل صاحبه مطية لكل ظالم أداة يسخره كما يشاء.
- ٤- التحذير من غضب الرب تبارك وتعالى فإنه متى غضب انتقم فبطش.

## القرآن

{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ (٥٧)} [الزخرف: ٥٧]

التفسير:

ولما ضرب المشركون عيسى بن مريم مثلاً حين خاصموا محمداً صلى الله عليه وسلم، وحاجّوه بعبادة النصارى إياه، إذا قومك من ذلك ولأجله يرتفع لهم جلبّة وضجيج فرحاً وسروراً، وذلك عندما نزل قوله تعالى {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} ، وقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى، فأنزل الله قوله: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مَثَلُ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} ، فالذي يُلقى في النار من آلهة المشركين من رضي بعبادتهم إياه. في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: ما رواه ابن عباس قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش: "يا معشر قريش، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير"، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد، ألسنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٨/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٦٢٣/٢١ / ٦٢٤.

(٣) معاني القرآن: ٤١٦/٤.

(٤) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢١ - ٦٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٢٤/٢١.

(١١) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٤١٦/٤.

صالحا، فلئن كنت صادقا، فإن آلهتهم لكما تقولون. قال: فأُنزل الله عز وجل: { وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ } [الزخرف: ٥٧] قال: قلت: ما يصدون؟ قال: يضجون، {وَأِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ} [الزخرف: ٦١]، قال: هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

وقال مقاتل: " وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- دخل المسجد وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما، وفي المسجد العاص بن وائل السهمي، والحارث وعدي ابنا قيس، كلهم من قريش من بني سهم فقال لهم النبي- صلى الله عليه وسلم-: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء : ٩٨] إلى آيتين. ثم خرج إلى باب الصفا فخاض المشركون في ذلك، فدخل عبد الله ابن الزبيري السهمي، فقال: تخوضون في ذكر الآلهة، فذكروا له ما قال النبي- صلى الله عليه وسلم- لهم ولآلهتهم، فقال عبد الله بن الزبيري يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم وآلهتهم، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- بل هي لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ولآلهتهم، فقال عبد الله خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبي وتثني عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت أن النصارى يعبدونهما، وعزير يعبد والملائكة تعبد فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون معهم فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: لا. فقال عبد الله أليس قد زعمت أنها لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم وآلهتهم؟ خصمتك ورب الكعبة. فضجوا من ذلك فأُنزل الله- تعالى- « {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى} [الأنبياء : ١٠١]، وأُنزل: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف : ٥٧]"<sup>(٢)</sup>.

الثاني : أن قريشا قالت: إن محمداً يريد أن نعبد كما عبد قوم عيسى عيسى، فنزلت، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>، وقتادة<sup>(٤)</sup>.

قال قتادة: " لما ذُكر عيسى ابن مريم جزعت قريش من ذلك، وقالوا: يا محمد ما ذكرت عيسى ابن مريم؟ وقالوا: ما يريد محمد إلا أن نصنع به كما صنعت النصارى بعيسى ابن مريم، فقال الله عز وجل: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلا}"<sup>(٥)</sup>.

وقال قتادة: " لما ذكر عيسى في القرآن قال مشركو قريش: يا محمد ما أردت إلى ذكر عيسى؟ قال: وقالوا: إنما يريد أن نحبه كما أحببت النصارى عيسى"<sup>(٦)</sup>.

الثالث : أنه لما ذكر الله خلق عيسى من غير ذكر كآدم أكبرته قريش فنزلت هذه الآية. حكاها الماوردي عن ابن عيسى<sup>(٧)</sup>.

قال ابن الجوزي: " أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبيري رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...} الآية... والمشركون هم الذين ضربوا عيسى مثلاً لآلهتهم وشبههوه بها، لأن تلك الآية إنما تضمنت

(١) أخرجه احمد في المسند(٢٩١٨):ص٨٥/٥-٨٦، والطبراني في المعجم الكبير(١٢٧٤٠):ص١٢/١٥٤، وابن أبي حاتم(١٨٥١٤):ص٣٢٨٤/١٠، وأخرجه مختصرا ابن حبان (٦٨١٧)، وأخرجه بنحوه الطبري في التفسير: ٦٢٥/٢١. وأخرجه كذلك الحاكم ٤٤٨/٢، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي!

والحديث رجاله ثقات رجال الصحيح غير عاصم- وهو ابن أبي النجود- فقد روى له أصحاب السنن، وحديثه في الصحيحين مقرون، وهو صدوق حسن الحديث.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٣٣١):ص١٠٤/٧. "رواه أحمد والطبراني ... وفيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيئ الحفظ وبقيه رجاله رجال الصحيح.

(٢) التفسير الميسر: ٧٩٩/٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٤/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٥/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٢٥/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٢٥/٢١.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٣٣/٥.

ذَكَرَ الْأَصْنَامَ، لِأَنَّهَا عُذِّبَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَأَلْزَمُوهُ عَيْسَى، وَضَرَبُوهُ مَثَلًا لِأَصْنَامِهِمْ، لِأَنَّهُ مَعْبُودُ النَّصَارَى، وَالْمُرَادُ بِقَوْمِهِ: الْمُشْرِكُونَ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا} [الزخرف: ٥٧]، أي: "ولما ضرب المشركون عيسى بن مريم مثلاً حين خاصموا محمداً صلى الله عليه وسلم، وحاجَّوه بعبادة النصارى إياه"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "ولما شبه الله عيسى في إحدائه وإنشائه إياه من غير فعل بآدم، فمثله به بأنه خلقه من تراب من غير فعل"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "حين زعموا أن الملائكة بنات الله"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "أي: نهي عن عبادته، وجعلت عبادته بمنزلة عبادة الأصنام والأنداد"<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} [الزخرف: ٥٧]، أي: "إذا قومك من ذلك ولأجله يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وسروراً"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إذا قومك يا محمد من ذلك يضجون ويقولون: ما يريد محمد منا إلا أن نتخذها إلهاً نعبد، كما عبدت النصارى المسيح"<sup>(٧)</sup>.

قال السعدي: " {إِذَا قَوْمُكَ} المَكْذُوبُونَ لَكَ {مِنْهُ} أي: من أجل هذا المثل المضروب، {يَصِدُّونَ} أي: يستلجون في خصومتهم لك، ويصيحون، ويزعمون أنهم قد غلبوا في حجتهم، وأفلجوا"<sup>(٨)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: {إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ}: قال: "يضجون"<sup>(٩)</sup>. وروي عن مجاهد<sup>(١٠)</sup>، والضحاك<sup>(١١)</sup>، والسدي<sup>(١٢)</sup> مثل ذلك.

قال قتادة: "أي: يجزعون ويضجون"<sup>(١٣)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: يضجون تعجباً لذكر عيسى - عليه السلام -، عبد الله بن الزبيري وأصحابه هم هؤلاء النفر وقالوا ألهتنا خير أم هو يعني عيسى؟ وقالوا ليس ألهتنا إن عذبت خيراً من عيسى بأنه يعبد، يقول الله - تعالى - بل {هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَٰهًا جَدَلًا} [الزخرف: ٥٨]، يقول ما ذكروا لك عيسى إلا ليجادلونك به"<sup>(١٤)</sup>.  
وقرأ عليّ - رضي الله عنه -: «يَصِدُّونَ»<sup>(١٥)</sup>.

## القرآن

{وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَٰهًا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨)} [الزخرف: ٥٨]  
التفسير:

- (١) زاد المسير: ٨١/٤.
- (٢) التفسير الميسر: ٤٩٣.
- (٣) تفسير الطبري: ٦٢٤/٢١.
- (٤) التفسير الميسر: ٧٩٩/٣.
- (٥) تفسير السعدي: ٧٦٨.
- (٦) التفسير الميسر: ٤٩٣.
- (٧) تفسير الطبري: ٦٢٤/٢١.
- (٨) تفسير يحيى بن سلام: ٣٤٦/١.
- (٩) أخرجه الطبري: ٦٢٦/٢١.
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٤/٢١.
- (١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٧/٢١.
- (١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٧/٢١.
- (١٣) أخرجه الطبري: ٦٢٧/٢١.
- (١٤) التفسير الميسر: ٧٩٩/٣.
- (١٥) أخرجه الطبري في التفسير: ٦٢٧/٢١.

وقال مشركو قومك -أيها الرسول-: أألّهتنا التي نعبدّها خير أم عيسى الذي يعبدّه قومه؟ فإذا كان عيسى في النار، فلنكن نحن وألّهتنا معه، ما ضربوا لك هذا المثل إلا جدلاً بل هم قوم مخاصمون بالباطل.

قوله تعالى: {وَقَالُوا أَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ} [الزخرف: ٦٨]، أي: "وقال مشركو قومك -أيها الرسول-: أألّهتنا التي نعبدّها خير أم عيسى الذي يعبدّه قومه؟ فإذا كان عيسى في النار، فلنكن نحن وألّهتنا معه"<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَقَالُوا أَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ} [الزخرف: ٦٨]، قولان:

أحدهما: أم محمد -صلى الله عليه وسلم-، قاله قتادة<sup>(٢)</sup>، وبه قال الطبري<sup>(٣)</sup>.  
عن قتادة: "أن في حرف أبي بن كعب: «وقالوا أألّهتنا خير أم هذا»، يعنون: محمداً صلى الله عليه وسلم"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وقال مشركو قومك يا محمد: أألّهتنا التي نعبدّها خير؟ أم محمد فعبد محمداً؟ ونترك أألّهتنا؟"<sup>(٥)</sup>.

الثاني: أم عيسى، قاله السدي<sup>(٦)</sup>، وعطاء الخراساني<sup>(٧)</sup>، وابن زيد<sup>(٨)</sup>.

قال السدي: "خاصموه، فقالوا: يزعم أن كل من عبد من دون الله في النار، فنحن نرضى أن تكون أألّهتنا مع عيسى وعزير والملائكة هؤلاء قد عبدوا من دون الله، قال: فأنزل الله براءة عيسى"<sup>(٩)</sup>.

عن ابن زيد، في قوله: " {أألّهتنا خير}، قال: عبد هؤلاء عيسى، ونحن نعبد الملائكة"<sup>(١٠)</sup>.

قال السدي: "يعني: عيسى، حيث نهي عن عبادة الجميع، وشورك بينهم بالوعيد على من عبدهم، ونزل أيضاً قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}، ووجه حجتهم الظالمة، أنهم قالوا: قد تقرر عندنا وعندك يا محمد، أن عيسى من عباد الله المقربين، الذين لهم العاقبة الحسنة، فلم سويت بينه وبينها في النهي عن عبادة الجميع؟ فلولا أن حجتك باطلة لم تتناقض. ولم قلت: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}<sup>(١١)</sup> وهذا اللفظ بزعمهم، يعم الأصنام، وعيسى، فهل هذا إلا تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها، هذا أنهى ما يقررون به هذه الشبهة الذي فرحوا بها واستبشروا، وجعلوا يصدون ويتبشرون.

وهي -ولله الحمد- من أضعف الشبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام، لأن العبادة حق لله تعالى، لا يستحقها أحد من الخلق، لا

(١) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٨/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٨/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٢٨/٢١.

(٥) تفسير الطبري: ٦٢٨/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٨/٢١.

(٧) أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٨/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٢٨/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٢٨/٢١.

(١١) قال السدي: ٧٦٨: "قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} فالجواب عنها من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن قوله: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أن {ما} اسم لما لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح ونحوه.

الثاني: أن الخطاب للمشركين، الذين بمكة وما حولها، وهم إنما يعبدون أصناماً وأوثاناً ولا يعبدون المسيح.

الثالث: أن الله قال بعد هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} فلا شك أن عيسى وغيره من الأنبياء والأولياء، داخلون في هذه الآية."



الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا من سواهم من الخلق، فأبي شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدلاً} [الزخرف: ٥٨]، أي: "ما ضربوا لك هذا المثل إلا جدلاً"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ولا قالوا لك هذا القول إلا جدلاً وخصومة يخاصمونك به"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: مرأء، وهم يعلمون أنه ليس بوارد على الآية؛ لأنها لما لا يعقل، وهي قوله: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} [الأنبياء: ٩٨]. ثم هي خطاب لقريش، وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد، ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه، فتعين أن مقاتلتهم إنما كانت جدلاً منهم، ليسوا يعتقدون صحتها"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ} [الزخرف: ٥٨]، أي: "بل هم قوم مخاصمون بالباطل"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين في حاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق {بَلْ هُمْ قَوْمٌ} يلتمسون الخصومة بالباطل"<sup>(٦)</sup>.

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا هذه الآية: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِيمُونَ}"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)} [الزخرف: ٥٩]

التفسير:

ما عيسى بن مريم إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة، وجعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يُستدل بها على قدرتنا.

قوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ} [الزخرف: ٥٩]، أي: "ما عيسى بن مريم إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: يقول: "فما عيسى إلا عبد من عبادنا، أنعمنا عليه بالتوفيق والإيمان"<sup>(٩)</sup>.  
قال ابن كثير: "يعني: عيسى، عليه السلام، ما هو إلا عبد من عباد الله أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة"<sup>(١٠)</sup>.

قال النحاس: "أي: أنعمنا عليه بظهور الآيات على يديه"<sup>(١١)</sup>.

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٣٤٦/١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٣) تفسير الطبري: ٦٢٨/٢١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٥/٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٦) تفسير الطبري: ٦٢٨/٢١.

(٧) مسند أحمد (٢٢١٦٤): ص ٤٩٣/٣٦، وأخرجه ابن ماجه (٤٨)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٠١)، والطبري في "التفسير" ٦٢٩/٢١، والعقيلي في "الضعفاء" ٢٨٦/١، والطبراني (٨٠٦٧)، والأجري في "الشريعة" ص ٥٤، وابن عدي ١٦١٣/٤، والحاكم ٤٤٧/٢-٤٤٨، والسهمي في "تاريخ جرجان" ص ٧٤، والبيهقي في "الشعب" (٨٤٣٨)، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" ٩٦/٢-٩٧. قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٩) تفسير الطبري: ٦٢٩/٢١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٧.

(١١) إعراب القرآن: ٧٧/٤.

قال قتادة: " يعني بذلك: عيسى ابن مريم، ما عدا ذلك عيسى ابن مريم، إن كان إلا عبداً أنعم الله عليه"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} [الزخرف: ٥٩]، أي: " وجعلناه آية وعبرة لبني إسرائيل يُستدل بها على قدرتنا"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: " يقول: وجعلناه آية لبني إسرائيل، وحجة لنا عليهم بإرسالناه إليهم بالدعاء إلينا، وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى، تعالى الله عن ذلك"<sup>(٣)</sup>.

عن قتادة: " {وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل}، أي: آية"<sup>(٤)</sup>.

عن ابن ثور، عن قتادة: " {مثلاً لبني إسرائيل}، أحسبه قال: آية لبني إسرائيل"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : دلالة وحجة وبرهانا على قدرتنا على ما نشاء"<sup>(٦)</sup>.

قال النحاس: " يعني: عيسى صلى الله عليه وسلم أي يدلهم على نبوته، وقال غيره وصفناه لبني إسرائيل بأنه مثل لآدم عليه السلام. وقيل: مثل ومثل واحد أي هو بشر مثلهم"<sup>(٧)</sup>.

قال السعدي: " يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

### {وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ} [الزخرف: ٦٠]

التفسير:

ولو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يخلف بعضهم بعضاً بدلاً من بني آدم.

قال الطبري: يقول: " ولو نشاء معشر بني آدم أهلكناكم، فأفنينا جميعكم، وجعلنا بدلاً منكم في الأرض ملائكة يخلفونكم فيها يعبدونني وذلك نحو قوله تعالى ذكره: {إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ أَيْهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا} [النساء: ١٣٣]، وكما قال: {إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ} [الأنعام: ١٣٣]"<sup>(٩)</sup>.

وقال السعدي: " أي: لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يخلفونكم في الأرض، ويكونون في الأرض حتى نرسل إليهم ملائكة من جنسهم، وأما أنتم يا معشر البشر، فلا تطيقون أن ترسل إليكم الملائكة، فمن رحمة الله بكم، أن أرسل إليكم رسلاً من جنسكم، تتمكنون من الأخذ عنهم"<sup>(١٠)</sup>.

وفي قوله تعالى: {فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ} [الزخرف: ٦٠]، وجوه من التفسير:

أحدها: ملائكة يخلف بعضها بعضاً، قاله ابن عباس<sup>(١١)</sup>، وفتادة<sup>(١٢)</sup>.

قال قتادة: " لو شاء الله لجعل في الأرض ملائكة يخلف بعضهم بعضاً"<sup>(١٣)</sup>.

قال فتادة: " يخلف بعضهم بعضاً، مكان بني آدم"<sup>(١٤)</sup>.

قال الزجاج: " معنى {يَخْلُفُونَ}: يخلف بعضهم بعضاً، والمعنى: لجعلنا منهم بدلاً منكم"<sup>(١٥)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٦٢٩/٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٣.

(٣) تفسير الطبري: ٦٢٩/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٧.

(٧) إعراب القرآن: ٧٧/٤.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٣٤٦/١.

(٩) تفسير الطبري: ٦٣٠/٢١.

(١٠) تفسير السعدي: ٧٦٨.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٠/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٠/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٣١/٢١.

(١٤) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢١.

الثاني : ملائكة يكونون خلفاً منكم، قاله السدي<sup>(٢)</sup>.  
قال الزمخشري: أي: " {وَلَوْ نَشَاءُ} لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر، {لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ} لولدتنا منكم يا رجال {مَلَائِكَةً} يخلفونكم في الأرض كما يخلفكم أولادكم، كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل، لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة، ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد إلا من أجسام، وذات القديم متعالية عن ذلك"<sup>(٣)</sup>.  
الثالث : ملائكة يكونون رسلاً إليكم بدلاً من الرسل منكم. حكاه الماوردي<sup>(٤)</sup>.  
الرابع: ملائكة يعمرن الأرض بدلاً منكم ، قاله مجاهد<sup>(٥)</sup>، واختاره ابن أبي زمنين<sup>(٦)</sup>.  
وقال الثعلبي: " يعني: يكونون خلفاً منكم فيعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني"<sup>(٧)</sup>.  
قال الراغب: " خلف فلان فلانا، أي: قام بالأمر عنه، إما معه وإما بعده"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

**{وَأِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١)} [الزخرف : ٦١]**

التفسير:

وإن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة لدليل على قُرب، وقوع الساعة، فلا تشكُّوا أنها واقعة لا محالة، واتبعون فيما أخبركم به عن الله تعالى، هذا طريق قويم إلى الجنة، لا اعوجاج فيه.

قوله تعالى: {وَأِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ} [الزخرف : ٦١]، أي: " وإن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة لدليل على قُرب، وقوع الساعة"<sup>(٩)</sup>.

قال السعدي: " أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة، وأن القادر على إيجادها من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم، أو وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة"<sup>(١٠)</sup>.

واختلف في قوله تعالى: {وَأِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ} [الزخرف : ٦١]، على وجوه:  
أحدها : أن خروج عيسى علم الساعة لأنه من علامة القيامة وشروط الساعة ، قاله ابن عباس<sup>(١١)</sup>، ومجاهد<sup>(١٢)</sup>، وقتادة<sup>(١٣)</sup>، والضحاك<sup>(١٤)</sup>، والسدي<sup>(١٥)</sup>، وابن زيد<sup>(١٦)</sup>، ومقاتل<sup>(١٧)</sup>.

قال ابن قتيبة: " أي: نزول المسيح -عليه السلام- يُعلم به قرب الساعة"<sup>(١٨)</sup>.  
قال الزمخشري: " {وَأِنَّهُ} : وإن عيسى عليه السلام، {لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ}، أي: شرط من أشراتها تعلم به، فسمى الشرط علماً لحصول العلم به"<sup>(١٩)</sup>.

(١) معاني القرآن: ٤١٧/٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢١.

(٣) الكشاف: ٢٦١/٤.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٣٥/٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٠/٢١.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ١٩٠/٤.

(٧) الكشاف والبيان: ٣٤١/٨.

(٨) المفردات في غريب القرآن: ٢٩٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠) تفسير السعدي: ٧٦٨.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٣١/٢١-٦٣٢.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢١.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢١.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢١.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٢/٢١.

(١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٠/٣.

(١٨) غريب القرآن: ٤٠٠.

قال عطاء الخراساني: "يقال: إذا جاء عيسى فهو آن للساعة"<sup>(٢)</sup>.  
قال الزجاج: "المعنى: أن ظهورَ عيسى ابن مريم عليه السلام علمٌ للسَّاعة، أي: إذا ظهر  
دلٌّ على مجيء الساعة"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: نزوله من السماء علامة للساعة"<sup>(٤)</sup>.  
عن جابر، قال: "كان ابن عباس يقول: ما أدري علم الناس بتفسير هذه الآية، أم لم  
يفطنوا لها؟ {وإنه لعلم للساعة}، قال: نزول عيسى ابن مريم"<sup>(٥)</sup>.  
عن مجاهد، قوله: " {وإنه لعلم للساعة}، قال: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل  
يوم القيامة"<sup>(٦)</sup>.

قال قتادة: "نزول عيسى ابن مريم علم للساعة: القيامة"<sup>(٧)</sup>.  
قال الضحاك: "يعني: خروج عيسى ابن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة"<sup>(٨)</sup>.  
روي عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الأنبياء إخوة لعلات،  
أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه  
نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران كأن  
رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس  
إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم  
تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئب مع الغنم،  
ويلعب الصبيان بالحيات، لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه  
المسلمون"<sup>(٩)</sup>.

عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: "إن كان ما يقول أبو هريرة حقا فهو عيسى يقول الله:  
{وإنه لعلم للساعة} [الزخرف: ٦١]"<sup>(١٠)</sup>.  
وحكى ابن عيسى عن قوم أنهم قالوا: "إذا نزل عيسى رفع التكليف لئلا يكون رسولا  
إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم"<sup>(١١)</sup>.  
قال الماوردي: " وهذا قول مردود لثلاثة أمور: للحديث الذي قدمناه<sup>(١٢)</sup>، ولأن بقاء الدنيا  
يقضي بقاء التكليف فيها، ولأنه ينزل أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وليس يستنكر أن يكون  
أمر الله تعالى مقصوراً على تأييد الإسلام والأمر به والدعاء إليه"<sup>(١)</sup>.

- 
- (١) الكشف: ٢٦١/٤.  
(٢) الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء  
الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (٢٣٠): ص ٩٢/١.  
(٣) معاني القرآن: ٤١٧/٤.  
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٠/٣.  
(٥) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢١.  
(٦) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢١.  
(٧) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢١.  
(٨) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢١.  
(٩) أخرجه أحمد في المسند (٩٢٧٠): ص ١٥٣/١٥٤-١٥٤، فيه سنده قتادة، وهو مدلس وقد عنعن، وذكر ابن أبي  
حاتم في "المراسيل" (٦٣٣) عن أبيه، عن إسحاق بن منصور، عن ابن معين أنه قال: لم يسمع قتادة من عبد  
الرحمن مولى أم برثن. فعلى هذا يكون الإسناد منقطعاً،  
ومع ذلك فقد صححه الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٤٩٣/٦، وقال الحافظ ابن كثير في "نهاية البداية" ١٨٨/١:  
هذا إسناد جيد قوي!  
وأخرجه الحاكم ٥٩٥/٢ عن عفان بن مسلم، بهذا الإسناد. وصححه، ووافقه الذهبي.  
وأخرجه أبو داود (٤٣٢٤)، وابن حبان (٦٨٢١) من طريق هذبة بن خالد، عن همام بن يحيى، به. ورواية  
أبي داود مختصرة.  
(١٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٧٨٠): ص ١٧٣/٣.  
(١١) النكت والعيون: ٢٣٦/٥.  
(١٢) حديث أبي هريرة السابق.

وقال مقاتل: "ينزل على ثنية أفيق- وهو جبل بيت المقدس يقال له: أفيق-، عليه مصصرتان دهين الرأس معه حربة، يقتل بها الدجال"<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أن القرآن علم الساعة لما فيه من البعث والجزاء ، قاله الحسن<sup>(٣)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(٤)</sup>.

قال الزجاج: "قيل: إنه يعني به أن القرآن العَلْمُ للساعة، يدل على قرب مجيئها، والدليل على ذلك قوله: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١]"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاجي: "العلم: الراية التي إليها مجمع الجند، وقد قرئ: {وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ}، بالفتح فيما حكاه الخليل، قال: يعني خروج عيسى عليه السلام أنه علامة للساعة"<sup>(٦)</sup>.

الثالث: أن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى ، قاله ابن إسحاق<sup>(٧)</sup>.

قال الزجاج: القول "الأول أكثر في التفسير"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "الصحيح أن الضمير في {وَإِنَّهُ} عائد على عيسى عليه السلام، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}، أي : قبل موت عيسى، عليه الصلاة والسلام، ثم {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء : ١٥٩]، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى : «وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ»، أي : أمانة ودليل على وقوع الساعة"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: "وأهل السنة يؤمنون بنزول عيسى وقتله الدجال وقال عز وجل: {وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ} [الزخرف : ٦١]، يعني: عيسى"<sup>(١٠)</sup>.

وقرأ ابن عباس: «لَعَلْمٌ»، وقد حكي عنه: {لَعَلْمٌ}، وفي قراءة أبي: «وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِلسَّاعَةِ»<sup>(١١)</sup>.

قال النحاس: "وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ": قراءة أكثر الناس"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا} [الزخرف : ٦١]، أي: "فلا تشكوا في أمر الساعة فإنها آتية لا محالة"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فلا تشكن فيها وفي مجيئها أيها الناس"<sup>(١٤)</sup>.

قال الزجاج: "أي: لا تشكُنَّ فيها"<sup>(١٥)</sup>.

عن السدي: "فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا}، قال: تشكون فيها"<sup>(١٦)</sup>.

قال الحسن: "فلا تشكُنَّ فيها"<sup>(١٧)</sup>.

قال القشيري: أي: "بنزوله بين يدي القيامة"<sup>(١٨)</sup>.

- 
- (١) النكت والعيون: ٢٣٦/٥.
- (٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٠/٣.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٣/٢١.
- (٤) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٣٦/٥.
- (٥) معاني القرآن: ٤١٧/٤.
- (٦) اشتقاق أسماء الله: ٥٨.
- (٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٣٦/٥.
- (٨) معاني القرآن: ٤١٧/٤.
- (٩) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٧.
- (١٠) أصول السنة: ١٩٢.
- (١١) انظر: وكتاب فيه لغات القرآن، للفراء: ١٢٩، ومعاني القرآن، للفراء: ٣٧/٣. وقال: "وكلُّ صواب متقارب في المعنى".
- (١٢) إعراب القرآن: ٧٧/٤.
- (١٣) صفوة التفاسير: ١٥١/٣.
- (١٤) تفسير الطبري: ٦٣٣/٢١.
- (١٥) معاني القرآن: ٤١٧/٤.
- (١٦) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢١.
- (١٧) تفسير البغوي ٧/ ٢٢٠.
- (١٨) لطائف الإشارات: ٣٧٢/٣.

قال السمعاني: "أي: لا تشكن في القيامة"<sup>(١)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: لا تشكوا فيها، إنها واقعة وكائنة لا محالة"<sup>(٢)</sup>.  
 قال السعدي: "أي: لا تشكن في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر"<sup>(٣)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَاتَّبِعُون هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [الزخرف: ٦١]، أي: "وقل لهم يا محمد: اتبعوا هُداي وشرعي، فإن هذا الذي أدعوكم إليه دينٌ قِيمٌ وطريق مستقيم"<sup>(٤)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "وأطيعون فاعملوا بما أمرتكم به، وانتهوا عما نهيتكم عنه، فإن اتباعكم إياي أيها الناس في أمري ونهي: طريق لا اعوجاج فيه، بل هو قويم"<sup>(٥)</sup>.  
 قال ابن كثير: "وَاتَّبِعُون" {وَاتَّبِعُون}، أي: فيما أخبركم به {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}<sup>(٦)</sup>.  
 قال السعدي: "وَاتَّبِعُون" بامتثال ما أمرتكم، واجتناب ما نهيتكم، {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} موصل إلى الله عز وجل"<sup>(٧)</sup>.  
 عن مجاهد، {صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}: "يعني: الإسلام: الدين الحق"<sup>(٨)</sup>.  
 عن مجاهد في قوله: "صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ"، قال: الحق"<sup>(٩)</sup>.

## القرآن

### {وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الزخرف: ٦٢]

التفسير:

ولا يصدنكم الشيطان بوساوسه عن طاعتي فيما أمركم به وأنهاكم عنه، إنه لكم عدو بين العداوة.

قوله تعالى: {وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ} [الزخرف: ٦٢]، أي: "ولا يصدنكم الشيطان بوساوسه عن طاعتي فيما أمركم به وأنهاكم عنه"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتي فيما أمركم وأنهاكم، فتخالفوه إلى غيره، وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا"<sup>(١١)</sup>.  
 قال البغوي: "لا يصرفنكم، {الشيطان} عن دين الله"<sup>(١٢)</sup>.  
 قال مقاتل: أي: "عن الهدى"<sup>(١٣)</sup>.  
 قال القشيري: أي: "عن الإيمان بالساعة وعن اتباع الإيمان بهداي"<sup>(١٤)</sup>.  
 قوله تعالى: {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الزخرف: ٦٢]، أي: "إنه لكم عدو بين العداوة"<sup>(١٥)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: إن الشيطان لكم عدو يدعوكم إلى ما فيه هلاككم، ويصدنكم عن قصد السبيل، ليوردكم المهالك، مبين قد أبان لكم عداوته، بامتناعه من السجود لأبيكم آدم، وإدلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسداً وبغياً"<sup>(١٦)</sup>.

(١) تفسير السمعاني: ١١٣/٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٧.

(٣) تفسير السعدي: ٧٦٨.

(٤) صفوة التفاسير: ١٥١/٣.

(٥) تفسير الطبري: ٦٣٣/٢١. [باختصار]

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٧.

(٧) تفسير السعدي: ٧٦٨.

(٨) تفسير مجاهد: ٣٣٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٨): ص ١٢٨٧/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١١) تفسير الطبري: ٦٣٣/٢١.

(١٢) تفسير البغوي: ٢٢٠/٧.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٠/٣.

(١٤) لطائف الإشارات: ٣٧٢/٣.

(١٥) التفسير الميسر: ٤٩٤.

- قال السعدي: أي: " حريص على إغوائكم، باذل جهده في ذلك" (٢).  
قال مطرف: وجدنا أغش عباد الله لعبيد الله، الشيطان" (٣).  
قال قتادة: " عادوه، فإنه يحق على كل مسلم عداوته، و عداوته، أن تعاديه بطاعة الله" (٤).  
فوائد الآيات: [٥٧-٦٢]:
- ١- بيان أن قريشا أوتيت الجدل والقوة في الخصومة.
  - ٢- ذم الجدل لغير إحقاق حق أو إبطال باطل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل.
  - ٣- شرف عيسى وعلو مكانته وأن نزوله إلى الأرض علامة كبرى من علامات قرب الساعة.
  - ٤- تقرير البعث والجزاء.
  - ٥- حرمة اتباع الشيطان لأنه يضل ولا يهدي.

### القرآن

**{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} [الزخرف: ٦٣]**

التفسير:

ولما جاء عيسى بني إسرائيل بالبينات الواضحات من الأدلة قال: قد جئتكم بالنبوة، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين، فاتقوا الله بامتنال أوامره واجتنب نواهيه، وأطيعوا فيما أمرتكم به من تقوى الله وطاعته.

قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ} [الزخرف: ٦٣]، أي: " ولما جاء عيسى بني إسرائيل بالبينات الواضحات من الأدلة" (٥).

قال الطبري: يقول: " ولما جاء عيسى بني إسرائيل بالواضحات من الأدلة" (٦).

وعن قتادة: " {وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ}، أي: بالإنجيل" (٧).

قال الزمخشري: " {بالبينات}: المعجزات. أو آيات الإنجيل والشرائع البينات الواضحات" (٨).

قوله تعالى: {قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ} [الزخرف: ٦٣]، أي: " قال: قد جئتكم بالنبوة" (٩).

قال الطبري: " قيل: عني بالحكمة في هذا الموضع: النبوة" (١٠).

عن السدي: " {قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ}، قال: النبوة" (١١).

قال الزمخشري: " {بالحكمة}، يعنى: الإنجيل والشرائع" (١٢).

قوله تعالى: {وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ} [الزخرف: ٦٣]، أي: " ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور الدين" (١٣).

(١) تفسير الطبري: ٦٣٣/٢١-٦٣٤.

(٢) تفسير السعدي: ٧٦٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٥٣): ص ٣٧١/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٣٥): ص ٢١٠٢/٧-٢١٠٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(٦) تفسير الطبري: ٦٣٤/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢١.

(٨) الكشف: ٢٦٢/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٦٣٤/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢١.

(١٢) الكشف: ٢٦٢/٤.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٩٤.

قال الطبري: "يقول: ولأبين لكم معشر بني إسرائيل بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة"<sup>(١)</sup>.

عن مجاهد، قوله: {وَلَا يُبَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ}، قال: "يعني به: تبديل اليهود التوراة"<sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل: "من الحلال والحرام، فبين لهم ما كان حرم عليهم من الشحوم واللحوم وكل ذي ظفر، فأخبرهم أنه لهم حلال في الإنجيل غير أنهم يقيمون على السبت"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: "فإن قلت: هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه؟ قلت: كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه، وإنما بعث ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعينهم من أمر دينهم"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "قد كان بينهم اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم، فقال لهم: أبين لكم بعض ذلك، وهو أمر دينهم دون ما هم فيه مختلفون من أمر دنياهم"<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو عبيدة: "«البعض» -هاهنا- «الكل». قال لبيد بن ربيعة"<sup>(٦)</sup>:  
تَرَاكُ أَمْكِنَةٌ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا ... أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النَّفُوسِ حِمَامُهَا  
الموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض"<sup>(٧)</sup>.

وقد رد الطبري هذا القول، وقال: وإنما أراد الشاعر نفسه فقط، وعبر بالبعض عنها"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "وهذا الذي قاله [ابن جرير] محتمل"<sup>(٩)</sup>.  
قوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} [الزخرف: ٦٣]، أي: "فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتنب نواهيه، وأطيعوا فيما أمرتكم به من تقوى الله وطاعته"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته، وخافوه باجتنب معاصيه، وأطيعوا فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره، وقبول نصيحتي لكم"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: ":{فَاتَّقُوا اللَّهَ}، أي: فيما أمركم به، {وَأَطِيعُوا}، فيما جئتمكم به"<sup>(١٢)</sup>.

قال محمد بن إسحاق: {وَاتَّقُوا اللَّهَ}، أي: أطيعوا الله"<sup>(١٣)</sup>.  
قال عطاء: "طاعة الرسول، اتباع الكتاب والسنة"<sup>(١٤)</sup>.

## القرآن

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤)} [الزخرف: ٦٤]

التفسير:

إن الله سبحانه وتعالى هو ربي وربكم جميعاً فاعبدوه وحده، ولا تشركوا به شيئاً، هذا الذي أمرتكم به من تقوى الله وإفراده بالألوهية هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الحق الذي لا يقبل من أحد سواه.

(١) تفسير الطبري: ٦٣٤/٢١.

(٢) تفسير مجاهد: ٥٩٥، وأخرجه الطبري: ٦٣٤/٢١-٦٣٥.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٠/٣.

(٤) الكشاف: ٢٦٢/٤.

(٥) تفسير الطبري: ٦٣٥/٢١.

(٦).

(٧) مجاز القرآن: ٦٣٥/٢١.

(٨) تفسير الطبري: ٦٣٥/٢١.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١١) تفسير الطبري: ٦٣٥/٢١.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٧.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٧٠٠)، (٩٨٥٤): ص ١١٨٩/٤.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٨٥٣): ص ٤٩٦/٨.



قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ} [الزخرف: ٦٤]، أي: "إن الله سبحانه وتعالى هو ربي وربكم جميعاً فاعبدوه وحده، ولا تشركوا به شيئاً"<sup>(١)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: إن الله الذي يستوجب علينا إفراده بالألوهية وإخلاص الطاعة له، ربي وربكم جميعاً، فاعبدوه وحده، لا تشكروا معه في عبادته شيئاً، فإنه لا يصلح، ولا ينبغي أن يُعبد شيء سواه"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: أنا وأنتم عبيد له، فقراء إليه، مشتركون في عبادته وحده لا شريك له"<sup>(٣)</sup>.

عن محمد بن جعفر بن الزبير: {فاتقوا الله وأطيعوا الله إن الله ربي وربكم}، تبرئاً من الذي يقولون فيه - يعني: ما يقول فيه النصارى - واحتجاجاً لربه عليهم"<sup>(٤)</sup>.  
عن محمد بن إسحاق: "ومن عهد عيسى إليهم حين أخبرهم عن نفسه، وموته: {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} عن نفسه وعنهم، أنهم عبيد الله، ثم صمت كما يذكرون، فلم يتكلم بعد ذلك، وهو في حجر أمه يغذي بما يغذي به بنو آدم من الطعام والشراب، حتى انتهى إلى أن كان ابن سبع سنين أو ثمان، وقد كذبوا بكل ما سمعوا منه، وما يدعونه بينهم إلا بابتهاج بما تسمى به البغي، يقول الله عز وجل: {وقولهم على مریم بهتاتاً عظيماً} حتى إذا بلغ السبع أو العشر أو نحو ذلك أدخلته الكتاب فيما يزعمون"<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [الزخرف: ٦٤]، أي: "هذا الذي أمرتكم به من تقوى الله وإفراده بالألوهية هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الحق الذي لا يقبل من أحد سواه"<sup>(٦)</sup>.  
عن محمد بن جعفر بن الزبير: {فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}، أي: هذا الذي قد حملتكم عليه وجنتكم به"<sup>(٧)</sup>.  
عن محمد بن إسحاق: {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} أي "هذا الهدى قد حملتكم عليه وجنتكم به"<sup>(٨)</sup>.

عن مجاهد في قوله: {صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}، قال: الحق"<sup>(٩)</sup>.  
قال مقاتل: "يعني: هذا التوحيد دين مستقيم"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: هذا الذي أمرتكم به من اتقاء الله وطاعته، وإفراد الله بالألوهية، هو الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي لا يقبل من أحد من عباده غيره"<sup>(١١)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: هذا الذي جنتكم به هو الصراط المستقيم، وهو عبادة الرب، عز وجل، وحده"<sup>(١٢)</sup>.  
قال النحاس: "أي: هذا طريق واضح"<sup>(١٣)</sup>.

## القرآن

{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥)} [الزخرف: ٦٥]

- (١) التفسير الميسر: ٤٩٤.
- (٢) تفسير الطبري: ٦٣٥/٢١-٦٣٦.
- (٣) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٧.
- (٤) أخرجه الطبري (٧١١٩): ٤٤١/٦.
- (٥) أخرجه ابن المنذر (٥٠٦): ص ٢١٤/١.
- (٦) التفسير الميسر: ٤٩٤.
- (٧) أخرجه الطبري (٧١١٩): ٤٤١/٦.
- (٨) أخرجه ابن المنذر (٥٠٦): ص ٢١٤/١.
- (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٨): ص ١٢٨٧/٤.
- (١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٠/٣.
- (١١) تفسير الطبري: ٦٣٦/٢١.
- (١٢) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٧.
- (١٣) معاني القرآن: ٤٠٤/١.

التفسير:

فاختلفت الفرق في أمر عيسى عليه السلام، وصاروا فيه شيعاً: منهم مَنْ يُقَرُّ بأنه عبد الله ورسوله، وهو الحق، ومنهم مَنْ يزعم أنه ابن الله، ومنهم مَنْ يقول: إنه الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فهلاك وعذاب أليم يوم القيامة لمن وصفوا عيسى بغير ما وصفه الله به.

قوله تعالى: {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ} [الزخرف: ٦٥]، أي: "فاختلفت الفرق في أمر عيسى عليه السلام، وصاروا فيه شيعاً"<sup>(١)</sup>.

قال قتادة: "فاختلفوا فيه فصاروا أحزاباً"<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري: "الأحزابُ: الفرق المتحزبة بعد عيسى"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: اختلفت الفرق وصاروا شيعاً فيه، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله - وهو الحق - ومنهم من يدعي أنه ولد الله، ومنهم من يقول: إنه الله - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "فلما جاءهم عيسى عليه السلام بهذا {اختلفت الأحزاب} المتحزبون على التكذيب {من بينهم} كل قال بعيسى عليه السلام مقالة باطلة، ورد ما جاء به، إلا من هدى الله من المؤمنين، الذين شهدوا له بالرسالة، وصدقوا بكل ما جاء به، وقالوا: إنه عبد الله ورسوله"<sup>(٥)</sup>.

واختلف أهل التفسير في المعنيين بالأحزاب، الذين ذكرهم الله في هذا الموضع، على

أقوال:

أحدها: أنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى خالف بعضهم بعضاً، قاله مجاهد<sup>(٦)</sup>، والسدي<sup>(٧)</sup>.

قال مجاهد: "الأحزاب: أهل الكتاب"<sup>(٨)</sup>.

الثاني: أنهم الجماعة التي تناظرت في أمر عيسى، واختلفت فيه. قاله قتادة<sup>(٩)</sup>.

قال قتادة: "هم الأربعة الذين أخرجهم بنو إسرائيل يقولون في عيسى"<sup>(١٠)</sup>.

قال قتادة: "اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض فأحیی من أحیی وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية"، قال: وقال الثلاثة: كذبت، ثم قال اثنان منهم للثالث: قل فيه، فقال: هو ابن الله، وهم النسطورية، فقال اثنان: كذبت، ثم قال: أحد الاثنین للآخر: قل فيه قال: هو ثالث ثلاثة الله إله، وهو إله، وأمه إله وهم الإسرائيلية وهم ملوك النصارى، قال الرابع: كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته، وهم المسلمون، فكانت لكل رجل منهم أتباع على ما قال، فاقتتلوا فظهر على المسلمين، وذلك قول الله {ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس} [آل عمران: ٢١]<sup>(١١)</sup>.

الثالث: أنهم فرق النصارى: النسطورية والمار يعقوبية والملكانية، تحازبوا من بينهم في عيسى- عليه السلام- فقالت النسطورية: عيسى ابن الله. وقالت المار يعقوبية: إن الله هو المسيح

(١) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(٢) انظر: تفسير عبدالرزاق (١٧٦٥): ص ٣٥٨/٢.

(٣) الكشاف: ٢٦٢/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٧.

(٥) تفسير السعدي: ٧٦٨.

(٦) انظر: تفسير مجاهد: ٤٥٥، وتفسير ابن أبي حاتم (١٣١٣٣): ص ٢٤٠٩/٧.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٦/٢١.

(٨) انظر: تفسير مجاهد: ٤٥٥.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٦/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢١.

(١١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (١٧٦٥): ص ٣٥٨/٢، ورواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢٢٤/١-٢٢٥. [باختلاف في الالفاظ].

بن مريم، وقالت الملكانية: إن الله ثالث ثلاثة أحدهم الله. قاله يحيى بن سلام<sup>(١)</sup>، ومقاتل<sup>(٢)</sup>، والكلبي<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى: "يعني النصارى، فتجادلوا في عيسى، فقالت النسطورية: عيسى ابن الله، تعالى ربنا عن ذلك. وقالت اليعقوبية: {إن الله هو المسيح ابن مريم} [المائدة: ١٧] جل ربنا عن ذلك. وقال الملكانيون: {إن الله ثالث ثلاثة} [المائدة: ٧٣] قالوا: الله إله، وعيسى إله، ومريم إله. تعالى ربنا عن اتخاذ الأبناء ومحاوزة الشركاء، وتقدس عن ملامسة النساء. فهو كما وصف نفسه عز وجل"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "الصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: باختلاف الفرق المختلفون في عيسى ابن مريم من بين من دعاهم عيسى إلى ما دعاهم إليه من اتقاء الله والعمل بطاعته، وهم اليهود والنصارى، ومن اختلف فيه من النصارى، لأن جميعهم كانوا أحزابا مبتسليين مختلفي الأهواء مع بيانه لهم أمر نفسه، وقوله لهم: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ} [الزخرف: ٦٥]، أي: "فهلاك وعذاب أليم يوم القيامة لمن وصفوا عيسى بغير ما وصفه الله به"<sup>(٦)</sup>.  
قال مقاتل: "يعني: النصارى الذين قالوا في عيسى ما قالوا، {من عذاب يوم أليم}، يعني: يوم القيامة، وإنما سماه أليما لشدته"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره فالوادي السائل من القبيح والصديد في جهنم للذين كفروا بالله، الذين قالوا في عيسى ابن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه في هذه الآية {مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ}، يقول: من عذاب يوم مؤلم، ووصف اليوم بالإيلام، إذ كان العذاب الذي يؤلمهم فيه، وذلك يوم القيامة"<sup>(٨)</sup>.

قال السعدي: "أي: ما أشد حزن الظالمين وما أعظم خسارهم في ذلك اليوم"<sup>(٩)</sup>.  
عن السدي: "مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ}، قال: من عذاب يوم القيامة"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الزمخشري: "وعيد للأحزاب"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦)} [الزخرف: ٦٦]

التفسير:

هل ينتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى بن مريم إلا الساعة أن تأتيهم فجأة، وهم لا يشعرون ولا يفطنون؟

قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً} [الزخرف: ٦٦]، أي: "ل ينتظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى بن مريم إلا الساعة أن تأتيهم فجأة"<sup>(١٢)</sup>.

(١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢٢٣/١-٢٢٤.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠١/٣.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٣٧/٥.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٢٢٣/١-٢٢٤.

(٥) تفسير الطبري: ٦٣٦/٢١-٦٣٧.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠١/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٦٣٧/٢١.

(٩) تفسير السعدي: ٧٦٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢١.

(١١) الكشاف: ٢٦٢/٤.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٩٤.

قال الطبري: "يقول: هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون في عيسى ابن مريم، القائلون فيه الباطل من القول، إلا الساعة التي فيها تقوم القيامة فجأة؟"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن كثير: "يقول تعالى: هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسول {إلا الساعة أن تأتيهم بغتة}؟"<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري: "المعنى: هل ينظرون إلا إتيان الساعة"<sup>(٣)</sup>.  
قال الواحدي: "أي: هل يرتقبون إلا القيامة، يعني: أن تأتيهم لا محالة، فكأنهم يرتقبونها، وإن كانوا أمواتا فهم أيضا يرتقبونها، ولكن لا يدري، متى تفجأ؟"<sup>(٤)</sup>.

عن مجاهد: {أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة} [الأنعام: ٤٧]، يعني: «فجأة أمين»<sup>(٥)</sup>.  
قال قتادة: "قضى الله تبارك وتعالى ألا تأتيكم الساعة إلا بغتة"<sup>(٦)</sup>.  
قال قتادة: "قضى الله أنها لا تأتيكم إلا بغتة. وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: إن الساعة تهيج بالناس والرجل يُصلح حوضه، والرجل يسقي ماشيته، والرجل يقيم سلعته في السوق، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه"<sup>(٧)</sup>.

قال الراغب: "النظر: تقيب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الروية.. والنظر: الانتظار. يقال: نظرتُه وانتظرتُه وأنظرتُه. أي: أخرتُه"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [الزخرف: ٦٦]، أي: "وهم لا يشعرون ولا يفطنون؟"<sup>(٩)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: وهم لا يعلمون بمجيئها"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الزمخشري: "أي: وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم، كقوله تعالى: {تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ}، ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: فإنها كائنة لا محالة وواقعة، وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين لها فإذا جاءت إنما تجيء وهم لا يشعرون بها، فحينئذ يندمون كل الندم، حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم"<sup>(١٢)</sup>.

قال أهل العلم: "وقد أخفى الله تعالى أمر الساعة وزمان قيامها ليكون أبلغ في الإنذار والتخويف"<sup>(١٣)</sup>.

فوائد الآيات: [٦٣-٦٦]:

- ١- بيان رسالة عيسى إلى بني إسرائيل.
- ٢- وجوب التقوى لله وطاعة الرسول، وتوحيد الله في عبادته.
- ٣- بيان شؤم الخلاف، وما يجره من التوغل في الكفر والفساد.
- ٤- وعيد الله لليهود والنصارى الذين لم يدخلوا في الإسلام بالويل وهو عذاب يوم أليم.

## القرآن

- (١) تفسير الطبري: ٦٣٧/٢١.
- (٢) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٧.
- (٣) الكشاف: ٢٦٣/٤.
- (٤) التفسير الوسيط: ٨٠/٤.
- (٥) تفسير مجاهد: ٣٢١.
- (٦) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢٥٦/١، والطبري (١٥٤٧٩): ص ٢٩٧/١٢.
- (٧) أخرجه الطبري (١٥٤٧٩): ص ٢٩٧/١٢.
- (٨) المفردات في غريب القرآن: ٨١٢-٨١٣.
- (٩) التفسير الميسر: ٤٩٤.
- (١٠) تفسير الطبري: ٦٣٧/٢١.
- (١١) الكشاف: ٢٦٣/٤.
- (١٢) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٧.
- (١٣) حكاة السمعاني في "التفسير": ١١٤/٥.

## {الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧)} [الزخرف: ٦٧]

التفسير:

الأصدقاء على معاصي الله في الدنيا يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة، لكن الذين تصادقوا على تقوى الله، فإن صداقتهم دائمة في الدنيا والآخرة.  
سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وعقبة ابن أبي معيط قتلا جميعا وذلك أن عقبة كان يجالس النبي- صلى الله عليه وسلم- ويستمع إلى حديثه، فقالت قريش: قد صبا عقبة وفارقنا. فقال له أمية بن خلف: وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدا فلم تنتقل في وجهه، حتى يعلم قومك أنك غير مفارقهم، ففعل عقبة ذلك فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: أما أنا لله علي لئن أخذتك خارجا من الحرم لأهريقن دمك. فقال له: يا بن أبي كبشة، ومن أين تقدر علي خارجا من الحرم، فتكون لك مني السوء. فلما كان يوم بدر أسر، فلما عاينه النبي- صلى الله عليه وسلم- ذكر نذره فأمر علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- فضرب عنقه فقال عقبة: يا معشر قريش، ما بالي أقتل من بينكم؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- بتكذيبك الله ورسوله. فقال: من أولادي. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: لهم النار"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "المتخالون يوم القيامة على معاصي الله في الدنيا، بعضهم لبعض عدو، يتبرأ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله"<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري: "أى: تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين في غير ذات الله، وتنقلب عداوة ومقتا، إلا خلة المتصادقين في الله، فإنها الخلة الباقية المزدادة قوة إذا رأوا ثواب التحاب في الله تعالى والتباغض في الله. وقيل: {إِلَّا الْمُتَّقِينَ}، إلا المجتنبين أخلاء السوء"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أى: كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله، عز وجل، فإنه دائم بدوامه. وهذا كما قال إبراهيم، عليه السلام، لقومه: {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَأَتُهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [العنكبوت: ٢٥]"<sup>(٤)</sup>.

قال الشوكاني: "أى: الأخلاء في الدنيا المتحابون فيها يوم تأتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو، أى: يعادي بعضهم بعضا، لأنها قد انقطعت بينهم العلائق، واشتغل كل واحد منهم بنفسه، ووجدوا تلك الأمور التي كانوا فيها أخلاء أسبابا للعذاب فصاروا أعداء. ثم استثنى المتقين فقال: {إِلَّا الْمُتَّقِينَ}، فإنهم أخلاء في الدنيا والآخرة، لأنهم وجدوا تلك الخلة التي كانت بينهم من أسباب الخير والثواب، فبقيت خلتهم على حالها"<sup>(٥)</sup>.

قال السعدي: "لأن خلتهم ومحبتهم في الدنيا لغير الله، فانقلبت يوم القيامة عداوة. {إِلَّا الْمُتَّقِينَ} للشرك والمعاصي، فإن محبتهم تدوم وتتصل، بدوام من كانت المحبة لأجله"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عباس: "فكل خلة هي عداوة إلا خلة المتقين"<sup>(٧)</sup>.

قال مجاهد: "فكل خلة على معصية الله في الدنيا متعادون"<sup>(٨)</sup>.

قال الباقلاوي: "قوله: {الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} هو في نهاية المنع من الخلة إلا على التقوى"<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠١/٣-٨٠٢.

(٢) تفسير الطبري: ٦٣٧/٢١.

(٣) الكشف: ٢٦٣/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٧.

(٥) فتح القدير: ٦٤٤/٤.

(٦) فتح القدير: ٧٦٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢١.

(٩) إجاز القرآن: ٢٨٢.

قال القشيري: " ما كان لغير الله فماله إلى الضياع. والأخلاء الذين اصطحبوا على مقتضى الهوى بعضهم لبعض عدو يتبرأ بعضهم من بعض، فلا ينفع أحد أحداً، وأمّا الأخلاء في الله فيشفع بعضهم في بعض، ويتكلم بعضهم في شأن بعض، أولئك هم المتقون الذين استثناهم الله بقوله: {إِنَّمَا الْمُتَّقِينَ} "(١).

قال قتادة: " صارت كلّ خُلة عداوة على أهلها يوم القيامة، إلا خُلة المتقين. قال: ودُكر لنا: أنّ نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «الأخلاء أربعة: مؤمنان وكافران، فمات أحد المؤمنين، فسُئل عن خليله، فقال: اللهم، لم أرَ خليلًا أمرَ بمعروف ولا أنهى عن منكر منه، اللهم، اهده كما هديتني، وأمته على ما أمّنتي عليه. ومات أحد الكافرين، فسُئل عن خليله، فقال: اللهم، لم أرَ خليلًا أمرَ بمنكر منه، ولا أنهى عن معروف منه، اللهم، أضله كما أضلتني، وأمته على ما أمّنتي عليه. قال: ثم يُبعثون يوم القيامة، فقال: ليُثنى بعضكم على بعض. فأما المؤمنان فأتنى كلُّ واحد منهما على صاحبه كأحسن الثناء، وأما الكافران فأتنى كلُّ واحد منهما على صاحبه كأقبح الثناء» "(٢).

عن كعب، قال: "يؤتى بالرئيس في الخير يوم القيامة فيقال: أجب ربك فينطلق به إلى ربه فلا يحجب عنه فيؤمر به إلى الجنة فيرى منزله ومنازل أصحابه الذين كانوا يجمعونه على الخير ويعينونه عليه فيقال هذه منزلة فلان وهذه منزلة فلان فيرى ما أعد الله في الجنة من الكرامة ويرى منزلته أفضل من منازلهم ويكسى من ثياب الجنة ويوضع على رأسه تاج ويعلقه من ريح الجنة ويشرق وجهه حتى يكون مثل القمر ليلة البدر فيخرج فلا يراه أهل ملاً إلا قالوا: اللهم اجعله منهم حتى يأتي أصحابه الذين كانوا يجمعونه على الخير ويعينونه عليه فيقول أبشر يا فلان فإن الله أعد لك في الجنة كذا وأعد لك في الجنة كذا وكذا فلا يزال يخبرهم بما أعد الله لهم في الجنة من الكرامة حتى يعلو وجوههم من البياض مثل ما علا وجهه فيعرفهم الناس ببياض وجوههم فيقولون هؤلاء أهل الجنة.

ويؤتى بالرئيس في الشر فيقال أجب ربك فينطلق به إلى ربه فيحجب عنه ويؤمر به إلى النار فيرى منزله ومنازل أصحابه فيقال هذه منزلة فلان وهذه منزلة فلان فيرى ما أعد الله فيها من الهوان ويرى منزلته شراً من منازلهم فيسود وجهه وتزرق عيناه ويوضع على رأسه قلنسوة من نار فيخرج فلا يراه أهل ملاً إلا تعودوا بالله منه فيقول ما أعاذكم الله مني أما تذكر يا فلان كذا وكذا فيذكرهم الشر الذي كانوا يجمعونه ويعينونه عليه فما يزال يخبرهم بما أعد الله لهم في النار حتى يعلو وجوههم من السواد مثل الذي علا وجهه فيعرفهم الناس بسواد وجوههم فيقولون هؤلاء أهل النار "(٣).

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو أن رجلين تحابا في الله عز وجل واحد في المشرق وآخر في المغرب لجمع الله بينهما يوم القيامة يقول: هذا الذي كنت تحبه في "(٤).

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي "(٥).  
عن أبي إسحاق: " أن علياً رضي الله عنه قال: خليلان مؤمنان، وخليتان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا ربّ إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشرّ ويخبرني أنني ملائكتك يا ربّ فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما

(١) لطائف الإشارات: ٣٧٣/٣.

(٢) الدر المنثور: ٣٨٨ / ٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٣) الدر المنثور: ٣٨٨/٧-٣٨٩، وعزاه إلى ابن أبي شيبه.

(٤) مشكاة المصابيح: (٣ / ١٣٩٨، ح ٥٠٢٤)، "شعب الإيمان" للبيهقي: (٦ / ٤٩٢، ح ٩٠٢٢).

(٥) "مسند الإمام أحمد": (٢ / ٣٣٨). و"صحيح مسلم مع شرح النووي": (١٦ / ٣٥٩، ح ٣٧ / ٢٥٦٦)، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الحب في الله. "سنن الدارمي": (٢ / ٢٢١، ح ٢٧٦)، كتاب الرقائق، باب المتحابين في الله.

أكرممتي، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول: ليئن أحدكما على صاحبه فيقول: يا ربّ إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشرّ، ويخبرني أيّ ملائكتك، فيقول: نعم الخليل، ونعم الأخ، ونعم الصاحب؛ قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا ربّ إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشرّ، وينهاني عن الخير، ويخبرني أيّ غير ملائكتك، فيقول: بئس الأخ، وبئس الخليل، وبئس الصاحب" (١).

## القرآن

{يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨)} [الزخرف: ٦٨]

التفسير:

يقال لهؤلاء المتقين: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

قوله تعالى: {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} [الزخرف: ٦٨]، أي: "يقال لهؤلاء المتقين: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي" (٢).

قال مقاتل: "ولما كان يوم القيامة وقع الخوف، فقال: {يا عباد لا خوف عليكم}، يقول: رفع الله الخوف عن المؤمنين {اليوم}، يعنى: يوم القيامة" (٣).

قال الطبري: "في هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه. ومعنى الكلام: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، فإنهم يقال لهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من عقابي، فإنني قد أمنتكم منه برضاي عنكم" (٤).

قال الزجاج: "وإنما قيل {لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ} للمؤمنين لا لغيرهم" (٥).  
قوله تعالى: {وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} [الزخرف: ٦٨]، أي: "ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا" (٦).

قال الطبري: أي: "ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فإن الذي قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها" (٧).

عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: "سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلا فزع، فينادي مناد: يا عباد الله لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، فيرجوها الناس كلهم، قال: فيتبعها: {الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ}، قال: فيبأس الناس منها غير المسلمين" (٨).

## القرآن

{الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠)}

[الزخرف: ٦٩-٧٠]

التفسير:

الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بما جاءتهم به رسلهم، وكانوا منقادين لله ربّ العالمين بقلوبهم وجوارحهم، يقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وقرنائكم المؤمنون تُنعمون وتُسرون.

قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ} [الزخرف: ٦٩]، أي: "الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بما جاءتهم به رسلهم، وكانوا منقادين لله ربّ العالمين بقلوبهم وجوارحهم" (١).

(١) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٢/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٦٣٨/٢١.

(٥) معاني القرآن: ٤١٩/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(٧) تفسير الطبري: ٦٣٨/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٣٩/٢١.

قال الطبري: يقول: " يا عبادي الذين آمنوا وهم الذين صدقوا بكتاب الله ورسله، وعملوا بما جاءتهم به رسلمهم، وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم، وقبول منهم لما جاءتهم به رسلمهم عن ربهم على دين إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم، حنفاء لا يهود ولا نصارى، ولا أهل أوثان" (٢).

قال الزمخشري: " أي: الذين صدقوا بآياتنا {وَكَاثُوا} مخلصين وجوههم لنا، جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا" (٣).

قال ابن كثير: " أي: آمنت قلوبهم وبواطنهم، وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم" (٤).

قوله تعالى: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ} [الزخرف: ٧٠]، أي: " يقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وقرناؤكم المؤمنون تُنعمون وتُسروون" (٥).

قال الطبري: " يقول جل ثناؤه: ادخلوا الجنة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله، مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم" (٦).

قال ابن كثير: " أي: يقال لهم: ادخلوا الجنة {أنتم} ونظراؤكم، {تُحْبَرُونَ}، أي: تنعمون وتسعدون" (٧).

قال أبو عبيدة: أي: " تسرون، محبور: مسرور. قال العجاج (٨):  
فالحمد لله الذي أعطى الحبر" (٩).

قال ابن قتيبة: " الحبرة: " السرور" (١٠).

قال ابن حنون: يعني: " تُكرمون بلغة قيس عيلان وبني حنيفة" (١١).

قال الزجاج: {تُحْبَرُونَ}: " تكرمون إكراماً يبالغ فيه، والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل" (١٢).

عن قتادة، وابن زيد: " {تُحْبَرُونَ}، أي: تُنعمون" (١٣).

عن ابن عباس: {تُحْبَرُونَ}، قال: " تُكْرَمُونَ" (١٤). وروي عن السدي، مثله (١٥).

عن يحيى بن أبي كثير - من طريق الأوزاعي - في قوله: " {أنتم وأزواجكم تحبرون}، قال: السماع" (١٦).

عن يحيى بن أبي كثير، في قوله تعالى: {أنتم وأزواجكم تحبرون} [الزخرف: ٧٠] قال: قيل يا رسول الله ما الحبر؟ قال: «اللذة والسماع بما شاء الله من ذكره» (١٧).

(١) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(٢) تفسير الطبري: ٦٣٩/٢١.

(٣) الكشاف: ٢٦٣/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٣٨/٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(٦) تفسير الطبري: ٦٣٩/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٣٨/٧.

(٨) ديوانه: ٣٤. وعجزه:

موالي الحق إن المولى شكر

(٩) مجاز القرآن: ٢٠٥/٢.

(١٠) غريب القرآن: ٤٠٠.

(١١) اللغات في القرآن: ٤٤.

(١٢) معاني القرآن: ٤١٩/٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٤٠-٦٣٩/٢١.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٢٠): ص ٣٢٨٥/١٠.

(١٥) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١. وحكاه النحاس في إعراب القرآن عن ابن عباس: ٧٩/٤.

(١٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد ١/ ٤٧٩.

(١٧) تفسير عبدالرزاق (٢٧٨٦): ص ١٧٧/٣.



القرآن  
 {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ وَلَدُّ الْأَعْيُنِ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١)} [الزخرف: ٧١]

التفسير:

يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسله في الجنة بالطعام في أوان من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب، وفيها لهم ما تشتهي أنفسهم وتلذه أعينهم، وهم ماكثون فيها أبداً.  
 قوله تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ} [الزخرف: ٧١]، أي: "يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسله في الجنة بالطعام في أوان من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بآياته في الدنيا إذا دخلوا الجنة في الآخرة بالطعام في صحاف من ذهب، وبالشراب في أكواب من ذهب"<sup>(٢)</sup>.  
 قال ابن كثير: "بصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ"، أي: زبادي أنية الطعام، {وَأَكْوَابٍ} وهي: أنية الشراب، أي: من ذهب لا خراطيم لها ولا عُرَى"<sup>(٣)</sup>.

وقوله: «بصِحَافٍ»: "هي جمع للكثير من: «الصَّحْفَةُ»، وهي: القصعة، {وَأَكْوَابٍ}، وهي: جمع كوب، والكوب: الإبريق المستدير الرأس، الذي لا أذن له ولا خرطوم، وإياه عنى الأعشى بقوله<sup>(٤)</sup>:  
 صَرِيْفِيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُهَا ... لَهَا زَبْدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنٍّ"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن قتيبة: "«الأكواب»: الأباريق لا عُرَى لها؛ ويقال: ولا خراطيمَ واحدها: «كُوبٌ»"<sup>(٦)</sup>.

عن السدي: "يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ"، قال: القصاص"<sup>(٧)</sup>، "وَأَكْوَابٍ"، قال: الأكواب التي ليست لها أذان"<sup>(٨)</sup>.

عن مجاهد: "بأكوابٍ"، الأكواب: التي ليس لها أذان"<sup>(٩)</sup>.  
 عن الضحاك: "الأكواب: جرار ليست لها عرى، وهي بالنبطية كوبا"<sup>(١٠)</sup>.  
 عن قتادة، {وَأَكْوَابٍ}، قال: "هي دون الأباريق، بلغنا: أنها مُدَوَّرَةُ الرَّأْسِ"<sup>(١١)</sup>.  
 قال قتادة: «الكوب الذي دون الإبريق ليس له عروة»"<sup>(١٢)</sup>.

قال كعب: "«يطاف عليهم بسبعين ألف صحيفة من ذهب في كل صحيفة لون طعام ليس في الأخرى»"<sup>(١٣)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(٢) تفسير الطبري: ٦٤٠/٢١-٦٤١. [بتصرف]

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٣٨/٧.

(٤) ديوانه: ١٧، وصريفية، منسوبة إلى صريفون: موضع بالعراق مشهور بجودة خمره. وقيل نسبت إلى الصريف وهو اللبن ساعة يطلب جعلها صريفية لأنها أخذت من الدن ساعتئذ أحضرت، كأنها أخذت قبل أن تمزج. والزبد. ما يعلوها عند تحريكها من الدن إلى الكوب من الفقاقيع. والكوب: الكوز الذي لا عروة له. أو هو الكوز المستدير الرأس الذي لا أذن له.

(٥) تفسير الطبري: ٦٤٠/٢١.

(٦) غريب القرآن: ٤٠٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢١.

(٩) أخرجه ابن جرير ١٠١/٢٣، في سورة الواقعة، وهناد (٦٩). وانظر: الدر المنثور: ٣٩٠/٧، وزاد نسبه إلى هناد.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.

(١١) أخرجه عبد الرزاق ٢/٢٧٠، وعبد بن حميد -كما في الفتح ٦/٣٢٢-، وابن جرير ٢٢/٢٩٧ في سورة الواقعة. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٢) تفسير عبدالرزاق (٣١٢٤): ص ٢٧٦/٣.

(١٣) تفسير عبدالرزاق (٢٧٨٨): ١٧٧/٣.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أدنى أهل الجنة منزلة إن له لسبع درجات، وهو على السادسة، وفوقه السابعة، وإن له ثلاث مائة خادم ويغدى عليه، ويراح كل يوم بثلاث مائة صحفة"، ولا أعلمه إلا قال: " من ذهب في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، ومن الأشرطة ثلاثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وإنه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض"<sup>(١)</sup>.

قال شعبة: "إن أدنى أهل الجنة منزلة، من له قصر فيه سبعون ألف خادم، في يد كل خادم صحفة سوى ما في يد صاحبها، لو فتح بابه فضاهاه أهل الدنيا لأوسعهم"<sup>(٢)</sup>.

عن سعيد، قال: "إن أخس أهل الجنة منزلاً من له سبعون ألف خادم، مع كل خادم صحفة من ذهب، لو نزل به جميع أهل الأرض لأوسعهم، لا يستعين عليهم بشيء من غيره، وذلك في قول الله تبارك وتعالى: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} ولهم {وَفِيهَا مَا تَشْتَهُهُ الْأَنْفُسُ وَتَلذُّ الْأَعْيُنُ}"<sup>(٣)</sup>.

عن عبد الله بن عمرو، قال: "ما أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام، كل غلام على عمل ما عليه صاحبه"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {وَفِيهَا مَا تَشْتَهُهُ الْأَنْفُسُ وَتَلذُّ الْأَعْيُنُ} [الزخرف: ٧١]، أي: " وفيها لهم ما تشتهي أنفسهم وتلذذ أعينهم"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: " لكم في الجنة ما تشتهي نفوسكم أيها المؤمنون، وتلذذ أعينكم"<sup>(٦)</sup>. قال ابن كثير: " {وَتَلذُّ الْأَعْيُنُ}، أي: طيب الطعم والريح وحسن المنظر"<sup>(٧)</sup>.

قال الماتريدي: " قوله - عز وجل - : { وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذذ الأعين } فذلك في الجنة ليس كنعيم الدنيا؛ لأن في الدنيا قد يشتهي شيئاً ولا تلذذ به العيون والله أعلم.

ويحتمل أنه إنما ذكر ذلك في الآخرة؛ لما منعوا وحرموا في الدنيا ما اشتهدت أنفسهم الانتفاع به والتلذذ؛ عوضاً وبدلاً عما كفوا أنفسهم في الدنيا عن الانتفاع بذلك، وإعطاء الأنفس، أو حرموا ومنعوا وحيل بينهم وبين ذلك وما تلذذ به الأعين لما غصوا أبصارهم في الدنيا عما لا يحل والله أعلم"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف: ٧١]، أي: " وهم ماكثون فيها أبداً"<sup>(٩)</sup>.

قال مقاتل: " لا تموتون"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وأنتم فيها ماكثون، لا تخرجون منها أبداً"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: " أي: لا تخرجون منها ولا تبغون عنها حولا"<sup>(١٢)</sup>.

عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " من يدخل الجنة ينعم، لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه"<sup>(١٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٠٩٣٢): ص ١٦/٤٤٤-٥٤٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١-٦٤١.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١-٦٤١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(٦) تفسير الطبري: ٦٤٢/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٣٩/٧.

(٨) تأويلات أهل السنة: ١٨٥/٩.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٢/٣.

(١١) تفسير الطبري: ٦٤٢/٢١.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٣٩/٧.

(١٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة، باب في دوام نعيم الجنة، (٤/٢١٨١)، ورقمه: ٢٨٣٦.

عن ابن سابط أن رجلا قال: «يا رسول الله إني أحب الخيل، فهل في الجنة خيل؟ فقال: "إن يدخلك الجنة إن شاء، فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء تطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت"، فقال أعرابي: يا رسول الله إني أحب الإبل، فهل في الجنة إبل؟ فقال: "يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة إن شاء الله، ففيها ما اشتئت نفسك، ولذت عينك"»<sup>(١)</sup>.

عن أبي ظبية السلفي، قال: "إن السرب من أهل الجنة لتظلم السحابة، قال: فنقول: ما أمطركم؟ قال: فما يدعو داع من القوم بشيء إلا أمطرتهم، حتى إن القائل منهم ليقول: أمطرينا كواعب أترابا"<sup>(٢)</sup>.

عن علي بن أبي الوليد، قال: "قيل لمجاهد: في الجنة سماع؟ قال: إن فيها لشجرا يقال له العيص، له سماع لم يسمع السامعون إلى مثله"<sup>(٣)</sup>.

عن سليمان بن عامر، قال: سمعت أبا أمامة، يقول: "إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الطائر وهو يطير، فيقع متقلبا نضيجا في كفه، فيأكل منه حتى تنتهي نفسه، ثم يطير، ويشتهي الشراب، فيقع الإبريق في يده، ويشرب منه ما يريد، ثم يرجع إلى مكانه"<sup>(٤)</sup>.  
وقرى: «تشتهي»، بغير هاء<sup>(٥)</sup>.

## القرآن

### {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢)} [الزخرف: ٧٢]

التفسير:

وهذه الجنة التي أورتكم الله إياها؛ بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الخيرات والأعمال الصالحات، وجعلها من فضله ورحمته جزاء لكم.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يقال لهم: وهذه الجنة التي أورتكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم بما كنتم في الدنيا تعملون من الخيرات"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، أي: أعمالكم الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يدخل أحدا عمله الجنة، ولكن بفضل من الله ورحمته وإنما الدرجات تفاوتها بحسب عمل الصالحات"<sup>(٢)</sup>.

قال الماتريدي: "نسب الجنة التي يعطيهم وما ذكر من الثواب إلى أعمالهم؛ فضلا منه وإنعاما، وكذلك ما ذكر من قوله - تعالى -: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ} [التوبة: ١١١]، ذكر أنه اشترى أنفسهم وأموالهم بالجنة يعطيهم، وأنفسهم وأموالهم في الحقيقة له، ولا أحد يشتري ملكه، وماله بمال نفسه وملكه، لكنه ذكر ذلك شراء إفضالا منه؛ كأن لا ملك له في ذلك ولا حق، وكذلك ما ذكر من الإقراض له بقوله: {وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [الحديد: ١٨] [المزمل: ٢٠]، ولا أحد يستقرض ماله وملكه من غيره، لكنه عاملهم معاملة من لا ملك له في أموالهم وأنفسهم بما جعل لهم من الثواب والعوض؛ فعلى ذلك نسبة الجنة والثواب الذي ذكر لهم إلى أعمالهم؛ إفضالا منه وإنعاما، وإن لم يستوجبوا ما ذكر بالأعمال"<sup>(٣)</sup>.

قال مجاهد: "يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره، ومنزل الذين من أهل النار، هم يرثون أهل النار، فلهم منزلان في الجنة وأهلان، وذلك أنه منزل في الجنة، ومنزل في النار،

(١) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٢/٢١.

(٦) تفسير الطبري: ٦٤٣/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٣٤٠-٢٣٩/٧.

(٨) تأويلات أهل السنة: ١٨٥/٩.

فأما المؤمن فَيُنْبِي منزله الذي في الجنة، ويهدم منزله في النار. وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة. وبيننا منزله الذي في النار" (١).

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة، فيقول: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧] وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ليكون له شكرا" (٢).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار، فالكافر يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة" وذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣).

عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ينادي مناد: أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وأن لكم أن تشبوا، ولا تهرموا، وأن لكم أن تنعموا، ولا تبأسوا أبدا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأُورِثُوا الْجَنَّةَ وَأُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤) (٥).

قال ابن مسعود: "تجوزون الصراط بعفو الله، وتدخلون الجنة برحمة الله، وتقتسمون المنازل بأعمالكم" (٦).

## القرآن

### {لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ} [الزخرف: ٧٣]

التفسير:

لكم في الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع منها تأكلون.  
قوله تعالى: {لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ} [الزخرف: ٧٣]، أي: "لكم في الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع" (٧).

قال الطبري: "يقول: لكم في الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع" (٨).

قال ابن كثير: "أي: من جميع الأنواع" (٩).

قوله تعالى: {مِنْهَا تَأْكُلُونَ} [الزخرف: ٧٣]، أي: "من الفاكهة تأكلون ما اشتهيتم" (١٠).

قال ابن كثير: "أي: مهما اخترتم وأردتم. ولما ذكر الله تعالى الطعام والشراب، ذكر بعده الفاكهة لتتم هذه النعمة والغبطة" (١١).

قال الماتريدي: "مثل هذا الوعد كأنه إنما جاء لأهل مكة، فكان لا فواكه لهم فيها ولا ثمار، يخبر أن لكم في الجنة من الفواكه الكثيرة ما لا يفني، ولا ينقطع، {منها تأكلون} تأكلون ما

(١) أخرجه الطبري: ٣١/١٩.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٤٠/٧.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٤٠/٧، ورواه أحمد في مسنده (٥١٢/٢) من طريق أبي بكر بن عياش به مختصرا.

(٤) [الأعراف: ٤٣].

(٥) أخرجه أحمد (١١٩٠٥). بص: ٤٠٠/١٨.

(٦) الدر المنثور: ٣٩٤/٧، وعزاه إلى هناد بن السري في "الزهد".

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٤.

(٨) تفسير الطبري: ٦٤٣/٢١.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٤٠/٧.

(١٠) تفسير الطبري: ٦٤٣/٢١.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٤٠/٧.

سنتم؛ فلا يؤذيكم ولا يضركم وإن أكثرتم. ويحتمل إنما ذكر؛ لما عرف من رغبة الناس إلى الفواكه والثمار في الدنيا، رغبتهم بها في الآخرة، وحثهم على رفع الهمم، والله أعلم<sup>(١)</sup>.  
وعن ثوبان قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " «إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى»"<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: « لا ينزع رجل من أهل الجنة من ثمرها شيئاً إلا نبت مكانها مثلاًها»<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث: «لا ينزع رجل من الجنة من ثمرة إلا نبت مكانها مثلاًها»<sup>(٤)</sup>.  
فوائد الآيات: [٦٧-٧٣]:

- ١- كل خلة يوم القيامة تنقطع إلا خلة كانت في الله والله سبحانه وتعالى، ولذا ينبغي أن تكون المودة في الدنيا لله لا لغيره تعالى.
- ٢- بيان فضل التقوى وشرف المتقين الذين يتقون الشرك والمعاصي.
- ٣- بيان أن الرجل يجمع الله بينه وبين زوجته المسلمة في الجنة.
- ٤- بيان نعيم أهل الجنة من طعام وشراب وسائر المستلذات.
- ٥- الجنة خالدة لا تفتنى ولا تبيد، وأهلها فيها خالدون، لا يرحلون عنها ولا يظعنون، ولا يببسون ولا يموتون
- ٦- الإيمان والعمل الصالح سبب في دخول الجنة كما أن الشرك والمعاصي سبب في دخول النار.

## القرآن

{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَّا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦)} [الزخرف : ٧٤-٧٦]  
التفسير:

إن الذين اكتسبوا الذنوب بكفرهم، في عذاب جهنم ماكنون، لا يخفف عنهم، وهم فيه آيسون من رحمة الله، وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بالعذاب، ولكن كانوا هم الظالمين أنفسهم بشركهم وجحودهم أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وترك اتباعهم لرسول ربهم.

قوله تعالى: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [الزخرف : ٧٤]، أي: "إن الذين اكتسبوا الذنوب بكفرهم، في عذاب جهنم ماكنون"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: " {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ} وهم الذين اجترموا في الدنيا الكفر بالله، فاجترموا به في الآخرة {فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ} ماكنون"<sup>(٦)</sup>.

قال السمعاني: " أي: مقيمون"<sup>(٧)</sup>.

قال مقاتل: " يعني: لا يموتون"<sup>(٨)</sup>.

قال البغوي: " {المجرمين}: المشركين"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {لَّا يُفْتَرُ عَنْهُمْ} [الزخرف : ٧٥]، أي: " لا يخفف عنهم العذاب"<sup>(١٠)</sup>.

(١) تاويلات أهل السنة: ١٨٦/٩.

(٢) مجمع الزوائد (١٨٧٣١): ص ٤١٤/١٠، قال: " رواه الطبراني، والبخاري إلا أنه قال: عيد في مكانها مثلاًها، ورجال الطبراني وأحد إسنادي البخاري ثقات".

(٣) صفة الجنة لأبي نعيم الأصفهاني (٣٤٥): ص ١٨٥/٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٩٧ / ٢٥، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧ / ٣٩٢ أيضاً لعبد بن حميد. قال الهيثمي في المجمع: ٤١٤ / ١٠ "رواه الطبراني والبخاري، ورجال الطبراني وأحد إسنادي البخاري ثقات".

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٦) تفسير الطبري: ٦٤٣/٢١.

(٧) تفسير السمعاني: ١١٦/٥.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٢/٣.

(٩) تفسير البغوي: ٢٢٢/٧.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٣/٢١.

قال مقاتل: أي: "العذاب طرفة عين" (١).  
قال الزمخشري: أي: "لا يخفف ولا ينقص، من قولهم: فترت عنه الحمى إذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها" (٢).  
قال الطبري: "أصل الفتور: الضعف" (٣).  
قوله تعالى: {وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [الزخرف : ٧٥]، أي: "وهم فيه آيسون من رحمة الله" (٤).  
قال الطبري: "يقول: وهم في عذاب جهنم مبلسون، و«المبلس» -في هذا الموضع-: هو الآيس من النجاة الذي قد قنط فاستسلم للعذاب والبلاء" (٥).  
عن قتادة: "وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ"، أي: مستسلمون" (٦). وفي رواية قال: "آيسون" (٧).  
قال ابن قتيبة: "أي: يأسون من رحمة الله" (٨).  
عن السدي: "وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ": متغير حالهم" (٩).  
قال الزجاج: "المبلس: الساكت المُمسِكُ إمساك يائس من فرج" (١٠).  
قال النحاس: "المبلس: المتحير الذي قد يئس من الخير" (١١).  
قال الزمخشري: "المبلس: اليائس الساكت سكوت يأس من فرج" (١٢).  
قوله تعالى: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ} [الزخرف : ٧٦]، أي: "وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بالعذاب، ولكن كانوا هم الظالمين أنفسهم بشركهم وجودهم أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وترك اتباعهم لرسول ربهم" (١٣).  
قال الطبري: يقول: "وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أنا فعلنا بهم من التعذيب بعذاب جهنم {وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ} بعبادتهم في الدنيا غير من كان عليهم عبادته، وكفرهم بالله، وجودهم توحيدهم" (١٤).

## القرآن

{وَتَادُوا يَمَالِكُ لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنتُمْ بِالْحَقِّ} (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) { [الزخرف : ٧٧-٧٨]  
التفسير:

ونادى هؤلاء المجرمون بعد أن أدخلهم الله جهنم «مالكا» خازن جهنم: يا مالكا ليؤتمنا ربك، فنستريح ممّا نحن فيه، فأجابهم مالك: إنكم ما كنتم، لا خروج لكم منها، ولا محيد لكم عنها، لقد جئناكم بالحق ووضحناه لكم، ولكن أكثركم لما جاء به الرسل من الحق كارهون.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٢/٣.

(٢) الكشاف: ٢٦٤/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٦٤٣/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٥) تفسير الطبري: ٦٤٣/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١.

(٨) غريب القرآن: ٤٠٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢١.

(١٠) معاني القرآن: ٤١٩/٤.

(١١) معاني القرآن: ٣٨٥/٦.

(١٢) الكشاف: ٢٦٤/٤.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١٤) تفسير الطبري: ٦٤٠/٢١.

قوله تعالى: {وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} [الزخرف : ٧٧]، أي: "ونادى هؤلاء المجرمون بعد أن أدخلهم الله جهنم «مالكا» خازن جهنم: يا مالك ليؤمنا ربك، فنستريح مما نحن فيه"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ونادى هؤلاء المجرمون بعد ما أدخلهم الله جهنم، فنالهم فيها من البلاء ما نالهم، مالكا خازن جهنم {يَا مَالِكُ} ليؤمنا ربك، فيفرغ من إمامتنا"<sup>(٢)</sup>.

قال البغوي: "يدعون خازن النار: ليؤمنا ربك فنستريح"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : ليقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه، فإنهم كما قال تعالى : {لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا} [فاطر : ٣٦]. وقال : {وَيَجَنَّبُهَا (٢) الْأَشْقَى. الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى. ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} [الأعلى : ١١ - ١٣]"<sup>(٤)</sup>.

قال الزمخشري: "قضى عليه، إذا أمانه: {فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ}، والمعنى: سل ربك أن يقضى علينا"<sup>(٥)</sup>.

عن ابن زيد، قوله: "وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}، قال: يمينا، القضاء ههنا الموت"<sup>(٦)</sup>.

عن صفوان بن يعلى، عن أبيه، قال: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر: " {وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} »"<sup>(٧)</sup>.

قال السدي: "مالك: خازن النار"<sup>(٨)</sup>.

قال سفيان: "كان أصحاب عبد الله يقرءونها: «يَا مَالِكُ»، يعني: مالك"<sup>(٩)</sup>.

قال مجاهد: "ما كنا ندري ما معنى: {وَنَادُوا يَا مَالِكُ}، حتى وجدنا في قراءة عبد الله {وَنَادُوا يَا مَالِكُ}"<sup>(١٠)</sup>.

قال الزجاج: "قد رُوِيَتْ: «يَا مَالِكُ» - بغير كاف، وبكسر اللام - وهذا يسميه النحويون: الترخيم، وهو كثير في الشعر في مالك وعامر، ولكنني أكرههما لمخالفتهما المصحف"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ} [الزخرف : ٧٧]، أي: "فأجابهم مالك: إنكم مأكثون، لا خروج لكم منها، ولا محيد لكم عنها"<sup>(١٢)</sup>.

قال الزمخشري: أي: "لا بثون. وفيه استهزاء. والمراد: خالدون"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها"<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن عباس : "مكث عنهم ألف سنة، ثم قال: {إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ}"<sup>(١٥)</sup>.

قال السدي: "فمكثوا ألف سنة مما تعدون. قال: فأجابهم بعد ألف عام: {إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ}"<sup>(١٦)</sup>.

قال الكشاف: ٢٦٤/٤.

أخرجه الطبري: ٦٤٦-٦٤٥/٢١.

صحيح البخاري (٤٨١٩): ص ١٣٠/٦.

أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢١.

تفسير سفيان الثوري (٨٨٧: ١٧: ٩): ص ٢٧٤، وتفسير عبدالرزاق (٢٧٩٠): ص ١٧٧/٣.

(١٠) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٣٨٥/٦. بدون سند.

(١١) معاني القرآن: ٤٢٠/٤.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١٣) الكشاف: ٢٦٤/٤.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٤١/٧.

(١٥) رواه سفيان الثوري في التفسير (٨٨٦: ١٦: ٤): ص ٢٧٣-٢٧٤، والطبري: ٦٤٥/٢١، وابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير: ٢٤١/٧.

قال مقاتل: " فيسكت عنهم مالك فلا يجيبهم مقدار أربعين سنة، ثم يوحى الله- تعالى- إلى مالك بعد أربعين أن يجيبهم، فرد عليهم مالك: {قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ} في العذاب، يقول: مقيمون فيها"<sup>(٢)</sup>.

قال عمرو بن دينار: " بلغني: أنه لما نادى أهل النار: {يا مالك ليقض علينا ربك}. مكث عنهم ألف سنة، ثم قال: {إنكم مأكثون}"<sup>(٣)</sup>.

عن عطاء بن السائب، عن رجل من جيرانه يقال له: الحسن، عن نوف في قوله: {وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}، قال: يتركهم مئة سنة مما تعدون، ثم يناديهم فيقول: يا أهل النار إنكم مأكثون"<sup>(٤)</sup>.

قال عبدالله بن عمرو: " فخلى عنهم أربعين عاما لا يجيبهم، ثم أجابهم: {إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ}: قالوا: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ}، فخلى عنهم مثلي الدنيا، ثم أجابهم: {أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون}، قال: فوالله ما نبس القوم بعد الكلمة، إن كان إلا الزفير والشهيق"<sup>(٥)</sup>.

وروي عن عبد الله بن عمرو: «قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما، ثم يرد عليهم: {إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ}، قال: هانت-والله-دعوتهم على مالك وعلى رب مالك، ثم يدعون ربهم فيقولون: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ} (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} [المؤمنون : ١٠٦-١٠٧]، قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: {أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون} [المؤمنون : ١٠٨]، قال: فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبه أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق"»<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ} [الزخرف : ٧٨]، أي: " لقد جنناكم بالحق ووضحناه لكم"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: " يقول: لقد أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا محمدا بالحق"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: " يعني: التوحيد"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: " ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعاندتهم له فقال: {لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ}، أي : بيناه لكم ووضحناه وفسرناه"<sup>(١٠)</sup>.

عن السدي: " {لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ}، قال: الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(١١)</sup>.  
قوله تعالى: {وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} [الزخرف : ٧٨]، أي: " ولكن أكثركم لما جاء به الرسل من الحق كارهون"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: " ولكن أكثرهم لما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- من الحق كارهون"<sup>(١٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢١.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٣/٣.

(٣) أخرجه أسد بن موسى في الزهد ص ١٥ (٣).

(٤) أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٤٥/٢١.

(٦) رواه البغوي في التفسير: ٢٢٢/٧-٢٢٣، وأورده الهيثمي في المجمع: ١٠ / ٣٩٦ ثم قال: " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٨) تفسير الطبري: ٦٤٦/٢١.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٣/٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٤١/٧.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢١.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١٣) تفسير الطبري: ٦٤٦/٢١.



قال ابن كثير: "أي: ولكن كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه، وإنما تنقاد للباطل وتعظمه، وتصد عن الحق وتأباه، وتبغض أهله، فعودوا على أنفسكم بالملامة، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{أَمْ أُرْمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرَمُونَ (٧٩)} [الزخرف: ٧٩]

التفسير:

بل أأحكم هؤلاء المشركون أمراً يكيّدون به الحق الذي جنّناهم به؟ فإننا مدبرون لهم ما يجزيهم من العذاب والنكال.

سبب النزول:

قال مقاتل: "وذلك أن نفراً من قريش منهم أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وهشام بن عمرو، وأبو البخترى بن هشام، وأمّية بن أبي معيط، وعيينة بن حصن الفزاري، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأبي بن خلف، - بعد موت أبي طالب- اجتمعوا في دار الندوة بمكة ليكفروا بالنبي- صلى الله عليه وسلم- سرا عند انقضاء المدة فاتّاهم إبليس في صورة شيخ كبير فجلس إليهم، فقالوا له: ما أدخلك في جماعتنا بغير إذننا؟ قال عدو الله: أنا رجل من أهل نجد، وقدمت مكة فرأيتكم حسنة وجوهكم، طيبة ريحكم، فأردت أن أسمع حديثكم، وأشير عليكم، فإن كرهتم مجلسي خرجت من بينكم. فقال بعضهم لبعض: هذا رجل من أهل نجد ليس من أهل مكة فلا بأس عليكم منه. فتكلموا بالمكر بالنبي- صلى الله عليه وسلم- فقال أبو البخترى بن هشام- من بني أسد بن عبد العزى-: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا- صلى الله عليه وسلم- فتجعلوه في بيت وتسدوا عليه بابيه، وتجعلوا له كوة لطعامه وشرابه حتى يموت. فقال إبليس: بئس الرأي رأيتم تعدون إلى رجل له فيكم صغو، قد سمع به من حولكم، تحبسونه في بيت، وتطعمونه وتسقونه، فيوشك الصغو الذي له فيكم أن يقاتلكم عنه ويفسد جماعتكم ويسفك دماءكم. قالوا: صدق والله الشيخ. فقال هشام بن عمرو- من بني عامر بن لوى-: أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير، فتخرجوه من أرضكم، فيذهب حيث شاء ويليه غيركم. فقال إبليس: بئس الرأي، رأيتم تعدون إلى رجل قد أفسد عليكم جماعتكم، وتبعه طائفة منكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم كما أفسدكم، فيوشك بالله أن يميل بهم عليكم. فقال أبو جهل: صدق والله الشيخ. فقال أبو جهل بن هشام: أما أنا فأرى أن تعدوا إلى كل بطن من قريش فتأخذون من كل بطن منهم رجلاً، فتعطون كل رجل منهم سيفاً فيضربونه جميعاً فلا يدري قومه من يأخذون به، وتؤدي قريش ديته، فقال إبليس: صدق والله الشاب. إن الأمر لكما. قال: فتفرقوا عن قول أبي جهل فنزل جبريل- عليه السلام- فأخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- بما اتتمروا به وأمره بالخروج فخرج النبي- صلى الله عليه وسلم- من ليلته إلى الغار. وأنزل الله- تعالى- في شرهم الذي أجمعوا عليه: {أَمْ أُرْمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرَمُونَ}"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمراً فأحكموه، يكيّدون به الحق الذي جنّناهم به، فإننا محكمون لهم ما يخزيهم، ويذلهم من النكال"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "وذلك لأن المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه، فكادهم الله، ورد وبال ذلك عليهم"<sup>(٤)</sup>.

قال السمعاني: "أي: نقابل كيدهم ومكرهم بالإبطال، ونجازيهم جزاء مكرهم، وهو في معنى قوله تعالى: {ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين}"<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٤١/٧.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٣/٣-٨٠٦.

(٣) تفسير الطبري: ٦٤٦/٢١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٤١/٧.

(٥) تفسير السمعاني: ١١٧/٥.

قال أبو حيان: "أي: فإننا محكمو نصره وحمائته. و«الإبرام»: أن تجمع خيطين ثم تفتلها فتلا متقنا. و«البريم»: خيط فيه لوانان"<sup>(١)</sup>.

قال الراغب: "الإبرام: إحكام الأمر، .. وأصله من: إبرام الحبل، وهو ترديد فتلته.. و«المبرم»: الذي يلح ويشدد في الأمر تشبيها بمبرم الحبل، والبرم كذلك، ويقال لمن يأكل تمرتين تمرتين: برم، لشدة ما يتناوله بعضه على بعض، ولما كان البريم من الحبل قد يكون ذا لونين سمي كل ذي لونين به من جيش مختلط أسود وأبيض، ولغتم مختلط، وغير ذلك"<sup>(٢)</sup>.  
قال النحاس: "يقال: أبرم الأمر، إذا بالغ في إحكامه، وأبرم الفاتل، إذا أحكم الفتل. وهو الفتل الثاني، والأول: سحيل كما قال"<sup>(٣)</sup>:  
مَنْ سَحِيلٌ وَمُؤَبَّرٌ

ومنه: رجل برم. إذا كان لا يدخل في الميسر أو كان ضيق الخلق لا يجتمع مع الناس، كما قال الشاعر"<sup>(٤)</sup>:

وَلَا بَرْمًا تُهْدِي النَّسَاءُ لِعُرْسِيهِ ... إِذَا الْقَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشَّتَاءِ نَقَعَقَا  
و«برمة»، من هذا سميت به للإلحاح عليها بالإيقاد"<sup>(٥)</sup>.  
وفي هذا الأمر، ثلاثة أقوال:

أحدها: المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقْتلوه أو يُخرجوه حين اجتمعوا في دار الندوة وقد سبق بيان القصة في سورة «الأنفال»<sup>(٦)</sup>، والمعنى: أم أحكموا كيذا فإننا محكمون لهم كيذا. وهذا معنى قول مجاهد<sup>(٧)</sup>، وابن زيد<sup>(٨)</sup>، ومقاتل<sup>(٩)</sup>. وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين<sup>(١٠)</sup>.

قال مجاهد: "أم أجمعوا أمرا، فإننا مجمعون، يقول: إن كادوا شرا كدناهم مثله"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن زيد: "أم أحكموا أمرا فإننا محكمون لأمرنا"<sup>(١٢)</sup>.

قال مقاتل: "أم أجمعوا أمرهم على محمد- صلى الله عليه وسلم- بالشر فإننا مجمعون أمرنا على ما يكرهون فعندها قتل هؤلاء نفر ببدر"<sup>(١٣)</sup>.  
الثاني: أنه إحكام أمرهم في تكذيبهم، قاله قتادة<sup>(١٤)</sup>.

قال قتادة: "أم أجمعوا أمرا فإننا مجمعون"<sup>(١٥)</sup>.

قال تاج القراء: "أي: أجمعوا على التكذيب، وأجمعنا على التعذيب"<sup>(١٦)</sup>.

الثالث: أنه: إبرام أمرهم يُنجيهم من العذاب، والمعنى: أم أحكموا أمرا ينجيهم من عذابنا على قولهم فإننا نعذبهم. قاله الفراء<sup>(١)</sup>.

(١) البحر الومحيط: ٦٥/٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ١٢٠.

(٣) هذا عجز بيت لزهير، وصدرة:

يمينا لنعم السيدان وجدتما

وهو من معلقته الميمية، انظره: في ديوانه: ٧٩، وشرح المعلقات: ١/١٠٨، وأساس البلاغة: ٢١.

(٤) البيت لمتهم بن نويرة، في المفضليات: ٥٢٨، والعين: ٦٥/١، واللسان، مادة «قعقع».

قال الخليل: "القعاقيع: ضرب من الحجارة تُرمى بها النخل لتنتثر من تمرها".

(٥) معاني القرآن: ٣٨٦/٦-٣٨٧.

(٦) [الأنفال: ٣٠].

(٧) انظر: تفسير مجاهد: ٥٩٥، وأخرجه الطبري: ٦٤٦/٢١. باختصار.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٧/٢١.

(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٥/٣.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٨٤/٤.

(١١) تفسير مجاهد: ٥٩٥، وأخرجه الطبري: ٦٤٦/٢١. باختصار.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢١.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٥/٣.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٦/٢١.

(١٥) أخرجه الطبري: ٦٤٦/٢١.

(١٦) غرائب التفسير وعجائب التاويل: ١٠٦٨/٢.

قال الزجاج: "أي: أم أحكموا عند أنفسهم أمراً من كيد أو شرٍّ، {فإننا مُبرّمون}: مُحكّمون مُجَازَاتُهُمْ كِيداً بِكَيْدِهِمْ، وَشَرّاً بِشَرِّهِمْ" (٢).  
 قال الماتريدي: " في الآية دلالة إثبات الرسالة؛ لأنهم أبرموا ذلك الأمر فيما بينهم سرا، ثم أخبرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما أبرموا وأحكموا من الأمر؛ ليعرفوا أنه إنما علم ذلك بالله تعالى" (٣).

## القرآن

{أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَأَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)} [الزخرف : ٨٠]  
 التفسير:

أم يظن هؤلاء المشركون بالله أننا لا نسمع ما يسرونه في أنفسهم، ويتناجون به بينهم؟ بلى نسمع ونعلم، ورسلنا الملائكة الكرام الحفظة يكتبون عليهم كل ما عملوا.  
 سبب النزول:

عن محمد بن كعب القرظي، قال: "بيننا ثلاثة بين الكعبة وأستارها، قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، فقال واحد من الثلاثة: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال الأول: إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتم لم يسمع، قال الثاني: إن كان يسمع إذا أعلنتم، فإنه يسمع إذا أسررتم، قال: فنزلت: {أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَأَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}" (٤).

قوله تعالى: {أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَأَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} [الزخرف : ٨٠]، أي: "أم يظن هؤلاء المشركون بالله أننا لا نسمع ما يسرونه في أنفسهم، ويتناجون به بينهم؟" (٥).

قال الطبري: "يقول: أم يظن هؤلاء المشركون بالله أننا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقتهم، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا" (٦).  
 قال ابن كثير: "أي: سرهم وعلانيتهم" (٧).

قال ابن قتيبة: "النجوى: هو السر. وقد يجوز أن يكون أراد بالسر: ما أسروه في أنفسهم، وبالنجوى: ما تساروا به" (٨).

قال الواحدي: "سرهم: ما يسرونه من غيرهم، ونجواهم: ما يتناجون به بينهم، بلى نسمع ذلك" (٩).

قال البيضاوي: "سرهم: حديث أنفسهم بذلك. ونجواهم: وتناجيتهم. بلى نسمعهما" (١٠).  
 قوله تعالى: {بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف : ٨٠]، أي: "بلى نسمع ونعلم، ورسلنا الملائكة الكرام الحفظة يكتبون عليهم كل ما عملوا" (١١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم، وأخفوه عن الناس من سر كلامهم، وحفظتنا عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق، وتكلموا به من كلامهم" (١٢).

قال السمعاني: "يعني: بلى نسمع {ورسلنا لديهم يكتبون} أي: يكتبون بما يعملون ويقولون" (١).

(١) انظر: معاني القرآن: ٣٨/٣.

(٢) معاني القرآن: ٤٢٠/٤.

(٣) تأويلات أهل السنة: ١٨٨/٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٦) تفسير الطبري: ٦٤٧/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٤١/٧.

(٨) غريب القرآن: ١٥٢.

(٩) التفسير الوسيط: ٨٢/٤.

(١٠) تفسير البيضاوي: ٩٧/٥.

(١١) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٤٧/٢١.

قال الواحدي: " يعني: الحفظة، {لديهم يكتبون}"<sup>(٢)</sup>  
 قال القرطبي: " أي: الحفظة عندهم يكتبون عليهم"<sup>(٣)</sup>.  
 قال البيضاوي: " ورسلا والحفظة مع ذلك. لديهم ملازمة لهم. يكتبون ذلك"<sup>(٤)</sup>.  
 قال ابن كثير: " أي: نحن نعلم ما هم عليه، والملائكة أيضا يكتبون أعمالهم، صغيرها  
 وكبيرها"<sup>(٥)</sup>.

عن السدي: "{بلى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}"، قال: الحفظة"<sup>(٦)</sup>.  
 عن قتادة: "{بلى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}"، أي: عندهم"<sup>(٧)</sup>.

فوائد الآيات: [٧٤-٨٠]:

- ١- بيان عقوبة الإجماع على النفس بالشرك والمعاصي.
- ٢- عذاب الآخرة لا يطاق ولا يقادر قدره يدل عليه طلبهم الموت ليستريحوا منه وما هم بميتين.
- ٣- أكبر عامل من عوامل كراهية الحق حب الدنيا والشهوات البهيمية في الأكل والشرب والنكاح هذه التي تكره إلى صاحبها الدين وشرائعه التي قد تقيد من الإسراف في ذلك.

## القرآن

{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدًّا فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ  
 عَمَّا يُصِفُونَ (٨٢)} [الزخرف: ٨١-٨٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد كما تزعمون، فأنا أول العابدين لهذا الولد الذي تزعمونه، ولكن هذا لم يكن ولا يكون، ففتقدس الله عن صاحبة والولد. تنزيهاً وتقديساً لرب السموات والأرض رب العرش العظيم عما يصفون من الكذب والافتراء من نسبة المشركين الولد إلى الله، وغير ذلك مما يزعمون من الباطل.  
 سبب النزول:

قال مقاتل: " وذلك أن النضر بن الحارث- من بني عبد الدار بن قصي- قال: إن الملائكة بنات الله. فأنزل الله- عز وجل-: {قُلْ} يا محمد {إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ}، يقول: ما كان للرحمن ولد.."<sup>(٨)</sup>

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدًّا فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف: ٨١]، أي: قل -أيها الرسول- لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد كما تزعمون، فأنا أول العابدين لهذا الولد الذي تزعمونه، ولكن هذا لم يكن ولا يكون"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: " يقول تعالى: {قُلْ} يا محمد: {إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدًّا فَأَنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ}، أي: لو فرض هذا لعبدته على ذلك لأنني عبد من عبده، مطيع لجميع ما يأمرني به، ليس عندي استكبار ولا إباء عن عبادته، فلو فرض كان هذا، ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى، والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً، كما قال تعالى: {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَكْدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الزمر: ٤]"<sup>(١٠)</sup>.

(١) تفسير السمعاني: ١١٨/٥.

(٢) التفسير الوسيط: ٨٢/٤.

(٣) تفسير القرطبي: ١١٩/١٦.

(٤) تفسير البيضاوي: ٩٧/٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٤١/٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٤٧/٢١.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٥/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٤١/٧-٢٤٢.

اختلف في تفسير قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف : ٨١]، على وجوه:

أحدها : إن كان للرحمن ولد فأنا أول من يعبد الله ليس له ولد، قاله. ومجاهد<sup>(١)</sup>، وابن زيد<sup>(٢)</sup>، وبه قال الأخفش<sup>(٣)</sup>، والزجاج<sup>(٤)</sup>، والنحاس<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: "معناه: إن كنتم تزعمون أن للرحمن ولداً فأنا أول الموحدين، لأن من عبد الله - عزَّ وجلَّ - واعترف بأنه إلهه فقد دفع أن يكون له ولدٌ، والمعنى: أن كان للرحمن ولد في قولكم، كما قال: {أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ}، أي: في قولكم. والله واحد لا شريك له"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن قتيبة: "لما قال المشركون: لله ولد، ولم يرجعوا عن مقاتلتهم بما أنزله الله على رسوله، عليه السلام، من التبرؤ من ذلك- قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام: قُلْ: لَهُمْ {إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ}، أي: عندكم في ادعائكم، {فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ}، أي: أول الموحدين<sup>(٧)</sup>، ومن وحد الله فقد عبده، ومن جعل له ولداً أو نذاً، فليس من العابدين، وإن اجتهد، ومنه قوله: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [النازعات: ٥٦] ، أي: إلا ليوحدون"<sup>(٨)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: إن كان له ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول من عبد الله وحده، لأن من عبد الله وحده فقد دفع أن يكون له ولد"<sup>(٩)</sup>.

عن مجاهد: "قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ} يقول: إن كان له ولد كما تقولون، {فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} يقول: أنا أول المؤمنين بالله عز وجل، فقولوا ما شئتم"<sup>(١٠)</sup>.

قال مجاهد: "قل إن كان لله ولد في قولكم، فأنا أول من عبد الله وحده وكذبكم"<sup>(١١)</sup>. وقال ابن زيد: "هذا الإنكاف<sup>(١٢)</sup>، ما كان للرحمن ولد، نكف الله أن يكون له ولد"<sup>(١٣)</sup>. الثاني : معناه: فأنا أول العابدين، ولكن لم يكن ولا ينبغي أن يكون، قاله قتادة<sup>(١٤)</sup>، والسدي<sup>(١٥)</sup>، وبه قال الطبري<sup>(١٦)</sup>.

قال قتادة: "وهذه كلمة من كلام العرب: {إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ}، أي: إن ذلك لم يكن، ولا ينبغي"<sup>(١٧)</sup>.

قال السدي: "لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولداً، ولكن لا ولد له"<sup>(١٨)</sup>. قال الطبري: "معنى الكلام: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه بذلك منكم، ولكنه لا ولد له، فأنا أعبده بأنه لا ولد له، ولا ينبغي أن يكون له، وهذا الوجه من الكلام لم يكن على وجه الشك، ولكن على وجه الإلطاف من

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٨/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢١.

(٣) انظر: معاني القرآن: ١١٩/١.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٤٢٠/٤.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٣٨٨/٦.

(٦) معاني القرآن: ٤٢٠/٤.

(٧) وقال في غريب القرآن: ٤٠١: "أي: أول من عبده بالتوحيد".

(٨) تأويل مشكل القرآن: ٢١٧.

(٩) فتح القدير: ٦٤٨/٤.

(١٠) تفسير مجاهد: ٥٩٥، وأخرجه الطبري: ٦٤٨/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢١.

(١٢) في النهاية لابن الأثير: إنكاف الله من سوء: أي تنزيهه وتقديسه. وأنكفته: نزهته.

(١٣) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢١.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢١.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٠/٢١.

(١٦) تفسير الطبري: ٦٥١/٢١.

(١٧) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢١.

(١٨) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢١.

الكلام وحسن الخطاب، كما قال جل ثناؤه: {قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}. وقد علم أن الحقّ معه، وأن مخالفه في الضلال المبين<sup>(١)</sup>.

قال الشوكاني: أي: "قل يا محمد إن ثبت لله ولد، فأنا أول من يعبد هذا الولد الذي تزعمون ثبوته، ولكنه يستحيل أن يكون له ولد، وفيه نفي للولد على أبلغ وجه، وأتم عبارة، وأحسن أسلوب، وهذا هو الظاهر من النظم القرآني، ومن هذا القبيل قوله تعالى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سبأ: ٢٤]، ومثل هذا قول الرجل لمن يناظره: إن ثبت ما تقوله بالدليل فأنا أول من يعتقد ويقول به، فتكون «إن» في «إن كان» شرطية<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي: "أي: قل يا أيها الرسول الكريم، للذين جعلوا لله ولداً، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له كفواً أحد. {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} لذلك الولد، لأنه جزء من والده، وأنا أول الخلق انقياداً للأمر المحبوبة لله، ولكني أول المنكرين لذلك، وأشهدهم له نفيًا، فعلم بذلك بطلانه، فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل، وأنه إذا علم أنهم أكمل الخلق، وأن كل خير فهم أول الناس سبقاً إليه وتكميلاً له، وكل شر فهم أول الناس تركاً له وإنكاراً له وبعداً منه، فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق، لكان محمد بن عبد الله، أفضل الرسل أول من عبده، ولم يسبقه إليه المشركون<sup>(٣)</sup>.

الثالث: قل: لم يكن للرحمن ولد وأنا أول الشاهدين بأن ليس له ولد. قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>.  
الرابع: قل ما كان للرحمن ولد، وهذا كلام تام، ثم استأنف فقال: فأنا أول العابدين، أي: الموحيين من أهل مكة، قاله السدي<sup>(٥)</sup>، ومقاتل<sup>(٦)</sup>.

وروي عن عمرو بن أبي سلمة، قال: "سألت ابن محمد، عن قول الله: {إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ}، قال: ما كان"<sup>(٧)</sup>.

عن عمرو، قال: "سألت زيد بن أسلم، عن قول الله: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ}، قال: هذا قول العرب معروف، إن كان: ما كان، إن كان هذا الأمر قط، ثم قال: وقوله: {وإن كان}: «ما كان»<sup>(٨)</sup>.

قال ابن قتيبة: "وبعض المفسرين يجعل «إن» بمعنى: «ما»، وليس يعجبني ذلك"<sup>(٩)</sup>.  
قال يحيى بن سلام: "«أول»، يعني: أول من آمن بالله من أهل مكة.. يعني: أول الموحيين لله من أهل مكة"<sup>(١٠)</sup>.

الخامس: قل: إن قلتم إن للرحمن ولداً فأنا أول الجاحدين أن يكون له ولد، قاله سفيان<sup>(١١)</sup>.  
السادس: إن كان للرحمن ولد فأنا أول الآنفين والجاحدين أن يكون له ولد، قاله سفيان الثوري<sup>(١٢)</sup>، وأبو عمرو<sup>(١٣)</sup>، والكسائي<sup>(١٤)</sup>، وحكاه ابن قتيبة<sup>(١٥)</sup>، والبخاري<sup>(١)</sup>، ومنه قول الفرزدق<sup>(٢)</sup>:

(١) تفسير الطبري: ٦٥١/٢١.

(٢) فتح القدير: ٦٤٨/٤.

(٣) تفسير السعدي: ٧٧٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٨/٢١.

(٥) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٤١/٥. بدون سند.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٥/٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢١.

(٩) تاويل مشكل القرآن: ٢١٧.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٣٣٦.

(١١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٤١/٥. بدون سند.

(١٢) نقلاً عن: تفسير ابن كثير: ٢٤٢/٧.

(١٣) حكاه الجوهري، نقلاً عن فتح القدير: ٦٤٨/٤.

(١٤) نقلاً عن: النكت والعيون: ٢٤١/٥.

(١٥) انظر: تاويل مشكل القرآن: ٢١٧.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم. . . وأعبُدُ أنْ أهجُوَ كُلياً بدارم  
 وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد ما رواه بسنده عن بعجة بن زيد الجهني: "أن  
 امرأة منهم دخلت على زوجها، وهو رجل منهم أيضاً، فولدت له في ستة أشهر، فذكر ذلك  
 لعثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بها أن تُرجم، فدخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله  
 عنه فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: {وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا}، وقال: {وَفِصَالُهُ  
 فِي عَامَيْنِ}، قال: فوالله ما عبد عثمان أن بعث إليها تردّ. قال يونس، قال ابن وهب: عبد:  
 استتكف" (٣).

وضَعَّف ابن كثير القول الأخير، قائلاً: "وهذا القول فيه نظر؛ لأنه كيف يلتئم مع الشرط  
 فيكون تقديره: إن كان هذا فأنا ممتنع منه؟ هذا فيه نظر، فليتأمل. اللهم إلا أن يقال: «إن»  
 ليست شرطاً، وإنما هي نافية.. والأول أقرب على أنه شرط وجزاء، ولكن هو ممتنع" (٤).  
 قال الشوكاني: "وقيل معنى العابدين: الأنفين من العبادة، وهو تكلف لا ملجئ إليه،  
 ولكنه قرأ أبو عبد الرحمن اليماني «العبدین» بغير ألف، يقال عبد يعبد عبداً بالتحريك: إذا أنف  
 وغضب فهو عبد، والاسم العبدة مثل الأنفة، ولعل الحامل لمن قرأ هذه القراءة الشاذة البعيدة  
 هو استبعاد معنى: {فأنا أول العابدين}، وليس بمستبعد ولا مستنكر" (٥).

قال النحاس: "أحسنها قول مجاهد لأن «إن» يبعد أن تكون ههنا بمعنى «ما»، لأن ذلك  
 لا يكاد يستعمل إلا وبعد «إن» «إلا»، وأيضاً فإن بعدها ألفاً، وأكثر ما يقال إذا أنف الإنسان  
 وغضب وأنكر الشيء عبد فهو عبد كما يقال حذر فهو حذر، وقول مجاهد بين أي إن كان  
 للرحمن ولد على زعمكم وقولكم كما قال تعالى {أَيْنَ شَرَكَايَ}، فإنا أول من خالفكم ووجد الله  
 جل وعز، ومعنى {العابدين}، كمعنى: الموحدين، لأنه لا يقال عابد إلا لموحد" (٦).

قوله تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الزخرف :  
 ٨٢]، أي: "فتقدّس الله عن الصاحبة والولد. تنزيهاً وتقديساً لرب السموات والأرض رب العرش  
 العظيم عما يصفون من الكذب والافتراء من نسبة المشركين الولد إلى الله" (٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيهاً لمالك السموات والأرض ومالك العرش  
 المحيط بذلك كله، وما في ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب، ويضيفون  
 إليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن تضاف إليه" (٨).

قال ابن كثير: "أي: تعالى وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد، فإنه فرد  
 أحد صمد، لا نظير له ولا كفاء له، فلا ولد له" (٩).

قال الشوكاني: "أي: تنزيهاً له وتقديساً عما يقولون من الكذب بأن له ولداً ويفترون عليه  
 سبحانه ما لا يليق بجنابه، وهذا إن كان من كلام الله سبحانه فقد نزه عما قالوه، وإن كان من  
 تمام كلام رسوله الذي أمره بأن يقوله فقد أمره بأن يضم إلى ما حكاه عنهم بزعمهم الباطل  
 تنزيه ربه وتقديسه" (١٠).

(١) انظر: صحيح البخاري: ١٣٠/٦.

(٢) للفرزدق في إصلاح المنطق ص ٥٠، ولسان العرب (عبد)، والمحتسب ٢/ ٢٥٨، وليس في ديوانه، وبلا  
 نسبة في الإنصاف ٢/ ٦٣٧، وجمهرة اللغة ص ٢٩٩، ويروى: عجز البيت بلفظ: وأعبُد أن تهجى كليب بدارم  
 وهو بهذا اللفظ للفرزدق في تاج العروس (عبد)، (عني)، وإصلاح المنطق ص ٥٠، وليس في ديوانه، وبلا  
 نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٩٩، وديوان الأدب ٢/ ٢٣٠، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٠٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٤٢/٧-٢٤٣.

(٥) فتح القدير: ٦٤٨/٤.

(٦) معاني القرآن: ٣٨٩/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٨) تفسير الطبري: ٦٥١/٢١-٦٥٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٤٣/٧.

(١٠) فتح القدير: ٦٤٨/٤-٦٤٩.

عن قتادة، قوله: {رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}، أي: يكذبون<sup>(١)</sup>.  
قال ابن عطية: "«سُبْحَانَ» تنزيه. وخص السماوات والأرض والعرش، لأنها عظم  
المخلوقات"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

{قَدَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣)} [الزخرف: ٨٣]

التفسير:

فاترك -أيها الرسول- هؤلاء المفترين على الله يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم، حتى  
يلاقوا يومهم الذي فيه يوعدون بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما معاً.  
قوله تعالى: {قَدَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا} [الزخرف: ٨٣]، أي: "فاترك -أيها الرسول-  
هؤلاء المفترين على الله يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم"<sup>(٣)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "قدر يا محمد هؤلاء المفترين على الله، الواصفة بأن له ولدا  
يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: " {قَدَرَهُمْ يَخُوضُوا}، أي: في جهلهم وضلالهم {وَيَلْعَبُوا} في دنياهم"<sup>(٥)</sup>.  
قال الشوكاني: "أي: اترك الكفار حيث لم يهتدوا بما هديتهم به ولا أجابوك فيما دعوتهم  
إليه يخوضوا في أباطيلهم، ويلهوا في دنياهم"<sup>(٦)</sup>.

قال السعدي: "أي: يخوضوا بالباطل، ويلعبوا بالمحال، فعلومهم ضارة غير نافعة، وهي  
الخوض والبحث بالعلوم التي يعارضون بها الحق وما جاءت به الرسل، وأعمالهم لعب  
وسفاهة، لا تزكي النفوس، ولا تثمر المعارف"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [الزخرف: ٨٣]، أي: "حتى يلاقوا يومهم  
الذي فيه يوعدون بالعذاب: إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما معاً"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وذلك يوم يصلهم الله بفريرتهم عليه جهنم، وهو يوم القيامة"<sup>(٩)</sup>.  
قال ابن كثير: "هو يوم القيامة، أي: فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم، ومآلهم،  
وحالهم في ذلك اليوم"<sup>(١٠)</sup>.

عن السدي: " {حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ}، قال: يوم القيامة"<sup>(١١)</sup>.  
قال السعدي: "فسيعلمون فيه ماذا حصلوا، وما حصلوا عليه من الشقاء الدائم، والعذاب  
المستمر"<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤)} [الزخرف: ٨٤]

التفسير:

(١) أخرجه الطبري: ٦٥٢/٢١.

(٢) المحرر الوجيز: ٦٦/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٤) تفسير الطبري: ٦٥٢/٢١.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٤٣/٧.

(٦) فتح القدير: ٦٤٩/٤.

(٧) تفسير السعدي: ٧٧٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٩) تفسير الطبري: ٦٥٢/٢١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٤٣/٧.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٥١/٢١.

(١٢) تفسير السعدي: ٧٧٠.



وهو الله وحده المعبود بحق في السماء وفي الأرض، وهو الحكيم الذي أحكم خلقه، وأتقن شرعه، العليم بكل شيء من أحوال خلقه، لا يخفى عليه شيء منها. قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف: ٨٤]، أي: "وهو الله وحده المعبود بحق في السماء وفي الأرض"<sup>(١)</sup>.

قال الزجاج: "المعنى: هو الموحد في السماء وفي الأرض"<sup>(٢)</sup>. قال الطبري: يقول: "والله الذي له الألوهة في السماء معبود، وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته؛ يقول تعالى ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العباد، ولا تشركوا به شيئاً غيره"<sup>(٣)</sup>.

قال السعدي: "يخبر تعالى، أنه وحده المألوه المعبود في السماوات والأرض فأهل السماوات كلهم، والمؤمنون من أهل الأرض، يعبدونه، ويعظمونه، ويخضعون لجلاله، ويفتقرون لكماله، {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} فهو تعالى المألوه المعبود، الذي يألوه الخلاق كلهم، طائعين مختارين، وكارهين. وهذه كقوله تعالى: {وهو الله في السماوات وفي الأرض} أي: ألوهيته ومحبته فيهما. وأما هو فهو فوق عرشه، بائن من خلقه، متوحد بجلاله، متمجد بكماله"<sup>(٤)</sup>.

عن قتادة، قوله: "{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ}"، قال: يُعْبَدُ فِي السَّمَاءِ، وَيُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ"<sup>(٥)</sup>.

وقرئت: «في السماء الله وفي الأرض الله»<sup>(٦)</sup>. قوله تعالى: {وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} [الزخرف: ٨٤]، أي: "وهو الحكيم الذي أحكم خلقه، وأتقن شرعه، العليم بكل شيء من أحوال خلقه، لا يخفى عليه شيء منها"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: وهو الحكيم في تدبير خلقه، وتسخيرهم لما يشاء، العليم بمصالحهم"<sup>(٨)</sup>.

قال السعدي: "{وَهُوَ الْحَكِيمُ} الذي أحكم ما خلقه، وأتقن ما شرعه، فما خلق شيئاً إلا لحكمة، ولا شرع شيئاً إلا لحكمة، وحكمه القدري والشرعي والجزائي مشتمل على الحكمة. {الْعَلِيمُ} بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والسفلي، ولا أصغر منها ولا أكبر"<sup>(٩)</sup>.

قال محمد بن جعفر بن الزبير "الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"<sup>(١٠)</sup>، " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"<sup>(١١)</sup>.

عن أبي العالية: " {حكيم}، قال: حكيم في أمره"<sup>(١٢)</sup>. قال الزجاج: "ويدل ما خلق بيئتهما وفيهما أنه واحد حكيم عليم، لأن خلقهما يدل على الحكمة والعلم"<sup>(١٣)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٢) معاني القرآن: ٤٢١/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٦٥٢/٢١.

(٤) تفسير السعدي: ٧٧٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢١.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٤٢١/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٨) تفسير الطبري: ٦٥٣/٢١.

(٩) تفسير السعدي: ٧٧٠.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٣): ص ١٧٦٤/٦.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤١): ص ١٧٦٤/٦.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢): ص ١٧٦٤/٦.

(١٣) معاني القرآن: ٤٢١/٤.

القرآن  
﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهٗ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾  
[الزخرف: ٨٥]

التفسير:

وتكاثرت بركة الله، وكثر خيره، وعظم ملكه، الذي له وحده سلطان السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما من الأشياء كلها، وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب، وإليه تُردُّون -أيها الناس- بعد مماتكم، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهٗ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الزخرف: ٨٥]، أي: "وتكاثرت بركة الله، وكثر خيره، وعظم ملكه، الذي له وحده سلطان السموات السبع والأرضين السبع وما بينهما من الأشياء كلها"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وتبارك الذي له سلطان السموات السبع والأرض، وما بينهما من الأشياء كلها، جار على جميع ذلك حكمه، ماض فيهم قضاؤه. يقول: فكيف يكون له شريكا من كان في سلطانه وحكمه فيه نافذ"<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي: "تبارك": بمعنى تعالى وتعظيم، وكثر خيره، واتسعت صفاته، وعظم ملكه. ولهذا ذكر سعة ملكه للسموات والأرض وما بينهما، وسعة علمه، وأنه بكل شيء عليم، حتى إنه تعالى، انفرد بعلم كثير من الغيوب، التي لم يطلع عليها أحد من الخلق، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عطية: "«السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا»: حصر لجميع الموجودات المحسوسات"<sup>(٤)</sup>.

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، الله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥]، أي: "وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ويحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن عطية: "معناه: علم تحديد قيامها والوقف على تعيينه، وهذا هو الذي استأثر الله بعلمه، وإلا فنحن عندنا علم الساعة، أي إنها واقعة، وإنها ذات أهوال وبصفات ما"<sup>(٨)</sup>.

قال السعدي: "قدم الظرف، ليفيد الحصر، أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلا هو"<sup>(٩)</sup>.

قال الزجاج: "معنى «الساعة» -في كل القرآن-: الوقت الذي تقوم فيه القيامة"<sup>(١٠)</sup>.

عن مجاهد، في قوله: "﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] قال: "جاء رجل من أهل البادية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد؟ وبلدنا

(١) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٢) تفسير الطبري: ٦٥٣/٢١.

(٣) تفسير السعدي: ٧٧٠.

(٤) المحرر الوجيز: ٦٦/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٠٧٢): ص ١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢].

(٦) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٧) تفسير الطبري: ٦٥٣/٢١.

(٨) المحرر الوجيز: ٦٦/٥.

(٩) تفسير السعدي: ٧٧٠.

(١٠) معاني القرآن: ٤٢١/٤.

جدبة محل، فأخبرني متى ينزل الغيث، وقد علمت أين ولدت، فأخبرني أين أموت". فأنزل الله هذه الآية قال مجاهد: «وهن مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَرَجُّعُونَ} [الزخرف: ٨٥]، أي: "وإليه تُردُّون -أيها الناس- بعد مماتكم، فيجازي كلا بما يستحق"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وإليه أيها الناس تردُّون من بعد مماتكم، فتصيرون إليه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"<sup>(٣)</sup>.

قال السعدي: "ومن تمام ملكه وسعته، أنه مالك الدنيا والآخرة، ولهذا قال: {وَالَّذِينَ تَرَجُّعُونَ} أي: في الآخرة فيحكم بينكم بحكمه العدل"<sup>(٤)</sup>.

قال أبو العالية: "ترجعون إليه بعد الحياة"<sup>(٥)</sup>.

فوائد الآيات: [٨١-٨٥]:

١- مشروعية التلطف في الخطاب والتنزل مع المخاطب لإقامة الحجة عليه كقوله تعالى: {وَأَيُّكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} وكما هنا قل إن كان للرحمن ولد من باب الفرض والتقدير فأنا أول العابدين له ولكن لا ولد له فلا أعبد غيره سبحانه وتعالى.

٢- تهديد المشركين بعذاب يوم القيامة.

٣- إقامة البراهين على بطلان نسبة الولد إلى الله تعالى.

## القرآن

{وَكَلَّا يَمَلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)} [الزخرف

:٨٦]

التفسير:

ولا يملك الذين يعبدهم المشركون الشفاعة عنده لأحد إلا من شهد بالحق، وأقر بتوحيد الله وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهم يعلمون حقيقة ما أقروا وشهدوا به.

قوله تعالى: {وَكَلَّا يَمَلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ} [الزخرف: ٨٦]، أي: "ولا يملك الذين يعبدهم المشركون الشفاعة عنده لأحد إلا من شهد بالحق، وأقر بتوحيد الله وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري: "ولا يملك ألتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة، كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله، ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله... وهو استثناء منقطع"<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي: "ومن تمام ملكه، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئا، ولا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلا بإذنه، {وَلَا يَمَلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ} أي: كل من دعي من دون الله، من الأنبياء والملائكة وغيرهم، لا يملكون الشفاعة، ولا يشفعون إلا بإذن الله، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ولهذا قال: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ} أي: نطق بلسانه، مقرا بقلبه..

ويشترط أن تكون شهادته بالحق، وهو الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة ما جاءوا به، من أصول الدين وفروعه، وحقائقه وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفع فيهم

شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عذاب الله، الحائزون لثوابه"<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير مجاهد: ٥٤٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٣) تفسير الطبري: ٦٥٣/٢١.

(٤) تفسير السعدي: ٧٧٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٠٦٠): ص ٣٠٠٣/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٧) الكشف: ٢٦٨/٤.

(٨) تفسير السعدي: ٧٧٠.

قال ابن عطية: " فأعلم تعالى أن من عبد من دون الله فإنه لا يملك شفاعة عند الله يوم القيامة" (١).

وقرى: «تدعون» بالتاء. و«تدعون» بالتاء وتشديد الدال (٢).  
قوله تعالى: {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٦]، أي: " وهم يعلمون حقيقة ما أقرؤا وشهدوا به" (٣).

قال السمعاني: " {وهو يعلمون} معناه: يشهدون عن علم" (٤).  
قال السعدي: أي: " عالما بما شهد به" (٥).  
عن مجاهد: " {وهم يعلمون}، أي: «علم الحق» (٦).  
قال يحيى: " وقلوبهم مخلصمة بشهادة لا إله إلا الله، يعلمون أنها الحق" (٧).  
قال ابن الجوزي: " وفي الآية دليل على أن شرط جميع الشهادات أن يكون الشاهد عالماً بما يشهد به" (٨).

قال الإمام الشافعي: " ولا يسع شاهدا أن يشهد إلا بما علم، والعلم من ثلاثة وجوه: الوجه الأول: منها ما عاينه الشاهد فيشهد بالمعاينة. الوجه الثاني: ومنها ما سمعه فيشهد ما أثبت سمعا من المشهود عليه. الوجه الثالث: ومنها ما تظاهرت به الأخبار مما لا يمكن في أكثره العيان. وتثبت معرفته في القلوب، فيشهد على هذا الوجه" (٩).  
وقال الجصاص: " قوله تعالى: {إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}، ينتظم معنيين: أحدهما: أن الشهادة بالحق غير نافعة إلا مع العلم وأن التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة.

والثاني: أن شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشاهد عالماً بها" (١٠).  
وذكر اهل التفسير في معنى الآية، قولين:  
أحدهما: أنه أراد بـ{الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ}: ألهتهم، ثم استثنى عيسى وعزيرَ والملائكة، فقال: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ} وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله، {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم، قاله قتادة (١١)، وحكاه ابن الجوزي عن الاكثرين (١٢).  
قال ابن عطية: " فالاستثناء على هذا التأويل متصل" (١٣).

الثاني: أن المراد بـ{الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ}: عيسى وعزيرَ والملائكة الذين عبدهم المشركون بالله لا يملك هؤلاء الشفاعة لأحد {إِلَّا مَنْ شَهِدَ}، أي: إلا لمن شهد بالحق وهي كلمة الإخلاص، {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أن الله عزَّ وجلَّ خلق عيسى وعزيرَ والملائكة، وهذا مذهب قوم، منهم مجاهد (١٤).

(١) المحرر الوجيز: ٦٧/٥.

(٢) انظر: الكشاف: ٢٦٨/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٤) تفسير السمعاني: ١٢٠/٥.

(٥) تفسير السعدي: ٧٧٠.

(٦) تفسير مجاهد: ٥٩٦.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٧٥٨/٢.

(٨) زاد المسير: ٨٦/٤.

(٩) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٥١/٣.

(١٠) أحكام القرآن: ٢٦٥/٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢١.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٨٦/٤.

(١٣) المحرر الوجيز: ٦٧/٥.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٤/٢١.

قال ابن عطية: "والاستثناء على هذا التأويل منفصل، كأنه قال: لكن من يشهد بالحق يشفع فيهم هؤلاء، والتأويل الأول أصوب، والله أعلم"<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري: أي: "ولكن من شهد بالحق وهو توحيد الله، وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص: هو الذي يملك الشفاعة، وهو استثناء منقطع. ويجوز أن يكون متصلاً، لأن في جملة الذين يدعون من دون الله: الملائكة"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} هذا استثناء منقطع، أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم، فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحق، وشهادته بالحق: هو إقراره بتوحيد الله، يعني بذلك: إلا من آمن بالله، وهم يعلمون حقيقة توحيده، ولم يخص بأن الذي لا يملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله، فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله يوم نزلت هذه الآية وغيرهم، وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة، وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم، فجميع أولئك داخلون في قوله: ولا يملك الذين يدعون قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله. ثم استثنى جل ثناؤه بقوله: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وهم الذين يشهدون شهادة الحق فيوحدون الله، ويخلصون له الوجدانية، على علم منهم ويقين بذلك، أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها، كما قال جل ثناؤه: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى} فأنبت جل ثناؤه للملائكة وعيسى وعزير ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان باستثنائه الذي استثناه"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

**{وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧)} [الزخرف: ٨٧]**

التفسير:

ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك من خلقهم؟ ليقولنَّ: الله خلقنا، فكيف ينقلبون وينصرفون عن عبادة الله، ويشركون به غيره؟

قوله تعالى: {وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف: ٨٧]، أي: "ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك من خلقهم؟ ليقولنَّ: الله خلقنا"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك: من خلقهم؟ ليقولنَّ: الله خلقنا"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره {مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}، أي: هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها، وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره، ممن لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [الزخرف: ٨٧]، أي: "فكيف ينقلبون وينصرفون عن عبادة الله، ويشركون به غيره؟"<sup>(٨)</sup>.

(١) المحرر الوجيز: ٦٧/٥.

(٢) الكشاف: ٢٦٨/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٤٣/٧.

(٤) تفسير الطبري: ٦٥٥-٦٥٤/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٦) تفسير الطبري: ٦٥٥/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٤٣/٧-٢٤٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٥.

قال الطبري: يقول: " فأى وجه يصرفون عن عبادة الذي خلقهم، ويحرمون إصابة الحق في عبادته" (١).

قال ابن ابي زمنين: " يصدون فيعبدون غيره" (٢).

قال السمعاني: " أي: يصرفون" (٣).

عن ابن عباس: {فَأَيُّ يُؤَفِّكُونَ}، كيف يؤفكون: يكذبون" (٤).

عن قتادة، قوله: " {فَأَيُّ يُؤَفِّكُونَ}، قال: من أين" (٥)، {يُؤَفِّكُونَ}، أي: يعدلون" (٦).

قال القشيري: " فكيف لا يعتبرون؟ وكيف يتكبرون عن طاعة الله" (٧).

## القرآن

{وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)}

[الزخرف: ٨٨-٨٩]

التفسير:

وقال محمد صلى الله عليه وسلم شاكيًا إلى ربه قومه الذين كذبوه: يا ربَّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك وبما أرسلتني به إليهم. فأمره الله بالإعراض عنهم وعن أذاهم، وتركهم بسبب كفرهم وعنادهم، ولا يندُر منك -أيها الرسول- إلا السلام لهم الذي يقوله أولو الأبواب والبصائر للجاهلين، فهم لا يسافهونهم ولا يعاملونهم بمثل أعمالهم السيئة، فسوف يعلمون ما يلقونه من البلاء والنكال. وفي هذا تهديد ووعد شديد لهؤلاء الكافرين المعاندين وأمثالهم.

قوله تعالى: {وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ} [الزخرف: ٨٩]، أي: "وقال محمد

صلى الله عليه وسلم شاكيًا إلى ربه قومه الذين كذبوه: يا ربَّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بك وبما أرسلتني به إليهم" (٨).

قال الطبري: أي: "وقال محمد قبيله شاكيًا إلى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذبوه، وما

يلقى منهم: يا ربَّ إن هؤلاء الذين أمرتني بإنذارهم وأرسلتني إليهم لدعائهم إليك، قوم لا يؤمنون" (٩).

عن قتادة، قوله: " {وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ}، قال: هذا قول نبيكم عليه

الصلاة والسلام يشكو قومه إلى ربه" (١٠).

قال مجاهد: " فأبرَّ الله عزَّ وجلَّ قول محمد صلى الله عليه وسلم" (١١).

وقوله: {وَقِيلَ} [الزخرف: ٨٩]، تقرأ على ثلاثة أوجه: بالنصب والجر والرفع (١٢):

- فأما الجر: فهي على قراءة عاصم وحمزة، وهي في المعنى راجعة إلى قوله تعالى: {وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} وعلم قبيله .

- وأما الرفع: فهو قراءة الأعرج، ومعناها ابتداء، وقيله: وقيل محمد: {يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ}. والقيل: هو القول.

(١) تفسير الطبري: ٦٥٥/٢١.

(٢) تفسير ابن ابي زمنين: ١٩٧/٤.

(٣) تفسير السمعاني: ١٢٠/٥.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم (١٧٤٢٠): ص ٣٠٧٩/٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم (١٧٤١٩): ص ٣٠٧٩/٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم (١٧٤٢١): ص ٣٠٧٩/٩.

(٧) لطائف الإشارات: ٣٧٨/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٥.

(٩) تفسير الطبري: ٦٥٦/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢١.

(١٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٨/٣، وتفسير الطبري: ٦٥٥/٢١ وما بعدها، ومعاني القرآن للزجاج: ٤٢١/٤، وزاد المسير: ٨٦/٤، والسبعة في القراءات: ٥٨٩.

- وأما النصب: فهي قراءة الباقيين من أئمة القراء، وفي تفسيرها أربعة وجوه<sup>(١)</sup>:  
أحدها: بمعنى: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ} وقال قبيله: {يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ}،  
على وجه الإنكار عليهم.  
الثاني: أنها بمعنى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ} وقبيله يا رب، فالمعنى:  
ونسَمع قبيله.  
الثالث: بمعنى: وشكا محمد إلى ربه قبيله، ثم ابتداء فأخبر: {يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا  
يُؤْمِنُونَ}.  
الرابع: أنه منصوب على معنى: وعنده علم الساعة وَيَعْلَمُ قبيله، لأن معنى «وَعِنْدَهُ عِلْمُ  
السَّاعَةِ»: يَعْلَمُ الساعة وَيَعْلَمُ قبيله، هذا اختيار الزجاج<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ} [الزخرف: ٨٩]، أي: "فأعرض عنهم -أيها  
الرسول- ولا يَبْدُرْ منك إلا السلام لهم الذي يقوله أولو الألباب والبصائر للجاهلين"<sup>(٣)</sup>.  
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جواباً له عن دعائه  
إياه إذ قال: «يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون»: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ} يا محمد، وأعرض عن أذاهم  
{وَقُلْ} لهم {سَلَامٌ} عليكم"<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: لا تجاوبهم بمثل ما يخاطبونك به من الكلام السيئ، ولكن تألفهم  
واصفح عنهم فعلاً وقولاً"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن قتيبة: "فَاصْفَحْ عَنْهُمْ"، أي: أعرض عنهم"<sup>(٦)</sup>.  
عن قتادة: "فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ"، قال: اصفح عنهم، ثم أمره بقتالهم"<sup>(٧)</sup>.  
عن قتادة: "قال الله تبارك وتعالى يعزِّي نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ  
سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}"<sup>(٨)</sup>.  
قال البغوي: "فَاصْفَحْ عَنْهُمْ" أعرض عنهم، {وقل سلام} معناه: المتاركة، كقوله تعالى:  
{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبِّئُكَ الْجَاهِلِينَ} [القصص: ٥٥]"<sup>(٩)</sup>.  
قال النحاس: "أي: أعرض عنهم {وقل سلام}، أي: مسالمة ومتاركة. والتقدير في  
العربية: أمري سلام، زعم الفراء<sup>(١٠)</sup> أن التقدير: سلام عليكم ثم حذف. وهذا خلاف ما قال  
المتقدمون، وقد ذكر مثل هذا سيبويه، وقال: نزل بمكة من قبل أن يؤمروا بالسلام، وأيضا فإن  
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى أن يبدأ اليهود والنصارى بالسلام، وحظر على المسلمين  
فصح أن معنى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: ٦٣] أنه ليس من التسليم في  
شيء، وإنما هو من المتاركة والتسليم"<sup>(١١)</sup>.  
قوله تعالى: {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٩]، أي: "فسوف يعلمون ما يلقونه من البلاء  
والنكال"<sup>(١٢)</sup>.

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٨/٣، وتفسير الطبري: ٦٥٥/٢١ وما بعدها، ومعاني القرآن للزجاج:  
٤٢١/٤، وزاد المسير: ٨٦/٤، والسبعة في القراءات: ٥٨٩.  
(٢) انظر: معاني القرآن: ٤٢١/٤.  
(٣) انظر: التفسير الميسر: ٤٩٥، وشفوة التفسير: ١٥٥/٣.  
(٤) تفسير الطبري: ٦٥٦/٢١.  
(٥) تفسير ابن كثير: ٢٤٤/٧.  
(٦) غريب القرآن: ٤٠١.  
(٧) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢١.  
(٨) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢١.  
(٩) تفسير البغوي: ٢٢٤/٧.  
(١٠) انظر: معاني الفراء ٣٨/٣.  
(١١) إعراب القرآن: ٨٢/٤.  
(١٢) التفسير الميسر: ٤٩٥.

قال الطبري: " ثم ابتدأ تعالى ذكره الوعيد لهم، فقال: {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} ما يلقون من البلاء والنكال والعذاب على كفرهم، ثم نسخ الله جلّ ثناؤه هذه الآية، وأمر نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتالهم" (١).

قال ابن كثير: " {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}، هذا تهديد منه تعالى لهم، ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يرد، وأعلى دينه وكلمته، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب" (٢).

قال مقاتل: " هذا وعيد حين ينزل بهم العذاب فنسخ آية السيف الإعراض والسلام" (٣).  
وقرئ: «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» بالتاء على وجه الخطاب، بمعنى: أمر الله عزّ وجلّ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول ذلك للمشركين، مع قوله: {سَلَامٌ} (٤).

فوائد الآيات: [٨٦-٨٩]:

- ١- لا يملك الشفاعة يوم القيامة أحدٌ إلا الله تعالى فمن أذن له شفع ومن لم يأذن له لا يشفع، ولا يشفعُ إلا لأهل التوحيد خاصة أما أهل الشرك والكفر فلا شفاعة لهم.
  - ٢- مشركو العرب على عهد النبوة موحدون في الربوبية مشركون في العبادة.
  - ٣- مشروعية الصفح والتجاوز عند العجز عن إقامة الحدود وإعلاء كلمة الله تعالى.
- «آخر تفسير سورة (الزخرف)، والحمد لله وحده»

(١) تفسير الطبري: ٦٥٧/٢١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٤٤/٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٠٧/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٧/٢١، والسبعة في القراءات: ٥٨٩.





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تفسير سورة «الدخان»

سورة «الدخان»: هي «السورة الرابعة والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الرابعة والستون» بحسب ترتيب النزول، وهي السورة «الخامسة» من «الحواميم» السبع. نزلت بعد سورة «الزخرف»، وقيل سورة «الجاثية» في مكانها هذا<sup>(١)</sup>. آياتها تسع وخمسون في عد الكوفة، وسبع في عد البصرة، وست للباقيين. كلماتها ثلاثمائة وست وأربعون، وحروفها ألف وأربعمائة وأحد وثلاثون. المختلف فيها من الآي أربع: {حم (١)} [الدخان : ١]، {إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ} [الدخان : ٣٤]، {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ} [الدخان : ٤٣]، {فِي الْبُطُونِ} [الدخان : ٤٥]. فواصل آياتها كلها: «من»<sup>(٢)</sup>.

■ أسماء السورة:

■ أسماؤها التوقيفية:

■ الاسم الأول: «سورة الدخان»:

سميت في المصاحف وفي كتب السنة «سورة الدخان»، ووجه تسميتها بذلك، وقوع لفظ «الدخان» في قوله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} [الدخان : ١٠]، وهي آية من آيات الله أيد بها رسوله صلى الله عليه وسلم، وجعلها آية لتخويف الكفار بسبب تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أصيبوا بالقحط والمجاعة التي تجعل الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان المنتشر في الفضاء، ولذلك سميت به اهتماما بشأنه، وقد وردت لفظة: «الدخان» بمعنى آخر في سورة فصلت، قال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت : ١١]<sup>(٣)</sup>.

روي عن مسروق، قال: "دخلت على عبد الله ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قريشا كذبوه واستعصوا عليه، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأصابتهم سنة حصت، يعني كل شيء، حتى كانوا يأكلون الميتة، فكان يقوم أحدهم فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجهد والجوع، ثم قرأ: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان : ١١]، حتى بلغ: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان : ١٥]، قال: عبد الله أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟ قال: والبطشة الكبرى يوم بدر"<sup>(٤)</sup>.

قال المهامي: "سميت به لدلالة آيته على أنه جزاء غشيان أذخنة النفوس الخبيثة، بصائر قلوب أهلها وأرواحهم. ولذلك رأوا الدلائل شبهات الشياطين، وجعلوا المميز بينهما مجنوناً، وإن القرآن كاشف عنه، ككشف الدخان المحسوس عنهم"<sup>(٥)</sup>.

■ الاسم الثاني: «سورة حم الدخان»:

تسمى «حم الدخان»، وبذلك رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٦)</sup>، وعن الصحابة -رضوان الله عليهم-<sup>(٧)</sup>.

ويرى ابن عاشور أن اللفظين بمنزلة اسم واحد، لأن كلمة «حم» غير خاصة بهذه السورة، فلا تعد علماً لها، واستدل بأن السيوطي<sup>(٨)</sup> لم يعدها من عداد الاسماء ذوات الأكثر من اسم<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر: الكشف: ٢٦٩/٤، والتحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٤٢٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.

(٤) صحيح البخاري (٤٨٢٣): ص ١٣٢/٦.

(٥) تفسير المهامي "تبصير الرحمن وتيسير المنان": ٢٣٦/٣.

(٦) سوف تأتي الروايات في فضائل السورة إن شاء الله.

(٧) قال ابن عباس: "نزلت بمكة سورة حم الدخان". ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٨) انظر: الإتيقان: ١٧٤/١.

## ■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان: أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وعبد الله بن الزبير<sup>(٣)</sup>. الثاني: أنها مكية إلا قوله: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان : ١٥]. ذكره الزمخشري ولم يعزه إلى قائل<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"<sup>(٥)</sup>.

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعاً"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية لا أحفظ خلافاً في شيء منها"<sup>(٧)</sup>.

## ■ مناسبة السورة لما قبلها:

من وجه اتصال «سورة الدخان» لما قبلها:

- ١- إنه تعالى ختم ما قبلها بالوعيد والتهديد، وافتتح هذه بالإنذار الشديد.
- ٢- إنه تعالى حكى فيما قبلها قول رسوله صلى الله عليه وسلم: {يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ} [الزخرف : ٨٨] ، وحكى هنا عن أخيه موسى: {قَدَعَا رَبُّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ} [الدخان : ٢٢].
- ٣- إنه قال فيما سلف {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ} [الزخرف : ٨٩] ، وحكى هنا عن موسى: {وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونَ (٢١)} [الدخان : ٢٠ - ٢١]، وهو قريب من ذلك<sup>(٨)</sup>.

## ■ أغراض السورة ومقاصدها

يمكن تفصيل مقاصد هذه السورة وفق التالي:

- ١- تبدأ السورة بالحديث عن القرآن وتنزيله في ليلة مباركة، فيها يفرق كل أمر حكيم، رحمة من الله بالعباد، وإنذاراً لهم وتحذيراً. وقد جاء هذا الحديث مقروناً ببيان بعض صفات الله الجليلة وأسمائه الحسنى، التي هي من أمهات القواعد الإيمانية.
- ٢- تعريف للناس بربهم، رب السماوات والأرض وما بينهما، وإثبات لوحديته، وهو المحيي المميت رب الأولين والآخرين.
- ٣- بيان فضل الليلة التي أنزل فيها القرآن، أي ابتدئ إنزاله، وهي ليلة القدر. وذكر جملة من دلائل الوحانية، وتأييد الله من آمنوا بالرسول.
- ٤- الحديث عن القرآن وموقف الكافرين منه إبان التنزيل، وإصرارهم على الشك في القرآن، وتلهيهم لاعتين بأمور دنياهم، وتحذيرهم من عقوبات تلجئهم إلى الوعد بالإيمان، إذا كشف الله عنهم العذاب، لكنهم لا يَفُونَ بوعدهم، بل ينقضونه، ويتمادون في غيهم، وأخيراً يندرهم الله بأن يببطش بهم بطشة كبرى منتقماً منهم.
- ٥- بيان أن المعرضين عن تدبر القرآن ألهاهم الاستهزاء واللمز عن التدبر، فحق عليهم دعاء الرسول بعذاب الجوع؛ إيقاظاً لبصائرهم بالأدلة الحسية حين لم تنجع فيهم الدلائل العقلية؛ ليعلموا أن إجابة الله دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم دليل على أنه أرسله ليبلغ عنه مراده.

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) انظر: الكشاف: ٢٦٩/٤.

(٥) زاد المسير: ٨٧/٤.

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٧) المحرر الوجيز: ٦٨/٥.

(٨) انظر: تفسير المراعي: ١١٨/٢٥.

- ٦- ضَرَبُ المثل بأمر قد خلت، عصوا رسل الله إليهم، فحلَّ بهم من العقاب ما من شأنه أن يكون عظة لمن بعدهم؛ تفصيلاً بقوم فرعون مع موسى ومؤمني قومه، ودون التفصيل بقوم نُبِعَ، وإجمالاً وتعميماً بالذين من قبل هؤلاء .
- ٧- بيان موجز عن بني إسرائيل بعد أن أنجاهم الله من العذاب المهين، الذي كانوا يعانونه في مصر مستعبدين .
- ٨- بيان موقف مشركي مكة إبان التنزيل من إنكار الآخرة والبعث، ومجادلتهم بالإقناع وبالإنذار بيوم الدين.
- ٩- تضمنت السورة حديثاً عن شجرة الزقوم في الجحيم، التي يكون منها طعام الأثيم، وعرض مشهدين من مشاهد يوم القيامة:
- الأول: يتضمن بيان صنف من أصناف عذاب الكافرين المجرمين في الجحيم .
- الثاني: يتضمن بيان بعض نعيم المتقين في جنات النعيم في مقابل بيان بعض عذاب الكافرين الجاحدين.

١٠- خطاب من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بشأن القرآن الكريم، وتيسيره بلسانه العربي المبين، وإلماح ببشارته بأنه منصور بنصر الله له، وبأن المشركين المعاندين مخذولون، وبأن الله سينتقم منهم يوم الدين ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [الشعراء : ٨٨ - ٨٩] (١).

وقد لخص سيد قطب -رحمه الله- مقاصد هذه السورة بقوله: "إنها سورة تهجم على القلب البشري من مطلعها إلى ختامها، في إيقاع سريع متواصل؛ تهجم عليه بإيقاعها، كما تهجم عليه بصورها وظلالها المتنوعة المتحدة في سمة العنف والتتابع، وتطوف به في عوالم شتى بين السماء والأرض، والدنيا والآخرة، والجحيم والجنة، والماضي والحاضر، والغيب والشهادة، والموت والحياة، وسنن الخلق ونواميس الوجود... فهي -على قصرها نسبياً- رحلة ضخمة في عالم الغيب وعالم الشهود" (٢).

قال الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: نزول القرآن في ليلة القدر، وآيات التوحيد، والشكاية من الكفار، وحديث موسى وبنى إسرائيل وفرعون، والرد على منكري البعث، وذل الكفار في العقوبة، وعز المؤمنين في الجنة، والمنة على الرسول بتيسير القرآن على لسانه في قوله: ﴿فَإِذَا مَا يَسِرُّنَّاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان : ٥٨]" (٣).

#### ■ الناسخ والمنسوخ:

فيها آية منسوخة: ﴿فَارْتَقِبْ إِتْمُ مُرْتَقِبُونَ﴾ [الدخان : ٥٩]، منسوخة بآية السيف (٤).

#### ■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك" (٥).
- وعن الحسن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له" (٦).

(١) انظر: اسلام ويب. [موقع إلكتروني]

(٢) في ظلال القرآن: ٢٧٥٩/٥.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٥) أخرجه الترمذي في "السنن" (٢٨٨٨): ص ١٣/٥، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٢٤٧٥).

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".

وانظر: الموضوعات (١/ ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".

(٦) أخرجه الترمذي في "السنن" رقم (٢٨٨٩): ١٣/٥، وقال: "هذا حديث، لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهشام

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ ليلة الجمعة {حم} الدخان و {يس} أصبح مغفورا له"<sup>(١)</sup>.
- عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ {حم} الدخان في ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتا في الجنة"<sup>(٢)</sup>.
- عن أبي رافع قال: من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين"<sup>(٣)</sup>.
- عن عبد الله بن عيسى قال: "أخبرت أنه من قرأ {حم} الدخان ليلة الجمعة إيمانا وتصديقا بها أصبح مغفورا له"<sup>(٤)</sup>.
- عن الأسود بن يزيد وعنبسة: "أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال: قرأت المفصل في ركعة فقال عبد الله: بل هذنت كهذ الشعر وكنثرت الدقل ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ النظائر في ركعة فذكر عشر ركعات بعشرين سورة عن تأليف عبد الله آخرهن إذا الشمس كورت والدخان"<sup>(٥)</sup>.
- عن ابن مسعود قال: "لقد علمت النظائر التي كان يصلي بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذاريات والطور والنجم واقتربت والرحمن والواقعة ونون والحاقة والمزمل ولا أقسم بيوم القيامة وهل أتى على الإنسان والمرسلات وعم يتساءلون والنازعات وعبس وويل للمطففين وإذا الشمس كورت والدخان"<sup>(٦)</sup>.
- عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في المغرب {حم} التي يذكر فيها الدخان"<sup>(٧)</sup>.
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الراء»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"<sup>(٨)</sup>.

أبو المقدم يضعف، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة، هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد". قال ابن حجر في "التقريب" (٢/ ٣١٨ رقم ٧٩): "هشام بن زياد بن أبي يزيد، وهو هشام بن أبي هشام وأبو المقدم، ويقال له أيضا: هشام بن أبي الوليد المدني، متروك من السادسة".  
إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصديقي، وصححه الحاكم والذهبي.  
وقوله: من ذوات (الراء)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.  
وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حاء، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجن، والأحقاف.  
وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحَ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحَ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

- (١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن الضريس والبيهقي.
  - (٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.
  - (٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الدارمي ومحمد بن نصر.
  - (٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الدارمي.
  - (٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الطبراني.
  - (٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى الطبراني.
  - (٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٨/٧. وعزاه إلى ابن أبي عمر في مسنده.
  - (٨) "مسند أحمد" (٦٥٧٥)، وسنن أبي داود (١٣٩٩) بص: ٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤)، وصحيح ابن حبان (٧٧٣): ٥٠/٣.
- إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصديقي، وصححه الحاكم والذهبي.

- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»<sup>(١)</sup>.  
هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل  
أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا  
ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي  
في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.  
وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر،  
وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجمانية، والأحقاف.  
وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحُ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحُ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة  
والتغابن والأعلى.  
(١) مسند ابن أبي شيبة (٣٠٢٨٤): ص ١٥٣/٦، وسنن الدارمي (٣٤٦٥): ص ٢١٥٢/٤، وشعب  
الإيمان (٢٢٥٣): ص ١٠٦/٤. وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».  
إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

## القرآن

### {حم (١)} [الدخان : ١]

التفسير:

{حم} سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

وقد اختلف أهل التفسير في معنى قوله: {حم} [الدخان : ١]، على أقوال:

أحدها : أنه اسم من أسماء الله أقسم به ، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>.

الثاني : أنه حرف هجاء من أسماء الله تعالى ، قاله السدي<sup>(٢)</sup>.

الثالث : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>.

الرابع : أنها حروف مقطعة من اسم الله الذي هو «الرحمن الرحيم»، وهو «الحاء» و«الميم» منه، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>.

السادس : أنه فواتح الله تعالى بها القرآن ، قاله مجاهد<sup>(٥)</sup>.

قال الشوكاني: " وهذا كله تكلف لا موجب له، وتعسف لا ملجئ إليه، والحق أن هذه

الفاصلة لهذه السورة، وأمثالها من المتشابه الذي استأثر الله بعلم معناه كما قدمنا تحقيقه في فاتحة سورة البقرة"<sup>(٦)</sup>.

## القرآن

{وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ

(٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مَوْقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ

آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (٨)} [الدخان : ٢-٨]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالقرآن الواضح لفظًا ومعنى. إنا أنزلناه في ليلة القدر المباركة كثيرة الخيرات، وهي في رمضان. إنا كنا منذرين الناس بما ينفعهم ويضرهم، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لتقوم حجة الله على عباده. فيها يقضى ويفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتابة من الملائكة كلُّ أمر محكم من الأجل والأرزاق في تلك السنة، وغير ذلك مما يكون فيها إلى آخرها، لا يبدل ولا يغير. هذا الأمر الحكيم أمر من عندنا، فجميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه. إنا كنا مرسلين إلى الناس الرسل محمدًا ومن قبله؛ رحمة من ربك - أيها الرسول- بالمرسل إليهم. إنه هو السميع يسمع جميع الأصوات، العليم بجميع أمور خلقه الظاهرة والباطنة. خالق السموات والأرض وما بينهما من الأشياء كلها، إن كنتم موقنين بذلك فاعلموا أن رب المخلوقات هو إلهها الحق. لا إله يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، يحيي ويميت، ربكم ورب آبائكم الأولين، فاعبدوه دون آلهتكم التي لا تقدر على ضر ولا نفع.

قوله تعالى: {وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ} [الدخان : ٢]، أي: "أقسم بالقرآن البين الواضح، الفارق

بين طريق الهدى والضلال، البين في إعجازه، الواضح في أحكامه"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: " قسم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله

عليه وسلم فقال: {وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ} لمن تدبره وفكر في عبره وعظاته هداه ورشده وأدلتة على

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١، و الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢١.

(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٨):ص٦/١٩٢١، و(١٠٦٣٤):ص٦/١٩٩٤، و(١٧١٢٦):ص٩/٣٠٣٠.

(٦) فتح القدير: ٥٥١/٤.

(٧) صفوة التفاسير: ١٥٨/٣.

حقيقته، وأنه تنزيل من حكيم حميد، لا اختلاق من محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا افتراء من أحد" (١).

وفي تسمية القرآن مبيناً ثلاثة أوجه :

أحدها : لأنه بيّن الحروف، قاله أبو معاذ (٢).

قال التستري: " أي: بيّناه بلسان عربي مبين، يعني: بحروف المعجم التي بينها الله

لكم" (٣).

قال ابن كثير: " {المُبين}، أي: البين الواضح الجلي المعاني والألفاظ؛ لأنه نزل بلغة

العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس" (٤).

الثاني : لأن الله تعالى قد بين فيه أحكامه وحلاله وحرامه، قاله مقاتل (٥).

الثالث: لأنه بين الهدى والرشد والبركة، قاله قتادة (٦).

قال قتادة: " مبين والله بركته، وهداه ورشده" (٧).

قال الزجاج: " {المُبين}، الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج

إليه الأمة" (٨).

قال السمعاني: " لأنه أبان فيه الهدى من الضلالة، والخير من الشر، وأبان فيه جميع ما

يوتى وجميع ما يتقى" (٩).

قال السعدي: " هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين وأطلق، ولم يذكر

المتعلق، ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والآخرة" (١٠).

قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ} [الدخان : ٣]، أي: " إنا أنزلناه في ليلة القدر

المباركة كثيرة الخيرات، وهي في رمضان" (١١).

قال ابن كثير: " يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم : إنه أنزله في ليلة مباركة، وهي

ليلة القدر، كما قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [ القدر : ١ ] وكان ذلك في شهر رمضان،

كما قال : تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [ البقرة : ١٨٥ ]" (١٢).

قال الزجاج: " نزل جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل على رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - شيئاً بعد شيء" (١٣).

واختلف أهل التأويل في تلك الليلة على قولين:

أحدهما : أنها ليلة النصف من شعبان؛ قاله عكرمة (١٤).

قال عكرمة: " في ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة، وينسخ الأحياء من الأموات،

ويكتب الحاج فلا يزداد فيهم لا ينقص منهم أحد" (١٥).

(١) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢١.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٢١٤/٥.

(٣) تفسير التستري: ١٨.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢١٨/٧.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٧/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٢/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢١.

(٨) معاني القرآن: ٤٠٥/٤.

(٩) تفسير السمعاني: ٩٠/٥.

(١٠) تفسير السعدي: ٧٦٢.

(١١) التفسير الميسر: ٤٩٦.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٤٥/٧.

(١٣) معاني القرآن: ٤٢٣/٤.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٣١): ص ٣٢٨٧/١٠.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٣١): ص ٣٢٨٧/١٠.

قال ابن الجوزي في زاد المسير: ٨٧/٤: " الرواية عنه بذلك مضطربة قد خولف الراوي لها، فروي عن عكرمة



عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تقطع الأجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان - كما روي عن عكرمة - فقد أبعد النَّجْعَةَ فإن نص القرآن أنها في رمضان. والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح، عن الليث، عن عقيل عن الزهري: أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تقطع الأجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له، وقد أخرج اسمه في الموتى» فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص"<sup>(٢)</sup>.  
الثاني: أنها ليلة القدر. قاله قتادة<sup>(٣)</sup>، وابن زيد<sup>(٤)</sup>.

قال ابن زيد: "تلك الليلة ليلة القدر، أنزل الله هذا القرآن من أم الكتاب في ليلة القدر، ثم أنزله على الأنبياء في الليالي والأيام، وفي غير ليلة القدر"<sup>(٥)</sup>.  
عن قتادة: "إنَّا أنزلناه في ليلةٍ مُباركةٍ: ليلة القدر، ونزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، ونزلت التوراة لست ليال مضت من رمضان، ونزل الزبور لست عشرة مضت من رمضان، ونزل الإنجيل لثمان عشرة مضت من رمضان، ونزل الفرقان لأربع وعشرين مضت من رمضان"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "الصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر، لأن الله جل ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك لقوله تعالى: {إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ} خلقنا بهذا الكتاب الذي أنزلناه في الليلة المباركة عقوبتنا أن تحل بمن كفر منهم، فلم ينب إلى توحيدنا، وإفراد الألوهة لنا"<sup>(٧)</sup>.  
وفي تسميتها «مُباركة» ثلاثة وجوه:

أحدها: لما ينزل فيها من الرحمة<sup>(٨)</sup>.

الثاني: لما يجاب فيها من الدعاء<sup>(٩)</sup>.

الثالث: لاتصال البركات بعضها ببعض. قاله سهل<sup>(١٠)</sup>.

قال سهل: "أنزل الله ليلة القدر القرآن جملة إلى بيت العزة في سماء الدنيا من اللوح المحفوظ على أيدي الملائكة السفرة، وأنزل على روح محمد صلى الله عليه وسلم وهو الروح المبارك، فسامها ليلة القدر مباركة لاتصال البركات بعضها ببعض"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ} [الدخان: ٣]، أي: "إنا كنا منذرين الناس بما ينفعهم ويضرهم، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ لتقوم حجة الله على عباده"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: معلمين الناس ما ينفعهم ويضرهم شرعاً، لتقوم حجة الله على عباده"<sup>(١٣)</sup>.

أنه قال: في ليلة القدر، وعلى هذا المفسرون".

(١) أخرجه الطبري: ١٠/٢٢، ورواه الطبراني في تفسيره (٦٥/٢٥) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٣٨٣٩) من طريق الليث عن عقيل به

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٨/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٧/٢٢.

(٧) تفسير الطبري: ٨/٢٢.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٤٤/٥.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٤٤/٥.

(١٠) انظر: تفسير التستري: ١٤١.

(١١) تفسير التستري: ١٤١.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٩٦.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٧.

قوله تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان : ٤]، أي: "في ليلة القدر يُفصل ويُبيّن كلُّ أمرٍ محكم من أرزاق العباد وأجالهم وسائر أحوالهم فلا يُبدّل ولا يُغيّر"<sup>(١)</sup>.  
قال السمعاني: "أي: يقضي كل أمر محكم، وذلك من الأرزاق والآجال والحياة والموت والخير والشر"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها، وقوله: {حَكِيمٍ}، أي: محكم لا يبدل ولا يغير"<sup>(٣)</sup>.

قال الفراء: {يُفْرَقُ}، أي: يفصل"<sup>(٤)</sup>.

قال أبو عبيدة: "يفصل ويقسط"<sup>(٥)</sup>.

قال العز بن عبد السلام: {يُفْرَقُ}: يُقضى، أو يكتب، أو ينزل، أو يخرج"<sup>(٦)</sup>.

قال النحاس: "قبل إن معنى {يُفْرَقُ}: يفصل، أي: يفصل بين المؤمن والكافر والمنافق، فيقال للملائكة هذا ويعرفونه"<sup>(٧)</sup>.

قال عكرمة: "يقضي في ليلة القدر كل أمر محكم"<sup>(٨)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: {كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان : ٤]، وجوه:

أحدها: الآجال والأرزاق والسعادة والشقاء من السنة إلى السنة، قاله ابن عباس<sup>(٩)</sup>.

عن أبي مالك، في قوله: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}، قال: "أمر السنة إلى السنة ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة، أو نحو هذا"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن عباس: "يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر حتى يكتب الحاج، يحج فلان ويحج فلان"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن عباس: "إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى ثم قرأ: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}، يعني: ليلة القدر، قال: ففي تلك الليلة يفرق أمر الدنيا إلى مثلها من قابل موت أو حياة أو رزق كل أمر الدنيا يفرق تلك الليلة إلى مثلها من قابل"<sup>(١٢)</sup>.

قال عن عمر مولى غفرة: "يقال: ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها، وذلك لأن الله عزّ وجلّ يقول: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ}، وقال: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}، قال: فتجد الرجل ينكح النساء، ويغرس الغرس واسمه في الأموات"<sup>(١٣)</sup>.

عن ربيعة بن كلثوم، قال: "كنت عند الحسن، فقال له رجل: يا أبا سعيد، ليلة القدر في كلِّ رمضان؟ قال: إي والله، إنها لفي كلِّ رمضان، وإنها الليلة التي يُفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كلَّ أجل وأمل ورزق إلى مثلها"<sup>(١٤)</sup>.

(١) صفوة التفاسير: ١٥٩/٣.

(٢) تفسير السمعاني: ١٢١/٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٧.

(٤) معاني القرآن: ١٣٣/٢.

(٥) مجاز القرآن: ٢٠٨/٢.

(٦) تفسير العز بن عبد السلام: ١٦٥/٣-١٦٦.

(٧) معاني القرآن: ٣٩٨/٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٢٩): ص ٣٢٨٧/١٠.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٢٧): ص ٣٢٨٧/١٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٩/٢٢.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٢٧): ص ٣٢٨٧/١٠.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٣٠): ص ٣٢٨٧/١٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٩/٢١.

(١٤) أخرجه الطبري: ٨/٢٢.

عن محمد بن سوقة، عن عكرمة، قال: سمعته يقول: "يؤذن للناس بالحج ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم، قال محمد، وأظنه قال: "وأسماء آبائهم لا يغادر أحدا ممن كتب تلك الليلة، ولا يزداد فيهم ولا ينقص منهم"، ثم قرأ عكرمة {فيها يفرق كل أمر حكيم} (١).  
قال الزجاج: "يَفْرُقُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في ليلة القدر كل أمر فيه حكمة من أرزاق العباد وأجالهم وجميع أمرهم الذي يكون مُوجَّلاً إلى ليلة القدر التي تكون في السنة المقبلة" (٢).  
الثاني: يفرق فيها أمر الدنيا من السنة إلى السنة. قاله ابن عباس (٣)، وقتادة (٤).  
قال قتادة: "هي ليلة القدر فيها يُقضى ما يكون من السنة إلى السنة" (٥).  
قال قتادة: "كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّهُ يُفْرَقُ فِيهَا أَمْرُ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ" (٦).  
قال ابو عبدالرحمن: "يدبر أمر السنة في ليلة القدر" (٧).  
قال هلال بن يساف: "كان يقال: انتظروا القضاء في شهر رمضان" (٨).  
قال مقاتل: "يقضي الله في ليلة القدر كل أمر محكم من الباطل ما يكون في السنة كلها إلى مثلها من العام المقبل من الخير والشر والشدة والرخاء والمصائب" (٩).  
الثالث: كل ما يقضى من السنة إلى السنة، إلا الشقاوة والسعادة فإنه في أم الكتاب لا يغير ولا يبدل، قاله ابن عمر (١٠)، ومجاهد (١١).  
قال مجاهد: "يقضى في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لا يغير" (١٢).  
الرابع: كل ما يقضى من السنة إلى السنة إلا الحياة والموت، قاله مجاهد (١٣)، وبه قال العز بن عبدالسلام (١٤).  
قال مجاهد: "في ليلة القدر: يفرق كل أمر يكون في السنة إلى مثلها من السنة الأخرى من المعاش والمصائب كلها إلا الحياة والموت" (١٥).  
قال الطبري: "عنى بقوله: {فيها يفرق كل أمر حكيم} في هذه الليلة المباركة يقضى ويفصل كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السنة الأخرى، ووضع حكيم موضع محكم، كما قال: {الم تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ}، يعنى: المحكم" (١٦).  
قال العز بن عبدالسلام: "حكيم، هنا: بمعنى: «محكم»، وليلة القدر في رمضان باقية ما بقي الدهر ولا وجه لقول من قال رفعت بموت الرسول [صلى الله عليه وسلم] أو جوز كونها في جميع السنة" (١٧).

- 
- (١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٠٢): ص ١٨٠/٣.  
(٢) معاني القرآن: ٤٢٣/٤.  
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٠/٢٢.  
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٢.  
(٥) أخرجه الطبري: ٩/٢٢.  
(٦) أخرجه الطبري: ٩/٢٢.  
(٧) أخرجه الطبري: ٩/٢٢.  
(٨) أخرجه الطبري: ٩/٢٢.  
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٧/٣.  
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٢٨): ص ٣٢٨٧/١٠.  
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٠/٢٢.  
(١٢) أخرجه الطبري: ١٠/٢٢.  
(١٣) انظر: تفسير مجاهد: ٥٩٧.  
(١٤) انظر: تفسير العز بن عبدالسلام: ١٦٦/٣.  
(١٥) تفسير مجاهد: ٥٩٧. أخرجه الطبري: ٩/٢٢، بلفظ: "في ليلة القدر كل أمر يكون في السنة إلى السنة: الحياة والموت، يقدر فيها المعاش والمصائب كلها".  
(١٦) تفسير الطبري: ١١/٢٢.  
(١٧) تفسير العز بن عبدالسلام: ١٦٦/٣.

قال الماوردي: «الحكيم» -هنا- هو «المحكم»، وليلة القدر باقية ما بقي الدهر ، وهي في شهر رمضان في العشر الأواخر منه. ولا وجه لقول من قال إنها رفعت بموت النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولا لقول من جوزها في جميع السنة لأن الخبر والأثر والعيان يدفعه . واختلف في محلها من العشر الأواخر من رمضان على أقاويل ذكرها في سورة القدر أولى<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا} [الدخان : ٥]، أي: "جميع ما نقدره في تلك الليلة وما نوحى به إلى الملائكة من شئون العباد، هو أمرٌ حاصل من جهتنا، بعلمنا وتدبيرنا"<sup>(٢)</sup>. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: في هذه الليلة المباركة يُفرق كل أمر حكيم، أمراً من عندنا"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحىه فأمره وإذنه وعلمه"<sup>(٤)</sup>.

قال الفراء: "معناه: الفرق فيها أمر من عندنا"<sup>(٥)</sup>.

قال أخفش: " {أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا}، وقوله: {رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} منصوبان على الحال"<sup>(٦)</sup>. قال الزجاج: "المعنى: إنا أنزلناه آمريين أمراً وراحمين رحمةً وفي قوله تعالى: {أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا}"<sup>(٧)</sup>.

وفي قوله تعالى: {أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا} [الدخان : ٥]، ثلاثة وجوه:

أحدهما : أن الأمر هو القرآن أنزله الله من عنده ، حكاة النقاش<sup>(٨)</sup>.

الثاني : أنه ما قضاه الله في الليلة المباركة من أحوال عبادته ، قاله ابن عيسى<sup>(٩)</sup>.

الثالث : أنه إرسال محمد -صلى الله عليه وسلم- نبياً. أفاده الماوردي<sup>(١٠)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} [الدخان : ٥-٦]، أي: "نرسل الأنبياء إلى البشر بالشرائع الإلهية لهدايتهم وإرشادهم من أجل الرأفة والرحمة بالعباد"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : إلى الناس رسولا يتلو عليهم آيات الله مبينات، فإن الحاجة كانت ماسة إليه"<sup>(١٢)</sup>.

قال القشيري: " {رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} : وهي الرسول- صلى الله عليه وسلم، قال صلوات الله عليه: «أنا رحمة مهداة»"<sup>(١٣)</sup><sup>(١٤)</sup>.

(١) النكت والعيون: ٢٤٦/٥.

(٢) صفوة التفاسير: ١٥٩/٣.

(٣) تفسير الطبري: ١١/٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٧.

(٥) معاني القرآن: ١٥٧/٢.

(٦) انظر: معاني القرآن للأخفش: ٥١٦/٢.

(٧) معاني القرآن: ٤٢٤/٤.

(٨) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٤٦/٥.

(٩) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٤٦/٥.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٤٦/٥.

(١١) صفوة التفاسير: ١٥٩/٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٧.

(١٣) أخرجه الدارمي عن أبي صالح مرسلاً، في المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبي صلى الله عليه وسلم ١ / ٩ ووصله الحاكم ١ / ٣٥ وصححه على شرط الشيخين، وقال: "فقد احتجا جميعاً بمالك بن سعيير، والتفرد من الثقات مقبول" ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في شعب الإيمان: ٣ / ٥٧٧ مرسلاً من طريق الأعمش عن أبي صالح مرفوعاً. ثم قال: رواه زياد بن يحيى الحساني عن مالك ابن سعيير عن الأعمش موصولاً بذكر أبي هريرة فيه، ثم ساقه بإسناده، وأخرجه ابن أبي شيبه في المصنف: ١١ / ٥٠٤، وابن سعد في الطبقات: ١ / ١٩٢ - ١٩٣ من طريق وكيع مرسلاً، وقال الهيثمي في المجمع: ٨ / ٢٥٧ رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٨٠٣ - ٨٠٥.

(١٤) لطائف الإشارات: ٣٨٠/٣.

قال ابن عطية: "إِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ"، يحتمل أن يريد الرسل والأنبياء، ويحتمل أن يريد الرحمة التي ذكر بعد، وعلى التأويل الأول نصب قوله: رَحْمَةً عَلَى الْمَصْدَرِ، ويحتمل أن يكون نصبها على الحال<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري: "فإن قلت: {إِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} بم يتعلق؟ قلت: يجوز أن يكون بدلا من قوله: {إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} و{رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} مفعولا له، على معنى: إنا أنزلنا القرآن، لأن من شأننا إرسال الرسل بالكتب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم، وأن يكون تعليلا ليفرق. أو لقوله أمراً مِنْ عِنْدِنَا وَرَحْمَةً: مفعولا به، وقد وصف الرحمة بالإرسال كما وصفها به في قوله تعالى: {وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ}، أي: يفصل في هذه الليلة كل أمر. أو تصدر الأوامر من عندنا، لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا. وفصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها من باب الرحمة، وكذلك الأوامر الصادرة من جهته عز وعل، لأن الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع. والأصل: إنا كنا مرسلين رحمة منا، فوضع الظاهر موضع الضمير إيدانا بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الدخان : ٦]، أي: إنه هو السميع يسمع جميع الأصوات، العليم بجميع أمور خلقه الظاهرة والباطنة<sup>(٣)</sup>.

قال السعدي: "أي: يسمع جميع الأصوات ويعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة وقد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله وكتبه فرحمهم بذلك ومن عليهم فله تعالى الحمد والمنة والإحسان"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [الدخان : ٧]، أي: الذي أنزل القرآن وهو ربُّ السموات والأرض وخالقهما ومالكهما ومن فيهما<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره الذي أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك، وأرسلك إلى هؤلاء المشركين رحمة من ربك، مالك السموات السبع والأرض وما بينهما من الأشياء كلها"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : الذي أنزل هذا القرآن هو رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما"<sup>(٧)</sup>.

قال السعدي: "أي: خالق ذلك ومدبره والمتصرف فيه بما شاء"<sup>(٨)</sup>.  
عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، الله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} [الدخان : ٧]، أي: "إن كنتم من أهل الإيمان واليقين"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : إن كنتم متحققين"<sup>(١١)</sup>.  
قال السعدي: "أي: عالمين بذلك علما مفيدا لليقين فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق"<sup>(١٢)</sup>.

(١) المحرر الوجيز: ٦٩/٥.

(٢) الكشاف: ٢٧١/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٩٦.

(٤) تفسير السعدي: ٧٧١.

(٥) صفوة التفاسير: ١٥٩/٣.

(٦) .

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٧.

(٨) تفسير السعدي: ٧٧١.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(١٠) صفوة التفاسير: ١٥٩/٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٧.

(١٢) تفسير السعدي: ٧٧١.

قال الطبري: يقول: " إن كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم ربّ السموات والأرض، فإن الذي أخبرتكم أن الله هو الذي هذه الصفات صفاته، وأن هذا القرآن تنزيله، ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حق يقين، فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الأشياء غيره" (١).

قال الواحدي: " أي: إن أيقنتم بأنّه ربّ السموات والأرض فأيقنوا أنّ محمداً رسوله لأنه أرسله" (٢).

قال البيضاوي: " أي: إن كنتم من أهل الإيقان في العلوم، أو كنتم موقنين في إقراركم إذا سئلتهم من خلقها؟ فقلتم الله، علمتم أن الأمر كما قلنا، أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك" (٣).  
قال ابن عطية: " قوله: {إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ}، تقرير وتثبيت، أي: إن كنت موقنا بهذا يكون يقينك، كما تقول لإنسان تقيم نفسه: العلم غرضك إن كنت رجل" (٤).

قال الزمخشري: " فإن قلت: ما معنى الشرط الذي هو قوله: {إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ}؟ قلت: كانوا يقرون بأن للسموات والأرض ربا وخالقا، فقليل لهم: إن إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة من الرب، ثم قيل: إن هذا الرب هو السميع العليم الذي أنتم مقرون به ومعترفون بأنه رب السموات والأرض وما بينهما إن كان إقراركم عن علم وإيقان، كما تقول: إن هذا إنعام زيد الذي تسمع الناس بكرمه واشتهر وإسخاؤه إن بلغك حديثه وحدثت بقصته" (٥).  
قوله تعالى: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ} [الدخان: ٨]، أي: " لا إله يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، يحيى الأموات ويميت الأحياء" (٦).

قال الطبري: " يقول: لا معبود لكم أيها الناس غير ربّ السموات والأرض وما بينهما، فلا تعبدوا غيره، فإنه لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، هو الذي يحيى ما يشاء، ويميت ما يشاء مما كان حيا" (٧).

قال السعدي: " أي: لا معبود إلا وجهه، وهو المتصرف وحده بالإحياء والإماتة وسيجمعكم بعد موتكم فيجزئكم بعملكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر" (٨).  
قال البيضاوي: " إذ لا خالق سواه. يحيى ويميت كما تشاهدون" (٩).  
قال القرطبي: " أي: هو خالق العالم، فلا يجوز أن يشرك به غيره ممن لا يقدر على خلق شيء. وهو يحيى الأموات ويميت الأحياء" (١٠).

عن محمد بن إسحاق: " {لا إله إلا هو}، قال: ليس معه غيره شريكا في أمره" (١١).  
قال سهل: " لا إله على الحقيقة إلا من يقدر على الإيجاد من العدم، وعلى العدم من الإيجاد" (١٢).

عن محمد بن إسحاق: " {يحيى ويميت}، أي: يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء، من ذلك بأجلهم بقدرته" (١٣).

(١) .

(٢) الوجيز: ٩٨٢.

(٣) تفسير البيضاوي: ١٠٠/٥.

(٤) المحرر الوجيز: ٦٩/٥.

(٥) الكشف: ٢٧١/٤-٢٧٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩٦، والتفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٨٤٦/٩.

(٧) .

(٨) تفسير السعدي: ٧٧١. [بتصرف بسيط]

(٩) تفسير البيضاوي: ١٠٠/٥.

(١٠) تفسير القرطبي: ١٢٩/١٦.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٣٤): ص ٦/٢٠١٠.

(١٢) تفسير التستري: ١٤١.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧٨): ص ٦/١٨٩٨.

قوله تعالى: {رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ} [الدخان : ٨]، أي: "هو خالقكم وخالق من قبلكم من آبائكم وأجدادكم"<sup>(١)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: هو مالكم ومالك من ماضي قبلكم من آبائكم الأولين، يقول: فهذا الذي هذه صفته، هو الربّ فاعبدوه دون آلهتكم التي لا تقدر على ضرر ولا نفع"<sup>(٢)</sup>.  
 قال ابن عطية: "أي: مالكم ومالك آبائكم الأولين"<sup>(٣)</sup>.  
 قال السمعاني: "أي: المتقدمين"<sup>(٤)</sup>.  
 قال السعدي: "أي: رب الأولين والآخرين مربيهم بالنعم الدافع عنهم النقم"<sup>(٥)</sup>.  
 قال القرطبي: "أي: مالكم ومالك من تقدم منكم، واتقوا تكذيب محمد لئلا ينزل بكم العذاب"<sup>(٦)</sup>.  
 عن محمد إسحاق: "ربكم ورب آبائكم الأولين"، أي: وخلق آبائكم الأولين"<sup>(٧)</sup>. وفي رواية: "وخلق آبائكم الأولين وخلقكم، من آبائكم"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

### {بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ} [الدخان : ٩]

التفسير:

بل هؤلاء المشركون في شك من الحق، فهم يلهون ويلعبون، ولا يصدقون به.  
 قال مقاتل: "يقول: بل هم من القرآن في شك لاهون"<sup>(٩)</sup>.  
 قال البغوي: "بل هم في شك من هذا القرآن، يهزؤون به لاهون عنه"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الأخبار، يعني بذلك مشركي قريش، ولكنهم في شك منه، فهم يلهون بشكهم في الذي يخبرون به من ذلك"<sup>(١١)</sup>.  
 قال الواحدي: "بل هم في شك من البعث والنشر {يلعبون} مُشتغلين بالدنيا"<sup>(١٢)</sup>.  
 قال ابن كثير: "يقول تعالى: بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون، أي: قد جاءهم اليقين، وهم يشكون فيه، ويمترون ولا يصدقون به"<sup>(١٣)</sup>.  
 قال ابن عباس: "في ضلال يتمادون"<sup>(١٤)</sup>.  
 وقال مقاتل: " {بَلْ هُمْ} لكن هم {فِي شَكٍّ} من هذا القرآن {يَلْعَبُونَ} لاهون عنه"<sup>(١٥)</sup>.  
 قال القرطبي: "أي: ليسوا على يقين فيما يظهورونه من الإيمان والإقرار في قولهم: إن الله خالقهم، وإنما يقولونه لتقليد آبائهم من غير علم فهم في شك. وإن توهموا أنهم مؤمنون فهم يلعبون في دينهم بما يعن لهم من غير حجة. وقيل: "يلعبون" يضيفون إلى النبي صلى الله عليه

(١) تفسير المراعي: ٥٤/١٩.

(٢)

(٣) المحرر الوجيز: ٦٩/٥.

(٤) تفسير السمعاني: ١٢٢/٥.

(٥) تفسير السعدي: ٧٧١.

(٦) تفسير القرطبي: ١٢٩/١٦.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٥٧٤): ص ٢٧٥٦/٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٥٧٧): ص ٢٧٥٦/٨.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٩/٣.

(١٠) تفسير البغوي: ٢٢٨/٧.

(١١) تفسير الطبري: ١٣-١٢/٢٢.

(١٢) الوجيز: ٩٨٢.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٧.

(١٤) التفسير البسيط للواحدي: ٩٨/٢٠.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٨١٨/٣.

وسلم الافتراء استهزاء. ويقال لمن أعرض عن المواعظ: لاعب، وهو كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يدري عاقبته"<sup>(١)</sup>.

قال ابن عطية: "بَلُّ هُمْ فِي شَكِّ، إضراب قبله نفي مقدر، كأنه يقول: ليس هؤلاء ممن يؤمن ولا ممن يتبع وصاة، بل هم في شك يلعبون في أقوالهم وأعمالهم"<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي: "فلما قرر تعالى ربوبيته وألوهيته بما يوجب العلم التام ويدفع الشك أخبر أن الكافرين مع هذا البيان {فِي شَكِّ يَلْعَبُونَ} أي: منغمرون في الشكوك والشبهات غافلون عما خلقوا له قد اشتغلوا باللعب الباطل، الذي لا يجدي عليهم إلا الضرر"<sup>(٣)</sup>.

قال الشوكاني: "أضرب عن كونهم موقنين إلى كونهم في شك من التوحيد والبعث، وفي إقرارهم بأن الله خلقهم، وخالق سائر المخلوقات، وأن ذلك منهم على طريقة اللعب والهزو"<sup>(٤)</sup>.  
فوائد الآيات: [٩-١]:

١- بيان فضل ليلة القدر وأنها في رمضان.

وقد رويت آثار وأحاديث يزعم أصحابها أن الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان وردها أهل العلم قال ابن العربي: "وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر، ومنهم من قال: إنها ليلة النصف من شعبان؛ وهو باطل؛ لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [البقرة: ١٨٥]، فنص على أن ميقات نزوله رمضان، ثم عبر عن زمانية الليل هاهنا بقوله: {فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ} [الدخان: ٣]، فمن زعم أنه في غيره فقد أعظم الفرية على الله، وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه، لا في فضلها، ولا في نسخ الأجل فيها، فلا تلتفتوا إليها"<sup>(٥)</sup>.

٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر وإثبات اللوح المحفوظ.

٣- إرسال الرسل رحمة من الله بعباده، فلم يكن زمن الفترة وأهلها أفضل من زمن الوحي.

٤- لم يكن أفراد المشركين بربوبية الله تعالى لخلقه عن علم يقيني بل هم مقلدون فيه فلذا لم يحملهم على توحيد الله في عبادته، وهذا شأن كل علم أو معتقد ضعيف.

## القرآن

{فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢)} [الدخان: ١٠-١٢]

التفسير:

فانتظر -أيها الرسول- بهؤلاء المشركين يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يعمُّ الناس، ويقال لهم: هذا عذاب مؤلم موجه، ثم يقولون سائلين رفعه وكشفه عنهم: ربنا اكشف عنا العذاب، فإن كشفته عنا فإننا مؤمنون بك. وقد تحقق ذلك، فلم يؤمنوا كما وعدوا.

قوله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} [الدخان: ١٠]، أي: "فانتظر -أيها الرسول- بهؤلاء المشركين يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "فانتظر يا محمد لمشركي قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذي يحل بهم على كفرهم بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان"<sup>(٧)</sup>.

عن قتادة: "فَارْتَقِبْ، أي: فانتظر"<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير القرطبي: ١٢٩/١٦-١٣٠.

(٢) المحرر الوجيز: ٦٩/٥.

(٣) تفسير السعدي: ٧٧١.

(٤) فتح القدير: ٦٥٤/٤.

(٥) أحكام القرآن: ١١٧/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩٦.

(٧) تفسير الطبري: ١٩/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ١٣/٢٢.



قال ابن كثير: " {بِدُخَانٍ مُّبِينٍ}، أي : بين واضح يراه كل أحد" (١).  
 قال الزمخشري: أي: "ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان" (٢).  
 وفي تفسير قوله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} [الدخان : ١٠]، ثلاثة أقوال:

أحدها : ما أصاب أهل مكة من شدة الجوع حتى صار بينهم وبين السماء كهيئة الدخان لما دعا عليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في إبطائهم عن الإيمان وقصدهم له بالأذى ، فقال : «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِسَبْعِ كَسْبَعِ يُوسُفَ». قاله ابن مسعود (٣)، وأبو سعيد الخدري (٤)، ومجاهد (٥)، ويحيى بن سلام (٦)، ومقاتل (٧)، وبه قال الفراء (٨)، وابن قتيبة (٩).

قال الزجاج: " في أكثر التفسير أن الدخان قَدْ مَضَى وذلك حين دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على مُضَرِّ فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مُضَرِّ واجعلها عليهم سنين كسني يُوسُفَ». أي: اجعلهم سيئوهم في الجذب كسني يوسف. والعَرَبُ أيضاً تسمى الجذب السِنَّةُ، فيكونُ المَعْنَى اجعلها عليهم جُدُوبًا. فارتفع القَطْرُ، وأجْدَبَتِ الأرضُ وصار بين السماء والأرض كالدخان" (١٠).

قال ابن قتيبة : " قيل للجوع: دخان لئیس الأرض في سنة الجذب، وانقطاع النبات، وارتفاع الغبار. فثبته ما يرتفع منه بالدخان. كما قيل لسنة المجاعة: غَبْرَاءُ؛ وقيل: جُوعٌ أَغْبَرُ وربما وضعت العرب الدخانَ موضع الشر إذا علا، فيقولون: كان بيننا أمر ارتفع له دخان" (١١).  
 قل يحيى: " أخذوا بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الميتة والعظام، وأجهدوا حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء دخاناً" (١٢).

قال مقاتل: " وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- دعا الله- عز وجل- على كفار قريش فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسنين يوسف»، فأصابتهم شدة حتى أكلوا العظام والكلاب والجيف من شدة الجوع، فكان الرجل يرى بينه وبين السماء الدخان من الجوع" (١٣).  
 قال مجاهد: " الجذب وإمساك المطر عن كفار قريش" (١٤).

قال مسروق: " كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود فجاء رجل فقال: سمعت رجلا أنفا عند أبواب كندة، يقول: إنه سيأتي على الناس دخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويكون على المؤمنين كهيئة الزكمة فغضب ابن مسعود، وقال: يا أيها الناس من علم منكم شيئا فليقل، ما يعلم ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن الله يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلمين} [ص: ٨٦] إن قريشا لما أدوا النبي صلى الله عليه وسلم، وكذبوه دعا عليهم فقال: " اللهم خذهم بسنين كسني يوسف، فأخذتهم سنة أهلكت كل شيء حتى أصابهم جوع شديد وجهد حتى أكلوا الميتة وأكلوا القضب، حتى جعل أحدهم يخيل إليه أنه يرى ما بينه وبين السماء

(١) تفسير ابن كثير: ٢٤٩/٧.

(٢) الكشاف: ٢٧٣/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٢-١٤، وتفسير عبدالرزاق في التفسير (٢٨٠٣): ص ١٨١/٣، وتفسير ابن ابي حاتم (١٨٥٣٣): ص ٣٢٨٧/١٠-٣٢٨٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٢.

(٥) انظر: تفسير مجاهد: ٥٩٧.

(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٤١٢/١.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٨/٣.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٣٩/٣.

(٩) انظر: غريب القرآن: ٤٠٢.

(١٠) معاني القرآن: ٤٢٤/٤.

(١١) غريب القرآن: ٤٠٢.

(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٤١٢/١.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٨/٣.

(١٤) تفسير مجاهد: ٥٩٧.

دخاناً، فجاء أبو سفيان، فقال: يا محمد إنك بعثت بالرحمة والعافية والخير، وإن قومك قد هلكوا، ثم تلا ابن مسعود {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين} [الدخان: ١٠] حتى بلغ {كاشفو العذاب قليلاً} [الدخان: ١٥] قال: " فيكشف عذاب الآخرة، ثم قال: {يوم نبطش البطشة الكبرى} [الدخان: ١٦] : هذا يوم بدر، واللزام: القتل يوم بدر وقد مضى هذا كله، وآية الروم قد مضت" (١).

قال ابن مسعود: " خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم" (٢).

قال ابن مسعود: " البطشة الكبرى يوم بدر، وقد مضى الدخان" (٣).

قال ابن مسعود: " قد مضى الدخان، كان سنين كسني يوسف" (٤).

قال إبراهيم: " مضى الدخان لسنين أصابتهم" (٥).

قال عوف: " سمعت أبا العالية يقول: إن الدخان قد مضى" (٦).

قال الضحاك: " قد مضى شأن الدخان" (٧).

قال أحمد الكرجي القصاب: " قوله: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ}، دليل على أنه كان في الدنيا، لأن السماء مطوية يوم القيامة" (٨).

قال عاصم: "شهدت جنازة فيها زيد بن علي فأنشأ يحدث يومئذ، فقال: إن الدخان يجيء قبل يوم القيامة، فيأخذ بأنف المؤمن الزكام، ويأخذ بمسامع الكافر، قال: قلت رحمك الله، إن صاحبنا عبد الله قد قال غير هذا، قال: إن الدخان قد مضى وقرأ هذه الآية: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}، قال: أصاب الناس جهد حتى جعل الرجل يرى ما بينه وبين السماء دخاناً، فذلك قوله: {فَارْتَقِبْ}، وكذا قرأ عبد الله إلى قوله {مُؤْمِنُونَ}، قال: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا}، قلت لزيد: فعادوا، فأعاد الله عليهم بدراً، فذلك قوله: {وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا}، فذلك يوم بدر، قال: فقبل والله، قال عاصم: فقال رجل يردّ عليه، فقال زيد -رحمة الله عليه-: أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال: «إِنَّكُمْ سَيَجِيئُكُمْ رُؤَاةٌ، فَمَا وَاقِقَ الْقُرْآنَ فَخُذُوا بِهِ، وَمَا كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَدَعُوهُ» (٩).

الثاني: أنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغيوم، قاله عبد الرحمن بن الأعرج (١٠).

قال ابن كثير: " وهذا القول غريب جداً بل منكر" (١١).

الثالث: أنه دخان يهيج بالناس يوم القيامة يأخذ المؤمن منه كالزكمة، وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه، قاله علي-رضي الله عنه- (١٢)، وابن عباس (١٣)، وابن عمر (١٤)، والحسن (١٥). ورواه حذيفة اليمان وأبو مالك الأشعري مرفوعاً (١٦).

(١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٠٣):ص١٨١/٣، وانظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٢-١٤، وصحيح البخاري (٤٨٠٩):ص١٢٤/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ١٥/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري: ١٦/٢٢.

(٨) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام: ١٣٦/٤.

(٩) أخرجه الطبري: ١٥/٢٢.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٣٢):ص٣٢٨٧/١٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٤٧/٧.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٣٤):ص٣٢٨٨/١٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٢.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٢.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٢.

(١٦) أخرجه الطبري: ١٧/٢٢-١٨.

عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة الدجال"<sup>(١)</sup>.

عن رُبَيْعِ بْنِ حِرَاشٍ، قال: سمعت حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانَ يَقُولُ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول الآيات الدجال، ونزول عيسى بن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا، والدخان»، قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية: {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام. وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره"<sup>(٢)</sup>.

وفي الصحيحين: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن الصياد: «إني خبأت لك خَبَأً» قال: هو الدُّخ. فقال له: «اخسأ فلن تعدو قدرك». قال: وخبأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ}"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب، وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان، وهم يُقرطمون العبارة؛ ولهذا قال: «هو الدُّخ»، يعني: الدخان. فعندها عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مادته وأنها شيطانية، فقال له: «اخسأ فلن تعدو قدرك»"<sup>(٤)</sup>.

قال الحسن: "إن الدخان قد بقي من الآيات، فإذا جاء الدخان نفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع من مسامعه، ويأخذ المؤمن كزكمة"<sup>(٥)</sup>.

قال علي-رضي الله عنه-: "لم تمض آية الدخان بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وتنفخ الكافر حتى ينفذ"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عمر: "يخرج الدخان، فيأخذ المؤمن كهيئة الزكمة، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق، حتى يكون كالرأس الحنيز"<sup>(٧)</sup>.

عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: "غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرقت، فما نمت حتى أصبحت"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن. وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين أجمعين، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما، التي أوردناها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "الصواب في ذلك ما روي عن ابن مسعود من أن الدخان الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه، هو ما أصاب قومه من الجهد بدعائه عليهم، على ما وصفه ابن مسعود من ذلك إن لم يكن خبر حذيفة الذي ذكرناه عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً، وإن كان صحيحاً، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أنزل الله عليه، وليس لأحد مع قوله الذي يصح عنه قول.

(١) أخرجه الطبري: ١٨/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ١٧/٢٢-١٨.

(٣) صحيح البخاري برقم (٣٠٥٥) وصحيح مسلم برقم (٢٩٣٠) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٤٨/٧.

(٥) أخرجه الطبري: ١٧/٢٢.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٣٤): ص ٣٢٨٨/١٠.

(٧) أخرجه الطبري: ١٧/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ١٧/٢٢، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٤٩/٧.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٤٩/٧.

وإنما لم أشهد له بالصحة، لأن محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل روادا عن هذا الحديث، هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا فقلت له: فقرأته عليه، فقال: لا فقلت له: فقرأه علي وأنت حاضر فأقر به، فقال: لا فقلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه علي وقالوا لي: اسمعه منا فقرأه علي، ثم ذهبوا، فحدثوا به عني، أو كما قال؛ فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة، وإنما قلت: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية، لأن الله جل ثناؤه توعد بالدخان مشركي قريش وأن قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه إياهم بشركهم بقوله: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ} ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه الصلاة والسلام: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} أمرا منه له بالصبر إلى أن يأتيهم بأسه وتهديدا للمشركين فهو بأن يكون إذ كان وعيدا لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون آخره عنهم لغيرهم.

وبعد، فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلا فيما يستأنف بعد بأخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك، لأن الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح" (١).

قال التستري في الآية: "الدخان في الدنيا قسوة القلب والغفلة عن الذكر، ولا عقوبة أعظم في الدنيا من فساد القلب. وقد حكي عن أويس القرني وهرم بن حيان أنهما التقيا يوماً، فقال هرم لأويس: ادعُ الله. فقال: يصلح لك نيتك وقلبك فلن تعالج شيئاً أشد منهما، بينما قلبك مقبل إذ هو مدبر، وبينما هو مدبر إذ هو مقبل، ولا تنظر إلى صغير الخطيئة، وانظر إلى عظمة من عصيت، فإنك إن عظمتها فقد عظمت الله تعالى، وإن صغرتها فقد صغرت الله تعالى" (٢).

قوله تعالى: {يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان : ١١]، أي: "يشمل كفار قريش ويعمهم من كل جانب ويقولون حين يصيبهم الدخان: هذا عذاب أليم" (٣).

قال الطبري: "يقول: يعشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم، فيقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد: هذا عذاب أليم. وهو الموجع، وترك من الكلام «يقولون» استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها" (٤).

قال مقاتل: "يَعْشَى النَّاسَ، يعني: أهل مكة، {هَذَا} الجوع {عَذَابٌ أَلِيمٌ}، يعني: وجيع" (٥).

قال الزمخشري: "يَعْشَى النَّاسَ: يشلمهم ويلبسهم" (٦).

قال ابن كثير: "أي: يتغشاهم ويعمهم، ولو كان أمرا خيالياً يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: {يَعْشَى النَّاسَ}، وقوله: {هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}، أي: يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا، كقوله تعالى: {يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا هَذِهِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ} [الطور : ١٣، ١٤]، أو يقول بعضهم لبعض ذلك" (٧).

قال أبو العالية: "الأليم: الموجع في القرآن كله" (٨)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك" (٩).

(١) تفسير الطبري: ١٩-١٨/٢٢.

(٢) تفسير التستري: ١٤١.

(٣) صفوة التفاسير: ١٦٠/٣.

(٤) تفسير الطبري: ١٩/٢٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٨/٣.

(٦) الكشف: ٢٧٣/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٥٠-٢٤٩/٧.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

قوله تعالى: {رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ} [الدخان : ١٢]، أي: "ويقولون مستغيثين: ربنا ارفع عنا العذاب فإننا مؤمنون بمحمد وبالقرآن إن كشفته عنا"<sup>(١)</sup>.  
قال الطبري: "يعني: أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسألتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم، ويقولون: إنك إن كشفته أمانا بك وعبدناك من دون كلِّ معبود سواك، كما أخبر عنهم جل ثناؤه: {رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ}"<sup>(٢)</sup>.  
قال النحاس: "أي: يقول الناس الذين أصابهم الجذب «هذا عذاب أليم»"<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم، كقوله: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفِّقُوا عَلَى النَّارِ قَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام : ٢٧]. وكذا قوله: {وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولَمْ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} [إبراهيم : ٤٤]"<sup>(٤)</sup>.

عن قتادة: {رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ}، قال: الدُّخَانُ"<sup>(٥)</sup>.  
عن سليمان بن مهران الأعمش - من طريق وكيع - قال: "قالوا: {رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ}، يعني: الجوع. فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا إلى كفرهم. فدعا ربّه، فكشف عنهم، فعادوا، فانقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} إلى قوله: {مُنْتَقِمُونَ}"<sup>(٦)</sup>.

وقال مقاتل: "ثم إن أبا سفيان بن حرب، وعتبة ابن ربيعة، والعاص بن وائل، والمطعم بن عدي، وسهيل بن عمرو، وشيبة ابن ربيعة، كلهم من قريش، أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا محمد، استسق لنا، فقالوا: {رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ}، يعني: الجوع، {إِنَّا مُؤْمِنُونَ}، يعني: إنا مصدقون بتوحيد الرب وبالقرآن"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١٤)}

[الدخان : ١٣-١٤]

التفسير:

كيف يكون لهم التذكر والاتعاظ بعد نزول العذاب بهم، وقد جاءهم رسول مبين، وهو محمد عليه الصلاة والسلام، ثم عرضوا عنه وقالوا: علمه بشر أو الكهنة أو الشياطين، هو مجنون وليس برسول؟

قوله تعالى: {أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَىٰ} [الدخان : ١٣]، أي: "كيف يكون لهم التذكر والاتعاظ بعد نزول العذاب بهم"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: من أين لهم التذكرة، يعني: الجوع الذي أصابهم بمكة"<sup>(٩)</sup>.  
قال ابن كثير: "يقول: كيف لهم بالتذكر"<sup>(١٠)</sup>.

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(٢) صفة التفاسير: ١٦٠/٣.

(٣) تفسير الطبري: ١٩/٢٢.

(٤) إعراب القرآن: ٨٤/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٧.

(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٧) أخرجه البغوي ٧/٢٢٩.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٨/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩٦.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٩/٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٧.

قال الزمخشري: " كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب"<sup>(١)</sup>.

عن مجاهد: " {أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى}، بعد وقوع هذا البلاء"<sup>(٢)</sup>.  
عن ابن عباس، قوله: " {أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى}، يقول: كيف لهم"<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: {وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ} [الدخان : ١٣]، أي: " والحال أنه قد أتاهم رسولٌ بين الرسالة، مؤيدٌ بالبينات الباهرة، والمعجزات القاهرة، ومع هذا لم يؤمنوا به ولم يتعبوه؟"<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن كثير: أي: " وقد أرسلنا إليهم رسولا بين الرسالة والندارة"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: " يعني: محمدا- صلى الله عليه وسلم- {مبين}، يعني: هو بين أمره"<sup>(٦)</sup>.  
قال الزمخشري: " {وَقَدْ جَاءَهُمْ} ما هو أعظم وأدخل في وجوب الاتكار من كشف الدخان، وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ} [الدخان : ١٤]، أي: " ثم أعرضوا عنه وقالوا: علمه بشر أو الكهنة أو الشياطين، هو مجنون وليس برسول"<sup>(٨)</sup>.

قال مجاهد: " تولوا عن محمد عليه الصلاة والسلام، وقالوا: معلم مجنون"<sup>(٩)</sup>.  
قال الزمخشري: " فلم يذكروا وتولوا عنه، وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه، ونسبوه إلى الجنون"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: أي: " ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه، بل كذبوه وقالوا : معلم مجنون. وهذا كقوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَنْدَكُرُ الْإِنْسَانُ وَأَتَى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [ الفجر : ٢٣ ، ٢٤]، وقوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخْدُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَتَى لَهُمُ التَّنَاوُسُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ. وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَذْفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ. وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ} [ سبأ : ٥١ - ٥٤ ]"<sup>(١١)</sup>.

قال مقاتل: " جاءهم بالهدى، {ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ}، يقول: ثم أعرضوا عن محمد- صلى الله عليه وسلم- إلى الضلالة، {وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ} قال ذلك عقبة بن أبي معيط إن محمدا مجنون، وقالوا إنما يعلمه جبر غلام عامر ابن الحضرمي، وقالوا: لأن لم ينته جبر غلام عامر بن الحضرمي فأوعدوه: لنشترينه من سيده، ثم لنصلينه حتى ينظر هل ينفعه محمد أو يغني عنه شيئا"<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

{إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥)} [الدخان : ١٥]  
التفسير:

- (١) الكشاف: ٢٧٣/٤.
- (٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٢.
- (٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٢.
- (٤) صفوة التفاسير: ١٦٠/٣.
- (٥) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٧.
- (٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٩/٣.
- (٧) الكشاف: ٢٧٣/٤.
- (٨) التفسير الميسر: ٤٩٦.
- (٩) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٢.
- (١٠) الكشاف: ٢٧٣/٤.
- (١١) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٧.
- (١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٩/٣.

سنرفع عنكم العذاب قليلا، وسترون أنكم تعودون إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلال والتكذيب، وأنا سنعاقيكم على ذلك.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل والعذاب الحالّ بهم من الجهد، وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه إن كشف العذاب عنهم آمنوا، إنا كاشفوا الضرّ النازل بهم بالخصب الذي نحدثه لهم، إنكم أيها المشركون إذا كَشَفْتُ عنكم ما بكم من ضرّ لم تفوا بما تعدون وتعاهدون عليه ربكم من الإيمان، ولكنكم تعودون في ضلالكم وغيكم، وما كنتم قبل أن يكشف عنكم"<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري: "أى ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون إلى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتغال"<sup>(٢)</sup>.

قال السمعاني: "نا كاشفوا العذاب، أي: بدعاء النبي، والعذاب هو الدخان والقحط"<sup>(٣)</sup>.  
قال مقاتل: "فدعا النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: اللهم اسقنا غيثا مغيثا عاما طبقا مطبقا غدقا ممرعا مريا عاجلا غير ريث نافعا غير ضار، فكشف الله- تعالى- عنهم العذاب، فذلك قوله: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ}، يعني: الجوع {قَلِيلًا} إلى يوم بدر، {إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} إلى الكفر فعادوا فانقم الله منهم بيدر فقتلهم"<sup>(٤)</sup>.

عن قتادة: "إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا}، يعني: الدخان"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن زيد: "قد فعل، كشف الدخان حين كان"<sup>(٦)</sup>.

والآية تحتمل ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها: المعنى: ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا، لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب، كقوله: {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [المؤمنون: ٧٥]، وكقوله: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: ٢٨]. وهذا قول ابن مسعود<sup>(٧)</sup>، وبه قال مقاتل<sup>(٨)</sup>.

قال ابن مسعود: "فكشفت ثم عادوا في كفرهم، فأخذهم الله يوم بدر، قال الله تعالى: {يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون} [الدخان: ١٦]"<sup>(٩)</sup>.

عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- "أن قريشا لما أبطنوا على النبي صلى الله عليه وسلم بالإسلام، قال: «اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف» فأصابتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا العظام، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان، قال الله: {فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين} [الدخان: ١٠]، قال الله: {إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون} [الدخان: ١٥]، أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟ وقد مضى الدخان، ومضت البطشة"<sup>(١٠)</sup>.

الثاني: أنكم عائدون إلى نار جهنم. قاله قتادة<sup>(١١)</sup>.

عن قتادة: "إِنَّكُمْ عَائِدُونَ}، إلى عذاب الله"<sup>(١٢)</sup>. وفي رواية: "عائدون إلى النار"<sup>(١٣)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٢٢/٢٠-٢١.

(٢) الكشاف: ٤/٢٧٣.

(٣) تفسير السمعاني: ٥/١٢٤.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٨١٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٢١/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٢١/٢٢.

(٧) انظر: صحيح البخاري(٤٨٠٩):ص١٢٤/٦، وانظر: الدر المنثور: ٧/٤٠٦، وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٨١٩.

(٩) صحيح البخاري(٤٨٠٩):ص١٢٤/٦.

(١٠) صحيح البخاري(٤٦٩٣):ص٧٧/٦.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٢، وتفسير عبدالرزاق(٢٨٠٦):ص١٨٢/٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢١/٢٢.

الثالث: أن يكون المراد : إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلا بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم، وأنتم مستمرين فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم، كقوله تعالى: {إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ} [ يونس : ٩٨ ]، ولم يكن العذاب باشرهم، واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه ووصوله عليهم، ولا يلزم أيضاً أن يكونوا قد أفلحوا عن كفرهم ثم عادوا إليه، قال الله تعالى إخباراً عن شعيب أنه قال لقومه حين قالوا: {لِنُخْرِجَكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنَا أَوْ لَنَعُوذَنَّ فِي مَلِئْنَا قَالَ أُولَئِكَ أَكَارِهِينَ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا} [ الأعراف : ٨٨، ٨٩ ]، وشعيب -عليه السلام- لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم. ذكره ابن كثير<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

### {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦)} {الدخان : ١٦}

التفسير:

يوم نعدب جميع الكفار العذاب الأكبر يوم القيامة وهو يوم انتقامنا منهم.  
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم، والضرّ الحالّ بكم، ثم عدتم في كفركم، ونقضتم عهدكم الذي عاهدتم ربكم، انتقمتم منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا، فأهلككم، وكشف الله عنهم، فعادوا، فبطش بهم جلّ ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا، فأهلكهم قتلاً بالسيف"<sup>(٣)</sup>.  
قال مقاتل: "فكانت البطش في المدينة يوم بدر أكثر مما أصابهم من الجوع بمكة، فذلك قوله: {إِنَّا مُنتَقِمُونَ} بالقتل وضرب الملائكة وجوههم وأديبارهم وعجل الله أرواحهم إلى النار"<sup>(٤)</sup>.

قال السمعاني: أي: "يوم القيامة، إنا منتقمون بالعقوبة من الكفار"<sup>(٥)</sup>.

وفي تفسير قوله: {الْبَطْشَةُ الْكُبْرَىٰ} {الدخان : ١٦}، ثلاثة أقوال:

أحدهما : القتل بالسيف يوم بدر، قاله ابن مسعود-في رواية-<sup>(٦)</sup>، وأبي بن كعب<sup>(٧)</sup>، وابن عباس<sup>(٨)</sup>، ومسروق<sup>(٩)</sup>، ومجاهد<sup>(١٠)</sup>، والضحاك<sup>(١١)</sup>، وأبو العالية<sup>(١٢)</sup>، وعطاء الخراساني<sup>(١٣)</sup>، وابن زيد<sup>(١٤)</sup>.

الثاني : عذاب جهنم يوم القيامة، قاله ابن مسعود-في واية أخرى-<sup>(١٥)</sup>، وابن عباس<sup>(١٦)</sup>، والحسن<sup>(١)</sup>، وعكرمة<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير عبدالرزاق (٢٨٠٦): ص ١٨٢/٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٧.

(٣) تفسير الطبري: ٢٢-٢١/٢٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨١٩/٣.

(٥) تفسير السمعاني: ١٢٤/٥. [بتصرف].

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٦/٢٢، ٢٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢٢.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢٢.

(١٣) أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٣.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.



قال الحسن: "إنَّ يومَ البطشة الكبرى يوم القيامة"<sup>(٣)</sup>.  
عن عكرمة، قال: "قال ابن عباس: قال ابن مسعود: البطشة الكبرى: يوم بدر، وأنا أقول: هي يوم القيامة"<sup>(٤)</sup>.

قال إبراهيم: "مرَّ بي عكرمة، فسألته عن البطشة الكبرى فقال: يوم القيامة؛ قال: قلت: إن عبد الله بن مسعود كان يقول: يوم بدر، وأخبرني من سأله بعد ذلك فقال: يوم بدر"<sup>(٥)</sup>.  
الثالث: أنها قيام الساعة لأنها خاتمة بطشاته في الدنيا. أفاده الماوري<sup>(٦)</sup>.  
وفي الفرق بين النعمة والعقوبة ثلاثة وجوه<sup>(٧)</sup>:  
أحدها: أن العقوبة بعد المعصية لأنها من العاقبة، والنعمة قد تكون قبلها، قاله ابن عيسى<sup>(٨)</sup>.  
الثاني: أن العقوبة قد تكون في المعاصي، والنعمة قد تكون في خلقه لأجله.  
الثالث: أن العقوبة ما تقدرت، والانتقام غير مقدر.  
فوائد الآيات: [١٠-١٦]:

١- صدق وعد الله لرسوله واستجابة دعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- الإيمان عند معاناة العذاب لا يجدي ولا ينفع.

٣- بيان ما قابلت به قريش دعوة الإسلام من جحود وكفران.

٤- إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك آية أنه وحي الله وكلامه تعالى.

## القرآن

**{وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧)} [الدخان: ١٧]**

التفسير:

ولقد اختبرنا وابتلينا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون، وجاءهم رسول كريم، وهو موسى عليه السلام، فكذبوه فهلكوا، فهكذا نفع بأعدائك أيها الرسول، إن لم يؤمنوا.  
قوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ} [الدخان: ١٧]، أي: "ولقد اختبرنا وابتلينا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون"<sup>(٩)</sup>.

عن قتادة: " {وَلَقَدْ فَتَنَّا} قال: ابتلينا"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "يعني تعالى ذكره: ولقد اختبرنا وابتلينا يا محمد قبل مشركي قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى: ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون، وهم قبط مصر"<sup>(١٢)</sup>.

قال مقاتل: "حتى ازدروه كما ازدري أهل مكة النبي- صلى الله عليه وسلم- لأنه ولد فيهم فازدروه فكان النبي- صلى الله عليه وسلم- فتنة لهم، كما كان موسى- صلى الله عليه- فتنة لفرعون وقومه، فقالت قريش: أنت أضعفنا وأقلنا حيلة فهذا حين ازدروه كما ازدروا موسى-

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٢.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٤٨/٥.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٤٨/٥.

(٨) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٤٨/٥.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩٦.

(١٠) الدر المنثور: ٤٠٩/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(١١) تفسير الطبري: ٢٤/٢٢.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٧.

عليه السلام- حين قالوا: {أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَآبَاءَ} [الشعراء : ١٨]، فكانت فتنة لهم من أجل ذلك ذكر فرعون دون الأمم" (١).

قوله تعالى: {وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ} [الدخان : ١٧]، أي: "وجاءهم رسول كريم، وهو موسى عليه السلام" (٢).

قال الطبري: "يقول: وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه إليهم، وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه.. ووصفه جل ثناؤه بالكرم، لأنه كان كريماً عليه، رفيعاً عنده مكانه، وقد يجوز أن يكون وصفه بذلك، لأنه كان في قومه شريفاً وسيطاً" (٣).

قال مقاتل: "يعني: الخلق، كان يتجاوز ويصفح، يعني: موسى حين سأل ربه أن يكشف عن أهل مصر الجراد والقمل" (٤).

قال ابن كثير: "يعني: موسى كليماً، عليه السلام" (٥).

عن قتادة، قوله: "رَسُولٌ كَرِيمٌ"، قال: موسى عليه السلام" (٦).

قال الصابوني: "أي: شريف الحسب والنسب، من أكرم عباد الله وهو موسى الكليم عليه أفضل الصلاة والتسليم" (٧).

## القرآن

{أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَيَّ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الدخان : ١٨]

التفسير:

وقال لهم موسى: أن سلّموا إليّ عباد الله من بني إسرائيل وأرسلوهم معي؛ ليعبدوا الله وحده لا شريك له، إني لكم رسول أمين على وحيه ورسالته.

قوله تعالى: {أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ} [الدخان : ١٨]، أي: "وقال لهم موسى: أن سلّموا إليّ عباد الله من بني إسرائيل وأرسلوهم معي؛ ليعبدوا الله وحده لا شريك له" (٨).

قال مقاتل: "يقول: وخل سبيلهم فإنهم أحرار ولا تستعبدهم" (٩).

قال الزجاج: "أن أسلموا إليّ عباد الله، يعني بني إسرائيل كما قال: {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبُهُمْ}، أي: أطلقهم من عذابك، وجائز أن يكون {عِبَادَ اللَّهِ} مَنْصُوباً عَلَى النِّدَاءِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ مَا أَمْرُكُمْ اللَّهُ بِهِ يَا عِبَادَ اللَّهِ" (١٠).

قال ابن عباس: "يقول: اتبعوني إلى ما أدعوكم إليه من الحق" (١١).

قال مجاهد: "أرسلوا معي بني إسرائيل" (١٢).

عن قتادة: {أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ}، يعني به: بني إسرائيل، قال لفرعون: علام تحبس هؤلاء القوم، قوما أحرارا اتخذتهم عبيدا، خلّ سبيلهم" (١٣).

قال ابن زيد: "يقول: أرسل عباد الله معي، يعني بني إسرائيل، وقرأ: {فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبُهُمْ}، قال: ذلك قوله: {أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ}، قال: ردّهم إلينا" (١٤).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٦.

(٣) تفسير الطبري: ٢٤/٢٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٢.

(٧) صفوة التفاسير: ١٦١/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٦.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٣.

(١٠) معاني القرآن: ٤٢٥/٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٢.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٢.

قال القشيري: " يطالبهم بازالة الظلم عن بنى إسرائيل، وأن يستبصروا، واستنفرهم الله، وأظهر الحجّة من قبل الله" (١).  
 قوله تعالى: {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} [الدخان: ١٨]، أي: "إني لكم رسول أمين على وحيه ورسالته" (٢).  
 قال الطبري: " يقول: إني لكم أيها القوم رسول من الله أرسلني إليكم لا يدرككم بأسه على كفركم به، أمين على وحيه ورسالته التي أوعدنيها إليكم" (٣).  
 قال ابن كثير: " أي: مأمون على ما أبلغكموه" (٤).  
 قال مقاتل: " {أمين} فيما بيني وبين ربكم" (٥).  
 قال ابن عطية: " {رَسُولٌ أَمِينٌ}، معناه: على وحي الله تعالى أؤديه إلى عباده" (٦).  
 قال الكلبي: " أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تتهموني اليوم" (٧).  
 قال الكلبي: " أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تتهموني اليوم" (٨).

### القرآن

{وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَرِلُونِ (٢١)} [الدخان: ١٩-٢١]  
 التفسير:

وألا تتكبروا على الله بتكذيب رسله، إني آتيكم ببرهان واضح على صدق رسالتي، وإني استجرت بالله ربي وربكم أن تقتلوني رجماً بالحجارة، وإن لم تصدقوني على ما جئتكم به فخلوا سبيلي، وكفوا عن أذاي.  
 قوله تعالى: {وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ} [الدخان: ١٩]، أي: "وألا تتكبروا على الله بتكذيب رسله" (٩).

قال ابن عباس: " يقول: لا تفتروا على الله" (١٠).  
 قال قتادة: " أي: لا تبغوا على الله" (١١).  
 قال الطبري: يقول: "أن لا تطغوا وتبغوا على ربكم، فتكفروا به وتعصوه، فتخالفوا أمره" (١٢).  
 قال مقاتل: " يعني: لا تعظموا على الله أن توحدوه" (١٣).  
 قال ابن كثير: " أي: لا تستكبروا عن اتباع آياته، والانقياد لحججه والإيمان ببراهينه، كقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠] " (١٤).  
 قال ابن عطية: " عبر بالعلو عن الطغيان والعتو على الله تعالى وعلى شرعه وعلى رسوله" (١٥).

- 
- (١) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٢.
  - (٢) لطائف الإشارات: ٣٨٣/٣.
  - (٣) التفسير الميسر: ٤٩٦.
  - (٤) تفسير الطبري: ٢٥/٢٢.
  - (٥) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٧.
  - (٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٣.
  - (٧) المحرر الوجيز: ٧١/٥.
  - (٨) تفسير الثعلبي: ٩٠/٢٠. ط. دار التفسير.
  - (٩) التفسير الميسر: ٤٩٧.
  - (١٠) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٢.
  - (١١) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٢.
  - (١٢) تفسير الطبري: ٢٥/٢٢.
  - (١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٣.
  - (١٤) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٧.
  - (١٥) المحرر الوجيز: ٧١/٥.

قوله تعالى: {إِنِّي أَنبِئُكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} [الدخان : ٢٠]، أي: "إني أنبئكم ببرهان واضح على صدق رسالتي"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: إني أنبئكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم إليه، وبرهان على صحته، مبين لمن تأملها وتدبرها أنها حجة لي على صحة ما أقول لكم"<sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: حجة بينة، وهي: اليد والعصا"<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: "أي: بحجة واضحة بيّنة تدل على أنني نبي"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: بحجة ظاهرة واضحة، وهي ما أرسله الله به من الآيات البينات والأدلة الفاطحة"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: " {إِنِّي أَنبِئُكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}، أي: بعذر مبين"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ} [الدخان : ٢١]، أي: "وإني استجرت بالله ربي وربكم أن تقتلوني رجماً بالحجارة"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وإني اعتصمت بربي وربكم، واستجرت به منكم أن ترجمون"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم من أن تصلوا إليّ بسوء من قول أو فعل"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن عطية: "كلام قاله موسى عليه السلام لخوف لحقه من فرعون وملئه و: عُذْتُ معناه: استجرت وتحرمت"<sup>(١٠)</sup>.

واختلف أهل التفسير في معنى «الرجم» هنا على ثلاثة أقوال:  
أحدها: يعني: الرجم بالحجارة، قاله قتادة<sup>(١١)</sup>.  
الثاني: أن تقتلوني، قاله السدي<sup>(١٢)</sup>، ومقاتل<sup>(١٣)</sup>، والزجاج<sup>(١٤)</sup>.  
الثالث: يعني: رجم القول، قاله ابن عباس<sup>(١٥)</sup>، وأبو صالح<sup>(١٦)</sup>.  
قال أبو صالح: "الرجم: بالقول"<sup>(١٧)</sup>. وقال: "أن تقولوا هو ساحر"<sup>(١٨)</sup>. وفي رواية: "ان يقولوا ساحر أو كاهن أو شاعر"<sup>(١٩)</sup>.

قال ابن عطية: "الأول أظهر، لأنه أعيد منه ولم يعذ من الآخر، بل قيل فيه عليه السلام وله"<sup>(٢٠)</sup>.

- 
- (١) التفسير الميسر: ٤٩٧.
  - (٢) تفسير الطبري: ٢٥/٢٢.
  - (٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٠/٣.
  - (٤) معاني القرآن: ٤٢٥/٤.
  - (٥) تفسير ابن كثير: ٢٥١/٧.
  - (٦) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٢.
  - (٧) التفسير الميسر: ٤٩٧.
  - (٨) تفسير الطبري: ٢٦/٢٢.
  - (٩) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٧.
  - (١٠) المحرر الوجيز: ٧١/٥.
  - (١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢:٢٧.
  - (١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٥٠/٥، وحكاية الطبري في التفسير: ٢٧/٢٢. دون نسبة
  - (١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢١/٣.
  - (١٤) انظر: معاني القرآن: ٤٢٥/٤.
  - (١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦/٢٢.
  - (١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٦/٢٢.
  - (١٧) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٢.
  - (١٨) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٢.
  - (١٩) رواه النحاس في معاني القرآن: ٤٠٢/٦.
  - (٢٠) المحرر الوجيز: ٧١/٥.

قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما دلّ عليه ظاهر الكلام، وهو أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يرجمه فرعون وقومه، والرجم قد يكون قولاً باللسان، وفعلًا باليد. والصواب أن يقال: استعاذ موسى بربه من كل معاني رجمهم الذي يصل منه إلى المرجوم أدّى ومكروه، شتما كان ذلك باللسان، أو رجما بالحجارة باليد"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فاعْتَرِلُون} [الدخان : ٢١]، أي: " وإن لم تصدقوني على ما جئتم به فخلوا سبيلي، وكفوا عن أذي"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: " وإن أنتم أيها القوم لم تصدقوني على ما جئتم به من عند ربي، فاعتزلون: يقول: فخلوا سبيلي غير مرجوم باللسان ولا باليد"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: " يقول: وإن لم تصدقوني - يعني: فرعون وحده- {فاعتزلون}، فلا تقتلون"<sup>(٤)</sup>.

قال الفراء: " يَفُولُ: فاتركون لا عليّ، ولا لي"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: " أي: إن لم تؤمنوا لي فلا تكونوا عليّ ولا معي"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن قتيبة: " أي: دعوني كفأفا لا عليّ ولا لي"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: " أي: فلا تتعرضوا إليّ، ودعوا الأمر بيني وبينكم مسالمة إلى أن يقضي الله بيننا"<sup>(٨)</sup>.

قال قتادة: " أي: فخلوا سبيلي"<sup>(٩)</sup>.

## القرآن

### {فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَاءِ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ (٢٢)} [الدخان : ٢٢]

التفسير:

فدعا موسى ربه -حين كذبه فرعون وقومه ولم يؤمنوا به- قائلاً إن هؤلاء قوم مشركون بالله كافرون.

قال الطبري: يقول: " فدعا موسى ربه إذ كذبوه ولم يؤمنوا به، ولم يؤدّ إليه عباد الله، وهموا بقتله بأن فرعون وقومه {قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ} يعني: أنهم مشركون بالله كافرون"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: " يعني: أهل مصر، {قوم مجرمون}، فلا يؤمنون"<sup>(١١)</sup>.

قال الزمخشري: " قيل: كان دعاؤه: اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم: وقيل هو قوله رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وإنما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك، وهو كونهم مجرمين"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: " فلما طال مقامه بين أظهرهم، وأقام حجج الله عليهم، كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفرًا وعنادًا، دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم، كما قال تعالى: {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا} ]

(١) تفسير الطبري: ٢٧/٢٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٣) تفسير الطبري: ٢٧/٢٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢١/٣.

(٥) معاني القرآن: ٤٠/٣.

(٦) معاني القرآن: ٤٢٦/٤.

(٧) غريب القرآن: ٤٠٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٧/٢٢-٢٨.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢١/٣.

(١٢) الكشاف: ٢٧٥/٤.

يونس : ٨٨ ، ٨٩ ] . وهكذا قال هاهنا : {فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَاءِ قَوْمٍ مُجْرِمُونَ} فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج ببني إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه<sup>(١)</sup> .  
وقرى: «إِنْ هُوَ لَاءِ»، بالكسر على إضمار القول، أى: فدعا ربه فقال: إن هُوَ لَاءِ<sup>(٢)</sup> .

## القرآن

### {فَأَسْرُ بَعْبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ (٢٣)} [الدخان : ٢٣]

التفسير:

فأسر -يا موسى- بعبادي -الذين صدّقوك، وآمنوا بك، واتبعوك، دون الذين كذبوك منهم- ليلا إنكم متبعون من فرعون وجنوده فتنجون، ويغرق فرعون وجنوده.

قوله تعالى: {فَأَسْرُ بَعْبَادِي لَيْلًا} [الدخان : ٢٣]، أي: "فأسر -يا موسى- بعبادي -الذين صدّقوك، وآمنوا بك، واتبعوك، دون الذين كذبوك منهم- ليلا"<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي: "أي: فأجبنا دعاءه وأوحينا إليه أن أسر بعبادي، أي: بمن آمن بالله من بني إسرائيل. {ليلا}، أي: قبل الصباح"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "في الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: فأجابته ربه بأن قال له: فأسر إذ كان الأمر كذلك بعبادي، وهم بنو إسرائيل، وإنما معنى الكلام: فأسر بعبادي الذين صدّقوك وآمنوا بك، واتبعوك دون الذين كذبوك منهم، وأبوا قبول ما جنتهم به من النصيحة منك، وكان الذين كانوا بهذه الصفة يومئذ بني إسرائيل. وقال: {فَأَسْرُ بَعْبَادِي لَيْلًا}، لأن معنى ذلك: سر بهم بليل قبل الصباح"<sup>(٥)</sup>.

قرأ أهل الحجاز: «فاسر» بوصل الألف. وكذلك ابن كثير، من: «سرى». وقرأ الباقون: «فأسر»، بالقطع، من: «أسرى»<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ} [الدخان : ٢٣]، أي: "إنكم متبعون من فرعون وجنوده فتنجون، ويغرق فرعون وجنوده"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: إن فرعون وقومه من القبط متبعوكم إذا شخصتم عن بلدكم وأرضهم في آثاركم"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: يتبعكم فرعون وقومه"<sup>(٩)</sup>.

قال القرطبي: "أمر موسى عليه السلام بالخروج ليلا. وسير الليل في الغالب إنما يكون عن خوف، والخوف يكون بوجهين: إما من العدو فيتخذ الليل سترا مسدلا، فهو من أستار الله تعالى. وإما من خوف المشقة على الدواب والأبدان بحر أو جذب، فيتخذ السرى مصلحة من ذلك. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسري ويدلج<sup>(١٠)</sup> ويتفرق ويستعجل، بحسب الحاجة وما تقتضيه المصلحة. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم في السنة فبادروا بها نقيها»<sup>(١١)</sup><sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٧.

(٢) انظر: الكشف: ٢٧٥/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٤) تفسير القرطبي: ١٣٦/١٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٨/٢٢.

(٦) انظر: تفسير القرطبي: ١٣٦/١٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٨) تفسير الطبري: ٢٨/٢٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢١/٣.

(١٠) قوله: "يسرى" أي يسير عامة الليل. و"يدلج" أي سار من أول الليل. وربما استعمل لسير آخر الليل.

(١١) أخرجه احمد في المسند(٨٩١٨):ص٤٩٠/١٤، ومسلم (١٩٢٦) ، والترمذي (٢٨٥٨) من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

(١٢) تفسير القرطبي: ١٣٦/١٦.

قال السدي: "ثم إن الله أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل فقال: {فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون}، يقول: طريقا كما هو فأمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا وأمرهم أن يستعيروا الحلي من القبط وأمر أن لا ينادي أحد منهم صاحبه وأن يسرجوا بيوتهم حتى الصباح وأن لا ينادي إنسان منهم صاحبه وأن من خرج يلبخ أمام بابه بكف من دم حتى يعلم أنه قد خرج وإن الله أخرج كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل وأخرج كل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط حتى أتوا آباءهم ثم خرج موسى ببني إسرائيل ليلا والقبط لا يعلمون وقد دعوا قبل ذلك على القبط فخرج في قومه وألقي على القبط الموت، فمات كل بكر رجل منهم فأصبحوا يدفنونهم، فشغلوا، عن طلبهم حتى طلعت الشمس"<sup>(١)</sup>.

عن السدي: "أن الله أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل، فقال: أسر بعبادي ليلا إنكم متبعون. فخرج موسى وهارون في قومهما، وألقي على القبط الموت، فمات كل بكر رجل، فأصبحوا يدفنونهم، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس. فذلك حين يقول الله جل ثناؤه: {فأتبعوهم مشرقين} [الشعراء: ٦٠] فكان موسى على ساقية بني إسرائيل، وكان هارون أمامهم يقدمهم<sup>(٢)</sup> فقال المؤمن لموسى: يا نبي الله، أين أمرت؟ قال: البحر. فأراد أن يقتحم، فمنعه موسى، وخرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل، لا يعدون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره، وإنما عدوا ما بين ذلك، سوى الذرية. وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان، ليس فيها ماذيانة -يعني الأنثى- وذلك حين يقول الله جل ثناؤه: {قَارِئِمْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ} [الشعراء: ٥٣-٥٤] يعني بني إسرائيل. فتقدم هارون فضرب البحر، فأبى البحر أن يفتح، وقال: من هذا الجبار الذي يضر بني؟ حتى أتاه موسى فكناه "أبا خالد" وضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم -يقول: كالجبل العظيم-، فدخلت بنو إسرائيل. وكان في البحر اثنا عشر طريقا، في كل طريق سبط -وكانت الطرق انفلقت بجدران - فقال كل سبط: قد قتل أصحابنا! فلما رأى ذلك موسى، دعا الله، فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيخان<sup>(٣)</sup> فنظر آخرهم إلى أولهم، حتى خرجوا جميعا. ثم دنا فرعون وأصحابه، فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقا قال: ألا ترون البحر فرق مني؟ قد انفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم! فذلك حين يقول الله جل ثناؤه: {وَأَرْزُقْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ} [الشعراء: ٦٤] يقول: قربنا ثم الآخرين، يعني آل فرعون. فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيله أن تقتحم، فنزل جبريل على ماذيانة، فشامت الحصن ريح الماذيانة، فاقتحم في أثرها، حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

### {وَأَثْرُكَ الْبَحْرِ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤)} [الدخان: ٢٤]

التفسير:

واترك البحر كما هو على حالته التي كان عليها حين سلكته، ساكنا غير مضطرب، إن فرعون وجنوده مغرقون في البحر.

قوله تعالى: {وَأَثْرُكَ الْبَحْرِ رَهْوًا} [الدخان: ٢٤]، أي: "واترك البحر كما هو على حالته التي كان عليها حين سلكته، ساكنا غير مضطرب"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وإذا قطعت البحر أنت وأصحابك، فاتركه ساكنا على حاله التي كان عليها حين دخلته. وقيل: إن الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببني إسرائيل فإذا كان ذلك كذلك، ففي الكلام محذوف، وهو: فسرى موسى بعبادي ليلا وقطع بهم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٦٥٠): ص ٢٧٦٨/٨.

(٢) ساقية الجيش، وساقية الحاج: هم الذين يكونون في مؤخره يسوقونه ويحفظونه من ورائه.

(٣) الطيخان والأطواق، جمع طاق: وهو عقد البناء حيث كان.

(٤) أخرجه الطبري (٩١٠): ص ٥٦-٥٥/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٧.

البحر، فقلنا له بعد ما قطعه، وأراد ردّ البحر إلى هيئته التي كان عليها قبل انفلاقه: اتركه رَهْوًا<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: " وذلك أن بني إسرائيل لما قطعوا البحر قالوا لموسى- صلى الله عليه- فرق لنا البحر كما كان فإننا نخشى أن يقطع فرعون وقومه آثارنا فأراد موسى- عليه السلام- أن يفعل ذلك كان الله- تعالى- أوحى إلى البحر أن يطيع موسى- عليه السلام- فقال الله لموسى: «واترك البحر رهوا» يعني صفوفا، ويقال ساكنا<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " وذلك أن موسى، عليه السلام، لما جاوز هو وبني إسرائيل البحر، أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان، ليصير حائلا بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم. فأمره الله أن يتركه على حاله ساكنا<sup>(٣)</sup>.

قال قتادة: " لما خرج آخر بني إسرائيل أراد النبي الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب البحر بعصاه، حتى يعود كما كان مخافة آل فرعون أن يدركوهم، فقيل له: {وَأَثْرُكَ الْبَحْرِ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرَفُونَ}<sup>(٤)</sup>.

قال قتادة: " لما قطع البحر، عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم، وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، فقيل له: {وَأَثْرُكَ الْبَحْرِ رَهْوًا} كما هو، {إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرَفُونَ}<sup>(٥)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: {وَأَثْرُكَ الْبَحْرِ رَهْوًا} [الدخان: ٢٤]، وجوه: أحدها: سمتا<sup>(٦)</sup>، قاله ابن عباس- في رواية-<sup>(٧)</sup>.

الثاني: طريقاً، أي: الطريق بين الماء. قاله كعب<sup>(٨)</sup>، وابن عباس- في رواية-<sup>(٩)</sup>، والحسن<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن عباس: " الرهو: أن يترك كما كان، فإنهم لن يخلصوا من ورائه"<sup>(١١)</sup>.

وعن محمد بن كعب القرظي: " طريقاً مفتوحاً"<sup>(١٢)</sup>.

قال الراغب: «رهوا»: أي: "سعة من الطريق، ومنه: الرهاء للمفاضة المستوية، ويقال لكل جوبة<sup>(١٣)</sup> مستوية يجتمع فيها الماء: رهو، ومنه قيل: «لا شفعة في رهو»<sup>(١٤)</sup>.

الثالث: طريقاً يبسا، قاله الحسن<sup>(١٥)</sup>، ومجاهد<sup>(١٦)</sup>، وقتادة<sup>(١٧)</sup>، وعكرمة<sup>(١٨)</sup>، وابن أبي نجیح<sup>(١٩)</sup>.

قال عكرمة: " يابسا كهيئته بعد أن ضربه، يقول: لا تأمره يرجع، اتركه حتى يدخل آخرهم"<sup>(٢٠)</sup>.

وفي رواية قال مجاهد: " كهيئته وامضه"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٢٨/٢٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢١/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٩-٢٨/٢٢.

(٦) وهو بمعنى: الطريق.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٤٦): ص ٣٢٨٨/١٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٢.

(٩) رواه عكرمة عن ابن عباس، كما في معاني القرآن للنحاس: ٤٠٣/٦، وانظر: تفسير القرطبي: ١٣٧/١٦.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٥٠/٥، وتفسير القرطبي: ١٣٧/١٦.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٢.

(١٢) انظر: الدر المنثور: ٤١٠/٧.

(١٣) الجوبة: الحفرة.

(١٤) المفردات في غريب القرآن: ٣٦٨.

(١٥) انظر: الدر المنثور: ٤١٠/٧، وعزاه إلى ابن الأنباري في كتاب الأضداد.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٢.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٢.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٢.

(١٩) انظر: النكت والعيون: ٢٥٠/٥.

(٢٠) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.



قال قتادة: " كما هو طريقا يابسا"<sup>(٢)</sup>.  
الرابع : جددا. قاله عكرمة-أيضا-<sup>(٣)</sup>.  
الخامس: سهلاً، قاله ابن عباس أيضاً<sup>(٤)</sup>، والربيع<sup>(٥)</sup>، وابن زيد<sup>(٦)</sup>.  
قال ابن عباس: " يقال: الرهو: السهل"<sup>(٧)</sup>.  
السادس : دَمًا<sup>(٨)</sup>، قاله ابن عباس-في رواية-<sup>(٩)</sup>، والضحاك<sup>(١٠)</sup>.  
وروي عن الضحاك ايضاً، قال: " سهلاً دَمًا"<sup>(١١)</sup>. وروي عن الحسن مثله<sup>(١٢)</sup>.  
قال السمين الحلبي: " قيل: رهوًا، أي: دَمًا سهلاً ليس برملاً ولا حزن، وفي الحديث،  
وقد سئل عن غطفان فقال: « رهوة تنبع ماء»<sup>(١٣)</sup><sup>(١٤)</sup>.  
السابع : منفرجاً، قاله مجاهد<sup>(١٥)</sup>.  
قال مجاهد: " طريقاً منفرجاً"<sup>(١٦)</sup>.  
وقال عطاء الخراساني: " يابسا منفرجاً"<sup>(١٧)</sup>.  
قال تاج القراء: أي: " منفرجاً واسعاً، من قولهم: امرأة زهوى"<sup>(١٨)</sup>.  
قال الأصمعي: مَرَّ [جمل] فالج<sup>(١٩)</sup> بأعرابي، فقال: سبحان الله رهو بين سنامين، أي:  
فجوة. فقال: رهى ما بين رجليه، أي: فتح"<sup>(٢٠)</sup>.  
الثامن: ساكناً، أي: كما جزته، قاله ابن عباس<sup>(٢١)</sup>، ومجاهد-في رواية-<sup>(٢٢)</sup>، وقتادة<sup>(٢٣)</sup>،  
والكلبي<sup>(٢٤)</sup>، والفراء<sup>(٢٥)</sup>، وابو عبيدة<sup>(٢٦)</sup>، وابن قتيبة<sup>(٢٧)</sup>، والأخفش<sup>(٢٨)</sup>، وقطرب<sup>(١)</sup>، والنحاس<sup>(٢)</sup>،  
والنحاس<sup>(٢)</sup>، وحكاه الزجاج عن اهل اللغة<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٥٤٧):ص٣٢٨٨/١٠.  
(٢) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.  
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٢.  
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٢.  
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٢.  
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٢.  
(٧) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٢.  
(٨)الدمث: المكان اللين ذو رمل. انظر: اللسان، مادة«دمث»:ص ١٤٩ /٢، والمصباح المنير: ١٩٩.  
(٩) الدر المنثور: ٤١٠/٧، وعزاه إلى ابن جرير.  
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٢.  
(١١) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.  
(١٢) انظر: الدر المنثور: ٤١٠/٧، وعزاه إلى ابن عبد الحكم.  
(١٣) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة(٦٢):ص٣٥٢-٣٥١/١.  
(١٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ١١٩/٢.  
(١٥) نقلا عن: بحر العلوم: ٢٧٠/٣، والنكت والعيون: ٢٥٠/٥، وتفسير القرطبي: ١٣٧/١٦.  
(١٦) أورده السيوطي فب الدر المنثور: ٤١٠/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.  
(١٧)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء  
الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٢٣٣):ص٩٣/١.  
(١٨) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٠٧٥/٢.  
(١٩) في الصحاح «الفالج» الضخم ذو السنامين.  
(٢٠)انظر: "تهذيب اللغة" «رها»، ٤٠٥ /٦، وعمدة الحفاظ: «رهو».  
(٢١) انظر: المحرر الوجيز: ٧٢/٥.  
(٢٢) رواه ابن ابي نجيب عن مجاهد، كما في معاني القرآن للنحاس: ٤٠٣/٦.  
(٢٣) انظر: الدر المنثور: ٤١٠/٧، وعزاه إلى ابن الأنباري في كتاب الأضداد.  
(٢٤) انظر: النكت والعيون: ٢٥٠/٥.  
(٢٥) انظر: معاني القرآن: ٤١/٣.  
(٢٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٠٨/٢.  
(٢٧) انظر: غريب القرآن: ٤٠٢.  
(٢٨) انظر: النكت والعيون: ٢٥٠/٥.

قال أبو سعيد: «الرهو» في اللغة: "ما اطمأن وارتفع ما حوله"<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن عطية: "وهذا القول هو الذي تؤيده اللغة، فإن العيش الواهي هو الذي هو في  
خفض ودعة وسكون"<sup>(٥)</sup>.

ومنه قول القطامي:

يمشين رهواً فلا الأعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الأعجاز تتكل  
وقول الشاعر<sup>(٦)</sup>:

كأنما أهل حُجْرٍ يَنْظُرُونَ مَتَى ... يَرَوْنِي خَارِجاً طَيْرٌ يَنَادِي  
طَيْرٌ رَأَتْ بَازِيَا نَضَحَ الدَّمَاءَ بِهِ ... وَأُمُّهُ خَرَجَتْ رَهْوًا إِلَى عِيدٍ  
يعني: عليها سكون.

وقال بشر بن أبي خازم<sup>(٧)</sup>:

فإن أهلك عمير فربّ زحف ... يشبّه نفعه رهوا ضبابا

قال أبو عبيدة: "يقال: أره على نفسك. أي: ارفق بها ولا تخرق. يقال: عيش راه"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن عرفة: وهما [أي: السكون والإنفراج] يرجعان إلى معنى واحد وإن اختلف  
لفظهما، لأنه إذا سكن جريه انفرج. وكذلك كان البحر يسكن جريه وانفرج لموسى عليه  
السلام"<sup>(٩)</sup>.

قال النحاس: "هذه الأقوال متقاربة"<sup>(١٠)</sup>، "ومعنى «رهوا» أي: ساكنا حتى يحصلوا فيه  
وهو ساكن ولا ينفروا منه"<sup>(١١)</sup>.

قال الواحدي: "وكل هذا من نعت الطريق الذي أظهره الله في البحر، وكان ذلك الطريق  
يجمع هذه الأوصاف"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه: اتركه على هيئته  
كما هو على الحال التي كان عليها حين سلكته، وذلك أن الرهو في كلام العرب: السكون"<sup>(١٣)</sup>.  
قال ابن عطية: "ف قيل لموسى عليه السلام: اترك البحر ساكنا على حاله من الانفراق  
ليقضي الله أمرا كان مفعولا. والرهو: من أسماء الكركي الطائر، ولا مدخل له في تفسير هذه  
الآية، ويشبه عندي أن سمي رهوا لسكونه، وأنه أبدا على تماهل"<sup>(١٤)</sup>.  
قوله تعالى: {إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ} [الدخان: ٢٤]، أي: "إن فرعون وجنوده مغرقون في  
البحر"<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٥٠/٥.

(٢) انظر: إعراب القرآن: ٨٦/٤.

(٣) انظر: معاني القرآن: ٤٢٦/٤.

(٤) انظر: "تهذيب اللغة" (رها) ٤٠٦/٦، والكشف والبيان: ١٠٨/٢٠.

(٥) المحرر الوجيز: ٧٢/٥.

(٦) من قصيدة للراعي، مدح بها سعد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، عدتها سبعة وخمسون بيتا. وقوله "ذات أثاره" أي رب ناقة ذات سمن. والأثاره، بفتح الهمزة: شحم متصل بشحم آخر، ويقال هي بقية من الشحم العتيق، يقال: سمنت الناقة على أثاره، أي على بقية شحم. وأكمته: غلفه، جمع كمام، وهو جمع كم بكسر الكاف، وهو غطاء النور وغلافه. وقفارا وقفارة: وصف للنبات: أي رعته خالبا لها من مزاحمة غيرها في رعيه. وأصله من قولهم طعام قفار: أي أكل بلا إدام. (انظر خزنة الأدب الكبرى للبغدادي ٢٥١/٤، ومعاني القرآن للفراء: ٤١/٣، وتفسير الطبري: ٣٠/٢٢).

(٧) انظر: اللسان، «رهو»، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢٠٨/٢.

(٨) مجاز القرآن: ٢٠٨/٢.

(٩) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٣٧/١٦.

(١٠) معاني القرآن: ٤٠٣/٦.

(١١) إعراب القرآن: ٨٦/٤.

(١٢) التفسير البسيط: ١٠٨/٢٠.

(١٣) تفسير الطبري: ٣٠/٢٢.

(١٤) المحرر الوجيز: ٧٢/٥.

قال مقاتل: " {إنهم} إن فرعون وقومه، {جند مغرقو}، فأغرقهم الله في نهر مصر وكان عرضه يومئذ فرسخين" (١).  
قال الواحدي: "أخبر الله تعالى موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في ترك البحر كما جاوزه" (٢).

قال الشوكاني: "أخير سبحانه موسى بذلك ليسكن قلبه ويطمئن جأشه" (٣).  
قال ابن كثير: "بشره بأنهم جند مغرقون فيه، وأنه لا يخاف درگا ولا يخشى" (٤).  
فوائد الآيات: [١٧-٢٤]:

- ١- وجود تشابه كبير بين فرعون وكفار قريش في العلو والصلف والكفر والظلم.
- ٢- مشروعية الاعتبار بما سلف من أحداث في الكون والانتساء بالصالحين.
- ٣- وجوب الاستعاذة بالله تعالى والاستجارة به إذ لا مجير على الحقيقة إلا هو ولا واقى سواه.
- ٤- مشروعية دعاء الله تعالى على الظالمين وسؤاله النصر عليهم والنجاة منهم.

### القرآن

{كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧)} [الدخان : ٢٥-٢٧]

التفسير:

كم ترك فرعون وقومه بعد مهلكهم وإغراق الله إياهم من بساتين وجنات ناضرة، وعيون من الماء جارية، وزروع ومنازل جميلة، وعيشة كانوا فيها متنعمين مترفين.

قوله تعالى: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} [الدخان : ٢٥]، أي: "كم ترك فرعون وقومه بعد مهلكهم وإغراق الله إياهم من بساتين وجنات ناضرة، وعيون من الماء جارية" (١).

قال الطبري: يقول: "كم ترك فرعون وقومه من القبط بعد مهلكهم وتغريق الله إياهم من بساتين وأشجار، ومنابع ما كان ينفجر في جنانهم" (٢).

قوله تعالى: {وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} [الدخان : ٢٦]، أي: "ومزارع عديدة فيها أنواع المزروعات ومنازل حسنة" (٣).

قال الطبري: يقول: "وزروع قائمة في مزارعهم، وموضع كانوا يقومونه شريف كريم" (٤).

وفي قوله تعالى: {وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} [الدخان : ٢٦]، أقوال:

أحدها: أنها المنابر، قاله ابن عباس (٥)، والحسن (٦)، وسعيد بن جبير (٧)، ومجاهد (٨).

قال عبد الله بن عمرو: "كان بها ألف منبر" (٩).

الثاني: المساكن الحسنة (١٠)، قاله أبو عمرو (١١)، والسدي (١٢)، ويحيى بن سلام (١٣)، ومقاتل (١٤).

(١) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢١/٣.

(٣) التفسير البسيط: ١٠٩/٢٠.

(٤) فتح القدير: ٦٥٨/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٧.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٧) تفسير الطبري: ٣١/٢٢.

(٨) صفوة التفاسير: ١٦١/٣. [بتصرف]

(٩) تفسير الطبري: ٣١/٢٢.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٤٩): ص ٣٢٨٨/١٠.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٥.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢/٢٢.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٢-٣١/٢٢.

(١٤) رواه النحاس في معاني القرآن: ٨٢/٥.

- الثالث : مجالس<sup>(٦)</sup>. قاله أبو عبيدة<sup>(٧)</sup>، وأنشد قول عبّاس بن مرداس<sup>(٨)</sup> :  
فأَيُّ ما وأَيُّكَ كانَ شَرًّا ... فقيدٌ إلى المَقامَةِ لا يَراها  
يدعو عليه بالعمى، يقول: من كان منا شرًّا أعماه الله في الدنيا فلا يبصر مجلسه، وقيل:  
مات على عماء فيقاد إلى موضع إقامة الناس في العرصات، و«المقامة»: بفتح الميم وضمها:  
المجلس ومكان اجتماع الناس.  
الرابع : أنه مرابط الخيل لأنها أكرم مذخور لعدة وزينة. أفاده الماوردي<sup>(٩)</sup>.  
الخامس: أن «المقام الكريم» هو: «الفَيوم». قاله ابن لهيعة<sup>(١٠)</sup>.  
وفي «الكريم»، ثلاثة أوجه:  
أحدها : هو الحسن، قاله سعيد بن جبیر<sup>(١١)</sup>، وقتادة<sup>(١٢)</sup>.  
الثاني : هو المعطي لديه كما يعطي الرجل الكريم صلته، قاله ابن عيسى<sup>(١٣)</sup>.  
الثالث : أنه كريم لكرم من فيه، قاله ابن بحر<sup>(١٤)</sup>.  
قال ابن كثير: «وَمَقَامٌ كَرِيمٌ»: هي المساكن الكريمة الأنيقة والأماكن الحسنة<sup>(١٥)</sup>.  
قال النحاس: «المقام في اللغة: موضع من قولك: قام يقوم»<sup>(١٦)</sup>.  
قوله تعالى: {وَتَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ} [الدخان : ٢٧]، أي: وعيشة كانوا فيها متنعمين  
مترفين<sup>(١٧)</sup>.  
قال مقاتل: «يعني: أرض مصر معجبين»<sup>(١٨)</sup>.  
عن قتادة: «{وَتَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ}: ناعمين، قال: إي والله، أخرجه الله من جناته  
وعيونه وزروعه حتى ورطه في البحر»<sup>(١٩)</sup>.  
عن عبد الله بن عمرو قال : «نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهر بين المشرق  
والمغرب، وذلك له، فإذا أراد الله أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده، فأمدته الأنهار  
بمائها، وفجر الله له الأرض عيونًا، فإذا انتهى جريه إلى ما أراد الله، أوحى الله إلى كل ماء أن  
يرجع إلى عنصره، وقال في قوله تعالى : {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَرَزْوَعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ.  
وَتَعْمَةٌ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ} قال : كانت الجنان بحافتي هذا النيل من أوله إلى آخره في الشقين
- 
- (١) قال الماوردي: «لمقام أهلها فيها». [النكت والعيون: ٢٥١/٥].  
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٥.  
(٣) نقلًا عن: تفسير يحيى بن سلام: ٥٠٥/٢. حكاه بدون سند.  
(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٥٠٥/٢.  
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣١/٣.  
(٦) وحكي الماوردي: «مجالس الملوك لقيام الناس فيها». [النكت والعيون: ٢٥١/٥].  
(٧) انظر: مجاز القرآن: ٨١/٢.  
(٨) انظر: الكتاب ٤٠٢ / ٢، «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ٩٣ / ٢، و«شرحها» للنحاس ص ١٥٥،  
«الإغفال» ص ٢٢٧، «تهذيب اللغة» (أ) ١ / ٢٤٢، «اللسان» (قوم) ٦ / ٣٧٨٧، و (أيا) ١ / ٢٤٢، «أمالي  
القالبي» ٦٠ / ٣، «شرح المفصل» ١٣١ / ٢، «الخرزانه» ٣٦٧ / ٤، «البحر المحيط» ٢٢٦ / ٤. وانظر: تفسير  
الطبري ٢٩٨ / ١٩، ٥٦٦ / ١٩، ٢٢٤ / ٢٠.  
(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٥.  
(١٠) انظر: تفسير القرآن من الجامع لان وهب (٣١٠): ص ١٥٢/٢، ومعاني القرآن للنحاس: ٨٣/٥.  
(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٥.  
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢/٢٢.  
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٥.  
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٥١/٥.  
(١٥) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٧.  
(١٦) معاني القرآن: ٨٢/٥.  
(١٧) التفسير الميسر: ٤٩٧.  
(١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٢/٣.  
(١٩) أخرجه الطبري: ٣٢/٢٢.

جميعاً، ما بين أسوان إلى رشيد، وكان له تسعة خلج : خليج الإسكندرية، وخليج دمياط، وخليج سردوس، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنهى، متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، وزروع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء، وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعاً، لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخليجها"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

### {كَذَّبَكَ وَأَوْرَثْنَا قَوْمًا آخِرِينَ (٢٨)} [الدخان: ٢٨]

التفسير:

مثل ذلك العقاب يعاقب الله مَنْ كَذَّبَ وبدَّلَ نعمة الله كَفْرًا، وأورثنا تلك النعم من بعد فرعون وقومه قَوْمًا آخِرِينَ خلفوهم من بني إسرائيل.

قوله تعالى: {كَذَّبَكَ} [الدخان: ٢٨]، أي: "مثل ذلك العقاب يعاقب الله مَنْ كَذَّبَ وبدَّلَ نعمة الله كَفْرًا"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "هكذا كما وصفت لكم أيها الناس فعلنا بهؤلاء الذي ذكرت لكم أمرهم، الذين كذبوا رسولنا موسى صلى الله عليه وسلم"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: هكذا فعلنا بهم في الخروج من مصر"<sup>(٤)</sup>.

قال الزجاج: "المعنى: الأمر كذلك، موضع {كذلك} رفع على خبر الابتداء المضمَّر"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {وَأَوْرَثْنَا قَوْمًا آخِرِينَ} [الدخان: ٢٨]، أي: "وأورثنا تلك النعم من بعد فرعون وقومه قَوْمًا آخِرِينَ خلفوهم من بني إسرائيل"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وأورثنا جناتهم وزيوعهم ومقاماتهم وما كانوا فيه من النعمة عنهم قوما آخرين بعد مهلكهم، وقيل: عُنِيَ بالقوم الآخرين بنو إسرائيل"<sup>(٧)</sup>.

قال مقاتل: ":{وَأَوْرَثْنَاها}، يعني: أرض مصر، {قَوْمًا آخِرِينَ}، يعني: بني إسرائيل فردهم الله إليها بعد الخروج منها"<sup>(٨)</sup>.

عن قتادة، قوله: "{كَذَّبَكَ وَأَوْرَثْنَاها قَوْمًا آخِرِينَ}- يعني: بني إسرائيل"<sup>(٩)</sup>.

قال الحسن: "رجعوا إلى مصر بعدما أهلك الله فرعون وقومه"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن عطية: "وسماها: وراثته، من حيث كانت أشياء أناس وصلت إلى قوم آخرين من بعد موت الأولين، وهذه حقيقة الميراث في اللغة وربطها الشرع بالنسب وغيره من أسباب الميراث، والآخر من ملك مصر بعد القبط. وقال قتادة: القوم الآخرون، هم بنو إسرائيل، وهذا ضعيف، لأنه لم يرو أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر في شيء من ذلك الزمان ولا ملكوها قط، إلا أن يريد قتادة أنهم ورثوا نوعها في بلاد الشام، وقد ذكر الثعلبي عن الحسن أن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

### {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)} [الدخان: ٢٩]

(١) نقل عن: تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٧-٢٥٣، ورواه النحاس في معاني القرآن: ٨١/٥-٨٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٣) تفسير الطبري: ٣٢/٢٢-٣٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٢/٣.

(٥) معاني القرآن: ٤٢٦/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٧) تفسير الطبري: ٣٣/٢٢.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٢/٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٢.

(١٠) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٥/٢.

(١١) المحرر الوجيز: ٧٣/٥.

التفسير:

فما بكت السماء والأرض حزناً على فرعون وقومه، وما كانوا مؤخرين عن العقوبة التي حلت بهم.

قوله تعالى: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ} [الدخان: ٢٩]، أي: "فما بكت السماء والأرض حزناً على فرعون وقومه"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "فما بكت على هؤلاء الذين غرقهم الله في البحر، وهم فرعون وقومه، السماء والأرض"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدمهم، ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله فيها فقدتهم"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عطية: "نفث هذه الآية أن تكون السماء والأرض بكت على قوم فرعون، فاقتضى أن للسماء والأرض بكاء"<sup>(٤)</sup>.

وفي قوله تعالى: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ} [الدخان: ٢٩]، وجوه من التفسير:

أحدها: فما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض. وهذا قول الحسن<sup>(٥)</sup>.  
وعلى هذا القول: أقام السماء والأرض مقام أهلها، كما قال تعالى: {وَسئَلُ الْقَرْيَةِ} [يوسف: ٨٢]، أراد أهل القرية، وقال: {حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [محمد: ٤]، أي: يضع أهل الحرب السلاح<sup>(٦)</sup>.

قال النحاس: "العرب إذا عظمت هلاك الإنسان قالت: بكت عليه السماء وأظلمت له

الشمس على التمثيل، كما قال<sup>(٧)</sup>:  
والشمس طالعة ليست بكاسفة .... تبكي عليك نجوم الليل والقمر"<sup>(٨)</sup>.

الثاني: أن السماء والأرض تبكيان على المؤمن أربعين صباحاً؛ قاله ابن عباس<sup>(٩)</sup>، ومجاهد<sup>(١٠)</sup>.

وقال مجاهد: "حدثت أن المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحاً"<sup>(١١)</sup>.

قال أبو يحيى: "فقلت له: أتبكي الأرض؟ فقال: أتعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبد، كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل؟"<sup>(١٢)</sup>.

الثالث: أنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء، قاله علي -كرم الله وجهه-  
[١٣]، وابن عباس<sup>(١٤)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(١٥)</sup>، والضحاك<sup>(١٦)</sup>، وقتادة<sup>(١٧)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٢) تفسير الطبري: ٣٣/٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٥٣/٧.

(٤) المحرر الوجيز: ٧٣/٥.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٥٢/٥.

(٦) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ١٠٨.

(٧) البيت لجرير في ديوانه ص ٧٣٦، والأشباه والنظائر ٣٠٧/٥، وأمالى المرتضى ١/٥٢، وشرح شواهد الشافية ص ٢٦، والعقد الفريد ١/٩٦، ولسان العرب (كسف)، (بكي)، وبلا نسبة في لسان العرب (شمس).

(٨) معاني القرآن: ٤٠٥/٦-٤٠٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٤/٢٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٤/٢٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٢.

(١٢) رواه سفيان الثوري كما في تفسير ابن كثير: ٢٥٤/٧.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٥١) ص: ٣٢٨٩/٢٠.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٤/٢٢.

(١٥) رواه الفراء في معاني القرآن: ٤١/٣.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٦/٢٢.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٦/٢٢.

قال سعيد بن جبير: "أتى ابن عباس رجلاً، فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ}، فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه، وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله، وينزل منه رزقه، بكى عليه؛ وإذا فقدته مُصَلَّاه من الأرض التي كان يصلي فيها، ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير، قال: فلم تبك عليهم السماء والأرض" (١).

وعن ابن عباس، قوله: "{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ} ... الآية، قال: ذلك أنه ليس على الأرض مؤمن يموت إلا بكى عليه ما كان يصلي فيه من المساجد حين يفقده، وإلا بكى عليه من السماء الموضع الذي كان يرفع منه كلامه، فذلك لأهل معصيته: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ}، لأنهما يبكيان على أولياء الله" (٢).

وروي عن سعيد بن جبير، قال: "إن بقاع الأرض التي كان يصعد عمله منها إلى السماء تبكي عليه بعد موته، يعني: المؤمن" (٣).

وقال الضحاك: "لا تبكي السماء والأرض على الكافر، وتبكي على المؤمن الصالح معالمة من الأرض ومقرُّ عمله من السماء" (٤).

وقال قتادة: "بقاع المؤمن التي كان يصلي عليها من الأرض تبكي عليه إذا مات، وبقاعه من السماء التي كان يرفع فيها عمله" (٥).

وقال مقاتل: "وذلك أن المؤمن إذا مات بكى عليه معالم سجوده من الأرض، ومصعد عمله من السماء أربعين يوماً وليلة، ويبكيان على الأنبياء ثمانين يوماً وليلة، ولا يبكيان على الكافر" (٦).

الرابع: ما روي عن أنس بن مالك. قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما من عبد إلا وله في السماء بابان باب يصعد منه عمله، وباب ينزل عليه منه رزقه فإذا مات فقدها وبكى عليه، وتلا هذه الآية: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ}، وذكر أنهم لم يكونوا يعملون على وجه الأرض عملاً صالحاً يبكي عليهم، ولم يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح، فتفقدتهم فتبكي عليهم" (٧).

وفي رواية عن شريح بن عبيد الحضرمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، ألا لا غربة على المؤمن، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض»، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ}، ثم قال: «إِنَّهُمَا لَا يَبْكِيَانِ عَلَى الْكَافِرِ» (٨).

وفي بكاء السماء والأرض ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه كالمعروف من بكاء الحيوان. حكاه الماوردي وقال: "ويشبهه أن يكون قول مجاهد" (٩).

الثاني: أنه حمرة أطرافها، قاله علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- (١)، وإبراهيم (٢)، وعطاء (٣)، والسدي (٤).

(١) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٢/٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٥٠): ص ٣٢٨٨/١-٣٢٨٩.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٢.

(٩) النكت والعيون: ٢٥٣/٥، وانظر قول مجاهد في: تفسير الطبري: ٣٤/٢٢.

عن عبيد المکتب عن إبراهيم- رضي الله عنه- قال: "ما بكت السماء منذ كانت الدنيا، إلا على اثنين قيل لعبيد: أليس السماء والأرض تبكي على المؤمن؟ قال: ذاك مقامه وحيث يصعد عمله. قال: وتدرى ما بكاء السماء؟ قال لا. قال: تحمر وتصير وردة كالدهان، إن يحيى بن زكريا لما قتل، احمرت السماء وقطرت دما، وإن حسين بن علي يوم قتل احمرت السماء"<sup>(٥)</sup>.

وروي عن السديّ قال: "لما قتل الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما بكت السماء عليه، وبكاؤها حمرتها"<sup>(٦)</sup>.

وعن محمد بن سيرين. قال: "أخبرونا إن الحمرة التي مع الشفق لم تكن، حتى قتل الحسين -رضي الله عنه-"<sup>(٧)</sup>.

وقال سليم القاضي: "مطرنا دما أيام قتل الحسين"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "وذكروا أيضاً في مقتل الحسين أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط، وأنه كسفت الشمس، واحمر الأفق، وسقطت حجارة. وفي كل من ذلك نظر، والظاهر أنه من سُخْف الشيعة وكذبهم، ليعظموا الأمر - ولا شك أنه عظيم - ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه، وقد وقع ما هو أعظم من ذلك - قتل الحسين رضي الله عنه - ولم يقع شيء مما ذكروه، فإنه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب، وهو أفضل منه بالإجماع ولم يقع شيء من ذلك، وعثمان بن عفان قتل محصوراً مظلوماً، ولم يكن شيء من ذلك. وعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قتل في المحراب في صلاة الصبح، وكان المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك، ولم يكن شيء من ذلك. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه. ويوم مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خسفت الشمس فقال الناس: الشمس خسفت لموت إبراهيم، فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف، وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته"<sup>(٩)</sup><sup>(١٠)</sup>.

الثالث: أنها أمارة تظهر منها تدل على حزن وأسف. حكاها الماوردي<sup>(١١)</sup>.

قال ابن عطية: "والمعنى الجيد في الآية: أنها استعارة باهية فصيحة تتضمن تحقير أمرهم، وأنهم لم يتغير عن هلاكهم شيء، وهذا نحو قوله تعالى: {وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ} [إبراهيم: ٤٦] على قراءة من قرأ: «لتزول» بكسر اللام ونصب الفعل وجعل {إِنْ} [إبراهيم: ٤٦] نافية، ومثل هذا المعنى قول النبي عليه السلام: «لا ينتطح فيها عنزان»<sup>(١٢)</sup>، فإنه يتضمن التحقير، لكن هذه الألفاظ هي بحسب ما قيلت فيه، وهو قتل المرأة الكافرة التي كانت تؤذي النبي

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٥٣/٥.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٥٢): ص ٣٢٨٩/١٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣/٢٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٣/٢٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٥٢): ص ٣٢٨٩/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٢.

(٧) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٣/٨.

(٨) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٣/٨.

(٩) رواه البخاري في صحيحه برقم (١٠٤٣) ومسلم في صحيحه برقم (٩١٥).

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٥٤/٧.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٥٣/٥.

(١٢) حديث عبد الله بن الحارث: أخرجه ابن سعد (٢٧/٢). وحديث ابن عباس: أخرجه ابن عدى (١٤٥/٦)، ترجمة ١٦٤٤ محمد بن الحجاج اللخمي)، وقال: ضعيف بلا شك وإن أحاديثه تشبه الوضع ولا تشبه حديث الثقات. وأخرجه أيضاً: الفصاعى (٤٦/٢، رقم ٨٥٦)، والخطيب (٩٩/١٣). أي لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان لأن النطاح من شأن التيوس، والكباش لا العنوز. وهو إشارة إلى قضية مخصوصة لا يجري فيها خلف ونزاع. النهاية ٧٤/٥.



عليه السلام. وعظم قصة فرعون وقومه يجيء بحسبها جمال الوصف وبهاء العبارة في قوله:  
**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ نَحْوُ هَذَا أَنْ يَعْكُسَ قَوْلَ جَرِيرٍ<sup>(١)</sup>:**  
**لَمَّا أَتَى خَبْرَ الزَّبِيرِ تَهَدَّمَتْ ... سَوْرُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخُسْعُ**  
**فيقال في تحقير: مات فلان فما خشعت الجبال"<sup>(٢)</sup>.**  
**قوله تعالى: {وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} [الدخان: ٢٩]، أي: "وما كانوا مؤخَّرين عن العقوبة**  
**التي حَلَّتْ بِهِمْ"<sup>(٣)</sup>.**  
**قال الطبري: "يقول: وما كانوا مؤخرين بالعقوبة التي حَلَّتْ بِهِمْ، ولكنهم عوجلوا بها إذ**  
**أسخطوا ربهم عزَّ وجلَّ عليهم"<sup>(٤)</sup>.**  
**قال مقاتل: "لم يناظروا بعد الآيات التسع حتى عذبوا بالغرق"<sup>(٥)</sup>.**  
**قال ابن كثير: "استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم، وعتوهم**  
**وعنادهم"<sup>(٦)</sup>.**  
**عن السدي: {مُنْظَرِينَ} بمنظرين من ان يعذبوا"<sup>(٧)</sup>.**

## القرآن

### **{وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠)} [الدخان: ٣٠]**

التفسير:

ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المذلِّ لهم بقتل أبنائهم واستخدام نسائهم.  
**قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب الذي كان فرعون**  
**وقومه يعذبونهم به، المهين يعني المذلِّ لهم"<sup>(٨)</sup>.**  
**قال الواحدي: "يعني: قتل الأبناء، واستخدام النساء، والتعب في العمل"<sup>(٩)</sup>.**  
**قال ابن كثير: "يمتن عليهم تعالى بذلك، حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون**  
**وإذلاله لهم، وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة"<sup>(١٠)</sup>.**  
**عن قتادة: "{وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ} بقتل أبنائهم، واستحياء**  
**نسائهم"<sup>(١١)</sup>.**  
**قال الماتريدي: "{العذاب المهين} الذي نزل بفرعون وقومه، وهو الغرق في البحر،**  
**أغرق أولئك ونجى هؤلاء، ويحتمل أن يكون المراد: أنه نجاهم من العذاب الذي كانوا يعذبون؛**  
**من نحو القتل والاستخدام والاستعباد وأنواع العذاب الذي كانوا يعذبون هم ما داموا بين أظهرهم**  
**وفي أيديهم، فنجاهم من ذلك؛ حيث أخرجهم من بين أيديهم - والله اعلم - وهو أشبه؛ لما قال:**  
**{وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ}<sup>(١٢)</sup>.**

(١) هو لجرير من قصيدة يهجو فيها الفرزدق. وكان قاتل الزبير بن العوام غدرا رجلا من رهط الفرزدق، فعيره جرير بهذا. وانظر ٣٤٥ والنقائض ٩٦٩ والكتاب ١/ ١٩، ٢٥- والكامل للمبرر ٣١٢ والطبري ١/ ١٤٥ واللسان والتاج (سور) والخزانة ٢/ ١٦٦.

(٢) المحرر الوجيز: ٧٣/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٤) تفسير الطبري: ٣٦/٢٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٢/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥٣/٧.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٣٣٥): ص ٢٢٥٨/٧.

(٨) تفسير الطبري: ٣٦/٢٢.

(٩) التفسير الوسيط: ٩٠/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٥٤/٧.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٢.

(١٢) تأويلات أهل السنة: ٢٠٤/٩-٢٠٦.

## القرآن

### {مَنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١)} [الدخان : ٣١]

التفسير:

من فرعون، إنه كان جباراً من المشركين، مسرفاً في العلو والتكبر على عباد الله. قوله تعالى: {مَنْ فِرْعَوْنَ} [الدخان : ٣١]، أي: "من العذاب من فرعون" (١). قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب من فرعون، فقوله {مَنْ فِرْعَوْنَ} مكررة على قوله {مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ} مبدلة من الأولى" (٢). عن ابن إسحاق: "أن اسمه الوليد بن مُصعب بن الريان" (٣). قال محمد بن إسحاق: "عن ابن إسحاق قال: لم يكن منهم فرعون أعتى على الله، ولا أعظم قولاً، ولا أطول عمراً في ملكه منه، وكان اسمه فيما ذكر لي: الوليد بن مصعب" (٤). عن الحسن، قال: "كان فرعون علجاً من همذان" (٥). قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ} [الدخان : ٣١]، أي: "إنه كان جباراً من المشركين، مسرفاً في العلو والتكبر على عباد الله" (٦). قال الطبري: يقول: "إنه كان جباراً مستعلياً مستكبراً على ربه، من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه. وإنما يعني جل ثناؤه أنه كان ذا اعتداء في كفره، واستكبار على ربه جل ثناؤه" (٧). قال ابن كثير: "أي: مستكبراً جباراً عنيداً، كقوله: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا} [القصص : ٤]، وقوله: {فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ} [المؤمنون : ٤٦]، وقوله: {فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} [العنكبوت : ٣٩]، فكان فرعون سرفاً في أمره، سخييف الرأي على نفسه" (٨). قال الماتريدي: "عَالِيًا، أي: غالباً عليهم، قاهراً لهم بأنواع القهر الذي كان يقهرهم" (٩). عن ابن عباس، في قوله: {مِنَ الْمُسْرِفِينَ}، قال: "من المشركين" (١٠). وعن الضحاك قال: "من الفتاكين" (١١). قال ابن أبي زمنين: "أي: المتكبرين" (١٢). قال السمعاني: "أي: جباراً متكبراً من المشركين" (١٣). قال الواحدي: "كان جباراً عاصياً من المشركين، والعالي في الإحسان صفة مدح، والعالي في الإساءة صفة ذم" (١٤).

## القرآن

### {وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢)} [الدخان : ٣٢]

(١) تفسير الطبري: ٣٧/٢٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٧/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري (٨٨٨): ص ٣٨/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٩٥): ص ٢٩٤٤/٩.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٩٦): ص ٢٩٤٤/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٧) تفسير الطبري: ٣٧/٢٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٥٤/٧.

(٩) تأويلات أهل السنة: ٢٠٦/٩.

(١٠) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٨٧/٤. بدون سند.

(١١) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٨٧/٤. بدون سند.

(١٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٢٠٥/٤.

(١٣) تفسير السمعاني: ١٢٨/٥.

(١٤) التفسير الوسيط: ٩٠/٤.

التفسير:

ولقد اصطفينا بني إسرائيل على علم منا بهم على عالمي زمانهم.  
قال الطبري: "ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا بهم على عالمي أهل زمانهم يومئذ، وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه"<sup>(١)</sup>.

قال الثعلبي: "يعني مؤمني بني إسرائيل، على علم منا لهم. على عالمي زمانهم"<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: "أي: اختيروا على أهل زمانهم ذلك، ولكلّ زمان عالم"<sup>(٣)</sup>.

قال قتادة: "عالم ذلك الزمان"<sup>(٤)</sup>.

قال مجاهد: "على من هم بين ظهرانيه"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "وهذه كقوله تعالى: {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ} [الأعراف: ١٤٤] أي: أهل زمانه، وكقوله لمريم: {وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٤٢] أي: في زمانها؛ فإن خديجة أفضل منها، وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، أو مساوية لها في الفضل، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"<sup>(٦)</sup>.

وقال النحاس: "وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ {الضمير يعود على «بني إسرائيل»، أي: اخترناهم للرسالة والتشريف على علم، لأن من اخترناه منهم للرسالة يقوم بأدائها على العالمين لكثرة الرسل فيهم وقيل: عالم أهل زمانهم"<sup>(٧)</sup>.

قال السمعاني: "قوله: {على العالمين} أي: على عالمي زمانهم، ويقال: على جميع العالمين؛ لأنه خصهم بكثرة الأنبياء منهم، فلم الفضل على جميع العالمين بهذا المعنى"<sup>(٨)</sup>.  
وقوله تعالى: {وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ} [الدخان: ٣٢]، يحتمل ثلاثة وجوه<sup>(٩)</sup>:

أحدها: {اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ}، أي: بسبب علم آتيناهم ذلك، لم يؤت ذلك غيرهم؛ لتظهر فضيلة العلم على العالمين وشرفه.

الثاني: {اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ} منا بأسباب فيهم وأشياء لم تعلم تلك الأسباب والمعاني في غيرهم، بها استوجبوا الاختيار على العالمين.

الثالث: {اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ}، أي: بسبب علم أحوجنا غيرهم إليهم، فصاروا مختارين مفضلين بسبب تعليمهم إياهم ما احتاجوا إليه؛ فيكون لهم فضل الأستاذ على التلميذ، وهذا كما يقال: إن العرب أفضل من الموالي؛ لأن الموالي احتاجوا إلى العرب في معرفة لسانهم، ومعرفة أشياء احتاجوا إليها، فاستوجبوا الفضيلة؛ لحاجتهم إليهم؛ ولذلك فضلت قريش على سائر العرب؛ لما احتاجت سائر العرب إلى قريش في معرفة أشياء لا يصلون إلى ذلك إلا أنهم فضلوا على غيرهم لذلك؛ فعلى ذلك يحتمل أنه أحوج إلى بني إسرائيل غيرهم في معرفة أشياء، فاستوجبوا بذلك الاختيار والفضيلة على غيرهم.

القرآن

{وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ} (٣٣) {الدخان: ٣٣}

التفسير:

وأتيناهم من المعجزات على يد موسى ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم؛ رخاء وشدة.

(١) تفسير الطبري: ٣٧/٢٢.

(٢) الكشف والبيان: ٣٥٤/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٧.

(٧) إعراب القرآن: ٨٧/٤.

(٨) تفسير السمعاني: ١٢٨/٥.

(٩) انظر: تأويلات أهل السنة: ٢٠٦/٩.

قال الطبري: يقول: "وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: من الحجج والبراهين وخوارق العادات {مَا فِيهِ} اختبار ظاهر جلي لمن اهتدى به"<sup>(٢)</sup>.

قال الفراء: "البلاء: قد يكون نعمًا، وعذابًا. ألا ترى أنك تقول: إن فلانًا لحسن البلاء عندك تريدُ الإنعام عليك"<sup>(٣)</sup>.

واختلف أهل التفسير في ذلك البلاء، على أقوال:

أحدها: أنه أنجاهم الله من عدوهم، ثم أقطعهم البحر، وظلَّ عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>.

ويكون هذا الخطاب متوجهًا إلى بني إسرائيل.

قال الفراء: "يريد: نعم مبيّنة، منها: أن أنجاهم من آل فرعون، وظلَّهم بالغمام، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى، وهو كما تقولُ للرجل: إن بلائي عندك لحسن"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن قتيبة: "أي: نعمٌ بيّنة عظام"<sup>(٦)</sup>.

قال النحاس: "فالبلاء -ههنا-: النعمة على هذا القول، كما قال الشاعر<sup>(٧)</sup>:

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلى"<sup>(٨)</sup>.

الثاني: أنها العصا ويده البيضاء، ويكون الخطاب متوجهًا إلى قوم فرعون. حكاها الماوردي<sup>(٩)</sup>.

الثالث: أنه الشر الذي كفهم عنه والخير الذي أمرهم به، قاله عبد الرحمن بن زيد<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن زيد: "بلاء مبين {بلاء مبين} لمن آمن بها وكفر بها، بلوى نبتليهم بها، نمحصهم بلوى اختبار، نختبرهم بالخير والشر، نختبرهم لننظر فيما أتاهم من الآيات من يؤمن بها، وينتفع بها ويضيعها"<sup>(١١)</sup>.

وعلى هذا القول يكون الخطاب متوجهًا إلى الفريقين معًا من قوم فرعون وبني إسرائيل.

قال الفراء: "وقد قيل فيهما: إن البلاء عذاب، وكلُّ صواب"<sup>(١٢)</sup>.

قال النحاس: "وقد يكون البلاء -ههنا-: العذاب ضد النعمة، أي: لحقهم البلاء لما كفروا بآيات الله"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى بني إسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم، وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، ويكون بالشدّة، ولم يضع لنا دليلًا من خبر ولا عقل، أنه عنى بعض ذلك دون بعض، وقد كان الله

(١) تفسير الطبري: ٣٨/٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٧.

(٣) معاني القرآن: ٦٩/٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢٢.

(٥) معاني القرآن: ٤٢/٣.

(٦) غريب القرآن: ٤٠٣.

(٧) صدر البيت:

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم والبيت من الطويل، وهو في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٠٩، ولسان العرب (بلا)، وتهذيب اللغة ١٥ / ٣٩٠، ومقاييس اللغة ١ / ٢٩٤، وديوان الأدب ٤ / ١٠٩، وتاج العروس (بلى).

(٨) معاني القرآن: ٤٠٧/٦.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٢/٣، وتفسير القرطبي: ١٦ / ٤٣، وقال: "ويشبه أن يكون قول الفراء."

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٨/٢٢.

(١٢) معاني القرآن: ٤٢/٣.

(١٣) معاني القرآن: ٤٠٧/٦.

اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعا. وجائز أن يكون عنى اختباره إياهم بهما، فإذا كان الأمر على ما وصفنا، فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جل ثناؤه إنه اختبرهم<sup>(١)</sup>.  
فوائد الآيات: [٢٥-٣٣]:

- ١- بيان سنة الله في سلب النعم وإنزال النقم بمن كفر نعم الله ولم يشكرها فعصى ربه وأطاع هواه ونفسه فترك الصلاة واتبع الشهوات وترك القرآن واشتغل بالأغاني، وأعرض عن ذكر الله واقبل على ذكر الدنيا ومفاتها.
- ٢- بيان هوان أهل الكفر والفسق على الله وعلى الكون كله، وكرامة أهل الإيمان والتقوى على الله وعلى الكون كله حتى أن السماء والأرض تكيهم إذا ماتوا.
- ٣- ذم العلو في الأرض وهو التكبر والإسراف في كل شيء.
- ٤- بيان أن الله يبغض، أي: يختبر عباده بالخير والشر.

## القرآن

{إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥)} [الدخان: ٣٤-٣٥]

التفسير:

إن هؤلاء المشركين من قومك -أيها الرسول- ليقولون: ما هي إلا موتتنا التي نموتها، وهي الموتة الأولى والأخيرة، وما نحن بعد مماتنا بمبعوثين للحساب والثواب والعقاب.  
قوله تعالى: {إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى} [الدخان: ٣٤]، أي: "إن هؤلاء المشركين من قومك -أيها الرسول- ليقولون: ما هي إلا موتتنا التي نموتها، وهي الموتة الأولى والأخيرة"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل مشركي قريش لنبي الله صلى الله عليه وسلم: إن هؤلاء المشركين من قومك يا محمد {لَيَقُولُونَ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى} التي نموتها، وهي الموتة الأولى"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: كفار مكة.. وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال لهم إنكم تبعثون من بعد الموت فكذبوه"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى منكرًا على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد، وأنه ما ثم إلا هذه الحياة الدنيا، ولا حياة بعد الممات"<sup>(٥)</sup>.

قال السمعاني: "معناه: أنا نموت مرة ولا نبعث بعد ذلك"<sup>(٦)</sup>.

قال الزمخشري: "معناه: أنه قيل لهم: إنكم تموتون موتة تتعقبها حياة، كما تقدمتكم موتة قد تعقبها حياة، وذلك قوله عز وجل: {وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}، فقالوا: {إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا}، الأولى يريدون: ما الموتة التي من شأنها أن يتعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية، وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا للموتة الأولى خاصة، فلا فرق إذا بين هذا وبين قوله إن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا فِي الْمَعْنَى"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ} [الدخان: ٣٤-٣٥]، أي: "وما نحن بعد مماتنا بمبعوثين للحساب والثواب والعقاب"<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٣٨/٢٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٣) تفسير الطبري: ٣٩/٢٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٣/٣. [باختصار]

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٧.

(٦) تفسير السمعاني: ١٢٨/٥.

(٧) الكشاف: ٢٧٩/٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٧.

قال مقاتل: "يعني: بمبعوثين من بعد الموت" (١).  
 قال ابن قتيبة: "أي: بمُحْيِينَ" (٢).  
 قال الطبري: أي: "بعد مماتنا، ولا بمبعوثين تكذيبا منهم بالبعث والثواب والعقاب" (٣).  
 قال ابن كثير: أي: "ولا بعث ولا نشور" (٤).  
 عن قتادة: "إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ"، قد قال  
 مشركو العرب {وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ}، أي: بمبعوثين" (٥).  
 قال الزجاج: "معنى {بِمُنْشَرِينَ}: بمبعوثين، يقال: أنشَرَ اللهُ الموتى فَنَشَرُوا هُمْ. إذا  
 حَيُّوا" (٦).

## القرآن

### {فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦)} [الدخان : ٣٦]

التفسير:

ويقولون أيضاً: فَأْتِ يا محمد أنتِ وَمَنْ مَعَكَ- بآبائنا الذين قد ماتوا، إن كنتم صادقين في أن الله  
 يبعث مَنْ في القبور أحياء.

قال الطبري: " قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم: فَأْتُوا بِآبَائِنَا الَّذِينَ قَدْ مَاتُوا إِنْ كُنْتُمْ  
 صادقين، أن الله باعثنا من بعد بلانا في قبورنا، ومحيينا من بعد مماتنا، وخطب صلى الله عليه  
 وسلم هو وحده خطاب الجميع، كما قيل: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} وكما قال {رَبِّ  
 ارْجِعُون} (٧).

قال مقاتل: " وذلك أن أبا جهل بن هشام قال في «الرعد»: يا محمد إن كنت نبيا فابعث  
 لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا، منهم: قصي بن كلاب فإنه كان صادقا، وكان إمامهم  
 فنسألهم فيخبرونا عن ما هو كائن بعد الموت أحق ما تقول أم باطل؟ إن كنت صادقا بأن البعث  
 حق، نظيرها في «الجاثية» قوله: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا  
 الدَّهْرُ} [الجاثية : ٢٤]، وما البعث بحق" (٨).

قال الزمخشري: " كانوا يعدونهم النشور: من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 والمؤمنين، أي: إن صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا إحياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك  
 حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق، وقيل كانوا يطلبون اليهم  
 أن يدعوا الله وينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه، فإنه كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل  
 ومعظم الشئون" (٩).

قال ابن كثير: "يحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا، فإن كان البعث حقا  
 {فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة، فإن المعاد إنما هو يوم القيامة لا  
 في هذه الدار، بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقا جديداً، ويجعل الظالمين  
 لنار جهنم وقوداً، يوم تكون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً" (١٠).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٣/٣.

(٢) غريب القرآن: ٤٠٣.

(٣) تفسير الطبري: ٣٩/٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٢.

(٦) معاني القرآن: ٤٢٧/٤.

(٧) تفسير الطبري: ٣٩/٢٢.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٣/٣.

(٩) الكشف: ٢٧٩/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٧.

## القرآن

{أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعُّ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)} [الدخان : ٣٧]

التفسير:

أهؤلاء المشركون خير أم قوم تُبَعُّ الحميري والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها؟ أهلكناهم لإجرامهم وكفرهم، ليس هؤلاء المشركون بخير من أولئك فنصفح عنهم، ولا نهلكهم، وهم بالله كافرون.

قوله تعالى: {أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعُّ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [الدخان : ٣٧]، أي: "أهؤلاء المشركون خير أم قوم تُبَعُّ الحميري والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها؟"<sup>(١)</sup>.  
قال الطبري: "أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبع- يعني تُبَعُّ الحميري- والذين من قبلهم من الأمم الكافرة بربها، يقول: فليس هؤلاء بخير من أولئك، فنصفح عنهم، ولا نهلكهم، وهم بالله كافرون، كما كان الذين أهلكناهم من الأمم من قبلهم كفاراً"<sup>(٢)</sup>.  
عن مجاهد، قوله: {أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعُّ}، قال: الحميري"<sup>(٣)</sup>.  
قال مقاتل: "لأن قوم تبع أقرب في الهلاك إلى كفار مكة"<sup>(٤)</sup>.  
وفي تسميته تبعاً، قولان<sup>(٥)</sup>:

أحدهما : لأنه تبع من قبله من ملوك اليمن كما قيل خليفة لأنه خلف من قبله .  
الثاني : لأنه اسم لملوك اليمن .

قال الماوردي: "وذم الله قومه ولم يذمه، وضرب بهم مثلاً لقريش لقربهم من دارهم ، وعظّمهم في نفوسهم ، فلما أهلكهم الله ومن قبلهم - لأنهم كانوا مجرمين - كان من أجرم مع ضعف اليد وقلة العدد أخرى بالهلاك"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "قوم تبع - وهم سبأ - حيث أهلكهم الله وخرب بلادهم، وشردهم في البلاد، وفرقهم شذر مذر، كما تقدم ذلك في سورة سبأ، وهي مُصَدَّرَةٌ بإنكار المشركين للمعاد. وكذلك هاهنا شبههم بأولئك، وقد كانوا عرباً من قحطان كما أن هؤلاء عرب من عدنان، وقد كانت حمير - وهم سبأ - كلما ملك فيهم رجل سموه تُبَعّاً، كما يقال : كسرى لمن ملك الفرس، وقبصر لمن ملك الروم، وفرعون لمن ملك مصر كافراً، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وغير ذلك من أعلام الأجناس. ولكن اتفق أن بعض تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل إلى سمرقند، واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه، واتسعت مملكته وبلاده، وكثرت رعاياه وهو الذي مَصَّرَ الحيرة فاتفق أنه مرَّ بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية، فأراد قتال أهلها فمانعوه وقتلوه بالنهار، وجعلوا يقرؤنه بالليل، فاستحيا منهم وكف عنهم، واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة ؛ فإنها مهاجرٌ نبي يكون في آخر الزمان، فرجع عنها وأخذهما معه إلى بلاد اليمن، فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فنهيها عن ذلك أيضاً، وأخبراه بعظمة هذا البيت، وأنه من بنى إِبْرَاهِيمَ الخليل وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان، فعظّمها وطاف بها، وكساها الملاء والوصائل والحبير. ثم كر راجعاً إلى اليمن ودعا أهلها إلى اليهود معه، وكان إذ ذاك دين موسى، عليه السلام، فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح، عليه السلام، فتهود معه عامة

(١) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٢) تفسير الطبري: ٤٠/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٤/٣.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٥٦/٥.

(٦) النكت والعيون: ٢٥٦/٥.

أهل اليمن. وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتابه السيرة<sup>(١)</sup> وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة<sup>(٢)</sup>، أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا وما لم نذكر. وذكر أنه ملك دمشق، وأنه كان إذا استعرض الخيل صُفَّت له من دمشق إلى اليمن، ثم ساق من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أدري الحدود طهارة لأهلها أم لا؟ ولا أدري تبع لعيناً كان أم لا؟ ولا أدري ذو القرنين نبياً كان أم ملكاً؟» وقال غيره: «أعزيراً كان نبياً أم لا؟»<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، مرفوعاً: «عزيرٌ لا أدري أنبيأ كان أم لا؟ ولا أدري ألعين تبع أم لا؟»<sup>(٤)</sup>.

ثم أورد ما جاء في النهي عن سبه ولعنته، كما سيأتي. وكأنه - والله أعلم - كان كافرًا ثم أسلم وتابع دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح، عليه السلام، وحج البيت في زمن الجرهميين، وكساه الملاء والوصائل من الحرير والحبر ونحر عنده ستة آلاف بدنة وعظمه وأكرمه. ثم عاد إلى اليمن. وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر، من طرق متعددة مطولة مبسطة، عن أبي بن كعب وعبد الله بن سلام، وعبد الله بن عباس وكعب الأحبار. وإليه المرجع في ذلك كله، وإلى عبد الله بن سلام أيضًا، وهو أثبت وأكبر وأعلم. وكذا روى قصته وهب بن مُنَبِّه، ومحمد بن إسحاق في السيرة كما هو مشهور فيها. وقد اختلط على الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة تُع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل، فإن تُبِعًا هذا المشار إليه في القرآن أسلم قومه على يديه، ثم لما مات عادوا بعده إلى عبادة الأصنام والنيران، فعاقبهم الله تعالى كما ذكره في سورة سبأ<sup>(٥)</sup>.

وروي عن سعيد بن جبير: "أن تُبِعًا كسا البيت، ونهى سعيد عن سبه"<sup>(٦)</sup>. قال ابن كثير: "وتُبع هذا هو تُبع الأوسط، واسمه أسعد أبو كُرَيْب بن مَلِكِيْرِب اليماني ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستة وعشرين سنة، ولم يكن في حمير أطول مدة منه، وتوفي قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو من سبعمائة عام. وذكروا أنه لما ذكر له الحبران من يهود المدينة أن هذه البلدة مُهَاجِرٌ نبي آخر في الزمان، اسمه أحمد، قال في ذلك شعرا واستودعه عند أهل المدينة. وكانوا يتوارثونه ويروونه خلقًا عن سلف. وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره، وهو:

شَهَدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ... رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَارِي السَّمِّ  
فَلَوْ مَدَّ عُمُرِي إِلَى عُمُرِهِ... لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَابْنَ عَمِّ  
وَجَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ أَعْدَاءَهُ... وَفَرَجْتُ عَنْ صَدْرِهِ كُلَّ عَمِّ

وذكر ابن أبي الدنيا أنه حُفِرَ قبر بصنعاء في الإسلام، فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين، وعند رءوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب: "هذا قبر حبي ولميس - وروي: حبي وتماضر - ابنتي تُبع ماتتا، وهما تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به شيئاً، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما"<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١٩/١.

(٢) انظر: تاريخ دمشق: ٥٠٠/٣.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٥٧/٧، رواه الحاكم في المستدرک (٣٦/١) من طريق عبد الرزاق به، ورواه أبو داود في سننه برقم (٤٦٧٤) من طريق عبد الرزاق به إلا أنه قال: "عزير" بدل: "ذو القرنين".

قال الحافظ ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٥٠/٢): "وحديث عبادة بن الصامت: "إن الحدود كفارة لأهلها" أصح وأثبت سنداً" ثم ساقه من طريق البخاري بسنده إلى عبادة بن الصامت.

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٥٠١/٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٧-٢٥٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٧.



قال قتادة: "دُكر لنا أن تبعا كان رجلا من حمير، سار بالجيش حتى حير الحيرة، ثم أتى سمرقند فهدهما. ودُكر لنا أنه كان إذا كُتِبَ كُتِبَ باسم الذي تسمّى وملك برًا وبحرا وصحا وريحا. ودُكر لنا أن كعبا كان يقول: نُعِتَ نُعَتَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ذَمَّ اللهُ قَوْمَهُ ولم يذمه. وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تُبَعًا، فإنه كان رجلا صالحا"<sup>(١)</sup>.

عمرو بن جابر الحضرمي - قال: سمعت سهل بن سعد الساعدي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا تُبَعًا؛ فإنه قد كان أسلم"<sup>(٢)</sup>.

عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تسبوا تبعا؛ فإنه قد أسلم"<sup>(٣)</sup>.  
عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أدري، تُبِعَ نبيًّا كان أم غير نبي"<sup>(٤)</sup>.

عن تميم بن أبي عبد الرحمن، قال: "قال لي عطاء بن أبي رباح: أنتسبون تبعا يا تميم؟ قال: قلت: نعم، قال: «فلا تسبوه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى، عن سبه»"<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ} [الدخان: ٣٧]، أي: "أهلكتناهم بسبب إجرامهم وكفرهم"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: مذنبين مقيمين على الشرك منهمكين عليه"<sup>(٧)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: إن قوم تبّع والذين من قبلهم من الأمم الذين أهلكتناهم إنما أهلكتناهم لإجرامهم، وكفرهم بربهم"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِنَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَاطِقُونَ (٣٩)} [الدخان: ٣٨-٣٩]  
التفسير:

وما خلقنا السموات والأرض وبينهما لعبًا، ما خلقناهما إلا بالحق الذي هو سنة الله في خلقه وتبويره، ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون ذلك، فلماذا لم يتفكروا فيهما؛ لأنهم لا يرجون ثوابًا ولا يخافون عقابًا.

قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} [الدخان: ٣٩]، أي: "وما خلقنا السموات والأرض وبينهما لعبًا"<sup>(٩)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: عابثين لغير شيء، يقول: لم أخلقهما باطلا ولكن خلقتهما لأمر هو كائن"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: "فيه ابن لهيعة، وعمرو بن جابر، وهما ضعيفان"<sup>(١١)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٢.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٧. ورواه احمد في المسند (٣٤٠/٥) قال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: "فيه ابن لهيعة، وعمرو بن جابر، وهما ضعيفان"

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٩٦/١١) وقال الهيثمي في المجمع (٧٦٩/٨): "فيه أحمد بن أبي بزة المكي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات".

(٤) رواه عبدالرزاق كما في تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٧، ورواه الثعلبي في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢٧٠/٣) من طريق عبد الرزاق بهذا اللفظ.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٢٢): ص ١٨٦/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩٧. [بتصرف بسيط]

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٤/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٤٠/٢٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٤/٣.

(١١) تفسير الطبري: ٤١/٢٢.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل، كقوله: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص: ٢٧]، وقال {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]"<sup>(١)</sup>.

قال السعدي: "يخبر تعالى عن كمال قدرته وتمام حكمته وأنه ما خلق السماوات والأرض لعباً ولا لهواً أو سدى من غير فائدة"<sup>(٢)</sup>.

قال البيضاوي: "وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبباً لما ينتظم به أمور العباد في المعاش والمعاد، فينبغي أن يتسلقوا بها إلى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فإنها سريعة الزوال..، وهو دليل على صحة الحشر"<sup>(٣)</sup>.

قال الشوكاني: "وما بينهما، أي: بين جنسي السماء والأرض {الاعبين}، أي: لغير غرض صحيح"<sup>(٤)</sup>، أي: لم نخلقهما عبثاً ولا باطلاً، بل للتنبيه على أن لهما خالفاً قادراً يجب امتثال أمره، وفيه إشارة إجمالية إلى تكوين العالم"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَاكُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الدخان: ٣٩]، أي: "ما خلقناهما إلا بالحق الذي هو سنة الله في خلقه وتدبيره"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ما خلقنا السماوات والأرض إلا بالحق الذي لا يصلح التدبير إلا به. وإنما يعني بذلك تعالى ذكره التنبيه على صحة البعث والمجازاة، يقول تعالى ذكره: لم نخلق الخلق عبثاً بأن نحدثهم فنحييهم ما أردنا، ثم فنفيهم من غير الامتحان بالطاعة والأمر والنهي، وغير مجازاة المطيع على طاعته، والعاصي على المعصية، ولكن خلقنا ذلك لنبتلي من أردنا امتحانه من خلقنا بما شئنا من امتحانه من الأمر والنهي: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}"<sup>(٧)</sup>.

قال البيضاوي: أي: "إلا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الإيمان والطاعة، أو البعث والجزاء"<sup>(٨)</sup>.

قال السعدي: "أي: نفس خلقهما بالحق وخلقهما مشتمل على الحق، وأنه أوجدتهما ليعبده وحده لا شريك له وليأمر العباد وينهاهم ويثيبهم ويعاقبهم"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الدخان: ٣٩]، أي: "ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك فينكرون البعث والجزاء"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أن الله خلق ذلك لهم، فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبة، ولا يرجون على خير إن فعلوه ثواباً لتكذيبهم بالمعاد"<sup>(١١)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: كفار مكة {لا يعلمون} أنهم لم يخلقوا باطلاً"<sup>(١٢)</sup>.

قال السعدي: "فذلك لم يتفكروا في خلق السماوات والأرض"<sup>(١٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٥٩/٧.

(٢) تفسير السعدي: ٧٧٤.

(٣) تفسير البيضاوي: ٤٧/٤، ١٠٣/٥.

فتح القدير: ٦٦١/٤.

(٥) فتح القدير: ٤٧٣/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٧) تفسير الطبري: ٤١/٢٢.

(٨) تفسير البيضاوي: ١٠٣/٥.

(٩) تفسير السعدي: ٧٧٤.

(١٠) صفوة التفاسير: ١٦٤/٣.

(١١) تفسير الطبري: ٤١/٢٢.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٤/٣.

(١٣) تفسير السعدي: ٧٧٤.

قال البيضاوي: "ولكن أكثرهم لا يعلمون لقلّة نظرهم"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{إِنَّ يَوْمَ الْفِصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠)} [الدخان : ٤٠]

التفسير:

إن يوم القضاء بين الخلق بما قدّموا في دنياهم من خير أو شر هو ميقاتهم أجمعين. قال الطبري: يقول: "إن يوم فصل الله القضاء بين خلقه بما أسلفوا في دنياهم من خير أو شرّ يجزي به المحسن بالإحسان، والمسيء بالإساءة، ميقات اجتماعهم أجمعين"<sup>(٢)</sup>. قال ابن كثير: " {إِنَّ يَوْمَ الْفِصْلِ} وهو يوم القيامة، يفصل الله فيه بين الخلاق، فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين. وقوله: {مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ}، أي: يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم"<sup>(٣)</sup>. عن قتادة، قوله: " {إِنَّ يَوْمَ الْفِصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ}، يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم"<sup>(٤)</sup>.

قال البيضاوي: " {يوم الفصل}: فصل الحق عن الباطل، أو المحق عن المبطل بالجزاء، أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه"<sup>(٥)</sup>. قال الشوكاني: "أي: إن يوم القيامة الذي يفصل فيه الحق عن الباطل ميقاتهم، أي: الوقت المجعول لتمييز المحسن من المسيء والمحق من المبطل، أجمعين لا يخرج عنهم أحد من ذلك"<sup>(٦)</sup>. وقرئ: «ميقاتهم» بالنصب على أنه الاسم، أي: إن ميعاد جزائهم في يوم الفصل<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢)} [الدخان : ٤١-٤٢]

التفسير:

يوم لا يدفع صاحب عن صاحبه شيئاً، ولا ينصر بعضهم بعضاً، إلا من رحم الله من المؤمنين، فإنه قد يشفع له عند ربه بعد إذن الله له. إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه وأهل طاعته.

قوله تعالى: {يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ} [الدخان : ٤١-٤٢]، أي: "يوم لا يدفع صاحب عن صاحبه شيئاً، ولا ينصر بعضهم بعضاً، إلا من رحم الله من المؤمنين، فإنه قد يشفع له عند ربه بعد إذن الله له"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول: لا يدفع ابن عمّ عن ابن عمّ، ولا صاحب عن صاحبه شيئاً من عقوبة الله التي حلت بهم من الله، ولا ينصر بعضهم بعضاً، فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا، إلا من رحم الله منهم، فإنه يغني عنه بأن يشفع له عند ربه"<sup>(٩)</sup>. قال ابن كثير: "أي: لا ينفع قريب قريباً، كقوله: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون : ١٠١]، وكقوله {وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا. يُبصِرُونَهُمْ} [

(١) تفسير البيضاوي: ١٠٣/٥.

(٢) تفسير الطبري: ٤١/٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٥٩/٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٤١/٢٢.

(٥) تفسير البيضاوي: ١٠٣/٥.

فتح القدير: ٦٦١/٤

(٧) انظر: تفسير البيضاوي: ١٠٣/٥.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٩) تفسير الطبري: ٤٢/٢٢.

المعارج : ١٠، ١١ ] أي : لا يسأل أحداً له عن حاله وهو يراه عياناً. وقوله : {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}، أي : لا ينصر القريب قريبه، ولا يأتيه نصره من خارج. ثم قال : {إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ}، أي : لا ينفع يومئذ إلا من رحمه الله، عز وجل، لخلقه" (١).

قال السعدي: " ولا ينفع مولى عن مولى شيئاً لا قريب عن قريبه ولا صديق عن صديقه، {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} أي: يمنعون من عذاب الله عز وجل لأن أحداً من الخلق لا يملك من الأمر شيئاً، {إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ}.. فإنه هو الذي ينتفع ويرتفع برحمة الله تعالى التي تسبب إليها وسعى لها سعيها في الدنيا" (٢).

قال قتادة: "انقطعت الأسباب يومئذ يا ابن آدم، وصار الناس إلى أعمالهم، فمن أصاب يومئذ خيراً سعد به آخر ما عليه، ومن أصاب يومئذ شراً شقي به آخر ما عليه" (٣).

قوله تعالى: {إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الدخان : ٤٢]، أي: "إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه وأهل طاعته" (٤).

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه واصفاً نفسه: إن الله هو العزيز في انتقامه من أعدائه، الرحيم بأوليائه، وأهل طاعته" (٥).

قال ابن كثير: "أي : هو عزيز ذو رحمة واسعة" (٦).

فوائد الآيات: [٤٢-٣٤]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٢- الإجماع هو سبب الهلاك والدمار كيفما كان فاعله.
- ٣- تبع الحميري كان عبداً صالحاً ملكاً حاكماً وكان قومه كافرين فأهلكهم الله وأنجاه ومن معه من المؤمنين الصالحين ففي هذا الملك الصالح عبرة لمن يعتبر.
- ٤- تنزه الرب تعالى عن اللعب والعبث فيما يخلق ويهب، ويأخذ ويعطي ويمنع.
- ٥- يوم القيامة وهو يوم الفصل ميعاد الخليقة كلها حيث تجمع لفصل القضاء.
- ٦- لا تنفع قرابة ولا خلة ولا صداقة يوم القيامة، ولكن الإيمان والعمل الصالح.

## القرآن

{إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤)} [الدخان : ٤٣-٤٤]

التفسير:

إن شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم، ثمرها طعام أصحاب الآثام الكثيرة، وأكبر الآثام الشرك بالله.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ} التي أخبر أنها تنبت في أصل الجحيم، التي جعلها طعاماً لأهل الجحيم، ثمرها في الجحيم طعام الأثم في الدنيا بربه، والأثيم: ذو الإثم، والإثم من أثم يَأْتِمُّ فهو أثير. وعنى به في هذا الموضع: الذي إثم الكفر بربه دون غيره من الآثام" (٧).

قال الفراء: "فهذا أيضاً عذاب في بطونهم يُسيغونه" (٨).

قال مقاتل: {الأثيم}، "يعني: الأثم بربه، فهو أبو جهل بن هشام" (٩).

(١) تفسير ابن كثير: ٢٥٩/٧.

(٢) تفسير السعدي: ٧٧٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٢/٢٢.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٧.

(٥) تفسير الطبري: ٤٢/٢٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥٩/٧.

(٧) تفسير الطبري: ٤٣/٢٢.

(٨) معاني القرآن: ٧٢/٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٤/٣.

قال ابن قتيبة: " {طَعَامُ الْأَيْتِيمِ}، أي: طعام الفاجر" (١).  
قال ابن زيد، في قوله: " {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَيْتِيمِ}، قال: أبو جهل" (٢).  
قال ابن كثير: " {الأيتيم}، أي: في قوله وفعله، وهو الكافر. وذكر غير واحد أنه أبو جهل، ولا شك في دخوله في هذه الآية، ولكن ليست خاصة به" (٣).  
قال يحيى: "بلغني أنها في الباب السادس وأنها تحيا بلهب النار كما يحيا شجركم ببرد الماء، قال: فلا بد لأهل النار من أن ينحدروا إليها، يعني: من كان فوقها، فيأكلون منها" (٤).  
عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت لأفسدت على أهل الدنيا دنياهم فكيف من ليس له طعام إلا الزقوم" (٥).  
واختلف في شجرة «الزقوم»، على قولين:  
أحدهما: أنها معروفة من شجر الدنيا، ومن قال بهذا اختلفوا فيها، فقال قطرب: "إنها شجرة مرّة تكون بتهامة من أخصب الشجر، وقال غيره بل كل نبات قاتل" (٦).  
القول الثاني: أنها لا تعرف في شجر الدنيا.  
قال قتادة: "لما نزلت هذه الآية {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ} دعا أبو جهل بتمر وزبد فقال: تزقموا فما نعلم الزقوم إلا هذا، فأنزل الله: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} [الصافات: ٦٤] إلى قوله: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ} {٦٧} ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ} {٦٨} [الصافات: ٦٧-٦٨]" (٧).  
قال السدي: "قال أبو جهل لما نزلت: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ} [الدخان: ٤٣]، قال: تعرفونها في كلام العرب: أنا أتاكم بها، فدعا جارية، فقال: انتيني بتمر وزبد، فقال: دونكم تزقموا، فهذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تفسيرها: {أَذَلِكْ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ} (٦٢) {إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ} (٦٣) [الصافات: ٦٢ - ٦٣]، قال: لأبي جهل وأصحابه" (٨).  
مالك بن أنس قال: "أقرأ عبد الله بن مسعود رجلاً: {إن شجرة الزقوم طعام الأيتيم}، فجعل يقول: طعام اليتيم، فقال له عبد الله: طعام الفاجر؛ قال: قلت لمالك: أتري أن تقرأ كذلك، قال: نعم، أرى ذلك واسعاً" (٩).  
عن همام، قال: "كان أبو الدرداء يُقرئ رجلاً: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ طَعَامُ الْأَيْتِيمِ}، قال: فجعل الرجل يقول: إن شجرة الزقوم طعام اليتيم؛ قال: فلما أكثر عليه أبو الدرداء، فرأه لا يفهم، قال: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر" (١٠).

## القرآن

### {كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِي الْحَمِيمِ (٤٦)} [الدخان: ٤٥-٤٦]

التفسير:

ثمر شجرة الزقوم كالمعدن المذاب يغلي في بطون المشركين، كغلي الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة.

(١) غريب القرآن: ٤٠٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٠/٧.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٤/٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٩١٢): ص ٧٢٣/٣.

(٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٥١/٥.

(٧) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٣/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.

(٩) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١١٨): ص ٥٥/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٢.

قال الطبري: يقول: "إن شجرة الزقوم التي جعل ثمرتها طعام الكافر في جهنم، كالرصاص أو الفضة، أو ما يُذاب في النار إذا أُذيب بها، فتناهت حرارته، وشدّت حميته في شدة السواد"<sup>(١)</sup>.

قال ابن قتيبة: "الحَمِيمُ: الماء الحار"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "كالمُهْلُ" قالوا: كعكر الزيت {يَعْلِي فِي الْبُطُونِ. كَعْلِي الْحَمِيمِ}، أي: من حرارتها ورداءتها"<sup>(٣)</sup>.

عن قابوس، عن أبيه، قال: "سألت ابن عباس، عن قول الله جلّ ثناؤه {كالمُهْلُ}، قال: كدرديّ الزيت"<sup>(٤)</sup>. وروي عن سعيد مثل ذلك<sup>(٥)</sup>.

عن ابن عباس، قوله "كالمُهْلُ يَعْلِي فِي الْبُطُونِ"، يقول: أسود كمهل الزيت"<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن عباس: "ماء غليظ كدرديّ الزيت"<sup>(٧)</sup>.

عن سعيد بن جبيرة -من طريق سالم-: "كالمُهْلُ"، قال: كدرديّ الزيت"<sup>(٨)</sup>.

وقال عكرمة: "كعكر القطران"<sup>(٩)</sup>.

عن سعيد بن جبيرة: "كالمُهْلُ"، قال: أشدُّ ما يكون حرّاً"<sup>(١٠)</sup>.

عن مجاهد، في قوله: "كالمُهْلُ"، قال: القبح والدم أسود كعكر الزيت"<sup>(١١)</sup>.

عن الضحاك، في قوله: "كالمُهْلُ"، قال: أسود، وهي سوداء وأهلها سود"<sup>(١٢)</sup>.

عن يزيد بن أبي سمية، قال: "سمعت ابن عمر يقول: هل تدرون ما المهل؟ المهل مهل الزيت، يعني آخره"<sup>(١٣)</sup>.

عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {بمَاءٍ كالمُهْلُ}، قال: "كعكر الزيت، فإذا قرّبه إلى وجهه، سقطت فروة وجهه فيه"<sup>(١٤)</sup>.

عن ابن عباس: "أنه رأى فضة قد أذيتت، فقال: هذا المهل"<sup>(١٥)</sup>.

عمرو بن ميمون عن أبيه، عن عبد الله في قوله: "كالمُهْلُ يَشْوِي الْوُجُوهُ"، قال: دخل

عبد الله بيت المال، فأخرج بقايا كانت فيه، فأوقد عليها النار حتى تلالأت، قال: أين السائل عن المهل، هذا المهل"<sup>(١٦)</sup>.

عن الحسن، قال: "بلغني أن ابن مسعود سئل عن المهل الذي يقولون يوم القيامة شراب

أهل النار، وهو على بيت المال، قال: فدعا بذهب وفضة فأذابهما، فقال: هذا أشبه شيء في الدنيا بالمهل الذي هو لون السماء يوم القيامة، وشراب أهل النار، غير أن ذلك هو أشدّ حرّاً من

هذا"<sup>(١٧)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٤٣/٢٢.

(٢) غريب القرآن: ٤٠٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٠/٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٥/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٥/٢٢.

(٩) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٢١٢/٢٢.

(١٠) عزاه السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد، وكذا ابن حجر في الفتح ٨/ ٥٧٠ بلفظ: هو الذي انتهى حره.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٧٩٠): ص ٥٩/٧.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٧٩١): ص ٥٩/٧.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٦/٢٢.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٦/٢٢.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٢.

(١٦) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٢.

(١٧) أخرجه الطبري: ٤٥-٤٤/٢٢.

عن الحسن، قال: "كان من كلامه أن عبد الله بن مسعود رجل أكرمه الله بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن عمر رضي الله عنه استعمله على بيت المال، قال: فعمد إلى فضة كثيرة مكسرة، فخذ لها أخدوداً، ثم أمر بحطب جزل فأوقد عليها، حتى إذا امّعت وتزبدت وعادت ألواناً، قال: انظروا من بالباب، فأدخل القوم فقال لهم: هذا أشبه ما رأينا في الدنيا بالمُهَلِّ" (١).

قال قتادة: "ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت له سقاية من ذهب وفضة، فأمر بأخدود فخذت في الأرض، ثم فُذِفَ فيها من جزل الحطب، ثم قذفت فيها تلك السقاية، حتى إذا أزبدت وانماعت قال لغلامه: ادع من حضرتنا من أهل الكوفة، فدعا رهطاً، فلما دخلوا قال: أترون هذا؟ قالوا نعم، قال: ما رأينا في الدنيا شبيها للمهل لأدنى من الذهب والفضة حين أزبد وانماع" (٢).

عن عبد الله بن سفيان الأسدي، قال: "أذاب عبد الله بن مسعود فضة، ثم قال: من أراد أن ينظر إلى المهل فليُنظر إلى هذا" (٣).  
وقرى: «تَغْلِي»، بالتاء، بمعنى: أن شجرة الزقوم تغلي في بطونهم (٤).

## القرآن

### {خُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧)} [الدخان: ٤٧]

التفسير:

خذوا هذا الأثيم الفاجر فادفعوه، وسوقوه بعنف إلى وسط الجحيم يوم القيامة.  
سبب نزول الآيات: [٤٧-٤٩]:

عن عكرمة قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل - لعنه الله - فقال: "إن الله تعالى أمرني أن أقول لك: {أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ}. ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ} [القيامة: ٣٤، ٣٥] قال: ففزع ثوبه من يده، وقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء. ولقد علمت أنني أمتع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم. قال: فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته، وأنزل: {دُقُّ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} (٥).

قال قتادة: "نزلت في أبي جهل: {خُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ}، قال قتادة، قال أبو جهل: ما بين جليلها رجل أعز ولا أكرم مني، فقال الله عز وجل: {دُقُّ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} (٦).  
قال ابن زيد، قوله: {خُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}، قال: هذا لأبي جهل" (٧).

عن قتادة: "ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ} [الدخان: ٤٨]، نزلت في عدو الله أبي جهل لقي النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه فهزه، ثم قال: أولى لك يا أبا جهل فأولى، ثم أولى لك فأولى، ذق إنك أنت العزيز الكريم، وذلك أنه قال: أيوعدني محمد، والله لأنا أعز من مشى بين جليلها. وفيه نزلت: {وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كُفُورًا} [الإنسان: ٢٤]، وفيه نزلت: {كُلًّا لَّا تُطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} [العلق: ١٩]، وقال قتادة: نزلت في أبي جهل وأصحابه الذين قتل الله تبارك وتعالى يوم بدر: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} [إبراهيم: ٢٨] (٨).

(١) أخرجه الطبري: ٤٥/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٥/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٥/٢٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٦/٢٢.

(٥) ذكره ابن كثير: ٢٦٠/٧، عن الأموي في مغازيه، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤١٨/٧) وهو مرسل.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٢.

قال الطبري: أي: "يقال يوم القيامة: خذوا هذا الأثيم فسوقوه دفعا في ظهره، وسحبا إلى وسط النار"<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: فادفعوه على وجهه {إلى سواء الجحيم}، يعني: وسط الجحيم وهو الباب السادس من النار"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: خذوا الكافر، وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزبانية {خُدُوهُ} ابتدره سبعون ألفاً منهم، {فَاعْتَلُوهُ}، أي: سوقوه سحبا ودفعا في ظهره"<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله تعالى: {فَاعْتَلُوهُ} [الدخان: ٤٧]، خمسة وجوه:

أحدها: فجروه، قاله الحسن<sup>(٤)</sup>.

الثاني: فادفعوه، قاله مجاهد<sup>(٥)</sup>، ومقاتل<sup>(٦)</sup>.

الثالث: فسوقوه، حكاه الكلبي<sup>(٧)</sup>.

الرابع: فاقصفوه كما يقصف الحطب، حكاه الأعمش<sup>(٨)</sup>.

الخامس: فرُدُّوه بالعنف، يقال: جيء بفلان يُعْتَلُّ إلى السلطان؛ أي: يُقاد. قاله ابن قتيبة<sup>(٩)</sup>. قال الفرزدق<sup>(١٠)</sup>:

لَيْسَ الْكِرَامُ بِنَاحِلِيكَ أَبَاهُمْ ... حَتَّى تُرَدَّ إِلَى عَطِيَّةٍ تُعْتَلُّ

قال الزجاج: "المعنى: يا أيها الملائكة خذوه فاعتلوه. والعتلُّ: أن يؤخذَ فيمضَى به بعسفٍ وشدة"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

### {ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨)} [الدخان: ٤٨]

التفسير:

ثم صبوا فوق رأس هذا الأثيم الماء الذي تناهت شدة حرارته، فلا يفارقه العذاب.

قال الطبري: يقول: "ثم صبوا على رأس هذا الأثيم من عذاب الحميم، يعني: من الماء المسخن الذي وصفنا صفته، وهو الماء الذي قال الله {يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ}"<sup>(١٢)</sup>.

قال السمعاني: "في التفسير: أنه ينقب وسط رأس أبي جهل ويصب فيه الحميم، فتخرج أمعاؤه من أسفله"<sup>(١٣)</sup>.

قال مقاتل: " {ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ} : أبي جهل، وذلك أن الملك من خزان جهنم يضربه على رأسه بمقمعة من حديد فينقب عن دماغه فيجري دماغه على جسده ثم يصب الملك في

النقب ماء حميما قد انتهى حره فيقع في بطنه"<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن عباس: "الحميم: الحار الذي يحرق، الغساق: الزمهرير البارد"<sup>(١٥)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٤٧/٢٢، ٤٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٥/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٠/٧.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٥٧/٥.

(٥) انظر: تفسير مجاهد: ٥٩٨، وتفسير الطبري: ٤٧/٢٢.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٥/٣.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٥٧/٥.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٥٧/٥.

(٩) انظر: غريب القرآن: ٤٠٣.

(١٠) ديوانه: ٧٢٢، وتفسير الطبري: ٤٧/٢٢.

(١١) معاني القرآن: ٤٢٨/٤.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٨/٢٢.

(١٣) تفسير السمعاني: ١٣١/٥.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٥/٣.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٩١٠٠): ص ٣٣٩٥/١٠.



قال السدي: "الحميم: الذي قد انتهى حره"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن زيد: "الحميم: دموع أعينهم، تجمع في حياض النار فيسقونه"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} {٤٩} [الدخان : ٤٩]

التفسير:

يقال لهذا الأثيم الشقيّ -على وجه التهكم والتوبيخ-: ذق هذا العذاب الذي تعدّب به اليوم، إنك أنت العزيز في قومك، الكريم عليهم.

قال قتادة: "لما نزلت: {خُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}؛ قال أبو جهل: ما بين جبلية رجلٌ أعزّ ولا أكرم مني. فقال الله: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يقال لهذا الأثيم الشقيّ: ذق هذا العذاب الذي تعدّب به اليوم {إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ} في قومك {الكَرِيمُ} عليهم.. [وهذا] تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدنيا، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية، لأنه كان في الدنيا يقول: إنك أنت العزيز الكريم، فقيل له في الآخرة، إذ عدّب بما عدّب به في النار: ذق هذا الهوان اليوم، فإنك كنت تزعم إنك أنت العزيز الكريم، وإنك أنت الذليل المهين، فأين الذي كنت تقول وتدّعي من العزّ والكرم، هلا تمتنع من العذاب بعزّتك"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ"<sup>(٥)</sup>.

قال الزمخشري: "يقال: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزّز ويتكرم على قومه"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: "ثم يقول له الملك: ذق العذاب أيها المتعزّز المتكرم، يונجه ويصغره، بذلك فيقول: إنك زعمت في الدنيا {أنت العزيز}، يعني: المنيع، {الكريم}، يعني: المتكرم، قال: فكان أبو جهل يقول في الدنيا: أنا أعزّ قريش وأكرمها"<sup>(٧)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: "{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}"، يقول: لست بعزير ولا كريم"<sup>(٨)</sup>.

قال القشيري: "أنت كذلك عند قومك، ولكنك عندنا ذليل مهين"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقال له: إنّ هذا العذاب الذي تعدّب به اليوم، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تشكّون، فتختصمون فيه، ولا توقنون به فقد لقيتموه، فذوقوه"<sup>(١٠)</sup>.

عن أبي هريرة قال: "قال كعب: لله ثلاثة أثواب: أثّر بالعرّ، وثسّر بل الرحمة، وارتنى الكبرياء تعالى ذكره، فمن تعزّز بغير ما أعزّه الله فذاك الذي يقال: ذق إنك أنت العزيز الكريم، ومن رحم الناس فذاك الذي سربل الله سرباله الذي ينبغي له ومن تكبر فذاك الذي نازع الله رداءه إن الله تعالى ذكره يقول: "لا ينبغي لمن نازعني ردائي أن أدخله الجنة" جلّ وعزّ"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

(١) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢٨٢٤): ص٨٧/٣، والطبري: ٤٩/٢٢. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) تفسير الطبري: ٤٨/٢٢، ٤٩.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٦٠/٧.

(٦) الكشف: ٢٨٢/٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٥/٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٥٧): ص٣٢٩٠/١٠.

(٩) لطائف الإشارات: ٣٨٦/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٠/٢٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٢.

## {إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)} [الدخان : ٥٠]

التفسير:

إن هذا العذاب الذي تعدَّبون به اليوم هو العذاب الذي كنتم تشكُّون فيه في الدنيا، ولا توقنون به. قال الطبري: "يقال له: إنَّ هذا العذاب الذي تعدَّب به اليوم، هو العذاب الذي كنتم في الدنيا تشكُّون، فتختصمون فيه، ولا توقنون به فقد لقيتموه، فذوقوه"<sup>(١)</sup>. قال البغوي: {تَمْتَرُونَ}، أي: "تشكون فيه ولا تؤمنون به"<sup>(٢)</sup>. قال الزمخشري: "أي: تشكون، أو تتمارون وتتلاجون"<sup>(٣)</sup>. قال مقاتل: "يعني: تشكون في الدنيا أنه غير كائن، فهذا مستقر الكفار"<sup>(٤)</sup>. قال ابن عطية: "يقال للكفرة عند عذابهم، أي: هذه الآخرة وجهنم التي كنتم تشكون فيها"<sup>(٥)</sup>.

فوائد الآيات: [٤٣-٥٠]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
- ٢- عظم عذاب النار وفضاعة ما يلاقيه ذوو الآثام الكبيرة فيها.
- ٣- يوجد شجرة بأريحا من الغور لها ثمر كالتمر حلو عفيص، لنواه دهن عظيم المنافع عجيب الفعل في تحليل الرياح الباردة وأمراض البلغم وأوجاع المفاصل والنقرس وعرق النساء والريح اللاحجة في حق الورك، يشرب منه زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام، وربما أقام الزمنى، والمقعدين. ذكر هذا صاحب حاشية الجمل على الجلالين عند تفسير هذه الآية. ولو أمكن أخذ هذا الثمر واستخراج زيتته وتداوي به لكان خيرا.
- ٤- من أشد أنواع العذاب في النار العذاب النفسي بالتهكم والسخرية من المعذبين وهو العذاب المهين الذي يهين المعذبين ويدوس كرامتهم.

## القرآن

## {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١)} [الدخان : ٥١]

التفسير:

إن الذين اتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه في الدنيا في موضع إقامة في الآخرة آمنين من الآفات والأحزان وغير ذلك. قال الطبري: يقول: "إن الذين اتقوا الله بأداء طاعته، واجتناب معاصيه في موضع إقامة، آمنين في ذلك الموضع مما كان يخاف منه في مقامات الدنيا من الأوصاب والعلل والأنصاب والأحزان"<sup>(٦)</sup>. قال مقاتل: "في مساكن آمنين من الخوف والموت"<sup>(٧)</sup>. قال قتادة: "إي والله، أمين من الشيطان والأنصاب والأحزان"<sup>(٨)</sup>. قال الضحَّاك: "أمنوا فيه الجوع والسقم والهزم والموت وأمنوا الخروج منه"<sup>(٩)</sup>. قال الزجاج: "أي: قد أمنوا فيه الغَيْر"<sup>(١٠)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٥٠/٢٢.

(٢) تفسير البغوي: ٢٣٦/٧.

(٣) الكشاف: ٢٨٢/٤.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٥/٣.

(٥) المحرر الوجيز: ٧٧/٥.

(٦) تفسير الطبري: ٥٠/٢٢.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٥/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥١/٢٢.

(٩) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٨٣/٣. بدون سند.

قال ابن الجوزي: "أي: أمنوا فيه الغيّر والحوادث"<sup>(٢)</sup>.  
 قال البيضاوي: "يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال"<sup>(٣)</sup>.  
 قال ابن قتيبة: "أي: في مجلس. ويقال للمجلس: مَقَامٌ ومَقَامَةٌ. وقال في موضع آخر: {في مَعَدِّ صِدْقٍ} [القمر : ٥٥]، أي: في مجلس"<sup>(٤)</sup>.  
 قال ابن كثير: "لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر حال السعداء - ولهذا سُمِّي القرآن مثنائي - فقال: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ}، أي: الله في الدنيا {في مَقَامٍ أَمِينٍ}، أي: في الآخرة وهو الجنة، قد أمنوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب، ومن الشيطان وكبده، وسائر الآفات والمصائب"<sup>(٥)</sup>.  
 قال الشوكاني: "«المتقين»، أي: الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وصف المقام بأنه أمين يأمن صاحبه من جميع المخاوف"<sup>(٦)</sup>.  
 قال الزمخشري: " {أَمِينٌ} من قولك: أمن الرجل أمانة فهو أمين. وهو ضد الخائن، فوصف به المكان استعارة، لأنَّ المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقي فيه من المكاره"<sup>(٧)</sup>.  
 وقرئ: «في مَقَامٍ»، بضم الميم<sup>(٨)</sup>.  
 قال الفراء: "و«المَقَام» بفتح الميم أجود في العربية لأن المكان، والمَقَام: الإقامة وكلُّ صواب"<sup>(٩)</sup>.

## القرآن

### { فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) } [الدخان : ٥٢]

التفسير:

في جنات وعيون جارية.

قال مقاتل: "يعني: بساتين وأنهار جارية"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "الجنات والعيون ترجمة عن المقام الأمين، والمقام الأمين: هو الجنات والعيون، والجنات: البساتين، والعيون: عيون الماء المطرد في أصول أشجار الجنات"<sup>(١١)</sup>.  
 قال البيضاوي: "{جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} بدل من «مقام»، جيء به للدلالة على نزاهته، واشتماله على ما يستلذ به من المأكَل والمشرب"<sup>(١٢)</sup>.  
 قال ابن كثير: "{فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجر الزقوم، وشرب الحميم"<sup>(١٣)</sup>.

## القرآن

### { يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتْقَابِلِينَ (٥٣) } [الدخان : ٥٣]

(١) معاني القرآن: ٤٢٨/٤.

(٢) زاد المسير: ٩٤/٤.

(٣) تفسير البيضاوي: ١٠٤/٥.

(٤) غريب القرآن: ٣٢٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧.

(٦) فتح القدير: ٦٦٣/٤.

(٧) الكشف: ٢٨٢/٤.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٤٤/٣.

(٩) انظر: معاني القرآن: ٤٤/٣.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٥/٣.

(١١) تفسير الطبري: ٥١/٢٢.

(١٢) تفسير البيضاوي: ١٠٤/٥.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧.

التفسير:

يَلْبَسُونَ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيْبَاجِ وَمَا غَلِظَ مِنْهُ، يُقَابِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْوَجْهِ، وَلَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ فِي قَفَا بَعْضٍ، يَدُورُ بِهِمْ مَجْلِسُهُمْ حَيْثُ دَارُوا.

قوله تعالى: {يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ} [الدخان: ٥٣]، أي: "يَلْبَسُونَ مَا رَقَّ مِنَ الدِّيْبَاجِ وَمَا غَلِظَ مِنْهُ"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: يلبس هؤلاء المتقون في هذه الجنات من سندس، وهو ما رَقَّ مِنَ الدِّيْبَاجِ وَإِسْتَبْرَقٍ: وهو ما غَلِظَ مِنَ الدِّيْبَاجِ"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " {سُدُسٌ} وهو: رفيع الحرير، كالقمصان ونحوها، {وَإِسْتَبْرَقٌ} وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش، وما يلبس على أعالي القماش"<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله تعالى: {يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ} [الدخان: ٥٣]، وجوه:  
أحدها: أن السندس الحرير الرقيق، والاستبرق: الديباج الغليظ، قاله عكرمة<sup>(٤)</sup>.

قال يحيى: السندس الذي قال عكرمة يعمل بالسوس، وهو الخز<sup>(٥)</sup> "الخبز"<sup>(٦)</sup>.

قال يحيى: "سمعت بعض أهل الكوفة يقول: هي بالفارسية: استبره"<sup>(٧)</sup>.

وروي عن قتادة، "من سندس وإستبرق" [الكهف: ٣١] قال: «هو غليظ الديباج»<sup>(٨)</sup>.

الثاني: السندس يعمل بسوق العراق وهو أفخر الرقم، قاله يحيى<sup>(٩)</sup>، والاستبرق الديباج سمي استبرقاً لشدة بريقه، قاله الزجاج<sup>(١٠)</sup>.

الثالث: أن السندس ما يلبسونه، والاستبرق ما يفترشونه. حكاه الماوردي<sup>(١١)</sup>.

عن كعب، قال: "لو إن ثوبا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا، لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم"<sup>(١٢)</sup>.

عن عبد الرحمن بن سابط، قال: "يبعث الله إلى العبد من أهل الجنة بالكسوة فتعجبه، فيقول: لقد رأيت الجنان فما رأيت مثل هذه الكسوة قط! فيقول الرسول الذي جاء بالكسوة: إن ربك يأمر أن تهبي لهذا العبد مثل هذه الكسوة ما شاء"<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {مُنْقَابِلِينَ} [الدخان: ٥٣]، أي: "يقابل بعضهم بعضاً بالوجه، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض، يدور بهم مجلسهم حيث داروا"<sup>(١٤)</sup>.

وفي قوله تعالى: {مُنْقَابِلِينَ} [الدخان: ٥٣]، وجهان:  
أحدهما: متقابلين بالمحبة لا متدابرين بالبغيضة، قاله علي بن عيسى<sup>(١٥)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٩٨.

(٢) تفسير الطبري: ٥١/٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥١/٢٢.

(٥) الخَزُّ: نوع منه الثياب معروف مشتق منه، عربي صحيح، وهو من الجواهر المصوف بها. انظر: "القاموس المحيط" (الخبز) ص ٥١٠، و"الصحاح" (خز) ٨٧٧/٣، و"لسان العرب" (خز) ١١٤٩/٢، و"مختار الصحاح" (خز) ص (٧٣).

(٦) تفسير يحيى بن سلام: ١٨٤/١.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ١٨٤/١.

(٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٣١١١): ص ٢٧٣/٣.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٥٩/٥.

(١٠) انظر: معاني القرآن: ٤٢٨/٤.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٥٩/٥.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٧٩٨): ص ٢٣٦٠/٧.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٧٩٧): ص ٢٣٥٩/٧.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٩٨.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٢٥٩/٥.

الثاني : متقابلين في المجالس لا ينظر بعضهم قفا بعض، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>، وعكرمة<sup>(٢)</sup>، ويحيى بن سلام<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: " يعني أنهم في الجنة يقابل بعضهم بعضا بالوجوه، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: " في الزيارة"<sup>(٥)</sup>.

قال يحيى: " قال بعضهم: ذلك في الزيارة إذا تزاوروا"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره"<sup>(٧)</sup>.

قال الصابوني: " أي: متقابلين في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض"<sup>(٨)</sup>.

قال الماتريدي: " يخبر أن مجلسهم في الجنة نحو مجلسهم في الدنيا مقابل بعضهم بعضا،

حيث قال: {كذلك} على إثر ذلك، يكونون في الجنة كما كانوا في الدنيا من مقابلة بعض بعضاً، واجتماعهم في المجلس في الشراب وغيره"<sup>(٩)</sup>.

## القرآن

### {كذلك وزوجناهم بحور عين (٥٤)} [الدخان : ٥٤]

التفسير:

كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالهم الجنات وإلباسهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم بالحسان من النساء وأسعات الأعين جميلاتها.

قال الطبري: يقول: " كما أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة بإدخالناهم

الجنات، وإلباسناهم فيها السندس والإستبرق، كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم أيضا فيها حورا من النساء، وهن النقيات البيضاء، واحدهن: حوراء.. فأما «العين» فإنها جمع: عينا، وهي العظيمة العينين من النساء"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: " {بحور} يعني: بيض الوجوه، {عين}، يعني: حسان العيون"<sup>(١١)</sup>.

قال السمعاني: " أي: كما فعلنا بهم ما ذكرنا كذلك نزوجهم بالهور العين، والهور

الجواري البيض، والعين: الحسان الأعين، وقيل: سمين الحور؛ لأن الأبصار تحار من جمالهن"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان

اللاتي {لَمْ يَطْمِئُنَّ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٥٦، ٧٤]، {كَأَنَّهنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} [

الرحمن : ٥٨]، {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن : ٦٠]"<sup>(١٣)</sup>.

عن قتادة، قوله: " {كذلك وزوجناهم بحور عين}، قال: بيضاء عينا"<sup>(١٤)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم (١٢٤٠٤): ص ٢٢٦٧/٧.

(٢) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٨٣/٣. بدون سند.

(٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٤) تفسير الطبري: ٥١/٢٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٥/٣.

(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧.

(٨) صفوة التفسير: ١٦٥/٣.

(٩) تأويلات أهل السنة: ٢١٣/٩.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٢/٢٢، ٥٣.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٥/٣-٨٢٦.

(١٢) تفسير السمعاني: ١٣٢/٥.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٢.

عن مجاهد: قوله: «وَزَوَّجْنَاَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ»، قال: أنكحناهم حورا. قال: والحور: اللاتي يحار فيهن الطرف بادٍ مُحُّ سوهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحدهن كالمرأة من رقة الجلد، وصفاء اللون<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: " وهذا الذي قاله مجاهد من أن الحور إنما معناها: أنه يحار فيها الطرف، قول لا معنى له في كلام العرب، لأن الحور إنما هو جمع حوراء، كالحمر جمع حمراء، والسود: جمع سوداء، والحوراء إنما هي فعلاء من الحور وهو نقاء البياض، كما قيل للنقيّ البياض من الطعام الحوراري"<sup>(٢)</sup>.

عن أنس - رفعه نوح - قال: "لو أن حوراء بزقت في بحر لجي، لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها"<sup>(٣)</sup>.

وفي قراءة عبد الله: «وَأَمَدَدْنَاَهُمْ بِعَيْسٍ عِينٍ»<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "«العيس» - عند العرب - جمع: عيساء، وهي البياض من الإبل، كما قال الأعشى<sup>(٥)</sup>:

وَمَهْمَهٍ نَارِحٍ تَعْوِي الدَّنَابُ بِهِ ... كَلَفْتُ أَعْيَسَ تَحْتَ الرَّحْلِ نَعَابَا  
يعني بالـ«أعيس»: جملا أبيض"<sup>(٦)</sup>.

قال الفراء: "«العيساء»: البياض. و«الحوراء»: كذلك"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{يَدْخُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ (٥٥)} {الدخان: ٥٥}

التفسير:

يطلب هؤلاء المتقون في الجنة كل نوع من فواكه الجنة اشتهوهم، آمنين من انقطاع ذلك عنهم وفنائهم.

قال السعدي: " {يَدْخُونَ فِيهَا} أي: الجنة {بِكُلِّ فَاكِهَةٍ} مما له اسم في الدنيا ومما لا يوجد له اسم ولا نظير في الدنيا، فمهما طلبوه من أنواع الفاكهة وأجناسها أحضر لهم في الحال من غير تعب ولا كلفة، {آمْنِينَ} من انقطاع ذلك وآمنين من مضرتهم وآمنين من كل مكدر، وآمنين من الخروج منها والموت"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن عطية: " معناه: يدعون الخدمة والمتصرفين"<sup>(٩)</sup>.

وفي قوله تعالى: {آمْنِينَ} {الدخان: ٥٥}، قولان:

أحدهما: {آمْنِينَ} عن انقطاع فواكهها وثمارها وما ذكر.

قال الطبري: " يقول: يدعو هؤلاء المتقون في الجنة بكلّ نوع من فواكه الجنة اشتهوهم، آمنين فيها من انقطاع ذلك عنهم ونفادهم وفنائهم، ومن غائلة أذاه ومكروهه، يقول: ليست تلك

(١) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٢.

(٢) تفسير الطبري: ٥٢/٢٢.

(٣) رواه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧، ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣٨٦) من وجه آخر، فرواه من طريق محمد بن إسماعيل الحساني، عن منصور الواسطي، عن أبي النصر الأبار، عن أنس مرفوعا بنحوه.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٢، وانظر: معاني القرآن للفراء: ٤٤/٣.

(٥) البيت: لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ١٣٦١) والرواية فيه: "قفر مساربه" في موضع "تعوي الدناب به" والمهمه: الصحراء، ونارح: بعيد. وقفر: خال من النبات والإنس. ومساربه مسالكه. وأعيس: حمل أبيض يخالطه شقرة أو ظلمة. والرحل: الخشب يشد على الجمل ليركب فوقه. ونعاب: من نعبت الإبل: إذا مدت أعناقها في سيرها. وقيل هو أن يحرك البعير رأسه إذا أسرع (اللسان: نعاب).

(٦) تفسير الطبري: ٥٣/٢٢.

(٧) معاني القرآن: ٤٤/٣.

(٨) تفسير السعدي: ٧٧٤.

(٩) المحرر الوجيز: ٧٨/٥.

الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التي نأكلها، وهم يخافون مكروه عاقبتها، وغبّ أذاها مع نفاها من عندهم، وعدمها في بعض الأزمنة والأوقات"<sup>(١)</sup>.

قال البغوي: " {أمنين} من نفاها ومن مضرتة"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم، وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه، بل يحضر إليهم كلما أرادوا"<sup>(٣)</sup>.

قال الماتريدي: " تأويله - والله أعلم - أي: ثمار الجنة وفواكهها، ليس لها فساد ولا انقطاع، ولا نقصان، ولا زوال، {يَدْعُونَ}: يسألون أن أحضروها، لا يسألون كما يسألون في الدنيا هل بقي شيء، أو هل عندكم شيء من الفواكه؟ ونحو ذلك؛ لما ذكرنا أن لثمار الدنيا انقطاع وفناء، وليس لثمار الجنة وفواكهها كذلك، لذلك ما ذكرنا"<sup>(٤)</sup>.

الثاني: آمنوا من الموت والأوصاب والشيطان. قاله قتادة"<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن عباس: " قد آمنوا الموت والأسقام والأوجاع والتخم"<sup>(٦)</sup>.

قال الواحدي: " {أمنين} من التخم، والأسقام، والأوجاع"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ  
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) [الدخان : ٥٦-٥٨]**

التفسير:

لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، ووقى الله هؤلاء المتقين عذاب الجحيم؛ تفضلاً وإحساناً منه سبحانه وتعالى، هذا الذي أعطىناه المتقين في الآخرة من الكرامات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده. فإنما سهّلنا لفظ القرآن ومعناه بلغناك أيها الرسول؛ لعلهم يتعظون وينزجرون.

قوله تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ} [الدخان : ٥٦]، أي: " لا يذوق

هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: " لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا"<sup>(٩)</sup>.

قال الزجاج: " المعنى: لا يذوقون فيها الموت ألبتة سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في

الدنيا"<sup>(١٠)</sup>.

قال السعدي: " أي: ليس فيها موت بالكلية، ولو كان فيها موت يستثنى لم يستثنى الموتة

الأولى التي هي الموتة في الدنيا فتم لهم كل محبوب مطلوب"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: " هذا استثناء يؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع ومعناه : أنهم لا يذوقون فيها

الموت أبداً، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يؤتى بالموت في

(١) تفسير الطبري: ٥٣/٢٢.

(٢) تفسير البغوي: ٢٣٧/٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧.

(٤) تأويلات أهل السنة: ٢١٣/٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢٢.

(٦) التفسير البسيط للواحدي: ١٢٦/٢٠.

(٧) التفسير الوسيط: ٩٣/٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٨.

(٩) تفسير الطبري: ٥٣/٢٢.

(١٠) معاني القرآن: ٤٢٨/٤.

(١١) تفسير السعدي: ٧٧٤.

صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة، رضي الله عنهما، قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقال لأهل الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تئأسوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا"<sup>(٣)</sup>.

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اتقى الله دخل الجنة، ينعم فيها ولا يبأس، ويحيا فيها فلا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه"<sup>(٤)</sup>.  
وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»<sup>(٥)</sup>.

عن جابر بن عبد الله قال: سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقيل: يا رسول الله، أينام أهل الجنة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النوم آخر الموت، وأهل الجنة لا ينامون»<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [الدخان : ٥٦]، أي: "وقى الله هؤلاء المتقين عذاب الجحيم"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم، وسلمهم ونجاهم وزحزحهم من العذاب الأليم في دركات الجحيم، فحصل لهم المطلوب، ونجاهم من المرهوب"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ} [الدخان : ٥٧]، أي: "فعل ذلك بهم تفضلاً وإحساناً منه سبحانه وتعالى عليهم"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: "ذلك الذي ذكر في الجنة كان: فضلاً من ربك"<sup>(١١)</sup>.  
قال الفراء: "أي: فعله تفضلاً منه"<sup>(١٢)</sup>.

قال البيضاوي: "أي: أعطوا كل ذلك عطاءً وتفضلاً منه"<sup>(١٣)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "تفضلاً يا محمد من ربك عليهم، وإحساناً منه عليهم بذلك، ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم في الدنيا، ولولا تفضله عليهم بصفحة لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك، لم يقم عذاب الجحيم، ولكن كان ينالهم ويصيبهم ألمه ومكروهه"<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: إنما كان هذا بفضله عليهم وإحسانه إليهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل"<sup>(١٥)</sup>»<sup>(١٥)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٨/٤)، رقم (٢٨٤٩)، والطبراني (٣٦١/١٢)، رقم (١٣٣٤٦).

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧.

(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٣٧).

(٤).

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٣٦):ص:٢١٨١/٤.

(٦) المعجم الأوسط للطبراني(٩١٩):ص:٢٨٢/١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٨.

(٨) تفسير الطبري: ٥٥/٢٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٦٢/٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٩٨، وصفوة التفاسير: ١٦٥/٣.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٦/٣.

(١٢) معاني القرآن: ٤٤/٣.

(١٣) تفسير البيضاوي: ١٠٤/٥.

(١٤) تفسير الطبري: ٥٥/٢٢.

(١٥) صحيح البخاري برقم (٦٤٦٧) من حديث عائشة، رضي الله عنها.



قال السعدي: "أي: حصول النعيم واندفاع العذاب عنهم من فضل الله عليهم وكرمه فإنه تعالى هو الذي وقفهم للأعمال الصالحة التي بها نالوا خير الآخرة وأعطاهم أيضا ما لم تبلغه أعمالهم"<sup>(١)</sup>.

قال النحاس: "يقال: قد قال جلّ وعزّ: {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ١٢٧، ويوسف: ١٢]، {وبِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام: ١٢٩]، فما معنى التفضل -هاهنا-؟  
ففي هذا غير جواب، منها: أن تكليف الله جلّ وعزّ الأعمال ليس لحاجة منه إليها، وإنما كلفهم ذلك ليعملوا فيدخلوا الجنة فالتكليف وإدخالهم الجنة تفضل منه جلّ وعزّ.  
فأصحّ الأجوبة في هذا أن للمؤمنين ذنوبا لا يخلون منها، وإن كانت لكثير منهم صغائر فلو أخذهم الله جلّ وعزّ بها لعذبهم غير ظالم لهم، فلما غفرها لهم وأدخلهم الجنة كان ذلك تفضلا منه جلّ وعزّ، وأيضا فإنّ الله جلّ وعزّ على عباده كلهم نعما في الدنيا فلو قوبل بتلك النعم أعمالهم لاستغرقها فقد صار دخولهم الجنة تفضلا، كما قال صلى الله عليه وسلم «ما أحد يدخل الجنة بعمله» قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أنا يتعمدني الله منه برحمة»<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الدخان : ٥٧]، أي: هذا الذي أعطينا المتقين في الآخرة من الكرامات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده"<sup>(٥)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في الآخرة من الكرامة التي وصفت في هذه الآيات، هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من إدراكه في الدنيا بأعمالهم وطاعتهم لربهم، واتقائهم إياه، فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض، واجتناب المحارم"<sup>(٦)</sup>.  
قال مقاتل: "يعني: النجاة العظيمة"<sup>(٧)</sup>.  
قال البيضاوي: "لأنه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب"<sup>(٨)</sup>.  
قال السعدي: "وأي فوز أعظم من نيل رضوان الله ووجنته والسلامة من عذابه وسخطه؟"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {فَإِنَّمَا يَسِرَّنَا هُوَ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الدخان : ٥٨]، أي: "فإنما سهّلنا لفظ القرآن ومعناه بلغتك أيها الرسول؛ لعلهم يتعظون وينزجرون"<sup>(١٠)</sup>.  
قال مقاتل: "يقول: هوناه على لسانك، لكي {يتذكروا}، فيؤمنوا بالقرآن"<sup>(١١)</sup>.  
قال النحاس: "معنى {يسرناه}: علمناك وحفظناك وأوحينا إليك لتتذكروا به وتعتبروا"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإنما سهّلنا قراءة هذا القرآن الذي أنزلناه إليك يا محمد بلسانك، ليتذكروا هؤلاء المشركون الذين أرسلناك إليهم بعبره

(١) تفسير ابن كثير: ٢٦٣/٧.

(٢) تفسير السعدي: ٧٧٤.

(٣) أخرج البخاري في كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل رقم (٦٤٦٣)، ومسلم في كتاب صفة الجنة والنار، باب: لن يدخل أحد الجنة رقم (٢٨١٦ إلى ٢٨١٨) من طرق عن عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة". قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتعمدني الله منه بفضل ورحمة".

(٤) إعراب القرآن: ٩١/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٨.

(٦) تفسير الطبري: ٥٥/٢٢.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٦/٣.

(٨) تفسير البيضاوي: ١٠٤/٥.

(٩) تفسير السعدي: ٧٧٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٩٨.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢٦/٣. [باختصار]

(١٢) إعراب القرآن: ٩١/٤.

وَحُجَّجَهُ، وَيَتَّعَطُوا بَعْضَاتِهِ، وَيَتَفَكَّرُوا فِي آيَاتِهِ إِذَا أَنْتَ تَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ، فَيَنْبِيؤُا إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَيَذْعَرُوا لِلْحَقِّ عِنْدَ تَبْيِينِهِمْ" (١).

قال البيضاوي: "سهلناه حيث أنزلناه بلغتك وهو فذلِكَ السورة، لعلمهم يفهمونه فيتذكرون به ما لم يتذكروا" (٢).

قال ابن كثير: "أي: إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً جلياً بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}، أي: يتفهمون ويعملون" (٣).

قال السعدي: "أي: سهلناه بلسانك الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق وأجلها فتيسر به لفظه وتيسر معناه. {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} ما فيه نفعهم فيفعلونه وما فيه ضررهم فيتركونه" (٤).

عن قتادة، قوله: "{فَأَيُّهَا يَسِّرْنَا بِلسَانِكَ}"، أي: هذا القرآن، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (٥).

عن ابن زيد، قوله: "{فَأَيُّهَا يَسِّرْنَا بِلسَانِكَ}"، قال: القرآن، و{يسرناه}: أطلق به لسانه" (٦).

## القرآن

### {فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ} [الدخان : ٥٩]

التفسير:

فانتظر -أيها الرسول- ما وعدتك من النصر على هؤلاء المشركين بالله، وما يحلُّ بهم من العقاب، إنهم منتظرون موتك وقهرك، سيعلمون لمن تكون النصر والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة، إنها لك -أيها الرسول- ولمن اتبعك من المؤمنين.

قال قتادة: "أي: فانتظر إنهم منتظرون" (٧).

قال البيضاوي: "فانتظر ما يحلُّ بهم. إنهم منتظرون ما يحلُّ بك" (٨).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فانتظر أنت يا محمد

الفتح من ربك، والنصر على هؤلاء المشركين بالله من قومك من قريش، إنهم منتظرون عند أنفسهم قهرك وغلبيتك بصددهم عما أتيتهم به من الحق من أراد قبوله واتباعك عليه" (٩).

قال السعدي: "فَارْتَقِبْ {أي: انتظر ما وعدك ربك من الخير والنصر} {إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ} ما يحلُّ بهم من العذاب وفرق بين الارتقابين: رسول الله وأتباعه يرتقبون الخير في الدنيا والآخرة، وضدهم يرتقبون الشر في الدنيا والآخرة" (١٠).

قال النحاس: "أي: فارتقب أن يحكم الله جلَّ وعزَّ بينك وبينهم، {إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ}، فيه قولان:

أحدهما: أنه مجاز، وأن المعنى أنهم بمنزلة المرتقبين، لأن الأمر حال بهم لا محالة.

وقيل: هو حقيقة، أي: أنهم مرتقبون ما يؤملونه" (١١).

قال ابن كثير: "ثم لما كان مع هذا البيان والوضوح من الناس من كفر وخالف وعاند،

قال الله تعالى لرسوله مسلماً له وواعداً له بالنصر، ومتوعداً لمن كذبه بالعطب والهلاك: {فَارْتَقِبْ}، أي: انتظر {إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ}، أي: فسيعلمون لمن يكون النصر والظفر وعلو الكلمة

(١) تفسير الطبري: ٥٦/٢٢.

(٢) تفسير البيضاوي: ١٠٤/٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٣/٧.

(٤) تفسير السعدي: ٧٧٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٢.

(٨) تفسير البيضاوي: ١٠٤/٥.

(٩) تفسير الطبري: ٥٦/٢٢.

(١٠) تفسير السعدي: ٧٧٤.

(١١) إعراب القرآن: ٩١/٤.

في الدنيا والآخرة، فإنها لك يا محمد وإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين، كما قال تعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر: ٥١، ٥٢] (١).

فوائد الآيات: [٥٩-٥١]:

- ١- فضل التقوى وكرامة أهلها والتقوى هي خشية من الله تحمل على طاعة الله بفعل محابه وترك مكارهه.
  - ٢- بيان شيء من نعيم أهل الجنة ترغيباً في العمل لها.
  - ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
  - ٤- بيان الحكمة من تسهيل فهم القرآن الكريم وهو الاتعاض المقتضي للتقوى.
- «آخر تفسير سورة (الدخان)، والحمد لله وحده»

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٦٣/٧.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تفسير سورة «الجاثية»

هي السورة «الخامسة والأربعون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «الخامسة والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الدخان» وقبل «الأحقاف»، على ما هو معروف من نزول سور الحواميم -التي هي لباب القرآن، وعرائس آياته- جملة مرتبة متتابعة، وترتيبها بينها السادس<sup>(١)</sup>. وعدد آياتها سبع وثلاثون في الكوفة، وست في الباقين، وكلماتها أربعمائة وثمانون. وحروفها ألفان ومائة وتسعون. مجموع فواصل آياتها: «من»<sup>(٢)</sup>.

### ■ أسماء السورة:

### ■ أولاً: أسمها التوقيفي: «سورة الجاثية»:

سميت هذه السورة في كثير من المصاحف وكتب التفسير: «سورة الجاثية»؛ لقوله: {وَنَزَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَآئِيَةً} [الجاثية : ٢٨].

وغلب هذا الاسم على هذه السورة؛ إذ الأصل أن تسمى السورة باسم أمر ذي بال مذكور فيها؛ لما جاء فيها من الأهوال التي يلقاها الناس يوم الحساب، حيث تجثو الخلائق على الركب في انتظار الحساب، ويغشاهم من الفزع ما لا يخطر على بال. قال القاسمي: "سميت بها لتضمن آياتها بيان سبب تأخير البعث إلى يوم القيامة، لأجل اجتماع الأمم محاكمة إلى الله تعالى، وفصله بينهم يوم القيامة، وهي من المطالب الشريفة في القرآن"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عاشور: "واقتران لفظ «الجاثية» بـ«لام التعريف» في اسم السورة مع أن اللفظ المذكور فيها حُلِّيَ عن لام التعريف؛ لقصد تحسين الإضافة، والتقدير: سورة هذه الكلمة، أي: السورة التي تُذكر فيها هذه الكلمة، وليس لهذا التعريف فائدة غير هذه"<sup>(٤)</sup>.

### ■ ثانياً: أسماؤها الإجتهدية:

### ■ الاسم الأول: «سورة حم الجاثية»:

تسمى «حم الجاثية»، كما جاءت في كلام الصحابة -رضوان الله عليهم-<sup>(٥)</sup>.

### ■ الاسم الثاني: «سورة الشريعة»:

وتسمى «سورة الشريعة» -كما وردت عند السلف<sup>(٦)</sup>-، لوقوع لفظ «شريعة» فيها، وذلك في قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأُمْرِ} [الجاثية : ١٨]، ولم يقع في موضع آخر من القرآن.

قال القاسمي: سميت بذلك "لتضمن آياتها وجه نسخ هذه الشريعة، سائر الشرائع، وفضلها عليها. وهو أيضا من المطالب العزيزة فيه"<sup>(٧)</sup>.

### ■ الاسم الثالث: «سورة الدهر»:

وتسمى «سورة الدهر»، لوقوع لفظ «الدهر» فيها، وذلك في قوله تعالى: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية : ٢٤] ، ولم يقع هذا اللفظ في ذوات «حم»<sup>(٨)</sup> الأخر<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر: الكشاف: ٢٨٤/٤، والتحرير والتنوير: ٢٧٥/٢٥.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٤٢٦/١.

(٣) انظر: محاسن التأويل: ٤٢٥/٨.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٢٣/٢٥.

(٥) قال ابن عباس: "انزلت بمكة سورة «حم الجاثية»". ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦) قال ابن الزبير: "انزلت «سورة الشريعة»، بمكة". ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) محاسن التأويل: ٤٢٥/٨.

(٨) وقد وقع هذا اللفظ في سورة «الإنسان»، قال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا} [الإنسان : ١].

## ■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان: أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وعبد الله بن الزبير<sup>(٣)</sup>، والحسن<sup>(٤)</sup>، وجابر<sup>(٥)</sup>، وعكرمة<sup>(٦)</sup>، ومجاهد<sup>(٧)</sup>، وقتادة<sup>(٨)</sup>.

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الجاثية: ١٤]. نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس<sup>(٩)</sup>، وقتادة<sup>(١٠)</sup>.

وروي عن ابن عباس، {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الجاثية: ١٤]: "نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فأراد أن يبطش به فأنزل الله تعالى {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الجاثية: ١٤]، يعني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.."<sup>(١١)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: "هي مكية كلها"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية لا خلاف في ذلك"<sup>(١٣)</sup>.

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالإجماع"<sup>(١٤)</sup>.

## ■ مناسبة السورة لما قبلها:

ومناسبتها لما قبلها: أن أول هذه مشاكل لآخر سابقتها في الأغراض والمقاصد<sup>(١٥)</sup>.

## ■ أغراض السورة ومقاصدها

إن هذه السورة تصور جانباً من استقبال المشركين للدعوة الإسلامية، وطريقتهم في مواجهة حججها وآياتها، وتعنتهم في مواجهة حقائقها وقضاياها، واتباعهم للهوى اتباعاً كاملاً في غير ما تخرج من حق واضح، أو برهان قاطع. كذلك تصور كيف كان القرآن يعالج قلوبهم الجامحة الشاردة مع الهوى، المغلقة دون الهدى، وهو يواجهها بآيات الله القاطعة العميقة التأثير والدلالة، ويذكرهم عذابه، ويصور لهم ثوابه، ويقرر لهم سننه، ويعرفهم بنواميسه الماضية في هذا الوجود.

كما تناولت السورة العقيدة الإسلامية، وأفاضت في الحديث عنها، والتوسع في تحقيقها؛ فتكلمت عن الإيمان، والوحدانية، والرسالة المحمدية، والقرآن، والبعث، والجزاء.

قال الطنطاوي: "المتدبر في هذه السورة الكريمة، يراها تدعو الناس إلى التفكير فيما اشتمل عليه هذا الكون من آيات دالة على وحدانية الله -تعالى- وكمال قدرته، كما أنه يراها تحكي بشيء من التفصيل أقوال المشركين وترد عليها، وتبين سوء عاقبتهم كما يراها تسوق ألواناً من نعم الله على خلقه، وتدعو المؤمنين إلى التمسك بكتاب ربهم، وتبشرهم بأنهم متى فعلوا ذلك ظفروا برضوان الله تعالى وثوابه، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات

(١) انظر: هذه التسمية في العجائب للكرماني: ١٠٨٣/٢، والإتقان: ١٧٤/١.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٢٢/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(٥) حكاه القرطبي في التفسير: ١٥٧/١٦. بدون سند.

(٦) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(٧) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤. بدون سند.

(٨) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤. بدون سند.

(٩) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(١٠) حكاه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٩٦/٤، والقرطبي في "التفسير": ١٥٦/١٦. بدون سند.

(١١) معاني القرآن: ٦٦١-٦٦٢.

(١٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٢٠٩/٤.

(١٣) المحرر الوجيز: ٧٩/٥.

(١٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٦/١.

(١٥) انظر: تفسير المراعي: ١٤٠/٢٥.

فيدخلهم ربهم في رحمته، ذلك هو الفوز المبين، كما يراها تهتم بتفصيل الحديث عن أهوال يوم القيامة، لكي يفيء الناس إلى رشدهم، ويستعدوا لاستقبال هذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح<sup>(١)</sup>.

هذا ما تضمنته السورة من مقاصد من حيث الجملة، أما حيث التفصيل، فقد تضمنت السورة المقاصد التالية:

١- ابتدأت السورة التحدي بإعجاز القرآن، وأن القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم، فهو كتاب عظيم معجز، جاء بالحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢- إقامة الأدلة على ربوبيته سبحانه وعظم سلطانه، وإثبات انفراده تعالى بالإلهية بدلائل ما في السماوات والأرض من آثار خلقه وقدرته وما فيها من نعم، يحق على الناس شكرها لا كفرها.

٣- تعليم للرسول صلى الله عليه وسلم أن يرشد المؤمنين إلى أن يغفروا للذين لا يؤمنون بالجزاء الرباني إبداءاتهم؛ ففضائل أخلاق المؤمن، ومنها المغفرة جزء من الدعوة المجدية المؤثرة في جذب الكافرين إلى الإيمان والإسلام، وأن يبين لهم ثواب الله العظيم، الذي أعده للدعاة الصابرين، الذين يغفرون ولا يحقدون، ويتجاوزون عن إساءات من أساء إليهم ولا يتأرون.

٤- بيان أن الله عز وجل أتى بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة، وأنعم عليهم نعماً كثيرة؛ ليحملوا رسالة الله للناس، لكنهم لم يكونوا صالحين لحمل الرسالة الربانية، فاصطفى سبحانه رسوله محمداً، وجعل أمته هي الأمة المختارة لحمل خاتمة رسالات الله للعالمين. وفي هذا تحذير ضمني للأمة المحمدية أن تفعل مثلما فعل بنو إسرائيل من قبل.

٥- وعيد الذين كذبوا على الله والتزموا الآثام بالإصرار على الكفر والإعراض عن النظر في آيات القرآن والاستهزاء بها.

٦- التنديد على المشركين جراء اتخاذهم آلهة وفق أهوائهم، وجحودهم البعث، وتهديدهم بالخسران يوم البعث، ووصف أهوال ذلك، وما أعد فيه من العذاب للمشركين ومن رحمة للمؤمنين.

٧- تضمنت السورة تحذيراً شديداً من اتباع الهوى والضلال على علم؛ إذ إن هذا الاتباع يختم على السمع والقلب، ويغشي النظر؛ فلا يكون لصاحبه هداية، ويندفع في ضلاله وطغيانه، فينكر البعث والجزاء.

٨- وصفت السورة الذين يُعرضون عن آيات الله بالاستكبار والإعراض عن الاعتاظ والاعتبار؛ خلوداً إلى الدنيا، وغروراً بها، وكفراً بالله الذي خلقهم، وأحياهم، ثم يميتهم، ويجمعهم إلى يوم القيامة لا ريب فيه.

٩- وصف بعض أحوال يوم الجزاء؛ حيث تُدعى كل أمة إلى كتابها؛ لتلقى جزاءها؛ {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ} [الجاثية : ٣٠]، {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ} [الجاثية : ٣١]، فاليوم جزاؤهم جهنم، لا يخرجون منها، ولا هم يستعتبون.

١٠- تشبيه الذين أهملوا النظر في آيات الله مع تبيانها، وخالفوا على رسولهم صلى الله عليه وسلم فيما فيه صلاحهم بحال بني إسرائيل في اختلافهم في كتابهم، بعد أن جاءهم العلم، وبعد أن اتبعوه، فما الظن بمن خالف آيات الله من أول وهلة؟ تحذيراً للعباد من أن يقفوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل من تسليط الأمم عليهم، وذلك تحذير بليغ.

(١) التفسير الوسيط: ١٣/١٣٩.

١١- تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم بأن شأن شرعه مع قومه كشأن شريعة موسى، لا تسلم من مخالف، وأن ذلك لا يقدر فيها، ولا في الذي جاء بها، وأن لا يعبأ بالمعاندين ولا بكثرتهم؛ إذ لا وزن لهم عند الله.

١٢- تنتهي آيات السورة بإثبات الحمد والكبرياء لله رب السموات والأرض العزيز الحكيم<sup>(١)</sup>.

#### ■ الناسخ والمنسوخ:

المنسوخ فيها آية واحدة: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الجاثية : ١٤]، نسختها آية السيف: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة: ٥]. قاله قتادة<sup>(٢)</sup>.

#### ■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب»<sup>(٣)</sup>.

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفطح الرويجل» مرتين<sup>(٤)</sup>.

- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»<sup>(٥)</sup>.

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٢) رواه عنه النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٦٦١-٦٦٢.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٨/٨، والواحدي في التفسير الوسيط (٨٣١) ص: ٩٤/٤. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".

وانظر: الموضوعات (١/ ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".

(٤) "مسند أحمد" (٦٥٧٥)، وسنن أبي داود (١٣٩٩) ص: ٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤)، وصحيح ابن حبان (٧٧٣): ٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصديقي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حاء، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحَ وَيُسَبَّحُ وَسَبَّحَ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٥) مسند ابن أبي شيبة (٣٠٢٨٤) ص: ١٥٣/٦، وسنن الدارمي (٣٤٦٥) ص: ٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان (٢٢٥٣) ص: ١٠٦/٤. وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».

إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.



## القرآن

{حم (١)} [الجاثية : ١]

التفسير:

{حم} سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

## القرآن

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢)} [الجاثية : ٢]

التفسير:

هذا القرآن منزل من الله العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبير أمور خلقه. قال الطبري: "معناه: هذا تنزيل القرآن من عند الله {العزيز} في انتقامه من أعدائه {الحكيم} في تدبيره أمر خلقه"<sup>(١)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: "يعني: القرآن أنزله مع جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: "«الكتاب»: القرآن. و{العزيز}: المنيع. {الحكيم} في فعله"<sup>(٣)</sup>.

قال السمعاني: " {العزيز الحكيم}، أي: الغالب على الأمور، العدل في الأحكام"<sup>(٤)</sup>.

قال الفخر الرازي: "قوله: {العزيز الحكيم}، يجوز جعلها صفة للكتاب، ويجوز جعلها صفة لله تعالى، إلا أن هذا الثاني أولى"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: "«الكتاب» -ههنا-: القرآن، ورفع تنزيل الكتاب من جهتين:

إحدهما: الابتداء ويكون الخبر من الله، أي نزل من عند الله.

ويجوز أن يكون رفعه على: هذا تنزيل الكتاب"<sup>(٦)</sup>.

## القرآن

{إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣)} [الجاثية : ٣]

التفسير:

إن في السموات السبع، والأرض التي منها خروج الخلق، وما فيهما من المخلوقات المختلفة الأنواع والأنواع، لأدلة وحججاً للمؤمنين بها.

قال مقاتل: " {إن في السموات والأرض} وهما خلقان عظيمان، {آيات للمؤمنين}،

يعني: المصدقين بتوحيد الله- عز وجل-"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إن في السموات السبع اللاتي منهنّ نزول الغيث، والأرض التي

منها خروج الخلق أيها الناس، لأدلة وحججاً للمصدقين بالحجج إذا تبيّنوها ورأوها"<sup>(٨)</sup>.

قال القرطبي: "أي: في خلقهما {آيات للمؤمنين}"<sup>(٩)</sup>.

قال سهل: "العلامات لمن أيقن بقلبه واستدل بكونها على مكوّنها"<sup>(١٠)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: فيها نفسها فإنها من فنون الآيات، أو في خلقها"<sup>(١١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٥٩/٢٢.

(٢) تفسير ابن أبي زمنين: ١٠٢/٤.

(٣) تفسير القرطبي: ١٥٦/١٦.

(٤) تفسير السمعاني: ١٣٤/٥.

(٥) مفاتيح الغيب: ٦٦٨/٢٧.

(٦) معاني القرآن: ٣٤٣/٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٥/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٥٩/٢٢.

(٩) تفسير القرطبي: ١٥٧/١٦.

(١٠) تفسير التستري: ١٤٢.

(١١) فتح القدير: ٥/٥.

قال الزجاج: "المعنى - والله أعلم-: إن في خلق السمّوات والأرض لآياتٍ، ويدل عليه قوله: {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (١)".

قال المراغي: "أي: إن في السموات السبع اللاتي منهن ينزل الغيث، وفي الأرض التي منها يخرج الخلق- لأدلة واضحة للمصدقين بالحجج إذا تأملوها وفكروا فيها تفكير من يسلك السبيل القويم، فيرتب المقدمات، ليصل منها إلى النتائج، التي هي لازمة لها بحكم النظام الفكري، والترتيب العقلي" (٢).

قال الراغب: "قوله تعالى: {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الجاثية: ٣]، فهي من الآيات المعقولة التي تتفاوت بها المعرفة بحسب تفاوت منازل الناس في العلم" (٣).

## القرآن

{وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤)} [الجاثية: ٤]

### التفسير:

وفي خلقكم -أيها الناس- وخلق ما تفرق في الأرض من دابة تدبُّ عليها، حجج وأدلة لقوم يوقنون بالله وشرعه.

قوله تعالى: {وَفِي خَلْقِكُمْ} [الجاثية: ٤]، أي: "وفي خلقكم أيها الناس من نطفة ثم من علقة، متقلبة في أطوار مختلفة إلى تمام الخلق" (٤).

قال مقاتل: "يعني: وفي خلق أنفسكم إذ كنتم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظما لحما، ثم الروح" (٥).

قال الطبري: يقول: "وفي خلق الله إياكم أيها الناس" (٦).

قال ابن الجوزي: "أي: من تراب ثم من نطفة إلى أن يتكامل خلق الإنسان" (٧).

قوله تعالى: {وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ} [الجاثية: ٤]، أي: "وفيما ينشره تعالى ويُفرقه من أنواع المخلوقات التي تدب على وجه الأرض" (٨).

قال الطبري: أي: "وخلقه ما تفرق في الأرض من دابة تدب عليها من غير جنسكم" (٩).

وفي معنى: «البت»-في الآية- وجوه:

أحدها: خلق. قاله السدي (١٠)، ومقاتل بن حيان (١١).

الثاني: أنه يعني: بسط. قاله مقاتل بن سليمان (١٢).

الثالث: معناه: فرق وبسط. قاله ابن عطية (١٣).

قال الواحدي: "«البت»: النشر والتفريق، ومنه قوله تعالى: {وبث منها رجالا كثيرا

ونساء} [النساء: ١]، ومنه: {كالفراس المبوث} [القارعة: ٤]، ويقال: بثنته سري أبثنته، إذا

(١) معاني القرآن: ٤٣١/٤.

(٢) تفسير المراغي: ١٤١/٢٥.

(٣) غريب القرآن: ١٠٢.

(٤) صفوة التفاسير: ١٦٩/٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٥/٣.

(٦) تفسير الطبري: ٥٩/٢٢.

(٧) زاد المسير: ٩٦/٤.

(٨) صفوة التفاسير: ١٦٩/٣.

(٩) تفسير الطبري: ٥٩/٢٢.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٣): ص ٢٧٥/١.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٧٥/١.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٤/١.

(١٣) المحرر الوجيز: ٢٣٣/١.

أطلعته عليه؛ لأنك فرقت بين سرك وبينك، ويقال للحنن: بث؛ لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يظهره" (١).

واختلف في تفسير {دَابَّةٌ} [البقرة: ١٦٤]، على قولين:

أحدهما: أنها تجمع الحيوان كله. وهذا قول الأكثرين (٢).

قال الماوردي: "يعني جميع الحيوان الذي أنشأه فيها، سماه {دابة} لدببته عليها" (٣).

الثاني: أن الدابة اسم لكل ذي روح كان، غير طائر بجناحيه لدببته على الأرض، وهو قول الطبري (٤)، وظاهر كلام الرازي (٥).

وقد رد القول الثاني جماعة من أهل العلم كابن عطية (٦)، وأبي حيان (٧)، والقرطبي (٨).

قال القرطبي: "وقد أخرج بعض الناس الطير، وهو مردود قال الله تعالى: {وَمَا مِنْ

دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: ٦] فإن الطير يدب على رجليه في بعض حالاته" (٩)، ومنه قول الأعشى (١٠):

نياف كغض البان ترتج إن مشت ... دببب قطا البطحاء في كل منهل  
وقال علقمة بن عبدة (١١):

فكأنما صابت عليه سحابة ... صواعقها لطيرهن دببب

قال الحافظ ابن حجر: "الدابة: ما دب من الحيوان" (١٢)، واستثنى بعضهم (١٣) الطير

لقوله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ} [الأنعام: ٣٨]، ولقوله تعالى:

{مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا} [هود: ٥٦]، وعرفاً: ذوات الأربع (١٤)، وقيل: يختص

بالفرس (١٥)، وقيل: بالحمار (١٦)، والمراد هنا المعنى اللغوي (١٧)، أي: كل ما دب على الأرض

من كائن له روح ليفيد العموم.

قوله تعالى: {آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الجاثية: ٤]، أي: حجج وأدلة لقوم يوقنون بالله

وشرعه" (١٨).

(١) البتفسير البسيط: ٤٥٨/٣، وانظر: المفردات: ٤٧، واللسان: ٢٠٨/١: (بث).

(٢) انظر: النكت والعيون: ٢١٧/١، والمحزر الوجيز: ٢٣٣/١، وتفسير القرطبي: ١٩٧/٢.

(٣) النكت والعيون: ٢١٧/١.

(٤) تفسير الطبري: ٢٧٥/٣.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب: ٢٢٢/١٢.

(٦) انظر: المحزر الوجيز: ٣٥/٢.

(٧) البحر المحيط: ٤٥٥/١.

(٨) انظر: تفسير القرطبي: ١٩٧/٢.

(٩) تفسير القرطبي: ١٩٧/٢.

(١٠) ديوانه: ١٦١، والبحر المحيط: ٦٢٩/١، والدر المصون: ٤٢٤/١.

(١١) المفضلين: ٣٩٥، واللسان (صوب). والبيت في مفضلته التي مطلعها:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

(١٢) انظر: لسان العرب لابن منظور: ١٣١٤/٢، معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٥٠/٤، المفردات للراغب:

١٦٤، الوسيط للواحي: ٢٤٧/١، النكت والعيون للماوردي: ٢١٧/١، المحزر الوجيز لابن عطية: ٣٥/٢،

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٩٦/٢-١٩٧، البحر المحيط لأبي حيان: ٤٥٥/١، تاج العروس للزبيدي:

٤٧٨/١، الدر المصون للسمين: ٥٢/٣.

(١٣) ويقصد به الإمام الطبري: ٢٧٥/٣، وظاهر كلام الرازي في مفاتيح الغيب: ٢٢٢/١٢.

(١٤) لم أهد إلى من ذكر هذا العرف مع البحث، والذي في لسان العرب: ١٣١٤/٢: (والدابة: التي تتركب، قال:

وقد غلب هذا الاسم على ما يركب من الدواب)، وما يركب أخص من ذوات الأربع، وانظر: الصحاح

للجوهري: ١٢٤/١، وتاج العروس للزبيدي: ٤٧٨/١، عمدة القاري للعيني: ١٧٨/١٠.

(١٥) قاله: الراغب في المفردات: ١٦٤.

(١٦) لم أهد إلى من ذكره.

(١٧) الفتح: ٤٠٠/٦.

(١٨) التفسير الميسر: ٤٩٩.

قال الطبري: "يعني: حججا وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء، فيقرّون بها، ويعلمون صحتها"<sup>(١)</sup>.  
وقرى: «آيات»، خفصا<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

{وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)} [الجاثية: ٥]  
التفسير:

وفي اختلاف الليل والنار وتعاقبهما عليكم وما أنزل الله من السماء من مطر، فأحيا به الأرض بعد يبسها، فاهترت بالنبات والزرع، وفي تصريف الرياح لكم من جميع الجهات وتصريفها لمنافعكم، أدلة وحجج لقوم يعقلون عن الله حججه وأدلته.  
قوله تعالى: {وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [الجاثية: ٥]، أي: "وفي اختلاف الليل والنار وتعاقبهما عليكم"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول تبارك وتعالى {وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} أيها الناس، وتعاقبهما عليكم، هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضيائه"<sup>(٤)</sup>.  
ويحتمل قوله تعالى: {وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [الجاثية: ٥]، وجهان من التفسير: أحدهما: يعني: اختلافهما بالطول والقصر، والنور والظلمة، والزيادة والنقصان. قاله ابن كيسان<sup>(٥)</sup>، وعطاء<sup>(٦)</sup>.

الثاني: اختلافهما بذهاب أحدهما ومجيء الآخر، فإذا ذهب الليل جاء النهار بعده، وإذا ذهب النهار جاء الليل خلفه<sup>(٧)</sup>. ومن ذلك قيل: خلف فلان فلاناً في أهله بسوء، ومنه قول زهير<sup>(٨)</sup>:  
بها العين والأرام يمشين خلفاً ... وأطلاؤها يهضن من كل مجتم  
قوله تعالى: {وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ} [الجاثية: ٥]، أي: "وما أنزل الله من السماء من مطر"<sup>(٩)</sup>.

عن ابن جريج، في قوله: "وما أنزل الله من السماء من رزق" قال: المطر"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم"<sup>(١١)</sup>.

قال السمعاني: "أي: المطر"<sup>(١٢)</sup>.

قال البغوي: "يعني: الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٥٩/٢٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٠/٢٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٤) تفسير الطبري: ٦١/٢٢.

(٥) انظر: تفسير الثعلبي: ٣٢/٢، و"البحر المحيط" ٤٦٥/١.

(٦) انظر: تفسير الثعلبي: ٣٢/٢، وتفسير القرطبي: ١٧٦/٢، وتفسير البغوي: ١٧٧/١.

(٧) انظر: تفسير الثعلبي: ٣٢/٢، والتفسير البسيط: ٤٥٤/٣-٤٥٥، والبحر المحيط: ٤٦٥/١.

(٨) شرح المعلقات السبع للزوزني: ٧٢، "جمهرة اللغة" ص ٤١٥ - ٤١٦، "لسان العرب" ١٢٣٧/٢ (خلف)، و ٢٧٠٠/٥، وبلا نسبة في "رصف المبانى" ص ١٤٥، والهاء في "بها" إلى "ديار أم أوفى" صاحبه. والعين جمع عيناء، وهي بقر الوحش، واسعة العيون جميلتها. والأرام جمع رئم: وهي الظباء الخوالص البيضاء، تسكن الرمل. "خلفة" إذا جاء منها فوج ذهب آخر يخلفه مكانه. يصف مجيئها وذوبها في براح هذه الرملة. والأطلاء جمع طلا: وهو ولد البقرة والظبية الصغير. ويصف الصغار من أولاد البقر والظباء في هذه الرملة، وقد نهض هذا وذلك منها من موضع جثومه. يصف اختلاف الحركة في هذه الفقرة المهجورة التي فارقتها أم أوفى، وقد وقف بها من بعد عشرين حجة -، كما ذكر.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(١٠) الدر المنثور: ٤٢٣/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١١) تفسير الطبري: ٦١/٢٢.

(١٢) تفسير السمعاني: ١٣٥/٥.

قال البيضاوي: أي: "من مطر، وسماه «رزقا»، لأنه سببه"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "وسماه رزقا؛ لأن به يحصل الرزق"<sup>(٣)</sup>.  
قال أبو هريرة: "ما نزل قطر إلا بميزان"<sup>(٤)</sup>.  
قال عكرمة: "ينزل الله الماء من السماء السابعة فتسع القطرة منه على السحابة مثل البعير"<sup>(٥)</sup>.  
قال معاذ بن عبد الله بن حبيب الجهني: "رأيت عبد الله بن عباس، مر به تبيع بن امرأة كعب، فسلم عليه، فسأله ابن عباس: هل سمعت كعبا يقول في السحاب شيئا؟ قال: نعم. سمعته يقول: إن السحاب غربال المطر، لولا السحاب حين ينزل الماء من السماء، لأفسد ما يقع عليه، قال: سمعت كعبا يقول في الأرض: تنبت العام نباتا وعام قابل غيره؟ قال: نعم، سمعته يقول: إن البذر ينزل من السماء. قال ابن عباس: سمعت ذلك من كعب يقوله"<sup>(٦)</sup>.  
قوله تعالى: {فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الجاثية: ٥]، أي: "فأحيا به الأرض بعد يُيسها، فاهتزت بالنبات والزرع"<sup>(٧)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: فأثبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض، حتى اهتزت بالنبات والزرع من بعد جدوبها وقحوطها ومصيرها دائرة لا نبت فيها ولا زرع"<sup>(٨)</sup>.  
قال السعدي: "أي: فأظهرت من أنواع الأقوات، وأصناف النبات، ما هو من ضرورات الخلاق، التي لا يعيشون بدونها"<sup>(٩)</sup>.  
قال قتادة: "كما أحيا الله الأرض الميتة بهذا الماء، كذلك [يحيي] الله عز وجل الناس يوم القيامة"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الواحدي: "أراد بموت الأرض: جدوبتها وبيوستها، فسماها موتا مجازا، وذلك أن الأرض إذا لم يصبها مطر لم تنبت، ولم تنم نباتا، وكانت من هذا الوجه كالميت، وإذا أصابها المطر أُنبتت، ونحو هذا قوله: {وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت} [الحج: ٥]، فلما وصفت بالاهتزاز وهو الحركة عند نزول الماء، توصف عند إمساك الماء بالسكون، والعرب تسمى السكون موتا، قال الشاعر"<sup>(١١)</sup>:  
إني لأرجو أن تموت الريح ... فأسكن اليوم وأستريح  
فيجوز أن يراد بالموت في هذه الآية: ضد الاهتزاز الذي وصفت به عند نزول الماء، ولما سمى ذلك موتا سمى إزالتها إحياء ليتجانس اللفظ"<sup>(١٢)</sup>.  
قوله تعالى: {وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ} [الجاثية: ٥]، أي: "وفي تصريف الرياح لكم من جميع الجهات وتصريفها لمنافعكم"<sup>(١٣)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: وفي تصريفه الرياح لكم شمالا مرة، وجنوبا أخرى، وصبا أحيانا، ودبورا أخرى لمنافعكم"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير البيهقي: ٢٤١/٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ١٠٥/٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٤/٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٦٨): ص ٢٧٤/١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣١٣): ص ١٩٤١/٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٦): ص ٢٧٥/١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٨) تفسير الطبري: ٦١/٢٢.

(٩) تفسير السعدي: ٧٨/١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٢): ص ٢٧٤/١.

(١١) البيت في "اللسان" ٧/ ٤٢٩٥ (موت)، بغير نسبة. وينظر: "شأن الدعاء" ص ١١٦، "الحجة للقراء السبعة" ٢/ ٣٨١.

(١٢) التفسير البسيط: ٤٥٧/٣، وانظر: مفاتيح الغيب: ١٩٨/٤-١٩٩.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٩٩.

قال ابن عثيمين: "أي: تنويعها في اتجاهها، وشدتها، ومنافعها"<sup>(٢)</sup>.  
وفي قوله تعالى: {وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ} [الجاثية: ٥]، وجوه:  
أحدها: تصريفها بإرسالها حيث يشاء. حكاها الماوردي<sup>(٣)</sup>.  
الثاني: ينقل الشمال جنوباً والجنوب شمالاً، قاله الحسن<sup>(٤)</sup>، والفراء<sup>(٥)</sup>.  
قال الفراء: "تأتي مرة جنوباً، ومرة شمالاً، وقبولاً، ودبوراً. فذلك تصريفها"<sup>(٦)</sup>.  
الثالث: أن يجعلها تارة رحمة وتارة نقمة؛ قاله قتادة<sup>(٧)</sup>، ومقاتل<sup>(٨)</sup>.  
قال قتادة: "إذا شاء [جعلها رحمةً لواقح للسحاب ونشراً بين يدي رحمته، وإذا شاء]<sup>(٩)</sup>  
جَعَلَهَا عَذَابًا رِيحًا عَقِيمًا لَا تُثَلِّحُ، إِنَّمَا هِيَ عَذَابٌ عَلَىٰ مَنْ أُرْسِلَتْ عَلَيْهِ"<sup>(١٠)</sup>.  
قال أبي بن كعب: "كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء في القرآن  
من الريح فهو عذاب"<sup>(١١)</sup>.  
قال ابن الأنباري: "إنما سميت الريح ريحاً؛ لأن الغالب عليها في هبوبها المجيء  
بالروح والراحة، وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والغم، فهي مأخوذة من الروح. وأصلها: روح،  
فصارت الواو ياء؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، كما فعلوا في الميزان والميعاد والعيد، والدليل  
على أن أصلها الواو: قولهم في الجمع: أرواح. قال زهير<sup>(١٢)</sup>:  
قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم  
ويقال: رحت الريح أراحها، وأرحتها أريحها؛ إذا وجدتها، ومنه الحديث: "من استرعى رعية  
فلم يحطهم بنصيحة، لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة مائة عام"<sup>(١٣)</sup>،<sup>(١٤)</sup>.  
قوله تعالى: {آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الجاثية: ٥]، أي: "أدلة وحجج لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ عن الله  
حججه وأدلتهم"<sup>(١٥)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "في ذلك أدلة وحجج لله على خلقه، لقوم يعقلون عن الله حججه،  
 ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر"<sup>(١٦)</sup>.  
قال ابن عطية: "فهذه آيات أن الصانع موجود. والدليل العقلي يقوم أن الصانع للعالم لا  
يمكن أن يكون إلا واحداً لجواز اختلاف الاثنين فصاعداً"<sup>(١٧)</sup>.

- 
- (١) تفسير الطبري: ٦١/٢٢.  
(٢) تفسير ابن عثيمين: ٢١٥/٢.  
(٣) انظر: التنكت والعيون: ٢٦١/٥.  
(٤) انظر: التنكت والعيون: ٢٦١/٥.  
(٥) انظر: معاني القرآن: ٩٧/١.  
(٦) معاني القرآن: ٩٧/١.  
(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٤٠٥): ص ٢٧٥/٣، و ٦١/٢٢.  
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٥٤/١.  
(٩) الزيادة بين القوسين من نص الدر المنثور ١: ١٦٤، من نص تفسير قتادة الذي أخرجه الطبري.  
(١٠) أخرجه الطبري (٢٤٠٥): ص ٢٧٥/٣.  
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٥): ٢٧٥/١.  
(١٢) "ديوانه" ص ١٤٥، "لسان العرب" ٨/ ٤٩٤٢.  
(١٣) الحديث أصله في الصحيحين، رواه البخاري (٧١٥٠، ٧١٥١) كتاب الأحكام، باب: من استرعى رعية فلم  
ينصح، ومسلم (١٤٢) في الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، وليس في ألفاظهما: "لم يرح  
رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة مائة عام"، ولفظ (لم يرح) في حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً:  
"من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً" رواه البخاري (٣١٦٦) كتاب  
الجزية، باب: إثم من قتل معاهداً بغير جرم، (٦٩١٤) كتاب: الديات، باب: إثم من قتل ذمياً بغير جرم.  
(١٤) التفسير البسيط: ٤٥٩/٣.  
(١٥) التفسير الميسر: ٤٩٩.  
(١٦) تفسير الطبري: ٦١/٢٢-٦٢.  
(١٧) المحرر الوجيز: ٢٣٤/١.

قال ابن كثير: " قال أولا {لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ}، ثم {يوقنون} ثم {يعقلون} وهو ثرَقٌ من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى" (١).

فوائد الآيات: [٥-١]:

- ١- عظم شأن القرآن الكريم لأنه تنزيل الله العزيز الحكيم.
- ٢- الإيمان أعم من اليقين ومقدم عليه في الترتيب واليقين أعلى في الرتبة.
- ٣- فضل العقل السليم إن استخدم في الخير وما ينفع.
- ٤- تقرير ألوهية الله تعالى بتقرير ربوبيته في الخلق والتدبير والعلم والحكمة.

## القرآن

**{تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبَأْيَ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦)} [الجاثية : ٦]**

**التفسير:**

هذه الآيات والحجج نتلوها عليك -أيها الرسول- بالحق، فبأبي حديث بعد الله وآياته وأدلته على أنه الإله الحق وحده لا شريك له يؤمنون ويصدقون ويعملون؟  
قوله تعالى: {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} [الجاثية : ٦]، أي: "هذه الآيات والحجج نتلوها عليك -أيها الرسول- بالحق" (٢).

قال الطبري: يقول: "هذه الآيات والحجج يا محمد من ربك على خلقه نخبك عنها بالحق لا بالباطل، كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل، أنها تقرّبهم إلى الله زُفَى" (٣).  
قال ابن كثير: "يقول تعالى: هذه آيات الله - يعني القرآن بما فيه من الحجج والبيانات - {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ}، أي: متضمنة الحق من الحق" (٤).  
عَنْ أَبِي عبيدة: {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ} "أي: عجائب الله {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ} نتلوها: نقصها" (٥).

عن أبي مالك، قوله: "{تلك}، يعني: هذه" (٦).  
عن سعيد بن جبير، في قوله: "{آيات الله}، يعني: القرآن" (٧).  
عبد الله بن المبارك، في قوله: "{تلك آيات الله}، قال: القرآن" (٨).  
عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليك بالحق}، يقول: بالفضل" (٩). وفي رواية: "بالصدق" (١٠).

قوله تعالى: {فَبَأْيَ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ} [الجاثية : ٦]، أي: "فبأبي حديث بعد الله وآياته وأدلته على أنه الإله الحق وحده لا شريك له يؤمنون ويصدقون ويعملون؟" (١١).  
قال الطبري: يقول: "فبأبي حديث يا محمد بعد حديث الله الذي يتلوه عليك وآياته هذه التي نبيه هؤلاء المشركين عليها، وذكرهم بها، يؤمن هؤلاء المشركون" (١٢).  
قال ابن كثير: أي: "فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينفادون لها، فبأبي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟!!" (١٣).

(١) تفسير ابن كثير: ٢٦٤/٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٣) تفسير الطبري: ٦٢/٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(٥) تفسير ابن المنذر (٧٩٤): ص ٣٢٩/١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٤٣): ص ٤٨١/٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٤٤): ص ٤٨١/٢.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٤٥): ص ٤٨١/٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٤٦): ص ٤٨٢/٢.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٤٧): ص ٤٨٢/٢.

(١١) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٢/٢٢.

قال ابن أبي زمنين: "أي: ليس بعد ذلك إلا الباطل"<sup>(٢)</sup>.  
قال النحاس: "المعنى: قل لهم «فبأيّ حديث بعد الله وآياته تؤمنون» ، فهذا المعنى صحيح قال الله جلّ وعزّ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ [الرعد: ٢٣]، أي: يقولون"<sup>(٣)</sup>.

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية يحيى عن أبي بكر «تؤمنون»، بالثناء على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

{وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧)} [الجاثية: ٧]

التفسير:

هلاك شديد ودمار لكل كذاب كثير الآثام.  
سبب نزول الآيات: [٧-١٠]:

روي عن ابن عباس أنه قال: "نزلت في النضر بن كعدة"<sup>(٥)</sup>.  
قال مقاتل: " {أفَّاكٍ}، يعني: كذاب، {أثِيمٍ}، يقول: آثم بربه، وكذبه أنه قال إن القرآن أساطير الأولين يعني حديث رستم واسفندباز، يعني: النضر بن الحارث القرشي من بني عبد الدار"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: الوادي السائل من صديد أهل جهنم، لكلّ كذاب ذي إثم بربه، مفتر عليه"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: " {أفَّاكٍ}، أي: كذاب، {أثِيمٍ}، يعني: المشرك"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: أفَّاكٍ في قوله كذاب، حلاف مهين أثيم في فعله وقيله كافر بآيات الله"<sup>(٩)</sup>.

قال الزمخشري: "الأفَّاك: الكذاب، والأثيم: المتبالغ في اقراف الآثام يُصِرُّ يقبل على كفره ويقيم عليه. وأصله من إصرار الحمار على العانة"<sup>(١٠)</sup> وهو أن ينحى عليها صاراً أذنيه"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

{يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْثَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨)} [الجاثية

: ٨]

التفسير:

- 
- (١) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.
  - (٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٢١٠/٤.
  - (٣) إعراب القرآن: ٩٤/٤.
  - (٤) انظر: السبعة في القراءات: ٥٩٤، وتفسير الطبري: ٦٢/٢٢.
  - (٥) حكاة عنه النحاس في إعراب القرآن: ٩٤/٤.
  - (٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٥/٣-٨٣٦.
  - (٧) تفسير الطبري: ٦٣/٢٢.
  - (٨) تفسير ابن أبي زمنين: ٢١٠/٤.
  - (٩) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.
  - (١٠) قوله «من إصرار الحمار على العانة» جماعة حمر الوحش كما في الصحاح. وفيه أيضا: ضر الفرس أذنيه:
  - (١١) الكشاف: ٢٨٥/٤-٢٨٦.



يسمع آيات كتاب الله تُقرأ عليه، ثم يتمادى في كفره متعالياً في نفسه عن الانقياد لله ورسوله، كأنه لم يسمع ما تُلي عليه من آيات الله، فبشر -أيها الرسول- هذا الأفاك الأثيم بعذاب مؤلم موجه في نار جهنم يوم القيامة.

قوله تعالى: {يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُثْلَىٰ عَلَيْهِ} [الجاثية: ٨]، أي: "يسمع آيات القرآن تُقرأ عليه، وهي في غاية الوضوح والبيان"<sup>(١)</sup>.

عن سعيد بن جبير، في قوله: " {آيات الله}، يعني: القرآن"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: يسمع آيات كتاب الله تُقرأ عليه"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: " {تُثْلَىٰ عَلَيْهِ}، أي: تُقرأ عليه"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا} [الجاثية: ٨]، أي: "ثم يتمادى في كفره متعالياً في نفسه عن الانقياد لله ورسوله، كأنه لم يسمع ما تُلي عليه من آيات الله"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: " {ثُمَّ يُصِرُّ} على كفره وإثمه فيقيم عليه غير تائب منه، ولا راجع عنه {مُسْتَكْبِرًا} على ربه أن يذعن لأمره ونهيه، كأن لم يسمع ما تُلي عليه من آيات الله بإصراره على كفره"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: " {ثُمَّ يُصِرُّ} على كفره وجحوده استكباراً وعناداً كأنه ما سمعها"<sup>(٧)</sup>.

قال الزمخشري: " {مُسْتَكْبِرًا} عن الإيمان بالآيات والإذعان لما ينطق به من الحق، مزدرياً لها معجبا بما عنده"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: "أي: بلى قد سمعها، وقامت عليه الحجة بها"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الجاثية: ٨]، أي: "فبشر -أيها الرسول- هذا الأفاك الأثيم بعذاب مؤلم موجه في نار جهنم يوم القيامة"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: يقول: فبشر يا محمد هذا الأفاك الأثيم الذي هذه صفته بعذاب موجه في نار جهنم يوم القيامة"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: أي: "فأخبره أن له عند الله يوم القيامة عذاباً أليماً موجهاً"<sup>(١٢)</sup>.

قال مقاتل: " {فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}، يعني: وجيع، فقتل ببدر"<sup>(١٣)</sup>.

قال أبو العالية: "الأليم: الموجه في القرآن كله"<sup>(١٤)</sup>، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك"<sup>(١٥)</sup>.

## القرآن

{وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩)} [الجاثية: ٩]

التفسير:

(١) صفوة التفسير: ١٦٩/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٤٤): ص ٤٨١/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٦٣/٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٦) تفسير الطبري: ٦٣/٢٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(٨) الكشف: ٢٨٦/٤.

(٩) تفسير ابن أبي زمنين: ٢١٠/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(١١) تفسير الطبري: ٦٣/٢٢.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٦/٣.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

وإذا علم هذا الأفاك الأثيم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً وسُخرية، أولئك لهم عذاب يهينهم، ويخزيهم يوم القيامة؛ جزاء استهزائهم بالقرآن.

قوله تعالى: {وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا} [الجاثية: ٩]، أي: "وإذا علم هذا الأفاك الأثيم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً وسُخرية"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وَإِذَا عَلِمَ {هذا الأفاك الأثيم} {مِنْ} آيات الله {شَيْئًا} اتخذ تلك الآيات التي علمها هزواً، يسخر منها، وذلك كفعل أبي جهل حين نزلت {إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ} إذ دعا بتمر وزبد فقال: تزقموا من هذا، ما يعدكم محمد إلا شهداً، وما أشبه ذلك من أفعالهم"<sup>(٢)</sup>. قال ابن كثير: "أي: إذا حفظ شيئاً من القرآن كفر به واتخذهُ سُخْرِيًا وهزواً"<sup>(٣)</sup>. قال مقاتل: "يعني: استهزاء بها، وذلك أنه زعم أن حديث القرآن مثل حديث رستم واسفندباز"<sup>(٤)</sup>.

قال الزمخشري: "ولم يقل: اتخذهُ، للإشعار بأنه إذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم: خاض في الاستهزاء بجميع الآيات"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [الجاثية: ٩]، أي: "أولئك لهم عذاب يهينهم، ويخزيهم يوم القيامة؛ جزاء استهزائهم بالقرآن"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل، وهم الذين يسمعون آيات الله تُتلى عليهم ثم يصرون على كفرهم استكباراً، ويتخذون آيات الله التي علموها هزواً، لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ويذلهم في نار جهنم، بما كانوا في الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته"<sup>(٧)</sup>.

قال مقاتل: "أولئك لهم {عذاب مهين}، يعني: القتل"<sup>(٨)</sup> في الدنيا يوم بدر"<sup>(٩)</sup>. قال مقاتل بن حيان: "يعني: المهين: الهوان"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به؛ ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو»"<sup>(١١)</sup>،<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

{مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠)} [الجاثية: ١٠]  
التفسير:

- (١) التفسير الميسر: ٤٩٩.
- (٢) تفسير الطبري: ٦٣/٢٢.
- (٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.
- (٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٦/٣.
- (٥) الكشاف: ٢٨٦/٤.
- (٦) التفسير الميسر: ٤٩٩.
- (٧) تفسير الطبري: ٦٣/٢٢.
- (٨) في المطبوع: «القرآن»، والصحيح: «القتل» كما سيتبين في تفسير قوله: {مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ}.
- (٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٦/٣.
- (١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٩١٨): ص ١٧٤/١.
- (١١) صحيح مسلم (١٨٦٩): ص ١٤٩١/٣. وفي رواية (١٨٦٩): ص ١٤٩١/٣: «لا تسافروا بالقرآن، فإنني لا أمن أن يناله العدو» قال أيوب: «فقد ناله العدو وخاصموكم به».
- (١٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

من أمام هؤلاء المستهزئين بآيات الله جهنم، ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً من المال والولد، ولا ألهتهم التي عبدوها من دون الله، ولهم عذاب عظيم مؤلم.  
قوله تعالى: {مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ} [الجاثية : ١٠]، أي: "من أمام هؤلاء المستهزئين بآيات الله جهنم"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله، يعني من بين أيديهم. وقد بينا العلة التي من أجلها قيل لما أمامك، هو وَرَاءَكَ، فيما مضى بما أغنى عن إعادته؛ يقول: من بين أيدي هؤلاء المستهزئين بآيات الله نار جهنم هم واردوها"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: كل من اتصف بذلك سيصيرون إلى جهنم يوم القيامة"<sup>(٣)</sup>.  
قال مقاتل: "يعني: النضر بن الحارث يقول لهم في الدنيا القتل ببدر ومن بعده أيضاً لهم جهنم في الآخرة"<sup>(٤)</sup>.

قال أبو عبيدة: "مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ، أي: من بين أيديهم"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن أبي زمنين: "مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ، يعني: أمامهم وهي كلمة عربية، تقول للرجل: من ورائك كذا؛ لأمر سياأتي عليه"<sup>(٦)</sup>.  
عن قتادة: "وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ"، قال قتادة: أمامهم، ألا ترى أنه يقول: {مَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ، وهي بين أيديهم"<sup>(٧)</sup>.  
قوله تعالى: {وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً} [الجاثية : ١٠]، أي: "ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً من المال والولد"<sup>(٨)</sup>.  
قال مقاتل: "يقول: لا تغني عنهم أموالهم التي جمعوها من جهنم شيئاً"<sup>(٩)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: ولا يغني عنهم من عذاب جهنم إذا هم عذبوا به ما كسبوا في الدنيا من مال وولد شيئاً"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم"<sup>(١١)</sup>.  
قال الحسن: "ما عملوا من الحَسَنَاتِ، يبطل الله أَعْمَالَهُمْ فِي الْآخِرَةِ"<sup>(١٢)</sup>.  
قال السمعاني: "قال بعض أهل التفسير: "الآية في عبد الله بن أبي بن سلول، وكسبه هو جهاده مع الرسول وصومه وصلاته وشفقته على أصحاب النبي وقوله: {وَلَا يُغْنِي} أي: لا يدفع، وإنما لم يدفع؛ لأنه كان منافقاً يظهر الإسلام بلسانه ويعتقد الكفر، والأكثر على أن هذه الآية في النضر بن الحارث أيضاً، وهذا هو الأولى؛ لأن السورة مكية، وكسبه ما فعله من الخير على زعمه"<sup>(١٣)</sup>.  
قوله تعالى: {وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ} [الجاثية : ١٠]، أي: "ولا تنفعهم ألهمهم التي عبدوها من دون الله"<sup>(١٤)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٢) تفسير الطبري: ٦٤/٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٦/٣.

(٥) مجاز القرآن: ٢١٠/٢.

(٦) تفسير ابن أبي زمنين: ٢١٠/٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٨٣/١٨.

(٨) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٦/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٦٤/٢٢.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(١٢) علقه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٢١٠/٤.

(١٣) نقلا عن تفسير السمعاني: ١٣٦/٥.

(١٤) صفوة التفاسير: ١٧٠/٣.

قال الطبري: " يقول: ولا آلهتهم التي عبدوها من دون الله، ورؤساؤهم، وهم الذين أطاعوهم في الكفر بالله، واتخذوهم نُصراء في الدنيا، تغني عنهم يومئذ من عذاب جهنم شيئاً"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : ولا تغني عنهم الآلهة التي عبدوها من دون الله شيئاً"<sup>(٢)</sup>.  
قال السدي: " {أولياء} ، يعني: آلهة"<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الجاثية : ١٠]، أي: "ولهم عذاب عظيم مؤلم"<sup>(٤)</sup>.  
قال الطبري: " يقول: ولهم من الله يومئذ عذاب في جهنم عظيم"<sup>(٥)</sup>.  
قال مقاتل: " {عذاب عظيم}، يعني: كبير لشدته"<sup>(٦)</sup>.

## القرآن

**{ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ (١١) } [الجاثية : ١١]**  
التفسير:

هذا القرآن الذي أنزلناه عليك -أيها الرسول- هدى من الضلالة، ودليل على الحق، يهدي إلى طريق مستقيم من اتبعه وعمل به، والذين جحدوا بما في القرآن من الآيات الدالة على الحق ولم يُصدِّقوا بها، لهم عذاب مؤلم موجه من أسوأ أنواع العذاب يوم القيامة.

قوله تعالى: {هَذَا هُدًى} [الجاثية : ١١]، أي: " هذا القرآن الذي أنزلناه عليك -أيها الرسول- هدى من الضلالة، ودليل على الحق، يهدي إلى طريق مستقيم من اتبعه وعمل به"<sup>(٧)</sup>.  
قال مقاتل: " يقول: هذا القرآن بيان يهدي من الضلالة"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: " يقول: هذا القرآن الذي أنزلناه على محمد بيان ودليل على الحق، يهدي إلى صراط مستقيم، من اتبعه وعمل بما فيه"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: " { هَذَا هُدًى } يعني: القرآن"<sup>(١٠)</sup>.

قال السمعاني: " أي: القرآن هدى للخلق"<sup>(١١)</sup>.

قال الزمخشري: " {هذا} إشارة إلى القرآن، يدل عليه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ}، لأنَّ «آيات ربهم» هي القرآن، أي: هذا القرآن كامل في الهداية، كما تقول: زيد رجل، تريد كامل في الرجولية"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ} [الجاثية : ١١]، أي: "والذين جحدوا بما في القرآن من الآيات الدالة على الحق ولم يُصدِّقوا بها، لهم عذاب مؤلم موجه من أسوأ أنواع العذاب يوم القيامة"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: " يقول: والذين جحدوا ما في القرآن من الآيات الدالات على الحق، ولم يصدقوا بها، ويعملوا بها، لهم عذاب أليم يوم القيامة موجه"<sup>(١٤)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٦٤/٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(٣) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٣٠/٢.

(٤) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٥) تفسير الطبري: ٦٤/٢٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٦/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٦/٣.

(٩) تفسير الطبري: ٦٤/٢٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(١١) نقلا عن تفسير السمعاني: ١٣٦/٥.

(١٢) الكشاف: ٢٨٧/٤.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(١٤) تفسير الطبري: ٦٤/٢٢.

قال قتادة: "الرجز: سوء العذاب، الأليم: المومج"<sup>(١)</sup>. وفي رواية: "الرجز هو العذاب الأليم المومج"<sup>(٢)</sup>.  
فوائد الآيات: [٦-١١]:

- ١- القرآن نور وأعظم نور فمن لم يهتد عليه لا يرجى له الهداية أبداً.
- ٢- الوعيد الشديد لأهل الإفك والآثام، والإفك الكذب المقلوب.
- ٣- شر الناس من إذا سمع آيات الله استهزأ وسخر منها أو ممن يتلوها.
- ٤- لم يغن عن من مات على الكفر شيء من كسب في هذه الحياة الدنيا من مال وولد وجاه وسلطان.
- ٥- لم يغن عن المشرك ما كان يعبد من دون الله أو مع الله من أصنام وأوثان وملائكة أو أنبياء أو أولياء.

### القرآن

{اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)}

[الجاثية: ١٢]

التفسير:

الله سبحانه وتعالى هو الذي سَخَّرَ لكم البحر؛ لتجري السفن فيه بأمره، ولتبتغوا من فضله بأنواع التجارات والمكاسب، ولعلكم تشكرون ربكم على تسخير ذلك لكم، فتعبده وحده، وتطيعوه فيما يأمركم به، وينهاكم عنه.

قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ} [الجاثية: ١٢]، أي: "الله تعالى بقدرته وحكمته هو الذي دَازَل لكم البحر على ضخامته وعظمته"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: "الله أيها القوم، الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، الذي أنعم عليكم هذه النعم، التي بيئنا لكم في هذه الآيات، وهو أنه {سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ}."<sup>(٤)</sup>

قال ابن كثير: "يذكر تعالى نعمه على عبده فيما سخر لهم من البحر"<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ} [الجاثية: ١٢]، أي: "لتسير السفن على سطحه بمشيئته وإرادته، دن أن تغوص في أعماقه"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: لكي تجري السفن في البحر {بأمره}، يعني: بإذنه"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: "لِتَجْرِيَ" السفن {فيه بأمره} لمعايشكم"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ"، وهي السفن فيه بأمره تعالى، فإنه هو الذي أمر البحر أن يحملها"<sup>(٩)</sup>.

عن مجاهد: "وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ" قال: السفن في البحار"<sup>(١٠)</sup>.

عن مجاهد: "الفلك: السفينة"<sup>(١١)</sup>.

قال الفخر الرازي: "اعلم أنه تعالى ذكر الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل إلا بسبب تسخير ثلاثة أشياء:

(١) أخرجه الطبري: ٣٥١/٢٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٦٩): ص ٣١٦١/١٠.

(٣) صفوة التفسير: ١٧٠/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٦٥/٢٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(٦) صفوة التفسير: ١٧٠/٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٦/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٦٥/٢٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(١٠) علقه يحيى بن سلام ٦٦٤ / ٢. وعزاه السيوطي إلى ابن جرير، والفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٢٧): ص ٣٠٨/١٥.

أحدها: الرياح التي تجري على وفق المراد.  
وثانيها: خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك.  
ثالثها: خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه.  
وهذه الأحوال الثلاثة لا يقدر عليها واحد من البشر، فلا بد من موجد قادر عليها وهو  
الله سبحانه وتعالى" (١).

قوله تعالى: {وَلْيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [الجاثية: ١٢]، أي: "ولتبتغوا من فضله بأنواع  
التجارات والمكاسب" (٢).

قال الطبري: يقول: "وتصرفكم في البلاد لطلب فضله فيها" (٣).  
قال ابن كثير: "أي: في المتاجر والمكاسب" (٤).  
قال السمعاني: "من فضله، من رزقه" (٥).  
قال مجاهد: "طلب التجارة في السفن" (٦).  
قال الزمخشري: أي: "بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم  
الطري وغير ذلك من منافع البحر" (٧).  
قال الفخر الرازي: "معناه: إما بسبب التجارة، أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان، أو  
لأجل استخراج اللحم الطري" (٨).

قوله تعالى: {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الجاثية: ١٢]، أي: "ولعلكم تشكرون ربكم على تسخير  
ذلك لكم، فتعبده وحده، وتطيعوه فيما يأمركم به، وينهاكم عنه" (٩).  
قال الطبري: يقول: "ولتشكروا ربكم على تسخير ذلك لكم فتعبده وتطيعوه فيما يأمركم  
به، وينهاكم عنه" (١٠).

قال ابن كثير: "أي: على حصول المنافع المجلوبة إليكم من الأقاليم النائية والآفاق  
القاصية" (١١).

قال ابن عيينة: "الشكر واجب على كل مسلم؛ لأن الله تعالى قال: {لتبتغوا من فضله  
ولعلكم تشكرون}، فرزق العباد ليشكروه" (١٢).

## القرآن

{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ  
[١٣] } [الجاثية: ١٣]  
التفسير:

وسخّر لكم كل ما في السموات من شمس وقمر ونجوم، وكل ما في الأرض من دابة وشجر  
وسفن وغير ذلك لمنافعكم، جميع هذه النعم منة من الله وحده أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل  
به، فإياه فاعبدوا، ولا تجعلوا له شريكاً. إنّ فيما سخره الله لكم لعلامات ودلالات على وحدانية  
الله لقوم ينتفكرون في آيات الله وحججه وأدلتها، فيعتبرون بها.

(١) مفاتيح الغيب: ٦٧٣/٢٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٣) تفسير الطبري: ٦٥/٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(٥) تفسير السمعاني: ١٣٧/٥.

(٦) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٥/١.

(٧) الكشاف: ٢٨٨/٤.

(٨) مفاتيح الغيب: ٦٧٣/٢٧.

(٩) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(١٠) تفسير الطبري: ٦٥/٢٢.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٧.

(١٢) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٣٧/٥.

قوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الجاثية: ١٣]، أي: "وسخَّرَ لكم كل ما في السموات من شمس وقمر ونجوم، وكل ما في الأرض من دابة وشجر وسفن وغير ذلك لمنافعكم"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: " {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} من شمس وقمر ونجوم {وَمَا فِي الْأَرْضِ} من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: من الكواكب والجبال، والبحار والأنهار، وجميع ما تنتفعون به، أي: الجميع من فضله وإحسانه وامتثانه"<sup>(٣)</sup>.

قال السمعاني: " {وَسَخَّرَ لَكُمْ}، أي: ذلل، ومعنى: «التسخير والتذليل» خلقها على وجه ينتفع بها العباد، والانتفاع من السماء والأرض معلوم"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {جَمِيعًا مِنْهُ} [الجاثية: ١٣]، أي: "جميع هذه النعم منة من الله وحده أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به، فأياه فاعبدوا، ولا تجعلوا له شريكاً"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم، نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم، وفضل منه تفضل به عليكم، فأياه فاحمدوا لا غيره، لأنه لم يشركه في إنعام هذه النعم عليكم شريك، بل تفرّد بإنعامها عليكم وجميعها منه، ومن نعمه فلا تجعلوا له في شكركم له شريكاً بل أفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهة، فإنه لا إله لكم سواه"<sup>(٦)</sup>.  
قال الواحدي: "أي: كل ذلك تفضل منه وإحساناً"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: من عنده وحده لا شريك له في ذلك، كما قال تعالى: {وَمَا بَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} [النحل: ٥٣]"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن عباس: "يقول: كل شيء هو من الله، وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه، فذلك جميعاً منه، ولا يمتاز فيه المنازعون، واستيقن أنه كذلك"<sup>(٩)</sup>.

قال الزمخشري: "المعنى: أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه وحاصلة من عنده، يعنى: أنه مكوّنها وموجدها بقدرته وحكمته، ثم مسخرها لخلقها"<sup>(١٠)</sup>.

عن عكرمة، قال: "لم يفسر ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية إلا لندبة القارئ: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}"<sup>(١١)</sup>.

عن أبي أراكة قال: "سأل رجل عبد الله بن عمرو قال: مم خلق الخلق؟ قال: من النور والنار، والظلمة والثرى. قال واثت ابن عباس فأسأله. فأتاه فقال له مثل ذلك، فقال: ارجع إليه فسله: مم خلق ذلك كله؟ فرجع إليه فأسأله، فتلا {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: "هذا أثر غريب، وفيه نكارة"<sup>(١٣)</sup>.

عن ابن عباس أنه قرأ: «منة»، أي: سخر ما سخر نعمة من الله"<sup>(١٤)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٢) التفسير الطبري: ٦٥/٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٧.

(٤) تفسير السمعاني: ١٣٧/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٦) التفسير الطبري: ٦٥/٢٢.

(٧) الوجيز: ٩٨٩.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٢.

(١٠) الكشاف: ٢٨٨/٤.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٣٥): ص ٣٢٩١/١٠.

(١٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٧.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٧.

(١٤) انظر: تفسير السمعاني: ١٣٧/٥.

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية: ١٣]، أي: "إنَّ فيما سخره الله لكم لعلامات ودلالات على وحدانية الله لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلتها، فيعتبرون بها"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إن في تسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم في هاتين الآيتين، لعلامات ودلالات على أنه لا إله لكم غيره، الذي أنعم عليكم هذه النعم، وسخر لكم هذه الأشياء التي لا يقدر على تسخيرها غيره لقوم يتفكرون في آيات الله وحججه وأدلتها، فيعتبرون بها ويتعظون إذا تدبروها، وفكروا فيها"<sup>(٢)</sup>.

قال السمعاني: "يتفكرون"، أي: يتدبرون"<sup>(٣)</sup>.

وفي الخبر: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَمْ تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ قَدْرَهُ»<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

{قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)}

### [الجاثية: ١٤]

#### التفسير:

قل -أيها الرسول- للذين صدقوا بالله واتبعوا رسله يعفوا، ويتجاوزوا عن الذين لا يرجون ثواب الله، ولا يخافون بأسه إذا هم نالوا الذين آمنوا بالأذى والمكروه؛ ليجزي الله هؤلاء المشركين بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وإيذاء المؤمنين.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: قال ابن عباس في رواية عطاء: "يريد عمر بن الخطاب خاصة، وأراد بالذين لا يرجون أيام الله: عبد الله بن أبي وذلك أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها: المريسيع، فأرسل عبد الله غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه، فلما أتاه قال له: ما حبسك؟ قال: غلام عمر قعد على فم البئر فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي وقرب أبي بكر، وملأ لمولاه. فقال عبد الله: ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سمن كلبك يأكلك. فبلغ قوله عمر رضي الله عنه فاشتمل بسيفه يريد التوجه إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية"<sup>(٥)</sup>.

الثاني: عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس قال: "لما نزلت هذه الآية {مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا} [البقرة: ٢٤٥ / الحديد: ١١]، قال يهودي بالمدينة يقال له: فنحاص: احتاج رب محمد، قال: فلما سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه، فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن ربك يقول لك: قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله واعلم أن عمر قد اشتمل على سيفه وخرج في طلب اليهودي. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه، فلما جاء قال: يا عمر ضع سيفك، قال: صدقت يا رسول الله أشهد أنك أرسلت بالحق، قال: فإن ربك عز وجل يقول: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} [الجاثية: ١٤]، قال: لا جرم والذي بعثك بالحق لا يرى الغضب في وجهي"<sup>(٦)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٢) التفسير الطبري: ٦٥/٢٢-٦٦.

(٣) تفسير السمعاني: ١٣٧/٥.

(٤) رواه أبو الشيخ في العظمة (٩): ص ٢١٦/١. حكم الألباني: [ضعيف]

(٥) ذكره الواحدي في اسباب النزول: ٣٩٣ بدون إسناد، ولم أهد إليه مسندا.

(٦) رواه شعبي في الكشف والبيان: ٣٦٠/٨، والواحدي في اسباب النزول: ٣٩٣-٣٩٤، إسناده ضعيف: محمد بن زياد الليشكري ضعيف، وقد كذبه بعض الأئمة منهم الإمام أحمد وعمر بن علي، وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث على الثقات [تهذيب التهذيب ١/٩ / ١٥١] و [المجروحين ٢ / ٢٥٠].



الثالث: وقال القرظي والسدي: "نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين، قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى هذه الآية ثم نسختها آية القتال"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} [الجاثية: ٤٤]، أي: "قل - أيها الرسول- للذين صدّقوا بالله واتبَعوا رسله يعفوا، ويتجاوزوا عن الذين لا يرجون ثواب الله، ولا يخافون بأسه إذا هم نالوا الذين آمنوا بالأذى والمكروه"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للذين صدّقوا الله واتبَعوك، يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه إذا هم نالوهم بالأذى والمكروه"<sup>(٣)</sup>.

قال السعدي: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق والصبر على أذية المشركين به، الذين لا يرجون أيام الله أي: لا يرجون ثوابه ولا يخافون وقائعه في العاصين"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: يصفحوا عنهم ويحملوا الأذى منهم. وهذا كان في ابتداء الإسلام، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب، ليكون ذلك لتأليف قلوبهم، ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجهاد"<sup>(٥)</sup>.

قال السمعاني: "للذين لا يرجون أيام الله، أي: لا يسألون الله نعمه، والمعنى: أنهم لا يعترفون بأن النعم من عند الله، وقيل: لا يرجون أيام الله، أي: لا يخافون عقوبات الله ونقمه. وقيل: لا يطعمون في ثواب، ولا يخافون من عقوبة"<sup>(٦)</sup>.

قال الزمخشري: أي: "لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه، من قولهم لوقائع العرب: أيام العرب. وقيل: لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها"<sup>(٧)</sup>.

عن مجاهد، قوله: "للذين لا يرجون أيام الله، قال: لا يُبالون نعم الله، أو نعم الله"<sup>(٨)</sup>. قال أبو عبيدة: "للذين لا يرجون أيام الله: لا يخافون"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الجاثية: ٤٤]، أي: "ليجزى الله هؤلاء المشركين بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام ويأذياء المؤمنين"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ليجزي الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين في الآخرة، فيصيبهم عذابه بما كانوا في الدنيا يكسبون من الإثم، ثم بأذاهم أهل الإيمان بالله"<sup>(١١)</sup>.

قال الواحدي: "أي: ليجزيهم {بما كانوا يكسبون} من سوء أعمالهم"<sup>(١٢)</sup>. قال السمعاني: "يعني: يوم القيامة، ويقال: ليكون الله تعالى هو المجازي والمنتقم منهم لا أنتم"<sup>(١٣)</sup>.

قال السعدي: "فإنه تعالى سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون. فأنتم يا معشر المؤمنين يجزيكم على إيمانكم وصفحكم وصبركم، ثوابا جزيلًا. وهم إن استمروا على تكذيبهم فلا يحل بكم ما حل بهم من العذاب الشديد والخزي"<sup>(١٤)</sup>.

(١) حكاة الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٦٠/٨. بدون سند.

(٢) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(٣) تفسير الطبري: ٦٦/٢٢.

(٤) تفسير السعدي: ٧٧٦.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٧.

(٦) تفسير السمعاني: ١٣٨/٥.

(٧) الكشف: ٢٨٨/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٢.

(٩) مجاز القرآن: ٢١٠/٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٩٩.

(١١) تفسير الطبري: ٦٦/٢٢.

(١٢) الوجيز: ٩٨٩.

(١٣) تفسير السمعاني: ١٣٨/٥.

قال الزمخشري: " {لِيَجْزِيَ}، تعليل الأمر بالمغفرة، أى: إنما أمروا بأن يغفروا لما أَرَادَهُ اللهُ من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة، . فإن قلت: قوله قَوْماً ما وجه تنكيره وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف؟ قلت: هو مدح لهم وثناء عليهم، كأنه قيل. ليجزي أيما قوم وقوماً<sup>(١)</sup> مخصوصين، لصبرهم وإغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار، وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص بما كانوا يَكْسِبُونَ من الثواب العظيم يكظم الغيظ واحتمال المكروه"<sup>(٢)</sup>.

عن سعيد بن المسيب: "كنا بين يدي عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقرأ قارئ هذه الآية، فقال عمر: ليجزي عمر بما صنع"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عباس: "كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين إذا آذوه، وكانوا يستهزئون به، ويكذبونه، فأمره الله عزّ وجلّ أن يقاتل المشركين كافة، فكان هذا من المنسوخ"<sup>(٤)</sup>.

عن قتادة في قوله: " {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}، قال: نسختها ما في الأنفال: {فَإِذَا تَنَفَقْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ}، وفي براءة: {قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً}، أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"<sup>(٥)</sup>.

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}، قال: هذا منسوخ، أمر الله بقتالهم في سورة براءة"<sup>(٦)</sup>.

عن أبي صالح: " {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}، قال: نسختها التي في الحج: {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا}"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن زيد، في قوله " {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ}، قال: هؤلاء المشركون، قال: وقد نسخ هذا وفرض جهادهم والغلظة عليهم"<sup>(٨)</sup>.

وقريء «لنجزي»، بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه، وعن أبي جعفر القارئ أنه كان يقرؤه: «لِيَجْزِيَ قَوْماً» على مذهب ما لم يسم فاعله<sup>(٩)</sup>.

## القرآن

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)} [الجمعة: ١٥]

### التفسير:

من عمل من عباد الله بطاعته فلنفسه عمل، ومن أساء عمله في الدنيا بمعصية الله فعلى نفسه جنى، ثم إنكم -أيها الناس- إلى ربكم تصيرون بعد موتكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} [الجمعة: ١٥]، أي: "من عمل من عباد الله بطاعته فلنفسه عمل، ومن أساء عمله في الدنيا بمعصية الله فعلى نفسه جنى"<sup>(١٠)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٧٧٦.

(٢) قوله «أيما قوم وقوما مخصوصين» لعله: أو قوما. أفاده المحقق.

(٣) الكشاف: ٢٨٨/٤-٢٨٩.

(٤) نقلا عن: الكشاف: ٢٨٨/٤. قال الزمخشري: "ومعنى قوله عمر: ليجزي عمر بما صنع: ليجزي بصيره واحتماله. وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية: والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي".

(٥) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٨/٢٢.

(١١) التفسير الميسر: ٥٠٠.

قال الطبري: يقول: " من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره، وانزجر لنهيته، فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، وطلب خلاصها من عذاب الله، أطاع ربه لا لغير ذلك، لأنه لا ينفع ذلك غيره، والله عن عمل كل عامل غني، ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه، وخلافه فيها أمره ونهيته، فعلى نفسه جنى، لأنه أوبقها بذلك، وأكسبها به سخطه، ولم يضر أحدا سوى نفسه"<sup>(١)</sup>.

قال السمعاني: " {من عمل صالحا فلنفسه} أي: نفع ذلك يعود إليه. {ومن أساء فعليها} أي: وبال ذلك عليه"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [الجاثية: ١٥]، أي: ثم إنكم -أيها الناس- إلى ربكم تصيرون بعد موتكم، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"<sup>(٣)</sup>.  
قال السمعاني: " أي: تردون"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: " في الآخرة فيجزىكم بأعمالكم"<sup>(٥)</sup>.  
قال الطبري: " يقول: ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم، فيجازي المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، فمن ورد عليه منكم بعمل صالح، جوزي من الثواب صالحا، ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزي من الثواب سيئا"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزىكم بأعمالكم خيرا وشرها"<sup>(٧)</sup>.  
فوائد الآيات: [١٢-١٥]:

- ١- تقرير التوحيد والبعث والجزاء والنبوة.
- ٢- بيان علة الإنعام الإلهي على العبد وهي أن يشكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وصرف تلك النعم في مرضاته تعالى لا في معاصيه الموجبة لسخطه.
- ٣- مشروعية التسامح مع الكفار والتجاوز عن أذاهم في حال ضعف المسلمين.
- ٤- تقرير قاعدة أن المرء لا يؤخذ بجريرة غيره.
- ٥- تقرير أن الكسب يؤثر في النفس ويكون صفة لها وبه يتم الجزاء في الدار الآخرة من خير وغيره قال تعالى: {سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام: ١٣٩].

## القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ} [١٦] { [الجاثية: ١٦]

### التفسير:

ولقد آتينا بني إسرائيل التوراة والإنجيل والحكم بما فيهما، وجعلنا أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام فيهم، ورزقناهم من الطيبات من الأقوات والثمار والأطعمة، وفضلناهم على عالمي زمانهم.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} [الجاثية: ١٦]، أي: " ولقد آتينا بني إسرائيل التوراة والإنجيل والحكم بما فيهما، وجعلنا أكثر الأنبياء من ذرية إبراهيم عليه السلام فيهم"<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٦٨/٢٢.

(٢) تفسير السمعاني: ١٣٨/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(٤) تفسير السمعاني: ١٣٨/٥.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٧/٣.

(٦) تفسير الطبري: ٦٩-٦٨/٢٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٧.

(٨) التفسير الميسر: ١٧١/٣.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره {وَلَقَدْ آتَيْنَا} يا محمد {بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ} يعني: التوراة والإنجيل، {وَالْحُكْمَ}، يعني: الفهم بالكتاب، والعلم بالسنن التي لم تنزل في الكتاب، {وَالنُّبُوَّةَ}، يقول: وجعلنا منهم أنبياء ورسلًا إلى الخلق" (١).

قال ابن كثير: " يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم، وجعله الملك فيهم" (٢).

قال السعدي: " أي: ولقد أنعمنا على بني إسرائيل نعمًا لم تحصل لغيرهم من الناس، وآتيناهم {الكتاب} أي: التوراة والإنجيل {والحكم} بين الناس {والنبوَّة} التي امتازوا بها وصارت النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام، أكثرهم من بني إسرائيل" (٣).

قال الزمخشري: " {الكتاب}: التوراة، {وَالْحُكْمَ}: الحكمة والفقہ. أو فصل الخصومات بين الناس، لأنَّ الملك كان فيهم والنبوَّة" (٤).

قال الماتريدي: " يجوز أن يريد بذكر «الكتاب»: الكتب؛ فإنه أدخل الألف واللام، فيكون لاستغراق الجنس، ويحتمل: أنه أراد به التوراة، كما قال أهل التأويل؛ إذ يجوز أن يذكر اسم العام ويراد به الخاص، وهو الواحد منهم، ويحتمل: أن تكون التوراة هي الكتاب الذي فيه عامة الأحكام، فإنه قيل: إن الزبور ليس فيه الحكم، إنما فيه التسبيح والتحميد، وكذا الإنجيل ليس فيه إلا أحكام قليلة، فيجوز أن يكون المراد: التوراة لهذا، والله أعلم" (٥).

وفي قوله تعالى: {وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} [الجاثية: ١٦]، ثلاثة وجوه:

أحدها: أن الحكم: اللب. قاله مجاهد (٦)، وعكرمة (٧).

الثاني: أن الحكم: العلم. قاله ابن عباس (٨).

الثالث: - وهو قول قتادة: قوله: " {وَالْحُكْمَ} يريد: الحكمة، وهي السنَّة" (٩).

قال الماتريدي: " {وَالْحُكْمَ}: فقه ما في الكتاب؛ إذ الحكم الظاهر داخل تحت قوله: {الكتاب}، وبين بقوله: {وَالْحُكْمَ} أنه أعطى الحكم الظاهر فيه، والحكم المستخرج منه بالاستنباط والاجتهاد، والله أعلم، ويحتمل أن يراد بالكتاب: هو ما يتلى فيما بينهم وبين ربهم، والحكم هو ما أمرهم فيه أن يحكموا فيما بين العباد، وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: {وَالنُّبُوَّةَ}، إنما ذكر النبوة؛ لأن النبوة كانت ظاهرة في بني إسرائيل، فإنه ذكر أن في بني إسرائيل كذا كذا رسولاً ونبيًّا" (١٠).

قوله تعالى: {وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} [الجاثية: ١٦]، أي: " ورزقناهم من الطيبات من الأقوات والثمار والأطعمة" (١١).

قال الطبري: " يقول: وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا، وذلك ما أطعمهم من المن والسلوى" (١٢).

قال ابن كثير: " أي: من المآكل والمشرب" (١٣).

(١) تفسير الطبري: ٦٩/٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.

(٣) تفسير السعدي: ٧٧٦.

(٤) الكشاف: ٢٨٩/٤.

(٥) تآويلات أهل السنة: ٢٢١/٩-٢٢٢.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٧٤١): ص ٦٩٠/٢.

(٧) أخرجه آدم بن أبي إياس - كما في تفسير مجاهد ص ٦٠٠ - وابن أبي حاتم (٧٥٦٧): ص ١٣٣٨/٤، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٧٤٠): ص ٦٩٠/٢.

(٩) ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين ٢١٢ /٤ -.

(١٠) تآويلات أهل السنة: ٢٢٢/٩.

(١١) التفسير الميسر: ١٧١/٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٩/٢٢.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.

قال السعدي: أي: "من المآكل والمشرب والملابس وإنزال المن والسلوى عليهم"<sup>(١)</sup>.  
 قال الماتريدي: "قد كان رزقهم من الطيبات ما ذكر من المن والسلوى، وغير ذلك من  
 الطيبات، ما لا يحصى"<sup>(٢)</sup>.  
 عن مقاتل بن حيان: "الطيبات"، قال: الطيبات: ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه  
 وهو الحلال من الرزق"<sup>(٣)</sup>.  
 وقال الكلبي: "يعني: المن والسلوى"<sup>(٤)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [الجاثية: ١٦]، أي: "وفضلناهم على عالمي  
 زمانهم"<sup>(٥)</sup>.  
 قال مجاهد: «على من بين ظهرانيهم»<sup>(٦)</sup>.  
 قال قتادة: «فضلوا على عالم ذلك الزمان»<sup>(٧)</sup>.  
 قال أبو العالية: "بما أعطوا من الملك والرسول والكتب، على عالم من كان في ذلك  
 الزمان، فإن لكل زمان عالماً"<sup>(٨)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: وفضلناهم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في  
 ناحيتهم بمصر والشام"<sup>(٩)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: في زمانهم"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال السعدي: "أي: على الخلق بهذه النعم ويخرج من هذا العموم اللفظي هذه الأمة فإنهم  
 خير أمة أخرجت للناس. والسياق يدل على أن المراد غير هذه الأمة فإن الله يقص علينا ما امتن  
 به على بني إسرائيل وميزهم عن غيرهم، وأيضا فإن الفضائل التي فاق بها بنو إسرائيل من  
 الكتاب والحكم والنبوة وغيرها من النعوت قد حصلت كلها لهذه الأمة، وزادت عليهم هذه الأمة  
 فضائل كثيرة فهذه الشريعة شريعة بني إسرائيل جزء منها، فإن هذا الكتاب مهيم على سائر  
 الكتب السابقة، ومحمد صلى الله عليه وسلم مصدق لجميع المرسلين"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

{وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي  
 بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧)} [الجاثية: ١٧]  
 التفسير:

وأتينا بني إسرائيل شرائع واضحات في الحلال والحرام، ودلالات تبين الحق من الباطل، فما  
 اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، وقامت الحجة عليهم، وإنما حملهم على ذلك بغي بعضهم  
 على بعض؛ طلباً للرفعة والرئاسة، إن ربك -أيها الرسول- يحكم بين المختلفين من بني إسرائيل  
 يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا.

قوله تعالى: {وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ} [الجاثية: ١٧]، أي: "وأتينا بني إسرائيل شرائع  
 واضحات في الحلال والحرام، ودلالات تبين الحق من الباطل"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٧٧٦.

(٢) تأويلات أهل السنة: ٢٢٢/٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٥٨١): ٨٥/٦.

(٤) التفسير البسيط للواحدى: ١٤١/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ١٧١/٣.

(٦) تفسير مجاهد: ٢٠١.

(٧) تفسير عبدالرزاق (٤٧): ص ٢٦٩/١.

(٨) أخرجه الطبري (٨٦٩): ص ٢٤/١.

(٩) تفسير الطبري: ٦٩/٢٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.

(١١) تفسير السعدي: ٧٧٦.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٠٠.

قال الطبري: يقول: " وأعطينا بني إسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا إليهم التوراة فيها تفصيل كل شيء" (١).

قال ابن كثير: " أي : حججا وبراهين وأدلة قاطعات، فقامت عليهم الحجج" (٢).

قال السعدي: " أي: أتينا بني إسرائيل دلالات تبين الحق من الباطل {مِنَ الأَمْرِ} القدري الذي أوصله الله إليهم. وتلك الآيات هي المعجزات التي رأوها على يد موسى عليه السلام، فهذه النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل تقتضي الحال أن يقوموا بها على أكمل الوجوه وأن يجتمعوا على الحق الذي بينه الله لهم، ولكن انعكس الأمر فعاملوها بعكس ما يجب، وافترقوا فيما أمروا بالاجتماع به" (٣).

قال الماتريدي: " قيل: {بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ}، أي: ما بين لهم من الحلال والحرام والشبهه، ونبأ ما كان قبلهم، والله أعلم، ويحتمل {بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ}، أي: بيان ما تقع الحاجة إليه من الأمر" (٤).

قوله تعالى: {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ} [الجاثية: ١٧]، أي: "فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم، وقامت الحجة عليهم" (٥).

قال ابن كثير: " ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة" (٦).

قال السعدي: " {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ} أي: الموجب لعدم الاختلاف" (٧).  
قال الماتريدي: " أي: إلا من بعد ما بين لهم أن الألوهية والربوبية له بالدلالة الواضحة والحجة النيرة، وأن له الخلق والأمر؛ إلا أنه ذكر العلم وأراد به أسباب العلم ودلائله" (٨).  
قوله تعالى: {بَعْثًا بَيْنَهُمْ} [الجاثية: ١٧]، أي: "وإنما حملهم على ذلك بغي بعضهم على بعض؛ طلبًا للرفعة والرئاسة" (٩).

قال الطبري: أي: " طلبا للرياسات، وتركوا منهم لبيان الله تبارك وتعالى في تنزيهه" (١٠).

قال السمعاني: " أي: حسدا وظلما وعنادا للحق" (١١).

قال ابن كثير: " وإنما كان ذلك بغيا منهم على بعضهم بعضا" (١٢).

قال السعدي: " وإنما حملهم على الاختلاف البغي من بعضهم على بعض والظلم" (١٣).

قال الزمخشري: " وإنما اختلفوا لبغي حدث بينهم، أو لعداوة وحسد" (١٤).

قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [الجاثية: ١٧]، أي: " إن ربك -أيها الرسول- يحكم بين المختلفين من بني إسرائيل يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا" (١٥).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن ربك يا محمد

يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بغيا بينهم يوم القيامة، فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون

(١) تفسير الطبري: ٦٩/٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.

(٣) تفسير السعدي: ٧٧٦.

(٤) تأويلات أهل السنة: ٢٢٢/٩.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.

(٧) تفسير السعدي: ٧٧٦.

(٨) تأويلات أهل السنة: ٢٢٢/٩.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٦٩/٢٢.

(١١) تفسير السمعاني: ١٣٩/٥.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.

(١٣) تفسير السعدي: ٧٧٦.

(١٤) الكشاف: ٢٨٩/٤.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٠٠.

بعد العلم الذي آتاهم، والبيان الذي جاءهم منه، فيفلج المحق حينئذ على المبطل بفصل الحكم بينهم<sup>(١)</sup>.

قال السعدي: "فيميز المحق من المبطل والذي حمله على الاختلاف الهوى أو غيره"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: سيفصل بينهم بحكمه العدل. وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم، وأن تقصد منهجهم"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)} [الجنائفة: ١٨]

### التفسير:

ثم جعلناك -أيها الرسول- على منهاج واضح من أمر الدين، فاتبع الشريعة التي جعلناك عليها، ولا تتبع أهواء الجاهلين بشرع الله الذين لا يعلمون الحق. سبب النزول:

قال مقاتل: "وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: ارجع إلى ملة أبيك عبد الله، وجدك عبد المطلب، وسادة قومك، فأنزل الله: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ}.."<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا} [الجنائفة: ١٨]، أي: "ثم جعلناك -أيها الرسول- على منهاج واضح من أمر الدين، فاتبع الشريعة التي جعلناك عليها"<sup>(٥)</sup>.  
قال مقاتل: "يعني: بينة من الأمر، يعني: الإسلام، {فاتبعها}، يقول الله- تعالى- لنبيه- صلى الله عليه وسلم-: اتبع هذه الشريعة"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ثم جعلناك يا محمد من بعد الذي آتينا بني إسرائيل، الذين وصفت لك صفتهم على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا، فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك"<sup>(٧)</sup>.  
قال السمعاني: "أي: طريق واضح، ويقال: على أمر بين، والشرعة هي المذهب والملة، وكذلك الشريعة"<sup>(٨)</sup>.

قال الزمخشري: "{على شريعة}": على طريقة ومنهاج، {من الأمر} من أمر الدين، فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج"<sup>(٩)</sup>.

قال السعدي: "أي: ثم شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنتهي عن كل شر من أمرنا الشرعي {فاتَّبِعْهَا} فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح"<sup>(١٠)</sup>.

قال سهل: "يعني: منهاج سنن من كان من قبلكم من الأنبياء، فإنهم على منهاج الهدى و«الشريعة»: الشارح الممتد الواضح إلى طريق النجاة وسبيل الرشده"<sup>(١١)</sup>.

قال الإمام الشافعي: "فأبان الله أن قد فرض على نبيه اتباع أمره، وشهد له بالبلاغ عنه وشهد به لنفسه، ونحن نشهد له به تقربا إلى الله بالإيمان به، وتوسلا إليه بتصديق كلماته"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٢٢/٦٩-٧٠.

(٢) تفسير السعدي: ٧٧٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ٧/٢٦٧.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٨٣٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٨٣٨.

(٧) تفسير الطبري: ٢٢/٧٠.

(٨) تفسير السمعاني: ٥/١٣٩.

(٩) الكشاف: ٤/٢٨٩.

(١٠) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(١١) تفسير التستري: ١٤٣.

(١٢) تفسير الإمام الشافعي: ٣/١٢٥٢.

قال الفراء: " {عَلَى شَرِيعَةٍ} ، عَلَى دِينِ وَمِلَّةٍ وَمُنْهَاجٍ" (١) .  
 قال أبو عبيدة: " {عَلَى شَرِيعَةٍ} : عَلَى طَرِيقَةٍ وَسُنَّةٍ" (٢) .  
 قال ابن قتيبة: " أَي: عَلَى مِلَّةٍ وَمَذْهَبٍ . وَمِنْهُ يُقَالُ: شَرَعْتَ لَكَ كَذَا ، وَشَرَعَ فُلَانٌ فِي كَذَا : إِذَا أَخَذَ فِيهِ . وَمِنْهُ «مَشَارَعُ الْمَاءِ» ، وَهِيَ : الْفُرْصُ الَّذِي يَشْرَعُ فِيهَا النَّاسُ وَالْوَارِدَةُ" (٣) .  
 قال الماتريدي: " الشريعة: هي الملة والمذهب، وهي ما شرع فيه ويذهب إليه" (٤) .  
 قال النحاس: " الشريعة في اللغة المذهب والملة ومنه شرع فلان في كذا ومنه الشارع لأنه طريق إلى المقصد فالشريعة: ما شرع الله لعباده من الدين والجمع: الشرائع، أي: المذاهب" (٥) .

عن ابن عباس: " {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا} ، قَالَ: يَقُولُ عَلَى هَدًى مِّنَ الْأَمْرِ وَبَيِّنَةٍ" (٦) .

قال الحسن: " الشريعة: الفريضة" (٧) .

قال قتادة: " الشريعة: الفرائض والحدود والأمر والنهي فاتبعها" (٨) .

عن ابن جريج في قوله: " {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ} ، قَالَ: عَلَى طَرِيقَةٍ" (٩) .  
 قال ابن زيد: " الشريعة: الدين . وَقَرَأُ: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} ، قَالَ: فَنُوحٌ أَوْلَهُمْ وَأَنْتَ آخِرُهُمْ" (١٠) .

قال الراغب: " الشَّرْعُ: نَهْجُ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ . يُقَالُ: شَرَعْتُ لَهُ طَرِيقًا ، وَالشَّرْعُ: مَصْدَرٌ ، ثُمَّ جَعَلَ اسْمًا لِلطَّرِيقِ النَّهْجِ فَقِيلَ لَهُ: شَرْعٌ ، وَشَرْعٌ ، وَشَرِيعَةٌ ، وَاسْتَعِيرَ ذَلِكَ لِلطَّرِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ . قَالَ تَعَالَى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمَنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨] ، فَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَا سَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ طَرِيقٍ يَتَحَرَّاهُ مِمَّا يَعُودُ إِلَى مَصَالِحِ الْعِبَادَةِ وَعِمَارَةِ الْبِلَادِ ، وَذَلِكَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا} [الزخرف: ٣٢] .

الثاني: مَا قِيضَ لَهُ مِنَ الدِّينِ وَأَمْرِهِ بِهِ لِيَتَحَرَّاهُ اخْتِيَارًا مِمَّا تَخْتَلَفُ فِيهِ الشَّرَائِعُ ، وَيَعْتَرِضُهُ النَّسْخُ ، وَدَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا} [الجاثية: ١٨] (١١) .  
 قوله تعالى: {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الجاثية: ١٨] ، أَي: " وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الْجَاهِلِينَ بِشَرَعِ اللَّهِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ" (١٢) .

قال الطبري: " يَقُولُ: وَلَا تَتَّبِعْ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ الْجَاهِلُونَ بِاللَّهِ ، الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ، فَتَعْمَلُ بِهِ ، فَتَهْلِكُ إِنْ عَمَلْتَ بِهِ" (١٣) .

قال مقاتل: " {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} تَوْحِيدَ اللَّهِ ، يَعْنِي: كَفَارَ قَرِيشٍ فَيَسْتَنْزِلُونَكَ عَنِ أَمْرِ اللَّهِ" (١٤) .

(١) معاني القرآن: ٤٦/٣ .

(٢) مجاز القرآن: ٢١٠/٢ .

(٣) غريب القرآن: ٤٠٥ .

(٤) تأويلات أهل السنة: ٢٢٢/٩ .

(٥) معاني القرآن: ٤٢٤/٦ - ٤٢٥ .

(٦) أخرجه الطبري: ٧٠/٢٢ .

(٧) ذكره يحيى بن سلام - كما في تفسير ابن أبي زمنين ٢١٢ / ٤ - .

(٨) أخرجه الطبري: ٧٠/٢٢ .

(٩) الدر المنثور: ٤٢٥/٧ ، وعزاه إلى ابن المنذر .

(١٠) أخرجه الطبري: ٧٠/٢٢ - ٧١ .

(١١) المفردات في غريب القرآن: ٤٥٠ .

(١٢) التفسير الميسر: ٥٠٠ .

(١٣) تفسير الطبري: ٧٠/٢٢ .

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٨/٣ .



قال الزمخشري: أي: "ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجاهل. ودينهم المبني على هوى وبدعة، وهم رؤساء قريش حين قالوا: ارجع إلى دين آبائك. ولا توألهم"<sup>(١)</sup>.  
قال السعدي: "أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وهم كل من خالف شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم هواه وإرادته فإنه من أهواء الذين لا يعلمون"<sup>(٢)</sup>.

#### القرآن

{إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ  
[الجاثية: ١٩]}

#### التفسير:

إن هؤلاء المشركين بربهم الذين يدعونك إلى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك -أيها الرسول- من عقاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم، وإن الظالمين المتجاوزين حدود الله من المنافقين واليهود وغيرهم بعضهم أنصار بعض على المؤمنين بالله وأهل طاعته، والله ناصر المتقين ربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

قوله تعالى: {إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [الجاثية: ١٩]، أي: "إن هؤلاء المشركين بربهم الذين يدعونك إلى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك -أيها الرسول- من عقاب الله شيئاً إن اتبعت أهواءهم"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول "إن هؤلاء الجاهلين بربهم، الذين يدعونك يا محمد إلى اتباع أهوائهم، لن يغنوا عنك إن أنت اتبعت أهواءهم، وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيئاً، فيدفعوه عنك إن هو عاقبك، وينقذوك منه"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "أي: لا ينفعونك عند الله فيحصلوا لك الخير ويدفعوا عنك الشر إن اتبعتهم على أهوائهم، ولا تصلح أن توافقهم وتواليهم فإنك وإياهم متباينون"<sup>(٥)</sup>.

قال سهل: "من استغنى بغير الله فبغناه افتقر ومن اعتز بغيره فبعزه ذل، ألا ترى أن الله يقول: {إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا}"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [الجاثية: ١٩]، أي: "وإن الظالمين المتجاوزين حدود الله من المنافقين واليهود وغيرهم بعضهم أنصار بعض على المؤمنين بالله وأهل طاعته"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وإن الظالمين بعضهم أنصار بعض، وأعاونهم على الإيمان بالله وأهل طاعته"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضاً، فإنهم لا يزيدونهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} [الجاثية: ١٩]، أي: "والله ناصر المتقين ربهم بأداء فرائضه واجتناب نواهيه"<sup>(١٠)</sup>.

(١) الكشاف: ٤/٢٨٩.

(٢) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(٤) تفسير الطبري: ٧١/٢٢.

(٥) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(٦) تفسير التستري: ١٤٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(٨) تفسير الطبري: ٧١/٢٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٠٠.

قال الطبري: يقول: " والله يلي من اتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بكفايته، ودفاع من أراده بسوء، يقول جلّ ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام فكن من المتقين، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون، فإنه وليّ من اتقاه، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وإن كثر عددهم، لأنهم لن يضرّوك ما كان الله وليك وناصرك"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: " وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات"<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي: " يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب تقواهم وعملهم بطاعته"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: " وأما المتقون: فوليهم الله وهم موالوه. وما أبين الفصل بين الولايتين!"<sup>(٤)</sup>.

وقال عطاء: "يريد المهاجرين والأنصار"<sup>(٥)</sup>.

قال السدي: " أما الولي: فالذي يتولاه الله ويقر له بالربوبية"<sup>(٦)</sup>.

عن الضحاك: "المتقين"، قال: "الذين يتقون الشرك"<sup>(٧)</sup>.

عن السدي: "المتقين"، قال: هم المؤمنون"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

**{ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) } [الجاثية : ٢٠]**

### التفسير:

هذا القرآن الذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- بصائر يبصر به الناس الحق من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد، وهدى ورحمة لقوم يوقنون بحقيقة صحته، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم.

قوله تعالى: { هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ } [الجاثية : ٢٠]، أي: " هذا القرآن الذي أنزلناه إليك -أيها

الرسول- بصائر يبصر به الناس الحق من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره { هَذَا } الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد { بَصَائِرَ

لِلنَّاسِ } يُبْصِرُونَ به الحق من الباطل، ويعرفون به سبيل الرشاد"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: " يقول: هذا القرآن بصيرة للناس من الضلالة"<sup>(١١)</sup>.

قال أبو عبيدة: " هذا القرآن بصائر للناس"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: " { هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ } يعني: القرآن"<sup>(١٣)</sup>.

قال الزجاج: " { هَذَا } إشارة إلى القرآن، المعنى: هذا القرآن بصائر للناس"<sup>(١٤)</sup>.

قال السعدي: " { هَذَا } القرآن الكريم والذكر الحكيم { بَصَائِرُ لِلنَّاسِ } أي: يحصل به

التبصرة في جميع الأمور للناس فيحصل به الانتفاع للمؤمنين"<sup>(١٥)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٧١/٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.

(٣) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(٤) الكشاف: ٢٨٩/٤.

(٥) التفسير البسيط للواحي: ١٤٣/٢٠، ولم أقف عليه.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٠٣٠): ص ٢٦٧٢/٨.

(٧) أخرجه الطبري (١١٧٢٤): ص ٢١١/١٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٢٤٨): ص ١٧٥١/٦.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٧١/٢٢.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٨/٣.

(١٢) مجاز القرآن: ٢١٠/٢.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.

(١٤) معاني القرآن: ٤٣٣/٤.

قال الزمخشري: " هذا القرآن {بصائرُ للنَّاسِ} جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب. كما جعل روحا وحياة"<sup>(١)</sup>.

عن قتادة: " {بصائر من ربكم}، أي: بينة من ربكم"<sup>(٢)</sup>.

عن قتادة: " {هذا بصائر من ربكم} أي: بيّنات؛ فاعقلوه"<sup>(٣)</sup>.

عن ابن زيد، في قوله " {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ}، قال: القرآن. قال: هذا كله إنما هو في القلب. قال: والسمع والبصر في القلب. وقرأ: {فَأَنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}، وليس يبصر الدنيا ولا بسمها"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [الجاثية: ٢٠]، أي: وهو "هدى ورحمة لقوم يوقنون بحقيقة صحته، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: " وهو {هدى} من الضلالة، {ورحمة} من العذاب لمن آمن به {لقوم يوقنون} بالقرآن أنه من الله- تعالى-"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: " يقول: ورشاد {وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} بحقيقة صحة هذا القرآن، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم. وخصّ جلّ ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة، لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر، فكان عليه عمى وله حزنا"<sup>(٧)</sup>.

قال الزمخشري: " وهو هدى من الضلالة، ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن"<sup>(٨)</sup>.

قال السعدي: " ويحصل به الهدى والرحمة {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} فيهدتدون به إلى الصراط المستقيم في أصول الدين وفروعه ويحصل به الخير والسرور والسعادة في الدنيا والآخرة وهي الرحمة. فتزكو به نفوسهم وتزداد به عقولهم ويزيد به إيمانهم ويقينهم، وتقوم به الحجة على من أصر وعاند"<sup>(٩)</sup>.

عن قتادة: " {وهدى ورحمة} لمن آمن به، وعمل به، ثم مات عليه"<sup>(١٠)</sup>.

عن الشعبي، {هدى}، قال: " من الضلالة"<sup>(١١)</sup>.

عن سعيد بن جببر، " {هدى}، يعني: تبيان"<sup>(١٢)</sup>.

عن السدي، قوله: " {هدى}، قال: نور"<sup>(١٣)</sup>.

عن أبي العالية في قوله: ورحمة قال: رحمته القرآن"<sup>(١٤)</sup>.

عن أبي سعيد، قوله: " {ورحمة}، قال: رحمته أن جعلكم من أهل القرآن"<sup>(١٥)</sup>.

فوائد الآيات: [١٦-٢٠]:

١- بيان أن كفر أهل الكتاب كان حسداً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقومه من العرب.

(١) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(٢) الكشاف: ٢٨٩/٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧١٩): ص ١٦٤٤/٥.

(٤) الدر المنثور: ٦٣٤/٣، وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ.

(٥) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٢.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٨/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٧٢/٢٢.

(٩) الكشاف: ٢٨٩/٤.

(١٠) تفسير السعدي: ٧٧٧. [بتصرف بسيط]

(١١) الدر المنثور: ٦٣٤/٣، وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٢١): ص ١٦٤٤/٥.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٢٢): ص ١٦٤٤/٥.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٢٣): ص ١٦٤٤/٥.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٢٤): ص ١٦٤٥/٥.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧٢٥): ص ١٦٤٥/٥.

- ٢- بيان إفضال الله تعالى على بني إسرائيل حيث أعطاهم الكتاب والحكم والنبوة، ومع هذا اختلفوا في الحق حسداً وطمعاً في الرئاسة وإقامة مملكة بني إسرائيل من النيل إلى الفرات.
- ٣-تقرير البعث والجزاء والنبوة والتوحيد.
- ٤- وجوب لزوم تطبيق الشريعة الإسلامية وعدم التنازل عن شيء منها.
- ٥- كمال هذا الدين وشرفه، ووجوب الانقياد لحكمه، وعدم الميل إلى أهواء الكفرة والملحدين.
- ٦-تقرير ولاية الله تعالى لأهل الإيمان به وتقواه بفعل محابه وترك مساخطه.
- ٧- بيان أن القرآن كتاب هداية وإصلاح، ولا يتم شيء من هداية الناس وإصلاحهم إلا عليه.

## القرآن

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)} [الجاثية : ٢١]

التفسير:

بل أظنّ الذين اكتسبوا السيئات، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، وأخلصوا له العبادة دون سواه، ونسألوهم بهم في الدنيا والآخرة؟ ساء حكمهم بالمساواة بين الفجار والأبرار في الآخرة.

سبب النزول:

قال مقاتل: " وذلك أن الله أنزل أن للمتقين عند ربهم في الآخرة جنات النعيم، فقال كفار مكة بنو عبد شمس بن عبد مناف بمكة لبني هاشم ولبني عبد المطلب بن عبد مناف للمؤمنين منهم: إنا نعطي في الآخرة من الخير مثل ما تعطون، فقال الله- تعالى:- {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ}، يعني: الذين عملوا الشرك يعني كفار بني عبد شمس {أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، من بني هاشم، وبني المطلب، منهم حمزة، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، وعمر بن الخطاب"<sup>(١)</sup>.

قال الثعلبي: " نزلت هذه الآية في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقاً لنفضلن عليكم في الآخرة، كما فضلنا عليكم في الدنيا"<sup>(٢)</sup>.

وقال الواحدي: " قال الكلبي: نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث، وفي ثلاثة رهط من المشركين عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قالوا للمؤمنين: والله ما أنتم علي شيء وإن كان ما تقولون حقاً لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ} [الجاثية : ٢١]، أي: " بل أظنّ الذين اكتسبوا السيئات، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: " أم ظنّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: " يعني: الذين عملوا الشرك، يعني: كفار بني عبد شمس"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: {الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ}، أي : عملوها وكسبوها"<sup>(٧)</sup>.

قال الفراء: " الاجتراح: الاقتراف، والاكتساب"<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٩/٣.

(٢) تفسير الثعلبي: ٢٤/٢٠، ط. دار التفسير، وذكره البغوي في "تفسيره" ٧/ ٢٤٤، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١٦/ ١٦٥ بنحوه.

(٣) التفسير البسيط: ١٤٣/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(٥) تفسير الطبري: ٧٢/٢٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٩/٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.

(٨) معاني القرآن: ٤٧/٣.

قال أبو عبيدة: أي: "اكتسبوا"<sup>(١)</sup>.  
 قال ابن قتيبة: "أي: اكتسبوها. ومنه قيل لكلاب الصيد: جوارح"<sup>(٢)</sup>.  
 قال الزجاج: "معنى {اجْتَرَحُوا}: اكتسبوا، ويقال: فلانٌ جَارِحٌ أهله، أي: كاسبهم"<sup>(٣)</sup>.  
 ومنه قول الحطيئة<sup>(٤)</sup>:

أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فَاعْتَرِ هَذَاكَ مَلِيكَ النَّاسِ يَا عُمَرُ  
 قوله تعالى: {أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ} [الجاثية  
 :٢١]، أي: "أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله وعملوا الصالحات، وأخلصوا له  
 العبادة دون سواه، ونساويهم بهم في الدنيا والآخرة؟"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: "أن نجعلهم في الآخرة، كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا  
 الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة، كلا ما كان الله  
 ليفعل ذلك، لقد ميز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير"<sup>(٦)</sup>.  
 قال مقاتل: "أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات} من بني هاشم، وبني المطلب،  
 منهم: حمزة، وعلي بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، وعمر بن الخطاب، {سواء محياهم} في  
 نعيم الدنيا وسواء {مماتهم} في نعيم الآخرة"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى: لا يستوي المؤمنون والكافرون، كما قال: {لَا يَسْتَوِي  
 أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الحشر: ٢٠].. {أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ  
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ}، أي: نساويهم بهم في الدنيا والآخرة!<sup>(٨)</sup>  
 عن مجاهد، قوله: "سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ"، قال: المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن،  
 والكافر في الدنيا والآخرة كافر"<sup>(٩)</sup>.

عن ليث، قوله: "سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ"، قال: بعث المؤمن مؤمناً حياً وميتاً، والكافر  
 كافراً حياً وميتاً"<sup>(١٠)</sup>.

قال قتادة: "لعمري لقد تفرق القوم في الدنيا، وتفرقوا عند الموت، فتباينوا في  
 المصير"<sup>(١١)</sup>.

قال الكلبي: "أريد بهم علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث  
 حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلواهم"<sup>(١٢)</sup>.  
 وقرئ: «سَوَاءً»، بالرفع<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية: ٢١]، أي: "فَبِحَ مَا يَقْضُونَ بِهِ مِنَ الْحُكْمِ الْجَائِرِ  
 الَّذِي يُسَوِّى بَيْنَ الْمُحْسِنِينَ وَالْمُسِيئِينَ"<sup>(١٤)</sup>.

- 
- (١) مجاز القرآن: ٢١٠/٢.  
 (٢) غريب القرآن: ٤٠٥.  
 (٣) معاني القرآن: ٤٣٣/٤.  
 (٤) البيت للحطيئة في "ديوانه" ص ٢٠٨، وفي "الأغاني" ١٧٨ / ٢، و"العقد الفريد" ٢٥٩ / ٥، و"الكامل في  
 الأدب" ١٩٣ / ٣، "خزانة الأدب" ٢٥٤ / ٣، "لسان العرب" ٢٦٨٦ / ٥ (مادة: طلح)، "الوافي بالوفيات" ١١ /  
 ٥٥. وأغلب رواياته: فاغفر سلام الله عليك.  
 (٥) التفسير الميسر: ٥٠٠.  
 (٦) تفسير الطبري: ٧٢/٢٢.  
 (٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٩/٣.  
 (٨) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.  
 (٩) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٢.  
 (١٠) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٢.  
 (١١) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٢.  
 (١٢) نقلاً عن: النكت والعيون: ٢٦٤/٥.  
 (١٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٢.  
 (١٤) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٨٨٦/٩.

قال الطبري: يقول: "بئس الحكم الذي حسبوا أنا نجعل الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات، سواء محياهم ومماتهم"<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: يقول: بئس ما يقضون من الجور حين يرون أن لهم في الآخرة ما للمؤمنين، في الآخرة الدرجات في الجنة ونعيمها للمؤمنين، والكافرون في النار يعذبون"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة، وفي هذه الدار"<sup>(٣)</sup>.

قال سهل بن عبدالله في الآية: "ليس من أقعد على بساط الموافقة كمن أقيم في مقام المخالفة، فإن بساط الموافقة يجرب بصاحبه إلى مقاعد الصدق، ومقام المخالفة يهوي بصاحبه في لظى"<sup>(٤)</sup>.

عن أبي ذر، رضي الله عنه، قال: "إن الله بنى دينه على أربعة أركان، فمن صبر عليهن ولم يعمل بهن لقي الله وهو من الفاسقين. قيل: وما هن يا أبا ذر؟ قال: يسلم حلال الله، وحرام الله، وأمر الله، ونهي الله، لا يؤتمن عليهن إلا الله. قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: "كما أنه لا يجتنى من الشوك العنب، كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار"<sup>(٥)</sup>.

وعن محمد بن إسحاق: "وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة، إن كان ما ذكر حقا، مكتوبا فيه: من يزرع خيرا يحصد غبطة، ومن يزرع شرا يحصد ندامة. تعملون السيئات، وتجزون الحسنات! أجل، كما لا يجتنى من الشوك العنب"<sup>(٦)</sup>.

روي عن تميم الداري: "أنه أتى المقام ذات ليلة، فقام يصلي فافتتح السورة التي تذكر فيها الجائية، فلما أتى على هذه الآية: {وَأَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجائية: ٢١]، فلم يزل يرددتها حتى أصبح"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (٢٢)

[الجائية: ٢٢]

التفسير:

وخلق الله السموات والأرض بالحق والعدل والحكمة؛ ولكي تجزى كل نفس في الآخرة بما كسبت من خير أو شر، وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم.

قوله تعالى: {وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} [الجائية: ٢٢]، أي: "وخلق الله السموات والأرض بالحق والعدل والحكمة"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} للعدل والحق، لا لما حسب هؤلاء الجاهلون بالله، من أنه يجعل من اجترح السيئات، فعصاه وخالف أمره،

(١) تفسير الطبري: ٧٤/٢٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٩/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧.

(٤) تفسير التستري: ١٤٣.

(٥) أخرجه الحافظ أبو يعلى، كما في تفسير ابن كثير: ٢٦٧/٧، وذكره ابن حجر في "المطالب العالية": (١٥٤/٣) وعزاه لأبي يعلى، وأظنه في الكبير، ويزيد بن مرثد الهمداني روايته عن أبي ذر مرسلة.

قال ابن كثير ٢٦٨/٧: "هذا حديث غريب من هذا الوجه".

(٦) السيرة النبوية لابن هشام: ١٩٦/١.

(٧) رواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن: ١٤٥.

وأخرج القاسم بن سلام في الفضائل: ١٤٥، بسند.. عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال له رجل من أهل مكة، هذا مقام أخيك تميم الداري. ثم ذكر مثل ذلك أو نحوه".

(٨) التفسير الميسر: ٥٠٠.

كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، في المحيا والممات، إذ كان ذلك من فعل غير أهل العدل والإنصاف، يقول جلّ ثناؤه: فلم يخلق الله السموات والأرض للظلم والجور، ولكننا خلقناهما للحقّ والعدل. ومن الحق أن نخالف بين حكم المسيء والمحسن، في العاجل والآجل<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: لم أخلقهما عبثاً لغير شيء، ولكن خلقتهما لأمر هو كائن"<sup>(٢)</sup>.  
عن أرطاة بن المنذر، قال: سمعتُ ضمرّة بن حبيب، يقول: "إنّ الله كان على عرشه على الماء، وخلق السموات والأرض بالحق، وخلق القلم، فكتب به ما هو كائن من خلقه، ثم إنّ ذلك الكتاب سبّح الله ومجّده ألفَ عام، قبل أن يبدأ شيئاً من الخلق"<sup>(٣)</sup>.

قال محمد بن إسحاق: "ابتدع السموات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "أي: خلق الله السموات والأرض بالحكمة وليعيد وحده لا شريك له"<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {وَلِنَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الجمانية: ٢٢]، أي: "ولكي تجزي كل نفس في الآخرة بما كسبت من خير أو شر، وهم لا يُظلمون جزاء أعمالهم"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وليثيب الله كلّ عامل بما عمل من عمل خلق السموات والأرض، المحسن بالإحسان، والمسيء بما هو أهله، لا لنبخس المحسن ثواب إحسانه، ونحمل عليه جرم غيره، فنعاقبه، أو نجعل للمسيء ثواب إحسان غيره فنكرمه، ولكن لنجزي كلا بما كسبت يده، وهم لا يُظلمون جزاء أعمالهم"<sup>(٧)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: ولكي تجزي كل نفس بما كسبت"، يعني: بما عملت في الدنيا من خير أو شر، {وهم لا يظلمون} في أعمالهم، يعني: لا ينقصون من حسناتهم، ولا يزداد في سيئاتهم"<sup>(٨)</sup>.

قال السعدي: "ثم يجازي بعد ذلك من أمرهم بعبادته وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة هل شكروا الله تعالى وقاموا بالمأمور؟ أم كفروا فاستحقوا جزاء الكفور؟"<sup>(٩)</sup>.  
قال السمعاني: {وهم لا يظلمون}، "أي: لا ينقص من حقوقهم شيء"<sup>(١٠)</sup>.  
قال محمد بن إسحاق: "يجزي بكسبه غير مظلوم، ولا معتدى عليه"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

{أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [الجمانية: ٢٣]

### التفسير:

أف رأيت -أيها الرسول- من اتخذ هواه إلهاً له، فلا يهوى شيئاً إلا فعله، وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئاً، وجعل على بصره غطاءً، فلا يبصر به حجج الله؟ فمن يوفقه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال

(١) تفسير الطبري: ٧٥/٢٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٩/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٤٤٨/٥ - وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٩٥): ص ٢٧١٤-٢٧١٣/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(٧) تفسير الطبري: ٧٥/٢٢.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٩/٣.

(٩) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(١٠) تفسير السمعاني: ١٤٠/٥.

(١١) تفسير ابن المنذر (١١٣٨): ص ٤٧٤/٢.

الله إياه؟ أفلا تذكرون -أيها الناس- فتعلموا أنّ مَنْ فَعَلَ اللهُ بِهِ ذَلِكَ فَلَنْ يَهْتَدِيَ أَبَدًا، وَلَنْ يَجِدَ لِنَفْسِهِ وَلِيًّا مَرشِدًا؟  
سبب النزول:

قال سعيد: "كانت قريش تعبد العُزَّى، وهو حجر أبيض، حينما من الدهر، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأوّل وعبدوا الآخر، فأُنزل اللهُ: {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} (١).  
قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية: ٢٣]، أي: "أفرايت -أيها الرسول- من اتخذ هواه إلهاً له، فلا يهوى شيئاً إلا فَعَلَهُ" (٢).

قال ابن كثير: "أي: إنما يَأْتَمِرُ بهواه، فمهما رآه حسناً فَعَلَهُ، ومهما رآه قبيحاً تركه: وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين" (٣).

قال سهل بن عبدالله: "يعني: أفرايت من كان مغموراً في لذة نفسه من الدنيا، غير ورع ولا تقى، فاتبع مراده ولم يسلك مسالك الاقتداء، وآثر شهوات الدنيا على نعيم العقبي، أنى تكون له في الآخرة من الدرجات الرفيعة والمنازل السنية" (٤).

وفي قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} [الجاثية: ٢٣]، ثلاثة وجوه من التفسير: أحدها: "أفرايت من اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبته، قاله ابن عباس (٥)، وقتادة (٦).  
قال الحسن: "لا يهوى شيئاً إلا اتبعه" (٧).

قال الحسن: "ذلك المنافق نصب هواه فما هوى من شيء ركبته" (٨).

قال قتادة: "لا يهوى شيئاً إلا ركبته لا يخاف الله" (٩).

قال قتادة: "والله لكلما هوى شيئاً ركبته وكلما اشتهى شيئاً آتاه لا يحجزه، عن ذلك ورع ولا تقوى" (١٠).

قال ابن عباس: "ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان" (١١).

قال مقاتل: "يعني: الحارث بن قيس السهمي اتخذ إلهه هوى، وكان من المستهزئين وذلك أنه هوى الأوثان فعبدها" (١٢).

قال الزمخشري: "أي: هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه إليه، فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه" (١٣).

قال السعدي: "فما هويه سلكه سواء كان يرضي الله أو يسخطه" (١٤).

الثاني: "أفرايت من جعل إلهه الذي يعبده ما يهواه ويستحسنه، فإذا استحسن شيئاً وهو به اتخذه إلهاً، قاله عكرمة (١٥)، وسعيد بن جبير (١٦).

(١) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٢.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٧.

(٤) تفسير التستري: ١٤٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٦/٢٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٦/٢٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٠١): ص ٢٧٠٠/٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٠٢): ص ٢٧٠٠/٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٢.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٠٣): ص ٢٧٠٠/٨.

(١١) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٢.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣٩/٣.

(١٣) الكشاف: ٢٩١/٤.

(١٤) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٢٦٥/٥.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٦/٢٢.



قال سعيد بن جبير: "كانت العربُ يعبدون الحجارةَ والذهبَ والفضةَ، فإذا وجدوا شيئاً أحسنَ من الأولِ رموه أو كسروه، وعبدوا الآخر" (١).

قال سفيان الثوري: "كانوا يعبدون الحجرَ، فإذا وجدوا حجراً أحسنَ منه طرحوه، وأخذوا الحسن. قال سفيان: وإنما عبدوا الحجارةَ لأن البيت حجارة" (٢).

الثالث: أفرايت من ينفاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده تعجباً لذوي العقول من هذا الجهل. حكاه الماوردي (٣).

قال الطبري: الصواب "قول من قال: معنى ذلك: أفرايت يا محمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحق الذي له الألوهة من كل شيء، لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره" (٤).

قال الشعبي: "إنما سُمي: الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار" (٥).

قال ابن عباس: "ما ذكر الله - عز وجل - هوى في القرآن إلا ذمّه" (٦).

عن أنس، قال: قال - صلى الله عليه وسلم - : «ثلاث مهلكات: شحُّ مطاع، وهوى مُتَّبِع، وإعجاب المرء بنفسه» (٧).

عن أبي أمامة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، أنه قال: «ما عُبد تحت ظلّ السماء أبغضُ إلى الله من هوى» (٨).

قوله تعالى: {وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} [الجناتية: ٢٣]، أي: "وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه" (٩).

قال الطبري: يقول: "وخذله عن محجة الطريق، وسبيل الرشاد في سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدي، ولو جاءت كل آية" (١٠).

قال ابن عباس: "يقول: أضله الله في سابق علمه" (١١).

وقال سعيد بن جبير: "على علمه فيه" (١٢).

قال سهل بن عبدالله: "أي: على علم الله السابق فيه بترك عصمته ومعونته" (١).

(١) أخرجه سفيان الثوري ص ٢٧٥.

(٢) أخرجه إسحاق البستي ص ٣٣٨، والثعلبي ٨ / ٣٦٢ مختصراً.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٥ / ٢٦٥.

(٤) تفسير الطبري: ٢٢ / ٧٦.

(٥) أخرجه الثعلبي ٨ / ٣٦٢، وتفسير البغوي ٧ / ٢٤٥.

(٦) أخرجه الثعلبي ٨ / ٣٦٢.

(٧) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب ص ٤٩ (٩٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢ / ٣٤٣، من طريق أيوب بن عتبة، عن الفضل بن بكر العبدي، عن قتادة، عن أنس بن مالك به.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٣ / ٢١٩، من طريق الحسن، عن شيبان بن فروخ، عن عيسى بن ميمون، عن محمد بن كعب، عن ابن عباس به. وأورده الثعلبي ٨ / ٣٦٢.

قال البزار في مسنده ١٣ / ٤٨٦ (٧٢٩٣): «وهذا الحديث لم يروه عن قتادة عن أنس إلا الفضل بن بكر، ولم يحدث عن الفضل إلا أيوب بن عتبة». وقال أبو نعيم ٢ / ١٦٠: «غريب من حديث أنس، تقرّد به عن حميد، ورواه محمد بن عرعة، عن حميد نحوه». وقال العراقي في تخريج الإحياء ص ٢٣: «أخرجه البزار، والطبراني، وأبو نعيم، والبيهقي في الشعب، من حديث أنس، بإسناد ضعيف». وأورده الألباني في الصحيحة ٤ / ٤١٢ (١٨٠٢).

(٨) أورده الثعلبي ٨ / ٣٦٢. وأخرجه الطبراني في الكبير ٨ / ١٠٣ (٧٥٠٢) بلفظ: «ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم من عند الله من هوى متبع». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٨٨: «وفيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث».

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٠) -

(١١) أخرجه الطبري: ٢٢ / ٧٦.

(١٢) التفسير البسيط: ٢٠ / ١٤٨، و"تفسير الوسيط" ٤ / ٩٩، للواحيدي. قال أبو إسحاق: "أي: على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه". [انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٤ / ٤٣٣]

قال السعدي: " وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية ولا يزكو عليها"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " قوله: {وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} يحتمل قولين : أحدها: وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك.

والآخر : وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه، وقيام الحجة عليه"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "والثاني يستلزم الأول، ولا ينعكس"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {وَوَحَّيْنَا عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ} [الجاثية: ٢٣]، أي: " وطبع على سمعه فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئاً"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: " وطبع على سمعه أن يسمع مواعظ الله وأي كتابه، فيعتبر بها ويتدبرها، ويتفكر فيها، فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى، وطبع أيضاً على قلبه، فلا يعقل به شيئاً، ولا يعي به حقاً"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: " يقول: وطبع على سمعه فلا يسمع الهدى وعلى قلبه فلا يعقل الهدى"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : فلا يسمع ما ينفعه، ولا يعي شيئاً يهتدي به"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً} [الجاثية: ٢٣]، أي: " وجعل على بصره غطاءً، فلا يبصر به حجج الله؟"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: " يقول: وجعل على بصره غشاوة أن يبصر به حجج الله، فيستدل بها على وحدانيته، ويعلم بها أن لا إله غيره"<sup>(١٠)</sup>.

قال السعدي: " {وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً} تمنعه من نظر الحق"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : "ولا يرى حجة يستضيء بها"<sup>(١٢)</sup>.

وقرى: «غشوة»، بمعنى: أنه غشاه شيئاً في دفعة واحدة، ومرّة واحدة، بفتح الغين بغير ألف"<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ} [الجاثية: ٢٣]، أي: " فمن يوفقه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال الله إياه؟"<sup>(١٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: " فمن يوفقه لإصابة الحق، وإبصار محجة الرشد بعد إضلال الله إياه"<sup>(١٥)</sup>.

قال السعدي: " أي: لا أحد يهديه وقد سد الله عليه أبواب الهداية وفتح له أبواب الغواية، وما ظلمه الله ولكن هو الذي ظلم نفسه وتسبب لمنع رحمة الله عليه"<sup>(١٦)</sup>.

(١) تفسير التستري: ١٤٣.

(٢) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٧.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٧.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٠، وصفوة التفاسير: ١٧٣/٣.

(٦) تفسير الطبري: ٧٧-٧٦/٢٢.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٠/٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٧.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٧٧/٢٢.

(١١) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٧.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/٢٢.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(١٥) تفسير الطبري: ٧٧/٢٢.

(١٦) تفسير السعدي: ٧٧٧.

قوله تعالى: {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: ٢٣]، أي: "أفلا تذكرون -أيها الناس- فتعلموا أن من فعل الله به ذلك فلن يهتدي أبداً، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً؟"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: " {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} أيها الناس، فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا، فلن يهتدي أبداً، ولن يجد لنفسه ولياً مرشداً"<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي: " {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} ما ينفعكم فتسلكونه وما يضركم فتجتنبونه"<sup>(٣)</sup>.

فوائد الآيات: [١٧-٢٣]:

١- بطلان اعتقاد الكافرين في أن الناس يحيون ويموتون بلا جزاء على الكسب صالحه وفساده.

٢- تقرير البعث والجزاء.

٣- موعظة كبيرة في هذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات إلى آخرها حتى إن أحد رجال السلف الصالح قام يتهدج من الليل فقرأ حتى انتهى إلى هذه الآية فأخذ يرددّها ويبيكي حتى طلع الفجر.

٤- التنديد بالهوى والتحذير من اتباعه فقد يفضي بالعبد إلى ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فيصبح معبوده هواه لا الرب تعالى مولاه.

٥- التحذير من ارتكاب سنن الضلال المفضي بالعبد إلى الضلال الذي لا هداية معه.

## القرآن

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤)} [الجاثية: ٢٤]

التفسير:

وقال هؤلاء المشركون: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها، لا حياة سواها؛ تكذيباً منهم بالبعث بعد الممات، وما يهلكنا إلا مرُّ الليالي والأيام وطول العمر؛ إنكاراً منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم، وما لهؤلاء المشركين من علم بذلك، ما هم إلا يتكلمون بالظن والوهم والخيال.

سبب النزول:

عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: «كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، وهو الذي يهلكنا ويُميتنا ويُحيينا. فقال الله في كتابه: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}». قال: فيسبُّون الدهر، فقال الله -تبارك وتعالى-: «يؤذيني ابنُ آدم؛ يسبُّ الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أُقلب الليل والنهار»"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا} [الجاثية: ٢٤]، أي: "وقال هؤلاء المشركون: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها، يموت بعضنا ويحيا بعضنا، ولا حياة سواها؛ تكذيباً منهم بالبعث بعد الممات"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: نموت نحن، ويحيا آخرون، فيخرجون من أصلابنا، فنحن كذلك فما نبعث أبداً"<sup>(٦)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٥٠٠.

(٢) تفسير الطبري: ٧٧/٢٢.

(٣) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(٤) أخرجه الدارقطني في العلل الواردة في الحديث ٨/ ٨١، وابن جرير ٩٧/ ٢١، والثعلبي ٨/ ٣٦٤. وأخرج البخاري ٦/ ١٣٣ (٤٨٢٦)، ٩/ ١٤٣ (٧٤٩١)، ومسلم ٤/ ١٧٦٢ (٢٢٤٦) آخره، وأخرج ابن حبان ١٣/ ٢٣ - ٢٤ (٥٧١٥) أوله موقوفاً من كلام سفيان، وآخره مرفوعاً.

قال ابن كثير ٧/ ٢٦٩: «أورده ابن جرير بسياق غريب جداً» وانظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢٢.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠١، وصفوة التفاسير: ١٧٤/٣.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٠/٣.

قال السعدي: "أي: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار يموت أناس ويحيا أناس وما مات فليس يرجع إلى الله ولا مجازى بعمله"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "وقال هؤلاء المشركون الذين تقدّم خبره عنهم: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات، نموت نحن ونحيا وتحيا أبناؤنا بعدنا، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم، لأنهم منهم وبعضهم، فكأنهم بحياتهم أحياء، وذلك نظير قول الناس: ما مات من خلف ابنا مثل فلان، لأنه بحياة ذكره به، كأنه حيّ غير ميت، وقد يحتمل وجها آخر، وهو أن يكون معناه: نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات، كما يقال: قمت وقعدت، بمعنى: قعدت وقمت؛ والعرب تفعل ذلك في الواو خاصة إذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان، ولم تقصد الخبر عن كون أحدهما قبل الآخر، تقدم المتأخر حدوثا على المتقدم حدوثه منهما أحيانا، فهذا من ذلك، لأنه لم يقصد فيه إلى الخبر عن كون الحياة قبل الممات، فقدّم ذكر الممات قبل ذكر الحياة، إذ كان القصد إلى الخبر عن أنهم يكونون مرة أحياء وأخرى أمواتا"<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي: "وَقَالُوا { وَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } أي: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار يموت أناس ويحيا أناس وما مات فليس يرجع إلى الله ولا مجازى بعمله"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: {نَمُوتُ وَنَحْيَا}، أي: "نموت نحن ويحيا أولادنا. أو يموت بعض ويحيا بعض. أو نكون مواتا نطفًا في الأصلاب، ونحيا بعد ذلك. أو يصيبنا الأمران: الموت والحياة، يريدون: الحياة في الدنيا والموت بعدها، وليس وراء ذلك حياة"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا}، أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداء والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل سنة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول"<sup>(٥)</sup>.

قال النحاس: "يقال هم لا يقرون بالبعث فما معنى {نموت ونحيا}؟ ففيه ثلاثة أجوبة: منها ان المعنى: يموت بعضنا ويحيا بعض. ومنه: أن في الكلام تقديما وتأخيرا وأن المعنى: نحيا ونموت. والجواب الثالث أن معنى {نموت} نخلق مواتا ثم نحيا في الدنيا"<sup>(٦)</sup>.

عن قتادة: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا}، أي: لعمرى هذا قول مشركي العرب"<sup>(٧)</sup>.  
وقرى: «نحيا»، بضم النون<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: ٢٤]، أي: "وما يهلكنا إلا مرُّ الليالي والأيام وطول العمر"<sup>(٩)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: وما يميّتنا إلا طول العمر، وطول اختلاف الليل والنهار، ولا تبعث"<sup>(١٠)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(٢) تفسير الطبري: ٧٨-٧٧/٢٢.

(٣) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(٤) الكشف: ٢٩١/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٧-٢٦٩.

(٦) معاني القرآن: ٤٢٨/٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٢.

(٨) انظر: الكشف: ٢٩١/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠١.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٠/٣.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفينا إلا مرّ الليالي والأيام وطول العمر، إنكاراً منهم أن يكون لهم ربّ يفنيهم ويهلكهم"<sup>(١)</sup>.  
قال الزجاج: "أي: ابتداءنا موات في أصل الخلقة، ثم نحيا ثم يهلكنا الدهر"<sup>(٢)</sup>.  
وفي قوله تعالى: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: ٢٤]، وجوه من التفسير:  
أحدها: وما يهلكنا إلا العمر، قاله قتادة<sup>(٣)</sup>. وأنشد قول الشاعر<sup>(٤)</sup>:  
لكل أمر أتى يوماً له سبب ... والدهر فيه وفي تصريفه عجب  
الثاني: وما يهلكنا إلا الزمان، قاله مجاهد<sup>(٥)</sup>.  
وقال الفراء: "يقولون: إلّا طول الدهر، ومرور الأيام والليالي والشهور والسنين"<sup>(٦)</sup>.  
قال ابن قتيبة: "مرور السنين والأيام"<sup>(٧)</sup>.  
قال ابن عطية: "أي: طول الزمان هو المهلك، لأن الآفات تستوي فيه كمالاتها"<sup>(٨)</sup>.  
قال الزمخشري: "كانوا يزعمون أنّ مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان، وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان"<sup>(٩)</sup>.  
الثالث: وما يهلكنا إلا الموت، قاله قطرب<sup>(١٠)</sup>، وأنشد لأبي ذؤيب<sup>(١١)</sup>:  
أمن المنون وربيبها تتوجع ... والدهر ليس بمعتب من يجزع  
الرابع: وما يهلكنا إلا الله، قاله عكرمة<sup>(١٢)</sup>.  
وروي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب ليله ونهاره"<sup>(١٣)</sup>.  
وفي رواية: "لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر"<sup>(١٤)</sup>.  
عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله استقرضت عيدي فلم يعطني، وسبني عيدي يقول: وادهره، وأنا الدهر"<sup>(١٥)</sup>.  
عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال الله في كتابه: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} قال: فيسبون الدهر، فقال الله تبارك وتعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار"<sup>(١٦)</sup>.  
قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما<sup>(١٧)</sup> من الأئمة في تفسير قوله، عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر»: "إنما تأويله - والله أعلم - أن العرب كان من شأنها

- (١) تفسير الطبري: ٧٨/٢٢.  
(٢) معاني القرآن: ٤٣٤/٤.  
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٢.  
(٤) البيت بلا نسبة في النكت والعيون: ٢٦٦/٥.  
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٢.  
(٦) معاني القرآن: ٤٨/٣.  
(٧) غريب القرآن: ٤٠٥.  
(٨) المحرر الوجيز: ٨٧/٥.  
(٩) الكشاف: ٢٩١/٤.  
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٦٦/٥.  
(١١) مطلع قصيدة أبي ذؤيب الهذلي العينية. وهو في المفضليات ص ٤٢١، والأغاني ٥٨/٦.  
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٦٦/٥.  
(١٣) صحيح البخاري برقم (٤٨٢٦) وصحيح مسلم برقم (٢٢٤٦) وسنن أبي داود برقم (٥٢٧٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٦٨٧).  
(١٤) صحيح مسلم برقم (٢٢٤٦).  
(١٥) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٢.  
(١٦) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٢.  
(١٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٧-٢٧٠.

أن تدم الدهر، وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم: من موت، أو هدم، أو تلف مال أو غير ذلك، وتسب الليل والنهار - وهما: الجديدان، والفتيان - ويقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، وأتى عليهم؛ فيجعلون الليل والنهار اللذين يعلان ذلك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا تسبوا الدهر ... " الحديث. على أنه الذي يفعل بكم هذه الأشياء؛ فإنكم إن سببتم فاعل هذه الأشياء، فإنما تسبون الله - عز وجل -، فإن الله تعالى فاعل هذه الأشياء" (١).

قال ابن كثير: "وهذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد، والله أعلم. وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عددهم الدهر من الاسم الحسن، أخذوا من هذا الحديث" (٢).

وفي قراءة عبدالله: «وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا دَهْرٌ يَمُرُّ» (٣).  
قوله تعالى: {وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ} [الجاثية: ٢٤]، أي: "وما لهؤلاء المشركين من علم بذلك" (٤).

قال الزمخشري: أي: "وما يقولون ذلك عن علم" (٥).  
قال ابن عطية: "فنفى الله تعالى علمهم بهذا" (٦).  
قوله تعالى: {إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجاثية: ٢٤]، أي: "ما هم إلا يتكلمون بالظن والوهم والخيال" (٧).

قال الزجاج: "المعنى: ما هم إلا يَظُنُّونَ" (٨).  
قال ابن كثير: "أي: يتوهمون ويتخيلون" (٩).  
قال السمعاني: "أي: قالوا ما قالوه على ظن وشك لا عن علم ويقين" (١٠).  
عن مجاهد: "وإن هم إلا يظنون" [البقرة: ٧٨]، يعني: يكذبون" (١١).  
عن أبي العالية: "وإن هم إلا يظنون"، يظنون الظنون بغير الحق" (١٢). وروي عن قتادة، والربيع بن أنس نحو ذلك (١٣).  
قال السعدي: "فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان، إن هي إلا ظنون واستبعدادات خالية عن الحقيقة" (١٤).  
قال ابن عطية: "أعلم أنها ظنون وتخرص تفضي بهم إلى الإشراف بالله تعالى" (١٥).

القرآن  
{وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥)}  
[الجاثية: ٢٥]  
التفسير:

- (١) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٥٣/٣.
- (٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٧.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٢.
- (٤) التفسير الميسر: ٥٠١.
- (٥) الكشف: ٢٩١/٤.
- (٦) المحرر الوجيز: ٨٧/٥.
- (٧) التفسير الميسر: ٥٠١.
- (٨) معاني القرآن: ٤٣٤/٤.
- (٩) تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٧.
- (١٠) تفسير السمعاني: ١٤٣/٥.
- (١١) تفسير مجاهد: ٢٠٧، وتفسير ابن أبي حاتم (٧٩٦): ص ١٥٢/١.
- (١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٩٥): ص ١٥٢/١.
- (١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ص ١٥٢/١.
- (١٤) تفسير السعدي: ٧٧٧.
- (١٥) المحرر الوجيز: ٨٧/٥.

إذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا واضحات، لم يكن لهم حجة إلا قولهم للرسول محمد صلى الله عليه وسلم: أحي أنت والمؤمنون معك آباءنا الذين قد هلكوا، إن كنتم صادقين فيما تقولون.

قوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ} [الجاثية: ٢٥]، أي: "إذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا واضحات"<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: القرآن، {بيّنات}، يعني: واضحات من الحلال والحرام"<sup>(٢)</sup>. قال ابن كثير: "أي: إذا استدل عليهم وبين لهم الحق، وأن الله قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها"<sup>(٣)</sup>.

عن سعيد بن جبير: "{آياتنا}، يعني: القرآن"<sup>(٤)</sup>. قوله تعالى: {مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّنُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الجاثية: ٢٥]، أي: "لم يكن لهم حجة إلا قولهم للرسول محمد صلى الله عليه وسلم: أحي أنت والمؤمنون معك آباءنا الذين قد هلكوا، إن كنتم صادقين فيما تقولون"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أحيوهم إن كان ما تقولونه حقاً"<sup>(٦)</sup>. قال مقاتل: "{مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ} حين خاصموا النبي- صلى الله عليه وسلم- في «الزرد» حين قالوا سير لنا الجبال، وسخر لنا الرياح، وابعث لنا رجلين أو ثلاثة من قريش من آبائنا، منهم قصي بن كلاب فإنه كان صدوقاً وكان إمامهم، فنسألهم عما تخبرنا به أنه كائن بعد الموت، فذلك قوله- تعالى-: {مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا} للنبي- صلى الله عليه وسلم-: {اتُّنُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}، هذا قول أبي جهل للنبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ابعث لنا رجلين أو ثلاثة إن كنت من الصادقين بأن البعث حق"<sup>(٧)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: ما كان لهم حجة ولا متمسك إلا هذا القول الباطل الذي ليس من الحجة في شيء، وإنما سماه حجة تهكما بهم"<sup>(٨)</sup>.

قال السعدي: "وهذا جراءة منهم على الله، حيث اقترحوا هذا الاقتراح وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآبائهم، وأنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا، وهم كذبة فيما قالوا وإنما قصدهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق"<sup>(٩)</sup>.

قال الزمخشري: "فإن قلت: لم سمى قولهم حجة وليس بحجة؟ قلت: لأنهم أدلوا به كما يدل الماحتج بحجته وساقوه مساقها، فسميت حجة على سبيل التهكم. أو لأنه في حسابهم وتقديرهم حجة. أو لأنه في أسلوب قوله"<sup>(١٠)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٠/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٤٣): ص ٢٩٨٣/٩، في تفسير قوله تعالى: {تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص: ٤٥]، وانظر: (١٠٥٧٧): ص ١٩٨٥/٦. في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس: ٩٢].

(٥) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٧.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٠/٣.

(٨) فتح القدير: ١١/٥.

(٩) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(١٠) عجز بيت، وصدرة: «وخيل قد دلفت لها بخيل»، البيت لعمر بن معد يكرب الزبيدي، في شعره: ١٤٩، وقد ورد منسوباً له في:

"كتاب سيبويه" ٥٠/٣، و"النوادر" لأبي زيد ١٥٠، و"العمدة" لابن رشيق ١٠٥٦/٢، و"الممتع في صنعة الشعر" ١٥٩. وأوردته المصادر التالية غير منسوب: "كتاب سيبويه" ٢/٢٣٢، و"المقتضب" ٢/٢٠، ٤/٤١٣، و"الخصائص" ١/٣٦٨، و"مفردات ألفاظ القرآن" ١٢٦، ٨٣٥، و"المحرر الوجيز" ٣/٣٧٥، و"شرح المفصل" ٢/٨٠، و"التصريح" ١/٣٥٣، و"خزانة الأدب" ٩/٢٥٧، ٢٦٣؛ حيث ذكر نسبته للشاعر ولم يجزم بذلك.

تحية بينهم ضرب وجيع  
كأنه قيل: ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة. والمراد: نفي أن تكون لهم حجة البتة<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ  
[الجمانية: ٢٦]}

### التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: الله سبحانه وتعالى يحييكم في الدنيا ما شاء لكم الحياة، ثم يميتكم فيها، ثم يجمعكم جميعاً أحياء إلى يوم القيامة لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على إماتتهم، ثم بعثهم يوم القيامة.

قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} [الجمانية: ٢٦]، أي: "قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: الله سبحانه وتعالى يحييكم في الدنيا ما شاء لكم الحياة، ثم يميتكم فيها"<sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل: "قال الله- تعالى- قل لهم يا محمد {اللَّهُ يُحْيِيكُمْ} حين كانوا نطفة {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} عند أجالكم"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ، أي: كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود، {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} [البقرة: ٢٨] أي: الذي قدر على البداء قادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى.. {وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: ٢٧]"<sup>(٤)</sup>.

قال الشوكاني: "أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم فقال: {قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ} في الدنيا {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} عند انقضاء أجالكم"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ} [الجمانية: ٢٦]، أي: "ثم يجمعكم جميعاً أحياء إلى يوم القيامة لا شك فيه"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: إنما يجمعكم ليوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقولوا: {انثوا بآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ} [التغابن: ٩]، {لَأَيُّ يَوْمٍ أَجَلْتُمْ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [المرسلات: ١٢، ١٣]، {وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ} [هود: ١٠٤] وقال هاهنا: {ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ}، أي: لا شك فيه"<sup>(٧)</sup>.

قال الشوكاني: "ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} بالبعث والنشور، {لَا رَيْبَ فِيهِ}، أي: في جمعكم، لأن من قدر على ابتداء الخلق قدر على إعادته"<sup>(٨)</sup>.

عن قتادة: "لا ريب فيه" [البقرة: ٢]، يقول: «لا شك فيه»<sup>(٩)</sup>. وروى عن مجاهد، والسدي، عطاء والربيع بن انس، مثل ذلك<sup>(١٠)</sup>.

أراد الشاعر ب (الخيال) الأولى: خيل الأعداء، وبالثنائية: خيله. والخيال -هنا-، يعني بها: الفُرسان. و (دَلَفْتُ): دَنَوْتُ وَرَخَفْتُ؛ يقال: دَلَفَ الشَّيْخُ: إِذَا مَشَى مَسْبِيًا لَيْبًا. انظر: "خزانة الأدب" ٩/ ٢٦٤.

(١) الكشاف: ٢٩١/٤-٢٩٢.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤١/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٧.

(٥) فتح القدير: ١١/٥.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٧.

(٨) فتح القدير: ١١/٥.

(٩) تفسير عبدالرزاق(١٦):ص٢٥٩/١، والطبري(٢٥٧):ص٢٨٩/١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٨/١-٢٨٩.



قال الزمخشري: "لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل، وحسبوا أنّ ما قالوه قول مبكت. ألزموا ما هو مقرّون به: من أنّ الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم، وضم إلى إلزام ذلك إلزام ما هو واجب الإقرار به إن أنصفوا وأصغوا إلى داعي الحق، وهو جمعهم إلى يوم القيامة، ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الإتيان بأبائهم، وكان أهون شيء عليه"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الجاثية: ٢٦]، أي: "ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على إماتتهم، ثم بعثهم يوم القيامة"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: فلماذا ينكرون المعاد، ويستبعدون قيام الأجساد"<sup>(٣)</sup>. قال الشوكاني: "ولكن أكثر الناس لا يعلمون" بذلك، فلماذا حصل معهم الشك في البعث، وجاءوا في دفعه بما هو أوهن من بيت العنكبوت، ولو نظروا حق النظر لحصلوا على العلم اليقين، واندفع عنهم الريب، وأراحوا أنفسهم من ورطة الشك والحيرة"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "وإلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم، لعملوا له أعمالا وتهيئوا له"<sup>(٥)</sup>.

فوائد الآيات: [٢٤-٢٦]:

- ١- تقرير البعث والجزاء.
- ٢- الرد على الدهريين وهم الذين ينسبون الحياة والموت للدهر وينفون وجود الخالق عز وجل.
- ٣- بيان أن الكفار لا دليل لهم عقلي ولا نقلي على صحة الكفر عقيدة كان أو عملا.
- ٤- عدم إحياء الله تعالى للمطالبين بحياة من مات حتى يؤمنوا لم يكن عن عجز بل لأنه يتنافى مع الحكمة التي دار عليها الكون كله.
- ٥- بيان أن أكثر الناس لا يعلمون وذلك لأنهم كذبوا بالوحي الإلهي في الكتاب والسنة.
- ٦- بيان أنه لا علم صحيح إلا من طريق الوحي الإلهي.

## القرآن

{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُ بِهَا الْكَافِرُونَ} [الأنعام: ٢٧] {الجاثية

: ٢٧:

التفسير:

ولله سبحانه سلطان السموات السبع والأرض خلقا ومُلْكًا وعبودية. ويوم تجيء الساعة التي يبعث فيها الموتى من قبورهم ويحاسبون، يخسر الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسوله من الآيات البينات والدلائل الواضحات.

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الجاثية: ٢٧]، أي: "ولله سبحانه سلطان السموات السبع والأرض خلقا ومُلْكًا وعبودية"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولله سبحانه سلطان السموات السبع والأرض، دون ما تدعون له شريكا، وتعبدونه من دونه، والذي تدعون من دونه من الآلهة والأنداد في ملكه وسلطانه، جار عليه حكمه، فكيف يكون ما كان كذلك له شريكا، أم كيف تعبّدونه، وتتركون عبادة مالكم، ومالك ما تعبّدونه من دونه"<sup>(٧)</sup>.

(١) الكشاف: ٢٩٢/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٧.

(٤) فتح القدير: ١١/٥.

(٥) تفسير السعدي: ٧٧٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٧) تفسير الطبري: ٨١/٢٢.

قال ابن كثير: " يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، الحاكم فيهما في الدنيا والآخرة"<sup>(١)</sup>.

قال ابن عاشور: " اعتراض تذييل لقوله: {قل الله يحييكم ثم يميتكم} [الجاثية: ٢٦]، أي: الله لا لغيره ملك السموات والأرض، أي فهو المتصرف في أحوال ما حوته السموات والأرض من إحياء وإماتة، وغير ذلك بما أوجد من أصولها وما قدر من أسبابها ووسائلها فليس للدهر تصرف ولا لما سوى الله تعالى. وتقديم المجرور على المسند إليه لإفادة التخصيص لرد معتقدتهم من خروج تصرف غيره في بعض ما في السموات والأرض كقولهم في الدهر"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ} [الجاثية: ٢٧]، أي: "ويوم تجيء الساعة التي يبعث فيها الموتى من قبورهم ويحاسنون، يخسر الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسوله من الآيات البينات والدلائل الواضحات"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: " ويوم تجيء الساعة التي يُنْشِرُ اللهُ فيها الموتى من قبورهم، ويجمعهم لموقف العرض، يغيب فيها الذين أبطلوا في الدنيا في أقوالهم ودعواهم الله شريكاً، وعبادتهم آلهة دونه بأن يفوز بمنزلهم من الجنة المحقون، ويبدلوا بها منازل من النار كانت للمحقين. فجعلت لهم بمنزلهم من الجنة، ذلك هو الخسران المبين"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: " {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ}، أي: يوم القيامة {يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ} وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسوله من الآيات البينات والدلائل الواضحات"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: {المبطلون}، " يعني: المكذبين بالبعث"<sup>(٦)</sup>.

قال السمعاني: " أي: يهلك الكافرون"<sup>(٧)</sup>.

قال القرطبي: " المعنى: يخسرون منازلهم في الجنة"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن عاشور: " المبطلون: الآتون بالباطل في معتقداتهم وأقوالهم وأعمالهم إذ الباطل ما ضاد الحق. والمقصود منه ابتداء هنا هو الشرك بالله فإنه أعظم الباطل ثم تجيء درجات الباطل متنازلة وما من درجة منها إلا وهي خسارة على فاعلها بقدر فعلته وقد أندر الله الناس وهو العليم بمقادير تلك الخسارة"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن أبي حاتم: "قدم سفيان الثوري المدينة، فسمع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس. فقال له: يا شيخ، أما علمت أن الله يوماً يخسر فيه المبطلون؟ قال: فما زالت تعرف في المعافري حتى لحق بالله، عز وجل"<sup>(١٠)</sup>.

## القرآن

{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)} [الجاثية

: ٢٨]

التفسير:

وترى -أيها الرسول- يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثمين على رُكبتهم، كل أمة تُدعى إلى كتاب أعمالها، ويقال لهم: اليوم تُجزون ما كنتم تعملون من خير أو شر.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٧.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٦٦/٢٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٤) تفسير الطبري: ٨١/٢٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٧.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤١/٣.

(٧) تفسير السمعاني: ١٤٤/٥.

(٨) تفسير القرطبي: ١٧٤/١٦.

(٩) التحرير والتنوير: ٣٦٦/٢٥.

(١٠) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٧.

قوله تعالى: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً} [الجاثية: ٢٨]، أي: "وترى -أيها الرسول- يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثمين على ركبهم"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وترى يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثية: يقول: مجتمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم"<sup>(٢)</sup>.

وفي «الجاثية» خمسة وجوه من التفسير: أحدها: مستوفزة، قاله مجاهد<sup>(٣)</sup>، وسفيان<sup>(٤)</sup>.

قال مجاهد: "على الركب مستوفزين"<sup>(٥)</sup>.

وقال مجاهد -في رواية ابن أبي نجيح-: "الأمة -ههنا- الواحد"<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن زيد: "هذا يوم القيامة جاثية على ركبهم"<sup>(٧)</sup>.

وقال الضحاك: "يقول: على الركب عند الحساب"<sup>(٨)</sup>.

قال سفيان بن أبي عيينة: "ولا يكون المستوفز إلا على ركبتيه وأطراف أصابعه"<sup>(٩)</sup>.

قال أبو عبيدة: " {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً} على الركب، قال الكميت<sup>(١٠)</sup>: هم تركوا سراتكم جثيًا... ومن بعد السراة مغربلينا"<sup>(١١)</sup>.

وقال السدي: "قيامًا"<sup>(١٢)</sup>. قال الواحدي: "أراد قياما على الركب وذلك لضيق المكان لا يمكنهم أن يجلسوا ولا أن يقوموا أيضا"<sup>(١٣)</sup>.

الثاني: متميزة على ناحيتها، قاله عكرمة<sup>(١٤)</sup>.

روي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعا في حديث الصورة: " فيتميز الناس ويجثون، وهي التي يقول الله: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا}"<sup>(١٥)</sup>.

قال ابن كثير: " وهذا فيه جمع بين القولين: ولا منافاة، والله أعلم"<sup>(١٦)</sup>.

الثالث: مجتمعة للحساب. قاله ابن عباس<sup>(١٧)</sup>، والفراء<sup>(١٨)</sup>.

وقال الفراء: " يريد: كل أهل دين مجتمعة للحساب"<sup>(١٩)</sup>.

قال النحاس: " قد يقال لما اجتمع من التراب: جثوة، فأحسب الفراء أخذه من هذا، قال الشاعر<sup>(٢٠)</sup>:

- 
- (١) التفسير الميسر: ٥٠١.
- (٢) تفسير الطبري: ٨٢/٢٢.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢٢.
- (٤) انظر: زاد المسير " ٢٥٣ / ٥ " الجامع لأحكام القرآن " ١١ / ١٣٣ " البحر المحيط " ٦ / ٢٠٨.
- (٥) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٢.
- (٦) معاني القرآن للنحاس: ٤٣١/٦.
- (٧) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٢.
- (٨) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٢.
- (٩) معاني القرآن للنحاس: ٤٣١/٦.
- (١٠) من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن: ٢١٠/٢.
- (١١) مجاز القرآن: ٢١٠/٢.
- (١٢) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٢٨٧/١٤. بدون سند.
- (١٣) التفسير البسيط للواحدي: ٢٨٧/١٤.
- (١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٦٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٧١/٧.
- (١٥) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٤.
- (١٦) تفسير ابن كثير: ٢٧١/٧.
- (١٧) انظر: النكت والعيون: ٢٦٧/٥.
- (١٨) انظر: معاني القرآن: ٤٨/٣.
- (١٩) معاني القرآن: ٤٨/٣.
- (٢٠) هذا بيت لطرفة بن العبد من قصيدة قالها يصف قبري أخوين غني وفقير. انظر: "شرح القصائد العشر" للتبريزي ١٠٨، "تهذيب اللغة" (ج١) / ١ / ٥٣٨، "لسان العرب" (ج١) / ١ / ٥٤٦، "شرح المعلمات السبع" للزوربي ص ٩٠.

تَرَى جُثُوَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا ... صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدٍ" (١).  
وروي عن قتادة، والكلبي، في قوله تعالى: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً}، قالوا: هاهنا جثوة  
وهاهنا جثوة" (٢).

الرابع : خاضعة بلغة قريش ، قاله مؤرج السدوسي (٣).  
الخامس : باركة على الركب ، قاله الحسن (٤)، وابن قتيبة (٥).

قال ابن قتيبة: " باركة على الرُّكْب. يراد: أنها غير مطمئنة" (١).  
وقال سهل بن عبدالله: " على ركبها تجادل عن نفسها عند المرافقة الصادق يجتهد في  
تحقيق صدقه، والجاحد يجتهد في الدفع عن نفسه، وكلُّ محكوم عليه في الذي أملاه، مدده ريقه،  
وقلمه لسانه، وقرطاسه جوارحه" (٧).

قال الزجاج: " معنى {جَائِيَةً}: جالسة على الركب، يقال: قد جثا فلان يجثو إذا جلس على  
ركبته، ومثله: جذا يجذو. والجذو أشد استيفازاً من الجثو، لأن الجذو: أن يجلس صاحبه على  
أطراف أصابعه" (٨).

قال النحاس: " القول الأول أعرف وأشهر" (٩).  
قال ابن كثير: " والأول أولى" (١٠).  
قال السمعاني: " القول الأول هو المختار المعروف، ومنه: جثا فلان بين يدي القاضي  
ينتظر قضاءه" (١١).

وقرى «جاذية»، أي: جالسة على أطراف الأصابع لاستيفازهم (١٢).  
وفي الجثة قولان :

أحدهما : أنه للكفار خاصة ، قاله يحيى بن سلام (١٣).  
الثاني : أنه عام للمؤمن والكافر انتظاراً للحساب. حكاها الماوردي (١٤).  
وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن عبد الله بن باباه أن النبي -صلى الله عليه  
وسلم- قال : "كأني أراكم بالكوم جاثين دون جهنم" (١٥).

قال ابن عباس: " يريد نجثوا على ركبنا ننتظر القضاء" (١٦).  
قال سلمان الفارسي: "في القيامة ساعة هي عشر سنين يكون الناس فيها جثاة على  
ركبهم حتى إبراهيم -عليه السلام- لينادي: «لا أسألك اليوم إلا نفسي» (١٧).

قال ابن كثير: " :{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً}، أي : على ركبها من الشدة والعظمة، ويقال :  
إن هذا يكون إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه، حتى إبراهيم الخليل،

- (١) معاني القرآن: ٤٣١/٦.
- (٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٣٤): ص ١٩١/٣.
- (٣) انظر: النكت والعيون: ٢٦٧/٥، وتفسير القرطبي: ١٧٤/١٦، والبحر المحيط في التفسير: ٤٢٥/٩.
- (٤) انظر: النكت والعيون: ٢٦٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٧١/٧.
- (٥) انظر: غريب القرآن: ٤٠٥.
- (٦) غريب القرآن: ٤٠٥.
- (٧) تفسير التستري: ١٤٣.
- (٨) معاني القرآن: ٤٣٥/٤.
- (٩) معاني القرآن: ٤٣٢/٦.
- (١٠) تفسير ابن كثير: ٢٧١/٧.
- (١١) تفسير السمعاني: ١٤٤/٥.
- (١٢) انظر: تفسير البيضاوي: ١٠٩/٥.
- (١٣) حكاها عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٦٧/٥، والقرطبي في التفسير: ١٧٤/١٦.
- (١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٦٧/٥.
- (١٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٣٧): ص ١٩٣/٣، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٧١/٧،  
ورواه أبو نعيم في زوائد زهد ابن المبارك برقم (٣٦٠) وأبو نعيم في الحلية (٢٩٩/٧).
- (١٦) حكاها عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٥١/٢٠. بدون سند.
- (١٧) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٦٦/٨.

ويقول : نفسي، نفسي، نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، وحتى أن عيسى ليقول : لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسألك اليوم مريم التي ولدتني" (١).  
قوله تعالى: {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا} [الجاثية: ٢٨]، أي: "كل أمة تُدعى إلى كتاب أعمالها" (٢).

وفي قوله تعالى: {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا} [الجاثية: ٢٨]، أربعة وجوه من التفسير: أحدها : إلى حسابها، وهو من قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ} [الحاقة : ١٩] {وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ} [الحاقة : ٢٥]. قاله يحيى بن سلام (٣)، والفراء (٤)، وابن قتيبة (٥).  
الثاني : إلى كتابها الذي كان يستنسخ لها فيه ما عملت من خير وشر، قاله الكلبي (٦)، وبه قال الطبري (٧)، والنحاس (٨).

قال النحاس: أي: "ما كتبت الملائكة عليها، وهذا أولى لأن بعده ما يدل عليه" (٩).  
قال الطبري: "يقول: كل أهل ملة ودين تُدعى إلى كتابها الذي أملت على حفظتها" (١٠).  
الثالث : أنه تقسيم النور على المؤمنين يوم القيامة ممن رزقهم الله نورا.  
عن مجاهد-: " {تدعى إلى كتابها} يا فلان بن فلان، من بني فلان تعال إلى نورك، يا فلان بن فلان من بني فلان لا نور لك" (١١).

الرابع: إلى كتابها الذي أنزل على رسولها ، حكاها الجاحظ (١٢)، والنحاس (١٣).  
قال السعدي: "أي: إلى شريعة نبيهم الذي جاءهم من عند الله، وهل قاموا بها فيحصل لهم الثواب والنجاة؟ أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟ فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى وأمة عيسى كذلك وأمة محمد كذلك، وهكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به، هذا أحد الاحتمالات في الآية وهو معنى صحيح في نفسه غير مشكوك فيه" (١٤).  
قال النحاس: "القول الأول أعرف وأشهر" (١٥).

قال قتادة: "يعلمون أنه ستدعى أمة قبل أمة، وقوم قبل قوم، ورجل قبل رجل. ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "يمثل لكل أمة يوم القيامة ما كانت تعبد من حجر، أو وثن أو خشبة، أو دابة، ثم يقال: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فتكون، أو تجعل تلك الأوثان قادة إلى النار حتى تقذفهم فيها، فتبقى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب، فيقول لليهود: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد الله وعزيرا إلا قليلا منهم، فيقال لها: أما عزير فليس منكم ولستم منه، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا، ثم يدعى بالنصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد الله والمسيح إلا قليلا منهم فيقال: أما عيسى فليس منكم ولستم منه، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا، وتبقى أمة محمد صلى الله

(١) تفسير ابن كثير: ٢٧١/٧.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٦٧/٥.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٤٨/٣.

(٥) انظر: غريب القرآن: ٤٠٥.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢٢.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٤٣٢/٦.

(٩) معاني القرآن: ٤٣٢/٦.

(١٠) تفسير الطبري: ٨٢/٢٢.

(١١) أخرجه إسحاق البستي ص ٣٣٩.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٥.

(١٣) انظر: معاني القرآن: ٤٣٢/٦.

(١٤) تفسير السعدي: ٧٧٨.

(١٥) معاني القرآن: ٤٣٢/٦.

عليه وسلم، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد الله وحده، وإنما فارقنا هؤلاء في الدنيا مخافة يومنا هذا، فيؤذن للمؤمنين في السجود، فيسجد المؤمنون، وبين كل مؤمن منافق، فيقسو ظهر المنافق عن السجود، ويجعل الله سجود المؤمنين عليه توبيخاً وصغاراً وحسرة وندامة<sup>(١)</sup>.  
 عن أبي هريرة، قال: "قال الناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: "هل تضامون في الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا يا رسول الله، قال: "هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟" قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم ربهم في صورة، ويضرب جسر على جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فأكون أول من يجيز، ودعوة الرسل يومئذ: اللهم سلم، اللهم سلم وبها كلاليب كشوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم أحد قدر عظمها إلا الله ويخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو"، ثم ذكر الحديث بطوله<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {الْيَوْمَ نُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٨]، أي: "ويقال لهم: اليوم تجزون ما كنتم تعملون من خير أو شر"<sup>(٣)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "كل أمة تدعى إلى كتابها، يقال لها: اليوم تجزون: أي تثابون وتعطون أجور ما كنتم في الدنيا من جزاء الأعمال تعملون بالإحسان والإساءة، وبالإساءة جزاءها"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

{هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (٢٩) [الجاثية: ٢٩]

### التفسير:

هذا كتابنا ينطق عليكم بجميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص، إننا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم.

قوله تعالى: {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ} [الجاثية: ٢٩]، أي: "هذا كتابنا ينطق عليكم بجميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص"<sup>(٥)</sup>.

قال البغوي: "هذا كتابنا يعني ديوان الحفظة، {ينطق عليكم بالحق} يشهد عليكم ببيان شاف، فكأنه ينطق، وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عباس: "هو أم الكتاب فيه أعمال بني آدم"<sup>(٧)</sup>.  
 قال ابن قتيبة: "يريد: أنهم يقرءونه فيدلهم ويذكرهم؛ فكأنه ينطق عليهم"<sup>(٨)</sup>.  
 قال البيضاوي: "أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأنه أمر الكتابة أن يكتبوا فيها أعمالهم"<sup>(٩)</sup>.

وروي عن ابن عباس: "هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق"، قال: الكتاب: الذكر"<sup>(١٠)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٨٣-٨٢/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٢.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٤) تفسير الطبري: ٨٣/٢٢.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٦) تفسير البوغي: ٢٤٧/٧.

(٧) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٢.

(٨) غريب القرآن: ٤٠٥.

(٩) تفسير البيضاوي: ١٠٩/٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٢.

قال السعدي: "أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل" (١).  
قوله تعالى: {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩]، أي: "إنا كنا نأمر الحفظة أن  
تكتب أعمالكم عليكم" (٢).

قال الطبري: "يقول: إنا كنا نستكتب حفظتنا أعمالكم، فنثبتها في الكتب وتكتبها" (٣).

قال البيضاوي: "إنا كنا نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون أعمالكم" (٤).

قال ابن عباس: "نستنسخ الأعمال" (٥).

قال السمين الحلبي: "أي: نأمر الحفظة باستنساخه وكتبه، وذلك الإقامة الحجة عليهم،  
وإلا فالباري تعالى على أفعالهم قبل أن يخلقهم، وقبل أن تصدر منهم. والمناسخة، أن يموت  
مورث، ثم يموت بعض ورثته قبل أن تقسم تركة الأول. والتناسخية: قوم يزعمون أن لا بعث  
ولا نشور، بناءً على مذهبهم الفاسد، وأن هذه الأرواح إذا خرجت من جسد حلت في جسد آخر،  
بحسب خيريته وشريته؛ فإن كان خيراً حلت في جسد صالح وصورة حسنة، وإلا ففي أقيح  
صورة. فروح زيد أن تحل في مثله، أو كلب أو ذبابة، أو زنبور. وكذا روح الزنبور. ويذكرون  
على ذلك أدلة باطلة، وحججاً داحضة، يموهون بها على ضعفهم، نعوذ بالله مما خالف ما جاءت  
به أصحاب الشرائع صلوات الله وسلامه عليهم" (٦).

وفي قوله تعالى: {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الجاثية: ٢٩]، ثلاثة وجوه من

التفسير:

أحدها: أي: إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم. وهو معنى قول علي -رضي الله  
عنه- (٧)، ومن زعم أنه كتاب الأعمال.

قال علي -رضي الله عنه-: "إن الله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال

بني آدم" (٨).

الثاني: أنه الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدوّن عندها من أحوال العباد، قاله ابن عباس (٩)،  
ومقاتل (١٠)، ومن زعم أن الكتاب هو اللوح المحفوظ.

عن مقسم، عن ابن عباس، قال: "نستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم، فإنما

يعمل الإنسان على ما استنسخ له الملك من أم الكتاب" (١١).

قال ابن عباس: "إن الله خلق النون وهي الدواة، وخلق القلم، فقال: اكتب، قال: ما أكتب،

قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول، بر أو فجور، أو رزق مقسوم، حلال أو  
حرام، ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا، ومقامه فيها كم، وخروجه منه كيف، ثم  
جعل على العباد حفظة، وعلى الكتاب خزاناء، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك  
اليوم، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر، وانقضى الأجل، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك  
اليوم، فنقول لهم الخزنة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً، فترجع الحفظة، فيجدونهم قد ماتوا، قال:  
فقال ابن عباس: أستم قوما عرباً؟ تسمعون الحفظة يقولون: {إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون}،  
وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل" (١٢). وفي رواية: "هل تكون النسخة إلا من كتاب؟" (١٣).

(١) تفسير السعدي: ٧٧٨.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٣) تفسير الطبري: ٨٤/٢٢.

(٤) تفسير البيضاوي: ١٠٩/٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٢.

(٦) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الالفاظ: ١٧٠/٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٨٥/٢٢.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/٢٢.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤١/٣.

(١١) تفسير مجاهد: ٦٠٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٢.

وعن ابن عباس، في قوله: {إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون}، قال: "الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم"<sup>(١)</sup>.

الثالث: نستنسخ ما كتب عليكم الملائكة الحفظة، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>، لأن الحفظة ترفع إلى الخزنة صحائف الأعمال<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الجوزي: "وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ، من اللوح المحفوظ، نَسْنَسُخُ الملائكة كلَّ عام ما يكون من أعمال بني آدم، فيجدون ذلك موافقاً ما يعملونه. قالوا: والاستنساخ لا يكون إلا من أصل"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: "الاستنساخ: لا يكون إلا من أصل، وهو أن يستنسخ كتاباً من كتاب، فنستنسخ ما يكتب الحفظة ويثبت عند الله - عزَّ وجلَّ -"<sup>(٦)</sup>.

قال الفراء: "الاستنساخ: أن الملكين يرفعان عمل الرجل صغيره وكبيره، فيثبت الله من عمله ما كان له ثواب أو عقاب، وي طرح منه اللغو الذي لا ثواب فيه ولا عقاب، كقولك: هلم، وتعال، واذهب، فذلك الاستنساخ"<sup>(٧)</sup>.

قال أبو عبيدة: "إِنَّا كُنَّا نَسْنَسُخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"، أي: نثبت"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن قتيبة: {نَسْنَسُخُ}، "أي: نكتب"<sup>(٩)</sup>.

عن مجاهد: "نَسْنَسُخُ": نكتب"<sup>(١٠)</sup>. وروي عن السدي، مثله<sup>(١١)</sup>.

قال الضحاك: "نثبت"<sup>(١٢)</sup>.

قال الحسن: "نحفظ"<sup>(١٣)</sup>.

## القرآن

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠)}

### [الجائية: ٣٠]

#### التفسير:

فأما الذين آمنوا بالله ورسوله في الدنيا، وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فيدخلهم ربهم في جنته برحمته، ذلك الدخول هو الفوز المبين الذي لا فوز بعده.

قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ} [الجائية: ٣٠]، أي: "فأما الذين آمنوا بالله ورسوله في الدنيا، وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه، فيدخلهم ربهم في جنته برحمته"<sup>(١٤)</sup>.

قال الشوكاني: "وهذا تفصيل لحال الفريقين، فالمؤمنون يدخلهم الله برحمته الجنة"<sup>(١٥)</sup>.

(١) حكاه يحيى بن سلام في التفسير: ٤٠٧/١.

(٢) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٢.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٥.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٦٨/٥.

(٥) زاد المسير: ١٠١-١٠٠/٤.

(٦) معاني القرآن: ٤٣٥/٤.

(٧) معاني القرآن: ٤٩-٤٨/٣.

(٨) مجاز القرآن: ٢١١/٢.

(٩) غريب القرآن: ٤٠٦.

(١٠) أخرجه عبد بن حميد - كما في عمدة القاري ١٩ / ١٦٦ - . وعلقه البخاري في صحيحه ٤ / ١٨٢٥ . وقال ابن حجر في فتح الباري ٨ / ٥٧٤ : «وقد أخرج ابن أبي حاتم معناه عن مجاهد» .

(١١) تفسير الثعلبي: ٤٩/٢٤ . ط. دار التفسير، وتفسير البغوي ٧ / ٢٤٧ .

(١٢) تفسير الثعلبي: ٤٩/٢٤ . ط. دار التفسير.

(١٣) تفسير الثعلبي: ٤٩/٢٤ . ط. دار التفسير. وتفسير البغوي ٧ / ٢٤٧ . وينظر: عمدة القاري ١٩ / ١٦٦ .

(١٤) التفسير الميسر: ٥٠١ .

(١٥) فتح القدير: ١٣/٥ .



قال الطبري: يقول: " فأما الذين آمنوا بالله في الدنيا فوحدوه، ولم يشركوا به شيئاً، وعملوا الصالحات: يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه {فِيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ} في جنته برحمته" (١).

قال السعدي: أي: " إيماننا صحيحاً وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة من واجبات ومستحبات {فِيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ} التي محلها الجنة وما فيها من النعيم المقيم والعيش السليم" (٢).

عن السُّدِّيِّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم" (٣).

عن عطاء: " {يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ}، يعني: من صدق نبيه أدخله جنته" (٤).  
قوله تعالى: {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ} [الجاثية: ٣٠]، أي: " ذلك الدخول هو الفوز المبين الذي لا فوز بعده" (٥).

قال الطبري: " يقول: دخولهم في رحمة الله يومئذ هو الظفر بما كانوا يطلبونه، وإدراك ما كانوا يسعون في الدنيا له، المبين غايتهم فيها، أنه هو الفوز" (٦).

قال الشوكاني: " {ذلك} الإدخال في رحمته هو {الفوز} الظاهر الواضح" (٧).  
قال السعدي: " أي: المفاز والنجاة والربح والفلاح الواضح البين الذي إذا حصل للعبد حصل له كل خير واندفع عنه كل شر" (٨).

## القرآن

{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١)} [الجاثية: ٣١]:

### التفسير:

وأما الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذبوا رسله ولم يعملوا بشرعه، فيقال لهم -تقريباً وتوبيخاً-: أفلم تكن آياتي في الدنيا تتلى عليكم، فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها، وكنتم قوماً مشركين تكسبون المعاصي ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب؟

قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ} [الجاثية: ٣١]، أي: " وأما الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذبوا رسله ولم يعملوا بشرعه، فيقال لهم -تقريباً وتوبيخاً-: أفلم تكن آياتي في الدنيا تتلى عليكم" (٩).

قال الطبري: يقول: " وأما الذين جحدوا وحدانية الله، وأبوا إفراده في الدنيا بالألوهة، فيقال لهم: ألم تكن آياتي في الدنيا تتلى عليكم؟" (١٠).

قال السعدي: " {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} بالله فيقال لهم توبيخاً وتقريباً: {أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ} وقد دلتكم على ما فيه صلاحكم ونهتكم عما فيه ضرركم وهي أكبر نعمة وصلت إليكم لو وفقتم لها" (١١).

(١) تفسير الطبري: ٨٥/٢٢.

(٢) تفسير السعدي: ٧٧٨.

(٣) علقه يحيى بن سلام ٦١٨/٢.

(٤) التفسير البسيط، و"التفسير الوسيط" ٤/٤٠٦ للواحدي: ٦٥-٦٦.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠١.

(٦) تفسير الطبري: ٨٥/٢٢.

(٧) فتح القدير: ١٣/٥.

(٨) تفسير السعدي: ٧٧٨.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠١.

(١٠) تفسير الطبري: ٨٥/٢٢-٨٦.

(١١) تفسير السعدي: ٧٧٨.

قال الماتريدي: "وأما الذين كفروا في الدنيا فيقال لهم في الآخرة إذا طلبوا الرجوع والإقالة أو التخفيف ونحو ذلك: {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ} في الدنيا، ثم يحتمل: آياته: آيات وحدانيته وألوهيته، أو آيات قدرته وسلطانه على التعذيب، أو آيات قدرته على البعث أو آيات رسالته"<sup>(١)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: فيقال لهم ذلك، وهو استفهام توبيخ، لأن الرسل قد أتتهم وتلت عليهم آيات الله، فكذبوها ولم يعملوا بها"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {فَاسْتَكْبَرْتُمْ} [الجاثية: ٣١]، أي: "فاستكبرتم عن استماعها والإيمان بها"<sup>(٣)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: تكبرتم عن قبولها وعن الإيمان بها"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "ولكن استكبرتم عنها وأعرضتم وكفرتم بها"<sup>(٥)</sup>.

قال الماتريدي: "لا أحد يقصد قصد الاستكبار على آيات الله، لكنهم لما كذبوها وردوا آياته ولم يعملوا بها، فكأنهم استكبروا عليها، وهو كما قال: {لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ}، ولا أحد يقصد قصد عبادة الشيطان، لكنهم لما عبدوا الأصنام بأمر الشيطان فكأنهم عبدوه، ويحتمل أن يكونوا استكبروا على رسله؛ فيكون استكبارهم على رسله كأنهم استكبروا على آياته"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ} [الجاثية: ٣١]، أي: "وكنتم قوماً مشركين تكسبون المعاصي ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب؟"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن عباس: "منكرين كافرين"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وكنتم قوما تكسبون الآثام والكفر بالله، ولا تصدقون بمعاد، ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب"<sup>(٩)</sup>.

قال الشوكاني: أي: "وكنتم من أهل الإجرام، وهي الآثام، والاجترام: الاكتساب، يقال: فلان جريمة أهله إذا كان كاسبهم، فالمجرم: من كسب الآثام بفعل المعاصي"<sup>(١٠)</sup>.

قال السعدي: "فجنيتكم أكبر جناية وأجرمتم أشد الجرم"<sup>(١١)</sup>.

قال البغوي: أي: "منكبرين كافرين"<sup>(١٢)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: مذنبين مشركين"<sup>(١٣)</sup>.

قال الماتريدي: "قيل: المجرم هو الوثأب في المعصية"<sup>(١٤)</sup>.

## القرآن

{وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا فَلْتُمَّ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةَ إِنَّ نَظْنَٰنُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ (٣٢)} [الجاثية: ٣٢]

التفسير:

- (١) تأويلات أهل السنة: ٢٣٣/٩.
- (٢) فتح القدير: ١٣/٥.
- (٣) تفسير الطبري: ٨٦-٨٥/٢٢.
- (٤) فتح القدير: ١٣/٥.
- (٥) تفسير السعدي: ٧٧٨.
- (٦) تأويلات أهل السنة: ٢٣٣/٩.
- (٧) التفسير الميسر: ٥٠١.
- (٨) التفسير البسيط للواحد: ١٥٤/٢٠، و ذكر ذلك ابن الجوزي في "زاد المسير" ٣٦٥ /٧.
- (٩) تفسير الطبري: ٨٦/٢٢.
- (١٠) فتح القدير: ١٤/٥.
- (١١) تفسير السعدي: ٧٧٨.
- (١٢) تفسير البغوي: ٢٤٧/٧.
- (١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٢/٣.
- (١٤) تأويلات أهل السنة: ٢٣٣/٩.

وإذا قيل لكم: إن وعد الله ببعث الناس من قبورهم حق، والساعة لا شك فيها، قلتم: ما ندري ما الساعة؟ وما نتوقع وقوعها إلا توهماً، وما نحن بمتحققين أن الساعة آتية.

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا} [الجاثية: ٣٢]، أي: "وإذا قيل لكم: إن وعد الله ببعث الناس من قبورهم حق، والساعة لا شك فيها"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "ويقال لهم حينئذ: {وإذا قيل لكم إن وعد الله الذي وعد عباده، أنه محييهم من بعد مماتهم، وبعثهم من قبورهم {حق والساعة} التي أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم، وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية، آتية لا شك في قيامها، فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله، واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها"<sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل: "قال لهم النبي- صلى الله عليه وسلم-: إن البعث حق {والساعة}، يعني: القيامة {لا ريب فيها}، يعني: لا شك فيها أنها كائنة"<sup>(٣)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: وعده بالبعث والحساب، أو بجميع ما وعد به من الأمور المستقبلية، واقع لا محالة، والساعة أي: القيامة {لا ريب فيها}، أي: في وقوعها"<sup>(٤)</sup>.

عن الأعمش: "في قراءة عبد الله بن مسعود: «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا»"<sup>(٥)</sup>، ينصب "الساعة"، عطفاً بها على قوله: {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}.

قوله تعالى: {قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ} [الجاثية: ٣٢]، أي: "قلتم لعنوكم واستكباركم متعجبين مستغربين، ما الساعة؟ نحن لا علم لنا بها"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: أي: "تكذيباً منكم بوعد الله جل ثناؤه، ورداً لخبره، وإنكاراً لقدرته على إحيائكم من بعد مماتكم"<sup>(٧)</sup>.

قال مقاتل: "قلتم {يا أهل مكة} ما ندري ما الساعة"<sup>(٨)</sup>.

قال الزمخشري: أي: "أي شيء الساعة؟"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا} [الجاثية: ٣٢]، أي: "وما نتوقع وقوعها إلا توهماً"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وقلتم ما نظن أن الساعة آتية إلا ظناً"<sup>(١١)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: ما نظن إلا ظناً على غير يقين"<sup>(١٢)</sup>.

قال الزمخشري: "معناه: إثبات الظن فحسب، فأدخل حرفاً النفي والاستثناء، ليفاد إثبات الظن مع نفي ما سواه"<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَا نَحْنُ بِمُستَيُونِينَ} [الجاثية: ٣٢]، أي: "وما نحن بمتحققين أن الساعة آتية"<sup>(١٤)</sup>.

قال مقاتل: "بالساعة أنها كائنة"<sup>(١٥)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٥٠١.  
(٢) تفسير الطبري: ٨٦/٢٢.  
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٢/٣.  
(٤) فتح القدير: ١٤/٥.  
(٥) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ١/ ٣٣٥، وانظر: تفسير الطبري: ٨٧/٢٢، وهي قراءة شاذة. انظر: مختصر ابن خالويه ص ١٣٩.  
(٦) تفسير المراغي: ١٦٥/٢٥.  
(٧) تفسير الطبري: ٨٦/٢٢.  
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٢/٣.  
(٩) الكشاف: ٢٩٣/٤.  
(١٠) التفسير الميسر: ٥٠١.  
(١١) تفسير الطبري: ٨٦/٢٢.  
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٢/٣.  
(١٣) الكشاف: ٢٩٣/٤.  
(١٤) التفسير الميسر: ٥٠١.  
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٤٢/٣.

قال الطبري: أي: " {وما نحن بمستيقنين} أنها جائية، ولا أنها كائنة" (١).  
قال الشوكاني: " أي: لم يكن لنا يقين بذلك، ولم يكن معنا إلا مجرد الظن أن الساعة آتية" (٢).

فوائد الآيات: [٢٧-٣٢]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض ما يقع يوم القيامة.
- ٢- تقرير عقيدة كتابة أعمال العباد وتقديمها لهم يوم القيامة في كتاب خاص.
- ٣- تقرير أن الإيمان والعمل الصالح سبب الفوز، وأن الشرك والمعاصي سبب الخسران المبين.
- ٤- الظن في العقائد كالكفر بها، والعياذ بالله تعالى.

## القرآن

**{وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣)} [الجاثية: ٣٣]**  
التفسير:

وظهر لهؤلاء الذين كانوا يكذبون بآيات الله ما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، ونزل بهم من عذاب الله جزء ما كانوا به يستهزئون.

قوله تعالى: {وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا} [الجاثية: ٣٣]، أي: "وظهر لهؤلاء الذين كانوا يكذبون بآيات الله ما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة" (٣).

قال الطبري: يقول: "وبدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا في الدنيا من الأعمال، يقول: ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرءوا كتب أعمالهم التي كانت الحفظة تنسخها في الدنيا" (٤).

قال السمعاني: "أي: ظهر لهم سيئات ما عملوا" (٥).

قال ابن كثير: "أي: وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة" (٦).

قال ابن قتيبة: "هو مثل قوله: {وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} [الزمر: ٤٧]؛ يعيرون أنهم عملوا في الدنيا أعمالا كانوا يظنون أنها تنفعهم، فلم تنفعهم مع شركهم" (٧).

قوله تعالى: {وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الجاثية: ٣٣]، أي: "ونزل بهم من عذاب الله جزء ما كانوا به يستهزئون" (٨).

قال الطبري: "يقول: وحاق بهم من عذاب الله حينئذ ما كانوا به يستهزئون إذ قيل لهم: إن الله مُجَلِّئُهُ بَمَنْ كَذَبَ بِهِ عَلَى سَيِّئَاتِ مَا فِي الدُّنْيَا عَمِلُوا مِنَ الْأَعْمَالِ" (٩).

قال القرطبي: "أي: نزل بهم وأحاط {ما كانوا به يستهزئون} من عذاب الله" (١٠).

قال ابن كثير: "أي: أحاط بهم {ما كانوا به يستهزئون}، أي: من العذاب والنكال" (١١).

قال السمعاني: "أي: نزل بهم وأحاط بهم جزء ما كانوا به يستهزئون، وفي التفسير: أنه إذا كان يوم القيامة ينادي واحدا فيقال: يا فلان تعال فخذ نورك، وينادي آخر فيقال: اذهب فلا نور لك" (١٢).

(١) تفسير الطبري: ٨٦/٢٢.

(٢) فتح القدير: ١٤/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٢.

(٤) تفسير الطبري: ٨٧/٢٢.

(٥) تفسير السمعاني: ١٤٦/٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٧٢/٧.

(٧) غريب القرآن: ٤٠٦.

(٨) تفسير الميسر: ٥٠٢.

(٩) تفسير الطبري: ٨٧/٢٢.

(١٠) تفسير القرطبي: ١٧٧/١٦.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٧٢/٧.

(١٢) تفسير السمعاني: ١٤٦/٥.

عن مجاهد: {وَحَاقَ بِهِمْ}، قال: " حل بهم" (١).  
وروي عن السدي: " وقع بهم" (٢).  
وقال الربيع: " نزل" (٣).  
قال الضحاك: {فَحَاقَ}: "أي: أحاط" (٤).

## القرآن

{وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٤)}

[الجاثية: ٣٤]

التفسير:

وقيل لهؤلاء الكفرة: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم الإيمان بربكم والعمل للقاء يومكم هذا، ومسكنكم نار جهنم، وما لكم من ناصرين ينصرونكم من عذاب الله.  
قوله تعالى: {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} [الجاثية: ٣٤]، أي: " وقيل لهؤلاء الكفرة: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم الإيمان بربكم والعمل للقاء يومكم هذا" (٥).

قال الطبري: يقول: " وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم: اليوم نترككم في عذاب جهنم، كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا" (٦).

قال الزجاج: " أي: اليوم نترككم في العذاب، كما تركتم الإيمان والعمل ليومكم" (٧).

قال الواحدي: أي: " نترككم في العذاب كما تركتم الإيمان والعمل ليومكم هذا" (٨).

قال ابن عطية: " معناه: نترككم كما تركتم لقاء يومكم هذا، فلم يقع منكم استعداد له ولا تأهب، فسميت العقوبة في هذه الآية باسم الذنب" (٩).

قال الزمخشري: أي: " نترككم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الطاعة، أو نجعلكم بمنزلة الشيء المنسى غير المبالي به، كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال، كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا" (١٠).

قال السمعاني: " معناه: نترككم من الرحمة وإعطاء الثواب. وقيل معناه: نترككم في العذاب، فلا نخرجكم منها كما نخرج المؤمنين، {كما نسيتم لقاء يومكم هذا} أي: كما تركتم العمل ليومكم هذا" (١١).

قال ابن كثير: " أي : نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم {كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}، أي : فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به" (١٢).

قال النحاس: " أي: تشاغلتم عن يوم القيامة بلذاتكم وأمور دنياكم فوبخهم الله عز وجل على ذلك" (١).

(١) تفسير مجاهد: ٥٨٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧١٥): ص ٢٠٠٧/٦.

(٣) ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٧٥ ب، والواحدي في "الوسيط" ١٣ / ١، و"البسيط": ٣٠/٣، والبغوي في "تفسيره" ١٣٠ / ٣.

(٤) ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٧٥ ب، والواحدي في "الوسيط" ١٣ / ١، و"البسيط": ٣٠/٨، والبغوي في "تفسيره" ١٣٠ / ٣، وأبو حيان في "البحر" ٨٠ / ٤.

(٥) تفسير الميسر: ٥٠٢.

(٦) تفسير الطبري: ٨٧/٢٢.

(٧) معاني القرآن: ٤٣٦/٤.

(٨) الوجيز: ٩٩٢.

(٩) المحرر الوجيز: ٩٠/٥.

(١٠) الكشاف: ٢٩٣/٤.

(١١) تفسير السمعاني: ١٤٦/٥.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٢/٧.

عن ابن عباس، قوله: " {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ}، نترككم" (٢).  
عن الضحاك: " وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا}، قال: كما تركتم ذكرني  
وطاعتي، كذلك أترككم في النار" (٣).

عن قتادة: " {الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ}، قال: اليوم نترككم كما تركتم" (٤).  
عن كعب الأحبار -من طريق مولى جبلة- قال: "إذا كان يوم القيامة يقوم الملائكة  
فيشفعون، ثم يقوم الأنبياء فيشفعون، ثم يقوم الشهداء فيشفعون، ثم يقوم المؤمنون فيشفعون،  
حتى انصرفت الشفاعة كلها، فلم يبق أحد خرجت الرحمة، فتقول: يا رب، أنا الرحمة، فشفعني.  
فيقول: قد شفعتك. فتقول: يا رب، فيمن؟ فيقول: في من ذكرني في مقام واحد، وخافني فيه أو  
رجاني أو دعاني دعوة واحدة خافني أو رجاني؛ فأخرجيه. قال: فيخرجون، فلا يبقى في النار  
أحد يعبا الله به شيئاً، ثم يعظم أهلها بها، ثم يأمر بالنار، فتقبض عليهم، فلا يدخل فيها روح أبداً،  
ولا يخرج منها غم أبداً، {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} (٥).

عن يزيد بن أبي مالك -من طريق سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي- قال: "إن في جهنم  
لأباراً من ألقى فيها تردى سبعين عاماً قبل أن يبلغ القرار. ثم نزع بهذه الآية: ف {الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ  
كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ} (٦).

عن أبي هريرة، قال: "قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل  
تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة، ليست في سحابة؟» قالوا: لا، قال: «فهل تضارون في  
رؤية القمر ليلة البدر، ليس في سحابة؟» قالوا: لا، قال: " فوالذي نفسي بيده لا تضارون في  
رؤية ربكم، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبد، فيقول: أي فل ألم أكرمك،  
وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأدرك تراس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول:  
أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثاني فيقول: أي فل ألم  
أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأدرك تراس، وتربع، فيقول: بلى، أي  
رب فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقي الثالث،  
فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب أمنت بك، وكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت، وتصدقت،  
ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذا، قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في  
نفسه: من ذا الذي يشهد علي؟ فيختم على فيه، ويقال لفضده ولحمه وعظامه: انطقي، فتتطق فضده  
ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه" (٧).

قوله تعالى: {وَمَاوَاكُمُ النَّارُ} [الجناتية: ٤٤]، أي: "ومسكنكم نار جهنم" (٨).

قال الطبري: "يقول: وماواكم التي تأوون إليها نار جهنم" (٩).

قال القرطبي: "أي: مسكنكم ومستقركم" (١٠).

قال ابن عطية: "المأوى: الموضع الذي يسكنه الإنسان ويكون فيه عامة أوقاته أو كلها  
أجمع" (١١).

عن سعيد بن جبير، قال: "ثم بين مستقرهم، فقال: ماواهم جهنم" (١٢).

(١) إعراب القرآن: ١٠٣/٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٨٧/٢٢.

(٣) أخرجه ابن جرير ١٠٨/٢١، وابن المنذر -كما في الفتح ٨/ ٥٧٤ - وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٤) تفسير عبدالرزاق (٢٨٣٨): ص ١٩٣/٣.

(٥) أخرجه الثعلبي ٣٣٠/٧.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار ٦/ ٤١٠ (٤٩).

(٧) صحيح مسلم (٢٩٦٨): ص ٢٢٧٩/٤.

(٨) تفسير الميسر: ٥٠٢.

(٩) تفسير الطبري: ٨٧/٢٢.

(١٠) تفسير القرطبي: ١٧٧/١٦.

(١١) المحرر الوجيز: ٩٠/٥.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٢٤٣): ص ٣٠٤٩/٩.

قوله تعالى: {وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [الجاثية: ٣٤]، أي: "وما لكم من ناصرين ينصرونكم من عذاب الله"<sup>(١)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: وما لكم من مستنقذ ينقذكم اليوم من عذاب الله، ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعذبكم، فيستنقذ لكم منه"<sup>(٢)</sup>.  
 قال مقاتل: "يعنى: ما نعين من النار"<sup>(٣)</sup>.  
 قال السمعاني: "أي: من يمنع عذابنا منكم"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

{ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} (٣٥) [الجاثية: ٣٥]

## التفسير:

هذا الذي حلَّ بكم من عذاب الله؛ بسبب أنكم اتخذتم آيات الله وحججه هزوعًا ولعبًا، وخذعتكم زينة الحياة الدنيا، فالיום لا يخرجون من النار، ولا هم يُردُّون إلى الدنيا؛ ليتوبوا ويعملوا صالحًا.

قوله تعالى: {ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا} [الجاثية: ٣٥]، أي: "هذا الذي حلَّ بكم من عذاب الله؛ بسبب أنكم اتخذتم آيات الله وحججه هزوعًا ولعبًا"<sup>(٥)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "يقال لهم: هذا الذي حلَّ بكم من عذاب الله اليوم {بِأَنَّكُمْ} في الدنيا {اتَّخَذْتُمْ} حجج الله وأدلته وأي كتابه التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم سخرية تسخرون منها"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: يقول: إنما نزل بكم العذاب في الآخرة {بِأَنَّكُمْ اتخذتم آيات الله}، يعني: كلام الله {هزوعًا}، يعني: استهزاء حين قالوا ساحر، وشاعر، وأساطير الأولين"<sup>(٧)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخرية، تسخرون وتستهنئون بها"<sup>(٨)</sup>.  
 قال ابن عطية: "آيات الله}، لفظ جامع لآيات القرآن وللدلة التي نصبها الله تعالى لينظر فيها العباد"<sup>(٩)</sup>.

عن سعيد بن جبير، في قوله: "آيات الله}، يعني: القرآن"<sup>(١٠)</sup>.

عن سعيد بن جبير: "آياتنا}، يعني: القرآن"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [الجاثية: ٣٥]، أي: "وخذعتكم زينة الحياة الدنيا"<sup>(١٢)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: وخذعتكم زينة الحياة الدنيا. فأثرتموها على العمل لما ينجيكم اليوم من عذاب الله"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الميسر: ٥٠٢.

(٢) تفسير الطبري: ٨٧/٢٢.

(٣) تفسير مقاتل بمن سليمان: ٨٤٢/٣.

(٤) تفسير السمعاني: ١٤٦/٥.

(٥) تفسير الميسر: ٥٠٢.

(٦) تفسير الطبري: ٨٨/٢٢.

(٧) تفسير مقاتل بمن سليمان: ٨٤٢/٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٧.

(٩) المحرر الوجيز: ٩٠/٥.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٥٤٤): ص ٤٨١/٢.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٤٣): ص ٢٩٨٣/٩، في تفسير قوله تعالى: {تَتَلَوُا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص: ٤٥]، وانظر: (١٠٥٧٧): ص ١٩٨٥/٦. في تفسير قوله تعالى: {وَكَانَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس: ٩٢].

(١٢) تفسير الميسر: ٥٠٢.

قال ابن كثير: "أي : خدعتكم فاطمأنتم إليها، فأصبحتم من الخاسرين"<sup>(٢)</sup>.  
 عن الربيع بن أنس، قال: "غرهم ما كانوا يفترون"<sup>(٣)</sup>.  
 عن سعيد بن جبير، قال: "الغرة في الحياة الدنيا: أن يغتر بها، وتشغله عن الآخرة؛ أن يمهد لها ويعمل لها، كقول العبد إذا أفضى إلى الآخرة: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر: ٢٤].  
 والغرة بالله: أن يكون العبد في معصية الله، ويتمنى على الله المغفرة"<sup>(٤)</sup>.  
 قوله تعالى: {قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُرَدُّونَ إِلَى الدُّنْيَا} [الجاثية: ٣٥]، أي: "فاليوم لا يُخرجون من النار، ولا هم يُردُّون إلى الدنيا؛ ليتوبوا ويعملوا صالحًا"<sup>(٥)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا} من النار، ولا هم يُردُّون إلى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الإنابة مما عوقبوا عليه"<sup>(٦)</sup>.  
 قال ابن كثير: "{قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا}، أي : من النار {وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}، أي : لا يطلب منهم العتبي، بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب، كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب"<sup>(٧)</sup>.  
 قال الزجاج: "لا يردون ولا يلتمس منهم عمل ولا طاعة"<sup>(٨)</sup>.  
 قال الواحي: "{ولا هم يستعتبون}، أي: لا يُلتَمَس منهم عمل ولا طاعة"<sup>(٩)</sup>.  
 قال الزمخشري: أي: "ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال الفراء: "يقول: لا يراجعون الكلام بعد دخولهم النار"<sup>(١١)</sup>.  
 قال يحيى بن سلام: "لا يردون إلى الدنيا ليعتبا، أي: ليؤمنوا، وذلك أنهم يسألون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا فلا يردون إلى الدنيا"<sup>(١٢)</sup>.  
 قال ابن الجوزي: "لأنه ليس بحين توبة ولا اعتذار"<sup>(١٣)</sup>.

## القرآن

{فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦)} [الجاثية: ٣٦]

### التفسير:

فله سبحانه وتعالى وحده الحمد على نعمه التي لا تحصى على خلقه، رب السموات والأرض وخالقهما ومدبرهما، رب الخلائق أجمعين.  
 قوله تعالى: {فَلِلَّهِ الْحَمْدُ} [الجاثية: ٣٦]، أي: "فله سبحانه وتعالى وحده الحمد على نعمه التي لا تحصى على خلقه"<sup>(١٤)</sup>.  
 قال مقاتل: "يقول: الشكر لله"<sup>(١٥)</sup>.

- 
- (١) تفسير الطبري: ٨٨/٢٢.  
 (٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٧.  
 (٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٤٥١): ص ١٣١٨، و(٨٥٤٢): ص ١٤٩٢/٥.  
 (٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢٨): ص ٣١٧١/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٦/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.  
 (٥) تفسير الميسر: ٥٠٢.  
 (٦) تفسير الطبري: ٨٨/٢٢.  
 (٧) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٧.  
 (٨) معاني القرآن: ٤٣٦/٤.  
 (٩) الوجيز: ٩٩٢.  
 (١٠) الكشاف: ٢٩٣/٤.  
 (١١) معاني القرآن: ٤٩/٣.  
 (١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٧/٢.  
 (١٣) زاد المسير: ١٠١/٤.  
 (١٤) تفسير الميسر: ٥٠٢.  
 (١٥) تفسير مقاتل بمن سليمان: ٨٤٢/٣.



قال الطبري: " يقول تعالى ذكره {قُلِّلْهُ الْحَمْدُ} على نعمه وأياديه عند خلقه، فإياه فاحمدوا أيها الناس، فإن كل ما بكم من نعمة فمنه دون ما تعبدون من دونه من آلهة ووثن، ودون ما تتخذونه من دونه ربا، وتشركون به معه"<sup>(١)</sup>.  
 قال كعب: " «الحمد لله»: ثناء على الله"<sup>(٢)</sup>.  
 قال الضحاك: " «الحمد لله»: رداء الرحمن"<sup>(٣)</sup>.  
 قوله تعالى: {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الجن: ٣٦]، أي: رب السموات والأرض وخالقهما ومدبرهما، رب الخلائق أجمعين"<sup>(٤)</sup>.  
 قال الطبري: " يقول: مالك السموات السبع، ومالك الأرضين السبع ومالك جميع ما فيهن من أصناف الخلق"<sup>(٥)</sup>.  
 قال ابن كثير: " ثم لما ذكر حكمه في المؤمنين والكافرين قال: {قُلِّلْهُ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ}، أي: المالك لهما وما فيهما؛ ولهذا قال: {رَبِّ الْعَالَمِينَ}"<sup>(٦)</sup>.  
 قال الزمخشري: " فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب"<sup>(٧)</sup>.

واختلف أهل العلم في معنى «العالم»، على أقوال:  
 أحدها: أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج<sup>(٨)</sup>، وقتادة<sup>(٩)</sup>، ومجاهد<sup>(١٠)</sup>، وابن عباس في رواية الضحاك عنه<sup>(١١)</sup>.  
 والثاني: أنه الإنس، والجن، وهذا قول ابن عباس في رواية أخرى<sup>(١٢)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(١٣)</sup>، ومجاهد<sup>(١٤)</sup>، وابن جريج<sup>(١٥)</sup>، ومقاتل بن سليمان<sup>(١٦)</sup>.  
 الثالث: أن «العالم»: الدنيا وما فيها. حكاها الماوردي<sup>(١٧)</sup>.  
 الرابع: أهل كل زمان عالم، قاله الحسين بن الفضل<sup>(١٨)</sup>، لقوله تعالى: {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ١٦٥]، أي: من الناس<sup>(١٩)</sup>، وقال العجاج<sup>(٢٠)</sup>:  
 فَخِنْدِفٌ هَامَةٌ هَذَا الْعَالَمِ ... مبارك للأنبياء خاتم  
 وقال جرير بن الخطفي<sup>(٢١)</sup>:

- 
- (١) تفسير الطبري: ٨٨/٢٢.  
 (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٧٤): ص ١٤٧٩/٥.  
 (٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٧٥): ص ١٤٧٩/٥.  
 (٤) تفسير الميسر: ٥٠٢.  
 (٥) تفسير الطبري: ٨٨/٢٢.  
 (٦) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٧.  
 (٧) الكشف: ٢٩٤/٤.  
 (٨) انظر: معاني القرآن: ٤٦/١.  
 (٩) حكاها عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.  
 (١٠) حكاها عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.  
 (١١) انظر: تفسير الطبري (١٥٦): ص ١٤٤/١.  
 (١٢) انظر: تفسير الطبري (١٥٧)، و(١٥٨): ص ١٤٤/١.  
 (١٣) انظر: تفسير الطبري (١٥٩)، و(١٦٠): ص ١٤٤/١-١٤٥.  
 (١٤) انظر: تفسير الطبري (١٦١)، و(١٦٢): ص ١٤٥/١.  
 (١٥) انظر: تفسير الطبري (١٦٥): ص ١٤٦/١.  
 (١٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦/١.  
 (١٧) انظر: النكت والعيون: ٥٥/١.  
 (١٨) انظر: تفسير القرطبي: ١٣٨/١.  
 (١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٤٤/١.  
 (٢٠) هو عبدالله بن روبة أبو الشعثاء، اشتهر بالعجاج الراجز، لقي أبا هريرة، وسمع منه أحاديث، والبيت في ديوانه: ٦٠.  
 (٢١) ديوانه: ٧٥٠/٢.

تتصفه<sup>(١)</sup> البرية وهو سام ... ويضحى العالمون له عيالا  
الخامس: أن «العالم» عبارة عن يعقل، وهم أربعة أمم: الإنس والجن والملائكة والشياطين،  
ولا يقال للبهائم: عالم، لأن هذا الجمع إنما هو جمع من يعقل خاصة. وهذا قول الفراء وأبي  
عبيدة<sup>(٢)</sup>.

السادس: أن العالمين، أي: المخلوقين. قاله أبو عبيدة<sup>(٣)</sup>، وأنشد قول ليبيد بن ربيعة<sup>(٤)</sup>:

ما إن رأيت ولا سمع ... تُمثّلهم في العالمينا

السابع: أنهم المرتزقون، قاله زيد بن أسلم<sup>(٥)</sup>، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء<sup>(٦)</sup>: هم  
الروحانيون، وابن قتيبة<sup>(٧)</sup>، وهو معنى قول ابن عباس كذلك: "كل ذي روح دبّ على وجه  
الأرض"<sup>(٨)</sup>.

الثامن: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق<sup>(٩)</sup>.

والظاهر أن {العالمين}: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و{العالم} جمع  
لا واحد له من لفظه، و{العوالم} أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر،  
فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم<sup>(١٠)</sup>. والله أعلم.

قال ابن عثيمين: «العالمين»: "كل ما سوى الله فهو من العالم؛ وُصفوا بذلك؛ لأنهم علم  
على خالقهم سبحانه وتعالى؛ ففي كل شيء من المخلوقات آية تدل على الخالق: على قدرته،  
وحكمته، ورحمته، وعزته، وغير ذلك من معاني ربوبيته"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن القيم: "ربوبيته للعالم تتضمن تصرفه فيه، وتدبيره له، ونفاذ أمره كل وقت فيه،  
وكونه معه كل ساعة في شأن، يخلق ويرزق، ويميت ويحيي، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع،  
ويعز ويذل، ويصرف الأمور بمشيئته وإرادته، وإنكار ذلك إنكار لربوبيته وإلهيته ومملكته"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن عطية: "قوله تعالى: {قُلْ لَهُ الْحَمْدُ} إلى آخر السورة، تحميد لله تعالى وتحقيق  
لألوهيته، وفي ذلك كسر لأمر الأصنام والأنصاب"<sup>(١٣)</sup>.

## القرآن

### {وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)} [الجاثية: ٣٧]

#### التفسير:

وله وحده سبحانه العظمة والجلال والكبرياء والسلطان والقدرة والكمال في السموات والأرض،  
وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه.

قوله تعالى: {وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الجاثية: ٣٧]، أي: "وله وحده  
سبحانه العظمة والجلال والكبرياء والسلطان والقدرة والكمال في السموات والأرض"<sup>(١٤)</sup>.

(١) تتصفه: أي تطلب فضله.

(٢) انظر: حكاه عنهما القرطبي في تفسيره: ٢١٣/١. وقول أبي عبيدة: أن العالمين: المخلوقين.

(٣) انظر: مجاز القرين: ٢٢/١.

(٤) ديوانه: ١٢/١، والأغاني: ٣٧٩/١٥، ونسبه القرطبي للأعشى، ولم نقف عليه للأعشى.

(٥) حكاه عنه القرطبي في تفسيره: ٢١٣/١.

(٦) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٧) انظر: غريب القرآن: ٣٨، قال: "العالمون": أصناف الخلق الروحانيين، وهم الإنس والجن والملائكة، كلُّ  
صنّفٍ منهم عالم".

(٨) انظر: تفسير الثعلبي: ١١٢/١، وزاد المسير: ١٢/١، وتفسير القرطبي: ٢١٣/١.

(٩) تفسير الثعلبي: ١١٢/١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/١، معاني القرآن للزجاج: ٤٦/١.

(١١) تفسير ابن عثيمين: ١٠/١.

(١٢) الصواعق المرسلّة: ١٢٢٣/٤.

(١٣) المحرر الوجيز: ٩٠/٥.

(١٤) تفسير الميسر: ٥٠٢.

قال الطبري: " يقول: وله العظمة والسلطان في السموات والأرض دون ما سواه من الآلهة والأنداد"<sup>(١)</sup>.

قال الزجاج: " أي: له العظمة في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ"<sup>(٢)</sup>.

قال النحاس: " الكبرياء: العظمة"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: " يعني: العظمة والسلطان، والقوة والقدرة في السموات والأرض"<sup>(٤)</sup>.

قال مجاهد: " يعني: "السلطان"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن زيد: " يعني: "الشَّرَف"<sup>(٦)</sup>.

قال أبو هلال العسكري: " يعني: الملك والسلطان"<sup>(٧)</sup>.

قال السمعاني: " أي: العظمة والعلو"<sup>(٨)</sup>.

قال الواحدي: " أي: إِنَّهُ يُعَظَّمُ بِالْعِبَادَةِ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: " أي: هو العظيم الممجّد، الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه"<sup>(١٠)</sup>.

قال القرطبي: " أي: العظمة والجلال والبقاء والسلطان والقدرة والكمال"<sup>(١١)</sup>.

قال الزمخشري: " فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وحق مثله أن يكبر ويعظم"<sup>(١٢)</sup>.

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تبارك وتعالى: «العظمة إزاري»<sup>(١٣)</sup>، والكبرياء ردائي<sup>(١٤)</sup>، فمن نازعني واحدة منهما قذفته في جهنم»<sup>(١٥)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبتة»<sup>(١٦)</sup>.

قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الجنّة: ٣٧]، أي: " وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه"<sup>(١٧)</sup>.

قال الطبري: " {وَهُوَ الْعَزِيزُ} في نغمته من أعدائه، القاهر كل ما دونه، ولا يقهره شيء {الْحَكِيمُ} في تدبيره خلقه وتصريفه إياهم فيما شاء كيف شاء"<sup>(١٨)</sup>.

قال ابن كثير: " {وَهُوَ الْعَزِيزُ}، أي: الذي لا يغالب ولا يمانع، {الحكيم} في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس، لا إله إلا هو"<sup>(١٩)</sup>.

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"<sup>(٢٠)</sup>، الحكيم: في عذره وحقته إلى عباده"<sup>(٢١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٨٨/٢٢.

(٢) معاني القرآن: ٤٣٦/٤.

(٣) معاني القرآن: ٤٣٤/٦.

(٤) تفسير مقاتل بمن سليمان: ٨٤٢/٣.

(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٧. بدون سند.

(٦) نقلا عن: زاد المسير: ١٠١/٤. بدون سند.

(٧) الوجوه والنظائر: ٤١٥.

(٨) تفسير السمعاني: ١٤٦/٥.

(٩) الوجيز: ٩٩٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٧.

(١١) تفسير القرطبي: ١٧٨/١٦.

(١٢) الكشاف: ٢٩٤/٤.

(١٣) الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن.

(١٤) الرداء: ما يوضع على أعالي البدن من الثياب.

(١٥) مسند أبي داود الطيالسي (٢٥٠٩): ص ٤/٤٠، ومصنف ابن أبي شيبة (٢٦٥٧٩): ص ٥/٣٢٩.

(١٦) صحيح مسلم (٢٦٢٠): ص ٤/٢٠٢٣.

(١٧) تفسير الميسر: ٥٠٢.

(١٨) تفسير الطبري: ٨٨/٢٢.

(١٩) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٧.

قال أبو العالية: {عزيز} في نعمته إذا انتقم<sup>(٣)</sup>. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك<sup>(٤)</sup>.

عن أبي العالية: {حكيم}، قال: حكيم في أمره<sup>(٥)</sup>.  
فوائد الآيات: [٣٣-٣٧]:

- ١- بيان أن الاستهزاء بآيات الله وشرائعه كفر موجب للعذاب.
  - ٢- تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل، وكما يدين الفتي يدان.
  - ٣- مشروعية الحمد عند الفراغ من أي عمل صالح أو مباح.
- «آخر تفسير سورة (الجاثية)، والحمد لله وحده»

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٤): ص ١٦٦٤/٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٦): ص ١٦٦٤/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣): ص ١٦٦٤/٥.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢): ص ١٧٦٤/٦.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تفسير سورة «الأحقاف»

سورة «الأحقاف» هي السورة «السادسة والأربعون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «الخامسة والستون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة الجاثية»، وقبل «سورة الذاريات»، وهي السورة السابعة من الحواميم السبع<sup>(١)</sup>. وعدد آياتها خمس وثلاثون في الكوفيين، وأربع في الباقين، وكلماتها ثلاثمائة وأربع وأربعون. وحروفها ألفان وخمسمائة وخمس وتسعون، المختلف فيها آية واحدة: {حم (١)} [الأحقاف : ١]. فواصل آياتها «من»<sup>(٢)</sup>.

### ■ أسماء السورة:

### ■ أولاً: أسمها التوقيفي: «سورة الأحقاف»:

سميت هذه السورة «سورة الأحقاف» في جميع المصاحف وكتب السنة، ووردت تسميتها بهذا الاسم في كلام عبد الله بن مسعود،-رضي الله عنه-<sup>(٣)</sup>، وعبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-<sup>(٤)</sup>.

عن ابن مسعود قال: «أقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الأحقاف، وأقرأها رجلاً آخر، فخالفتني في آية، فقلت له: من أقرأكها؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيت به وهو في نفر، فقلت: يا رسول الله، ألم تقرني آية كذا وكذا؟ فقال: " بلى "، قال: قلت: فإن هذا يزعم أنك أقرأتها إياه كذا وكذا؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الرجل الذي عنده: ليقرأ كل رجل منكم كما سمع، فإنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف قال: " فوالله ما أدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك أم هو قاله؟ »<sup>(٥)</sup>.

وجه تسميتها «الأحقاف» ورود لفظ: «الأحقاف» فيها ولم يرد في غيرها من سور القرآن، قال تعالى: {وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّدُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأحقاف : ٢١].

### ■ ثانياً: اسمها الإجهادي: «سورة حم الأحقاف»:

تسمى «حم الأحقاف»، كما جاءت في كلام الصحابة -رضوان الله عليهم-<sup>(٦)</sup>، وقد وردت هذه التسمية عند الحسن<sup>(٧)</sup>، وعكرمة<sup>(٨)</sup>، وابن وهب<sup>(٩)</sup>، وبذلك عنون لها الواحدي<sup>(١٠)</sup>، والنيسابوري<sup>(١١)</sup> في تفسيرهما.

### ■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس<sup>(١٢)</sup>، وعبد الله بن الزبير<sup>(١٣)</sup>، والحسن<sup>(١٤)</sup>، وعكرمة<sup>(١٥)</sup>، ومجاهد<sup>(١٦)</sup>، وقتادة<sup>(١٧)</sup>. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور<sup>(١٨)</sup>.

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٦/٢٦.  
(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٤٢٨.  
(٣) انظر: مسند احمد (٣٩٩٢): ص ١٠٠/٧. [إسناده حسن]  
(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.  
(٥) مسند احمد (٣٩٩٢): ص ١٠٠/٧. [إسناده حسن]  
(٦) قال ابن عباس: " نزلت بمكة سورة {حم} الأحقاف ". ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه، وقال: " وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله ".  
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٢.  
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٢.  
(٩) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب: ٨٠/٣.  
(١٠) انظر: التفسير الوسيط: ١٠٢/٤.  
(١١) انظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ٣٦٨/٦.  
(١٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.  
(١٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٣٣/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ} [الأحقاف: ١٠] (١). نزلت بالمدينة. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس (٧)، وقتادة (٨).

الثالث: أنها مكية إلا آيتين: قوله {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ} [الأحقاف: ١٠]، وقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥]. قاله مقاتل (٩).

قال ابن عطية: "هذه السورة مكية لم يختلف منها إلا في آيتين، وهي قوله: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ} وشاهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن وأستكبرتم { [الأحقاف: ١٠]، وقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥] الآية، فقال بعض المفسرين: هاتان آيتان مدنيتان وضعتا في سورة مكية" (١٠).

الرابع: أنها مكية إلا قوله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الأحقاف: ١٥]، الآيات الأربع وقوله: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥]. ذكره السيوطي، وقال: "حكاها في جمال القراء" (١١).

قلت: وهذا خطأ في النقل، فإن السخاوي لم ينص على استثناء قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ} .. الآيات وتابع السيوطي في ذلك الألوسي (١٢)، فنسب هذا الاستثناء إلى «جمال القراء» فليتأمل.

قال القرطبي: "سورة الأحقاف مكية في قول جميعهم" (١٣).

#### ■ مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها- أنه تعالى ختم السورة السالفة بالتوحيد، وذم أهل الشرك وتوعدهم عليه، وافتتح هذه بالتوحيد وتوبيخ المشركين على شركهم أيضاً (١٤).

#### ■ أغراض السورة ومقاصدها

إن هذه السورة المكية تعالج قضية العقيدة... قضية الإيمان بوحداية الله وربوبيته المطلقة لهذا الوجود ومن فيه وما فيه، والإيمان بالوحي والرسالة، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول سبقت الرسل، أوحى إليه بالقرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب. والإيمان بالبعث وما وراءه من حساب وجزاء على ما كان في الحياة الدنيا من عمل وكسب ومن إحسان وإساءة.

(١) حكاها ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٢) حكاها ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٣) حكاها ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٤) حكاها ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٥) انظر: زاد المسير: ١٠٢/٤.

(٦) قال في الاتقان: ٦٥/١: "أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي أنها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبد الله بن سلام، وله طرق أخرى لكن أخرج ابن أبي حاتم عن مسروق قال أنزلت هذه الآية بمكة إنما كان إسلام ابن سلام بالمدينة وإنما كانت خصومة خاصم بها محمداً صلى الله عليه وسلم. وأخرج عن الشعبي قال ليس بعبد الله بن سلام وهذه الآية مكية".

والظاهر- والله أعلم- أن الآية مدنية نزلت في عبد الله بن سلام عند ما أسلم بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، وعلى هذا أكثر العلماء، وفي مقدمتهم الإمام الطبري حيث قال: - بعد كلام- غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام. وعليه أكثر أهل التأويل وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به". [تفسير الطبري: ١٢ / ٢٦].

(٧) حكاها ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٨) حكاها ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. بدون سند.

(٩) حكاها عنه ابن الجوزي في "زاد المسير": ١٠٢/٤. ولم اقف عليه في تفسير مقاتل.

(١٠) المحرر الوجيز: ٩١/٥.

(١١) انظر: الاتقان: ٦٥/١.

(١٢) في تفسيره ٤ / ١٦.

(١٣) تفسير القرطبي: ١٧٨/١٦.

(١٤) انظر: تفسير المراعي: ٣/٢٦.

تلك هي مقاصد السورة من حيث الجملة، أما من حيث التفصيل، فقد تضمنت السورة المقاصد التالية:

- ١- أنها -كشأن السور المكية- تدعو إلى العقيدة الصحيحة من توحيد الله تعالى إلى تصديق رسالة الرسل عليهم السلام إلى الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب.
- ٢- أنها تؤكد صحة رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم، وصدق ما جاء به عن ربه سبحانه.
- ٣- بيان أن استمرار نظام الحياة الدنيا للسموات والأرض محدد بأجل مسمى، وأن الله خلق السموات والأرض بالحق.
- ٤- بيان أن الذين كفروا معرضون غير عابئين بما أُنذروا به من إنذارات.
- ٥- بيان الموقف الاستكباري، الذي وقفه أئمة الكفر والشرك في مكة إبان التنزيل من ضعفاء المؤمنين.
- ٦- أوضحت السورة ضلال الكفار وبهتانهم وخطأهم في عبادة الأوثان والأصنام، التي لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، ولا تغني من الحق شيئاً.
- ٧- ردت على المشركين مزاعمهم، وسفهتهم في زعمهم أن القرآن سحر مبين، قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ} [الأحقاف : ١٠] >
- ٨- أنها جاءت بمثالين:  
أحدهما: للولد الصالح البار بوالديه، وقد بلغ كمال عقله ورشده، قال سبحانه: {رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [الأحقاف : ١٥].  
وثاني المثالين: جاءت به للولد الفاجر العاق لوالديه، الذي يقابل نصحهما له وحرصهما عليه بالسخرية والاستهزاء، وذلك عندما يدعوانه إلى الإيمان بالله، فيقول: {أَفَأَنْتُمْ أَنْعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ} [الأحقاف : ١٧] إلى أن يقول: {مَا هَذَا إِلَّا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأحقاف : ١٧].
- ٩- تضمنت السورة إنذاراً للمصريين على كفرهم من مشركي مكة، بأنهم إذا تماروا في غيهم، أهلكهم الله كما أهلك كفار أهل القرى من حولهم، فما نصرتهم ألهمهم التي كانوا اتخذوها من دون الله.
- ١٠- تضمنت السورة بياناً إقناعياً موجهاً من الله سبحانه لمنكري البعث، مصحوباً بإنذار بعذاب النار يوم الدين.
- ١١- عرضت السورة لأولئك النفوس من الجن الذين صرفهم الله ووجههم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماح القرآن الكريم، فأنصتوا إليه عند سماعه، ثم ذهبوا إلى قومهم منذرين ومخوفين لهم من أن يخافوه؛ لأن القرآن مصدق لما جاء به موسى عليه السلام؛ ولأنه يهدي إلى الحق الثابت والصرط المستقيم، وأميرين لهم باتباع ما جاء فيه ليغفر الله لهم ذنوبهم وينجيهم من عذاب أليم، وذلك تنبيه وتوبيخ للمشركين، حيث آمن به الجن، وكفر به المشركون وعاندوا.
- ١٢- بينت السورة أن الله الذي خلق السموات والأرض، ولم يصبه إعياء، أو ضعف، أو تعب، هو سبحانه وحده القادر على إحيائهم بعد موتهم، وحسابهم على ما اقترفوا من كفر ومعاص في الدنيا، وهذا تهديد لهم.
- ١٣- عرضت السورة صورة من مصرع قوم هود وفي مصارع القرى حول مكة. وتجعل من السموات والأرض كتاباً ينطق بالحق كما ينطق هذا القرآن بالحق على السواء.
- ١٤- الثناء على الذين آمنوا بالقرآن، وذكر بعض خصالهم الحميدة، وما يضادها من خصال أهل الكفر، وحسدهم الذي بعثهم على تكذيبه.

- ١٥- بيان أن الله أخذ أهل الضلال بكفرهم، وأهلك أمماً أخرى، فجعلهم عظة للمكذبين، وأن جميعهم لم تغن عنهم أربابهم المكذوبة، التي كانوا يدعون من دون الله من شيء.
- ١٦- خُتِمَت السورة بنتيبت الرسول صلى الله عليه وسلم، وأمر من الله لرسوله أن يصبر على تكذيب قومه، وإيذائهم له كما صبر أصحاب العزائم العالية من الرسل عليهم السلام، ونهاه جل شأنه أن يستعجل لهم العذاب؛ فإنه آتيهم لا محالة: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَتُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَبَلَّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف: ٣٥] (١).

#### ■ الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آيتان:

إحدهما: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف: ٩]، نسختها قوله: {لِيَعْوَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: ٢] وقوله: {لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ} [الفتح: ٥]. قاله ابن عباس (٢)، وأنس (٣)، وعكرمة (٤)، وقاتدة (٥).

وعن ابن عباس، قال: "نسختها: {إِنَّا فَتَنَّا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا الْآيَةَ} [الفتح: ١]" (٦).  
الثانية: قوله تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥]، نسخت بآية السيف (٧).

#### ■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الأحقاف أعطي من الأجر بعدد كل نمل في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ويرفع له عشر درجات» (٨).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته عند الحساب» (٩).
- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثاً من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثاً من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثاً من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبداً، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين (١٠).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٢) رواه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥.

(٣) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥. بدون سند.

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥. بدون سند.

(٥) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٥. بدون سند.

(٦) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٩٥.

(٧) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٩٦.

(٨) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٥/٩. [ضعيف]

(٩) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٨/٨، والواحيدي في التفسير الوسيط (٨٣١): ص ٩٤/٤. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خنعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".

وانظر: الموضوعات (١/ ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".

(١٠) "مسند أحمد" (٦٥٧٥)، وسنن أبي داود (١٣٩٩): ص ٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤)، وصحيح ابن حبان (٧٧٣): ٥٠/٣.



- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»<sup>(١)</sup>.  
وهذه الأحاديث التي تدل على فضل الحواميم بصفة عامة، فإنها تدل على فضل كل سورة منها ضمناً.  
هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.  
وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، راء، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.  
وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجمعة، والأحقاف.  
وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّحُ وَيُسَبِّحُ وَسَبَّحُ، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.  
(١) مسند ابن أبي شيبة (٣٠٢٨٤): ص ١٥٣/٦، وسنن الدارمي (٣٤٦٥): ص ٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان (٢٢٥٣): ص ١٠٦/٤. وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».  
إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.



## القرآن

### {حم (١)} [الأحقاف : ١]

#### التفسير:

{حم} سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.  
قال الشوكاني: "فإن فواتح السور من المتشابه الذي يجب أن يوكل علمه إلى من أنزله"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

### {تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢)} [الأحقاف : ٢]

#### التفسير:

هذا القرآن تنزيل من الله العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في تدبيره وصنعه.  
قال الطبري: "معناه: هذا تنزيل القرآن من عند الله {العزيز} في انتقامه من أعدائه {الحكيم} في تدبيره أمر خلقه"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن أبي زمنين: "يعني: القرآن أنزله مع جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي: "«الكتاب»: القرآن. و{العزيز}: المنيع. {الحكيم} في فعله"<sup>(٤)</sup>.  
قال السمعاني: " {العزيز الحكيم}، أي: الغالب على الأمور، العدل في الأحكام"<sup>(٥)</sup>.  
قال الفخر الرازي: "قوله: {العزيز الحكيم}، يجوز جعلها صفة للكتاب، ويجوز جعلها صفة لله تعالى، إلا أن هذا الثاني أولى"<sup>(٦)</sup>.  
قال ابن فورك: " {الحكيم} هو العليم الذي تقع أفعاله محكمة، واقتضى ذكر {العزيز} في {تنزيل الكتاب} لأنه حصلت حكمته من عزيز يحفظه حتى يصل إليك على جهة من غير تغيير ولا تدليل لموضع حجته، وقيل: {العزيز} في انتقامه، فيه تحذير من مخالفته"<sup>(٧)</sup>.  
قال السعدي: " هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز وتعظيم له، وفي ضمن ذلك إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره والإقبال على تدبر آياته واستخراج كنوزه"<sup>(٨)</sup>.  
قال الزجاج: " «الكتاب» -ههنا-: القرآن، ورفع تنزيل الكتاب من جهتين: إحداهما: الابتداء ويكون الخبر من الله، أي: نزل من عند الله. ويجوز أن يكون رفعه على: هذا تنزيل الكتاب"<sup>(٩)</sup>.

## القرآن

### {مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا

### مُعْرَضُونَ (٣)} [الأحقاف : ٣]

#### التفسير:

ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق، لا عبثاً ولا سدى؛ بل ليعرف العباد عظمة خالقهما فيعبده وحده، ويعلموا أنه قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم، وليقيموا الحق والعدل

(١) فتح القدير: ١٦/٥.

(٢) تفسير الطبري: ٥٩/٢٢.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ١٠٢/٤.

(٤) تفسير القرطبي: ١٥٦/١٦.

(٥) تفسير السمعاني: ١٣٤/٥.

(٦) مفاتيح الغيب: ٦٦٨/٢٧.

(٧) تفسير ابن فورك/ ٣٠٥/٢.

(٨) تفسير السعدي: ٧٧٩.

(٩) معاني القرآن: ٣٤٣/٤.

فيما بينهم وإلى أجل معلوم عنده. والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق، عما أنذرهم به القرآن معرضون، لا يتعظون ولا يتفكرون.

قوله تعالى: {مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} [الأحقاف: ٣]، أي: "ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات عبثاً، وإنما خلقناهما خلقاً متلبساً بالحكمة، لندل على وحدانيتنا وكمال قدرتنا"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ما أحدثنا السموات والأرض فأوجدناهما خلقاً مصنوعاً، وما بينهما من أصناف العالم إلا لإقامة الحق والعدل في الخلق"<sup>(٢)</sup>.

قال السمعاني: "يعني: إلا للثواب والعقاب، ويقال: إلا لإقامة الحق"<sup>(٣)</sup>.  
قال الزجاج: "جاء في التفسير: مَا خَلَقْنَاهَا إِلَّا لِلْحَقِّ، أي: لإقامة الحق، وتكون على معنى ما قامت السموات والأرض إلا بالحق"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لا على وجه العبث والباطل"<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {وَأَجَلٍ مُّسَمًّى} [الأحقاف: ٣]، أي: "وإلى زمن معين هو زمن فنائهما يوم القيامة"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وإلا بأجل لكل ذلك معلوم عنده يفنيه إذا هو بلغه، ويعدمه بعد أن كان موجوداً بإيجاده إياه"<sup>(٧)</sup>.

قال السمعاني: "أي: أمد ينتهي إليه، وهذا إشارة إلى فناء السموات والأرض لمدة معلومة"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: إلى مدة معينة مضروبة لا تزيد ولا تنقص"<sup>(٩)</sup>.  
قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ} [الأحقاف: ٣]، أي: "والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق، عما أنذرهم به القرآن معرضون، لا يتعظون ولا يتفكرون"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: يقول: "والذين جحدوا وحدانية الله عن إنذار الله إياهم معرضون، لا يتعظون به، ولا يتفكرون فيعتبرون"<sup>(١١)</sup>.

قال الزجاج: "أي: أعرضوا بعد أن قام لهم الدليل بخلق الله السموات والأرض وما بينهما"<sup>(١٢)</sup>.

قال السمعاني: "أي: معرضون إعراض المكذبين الجاحدين"<sup>(١٣)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: لاهون عما يراد بهم، وقد أنزل إليهم كتاباً وأرسل إليهم رسول، وهم معرضون عن ذلك كله، أي: وسيعلمون غب ذلك"<sup>(١٤)</sup>.

## القرآن

(١) صفوة التفاسير: ١٧٨/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٨٩/٢٢.

(٣) تفسير السمعاني: ١٤٨/٥.

(٤) معاني القرآن: ٤٣٧/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٧.

(٦) صفوة التفاسير: ١٧٨/٣.

(٧) تفسير الطبري: ٨٩/٢٢.

(٨) تفسير السمعاني: ١٤٨/٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٠٢.

(١١) تفسير الطبري: ٨٩/٢٢.

(١٢) معاني القرآن: ٤٣٧/٤.

(١٣) تفسير السمعاني: ١٤٨/٥.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٧.

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ  
أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤)} [الأحقاف : ٤]  
التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفار: أرايتم الآلهة، والأوثان التي تعبدونها من دون الله، أروني أي شيء خلقوا من الأرض، أم لهم مع الله نصيب من خلق السموات؟ اتنوني بكتاب من عند الله من قبل هذا القرآن أو ببقية من علم، إن كنتم صادقين فيما تزعمون.

قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الأحقاف : ٤]، أي: قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفار: أرايتم الآلهة، والأوثان التي تعبدونها من دون الله" (١).

قال قتادة: "يعني: الأصنام" (٢).

قال السمعاني: "أي: الأصنام" (٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: أرايتم أيها القوم الآلهة والأوثان التي تعبدون من دون الله" (٤).

قال ابن كثير: أي: " {قُلْ} لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره: {أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} " (٥).

قال السعدي: "أي: {قُلْ} لهؤلاء الذين أشركوا بالله أوثانا وأندادا لا تملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، قل لهم -مبيناً عجز أوثانهم وأنها لا تستحق شيئاً من العبادة-" (٦).

قوله تعالى: {أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ} [الأحقاف : ٤]، أي: "أروني أي شيء خلقوا من الأرض" (٧).

قال قتادة: "لا شيء والله خلقوا منها" (٨).

عن السدي: "{مِنَ الْأَرْضِ}"، يعني: في الأرض" (٩).

قال الطبري: "أروني أي شيء خلقوا من الأرض، فإن ربي خلق الأرض كلها، فدعوتموها من أجل خلقها ما خلقت من ذلك آلهة وأربابا، فيكون لكم بذلك في عبادتكم إياها حجة، فإن من حجتني على عبادتي إلهي، وإفرادي له الألوهة، أنه خلق الأرض فابتدعها من غير أصل" (١٠).

قال ابن كثير: "أي: أرشدوني إلى المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض" (١١).

قال الزجاج: "أي: في خلق السموات، أي: فلذلك أشركتموهم في عبادة الله عز وجل" (١٢).

قال السمعاني: "أي: في خلق السموات فتعبدونها لذلك" (١٣).

قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} [الأحقاف : ٤]، أي: "أم لهم مع الله نصيب من خلق السموات؟" (١٤).

(١) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(٢) الدر المنثور: ٢٣٠/٧، عزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.

(٣) تفسير السمعاني: ١٤٨/٥.

(٤) تفسير الطبري: ٩٢/٢٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٧.

(٦) تفسير السعدي: ٧٧٩.

(٧) التفسير الميسر: ٤٠٢.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠١٤): ص ٣١٨٦/١٠.

(٩) علقه يحيى بن سلام: ٧٩٥/٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٩٢/٢٢.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٧.

(١٢) معاني القرآن: ٤٣٧/٤.

(١٣) تفسير السمعاني: ١٤٨/٥.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٠٢.

قال قتادة: " لا والله، ما لهم فيهما من شرك" (١).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: أم لألهنكم التي تعبدونها أيها الناس، شرك مع الله في السموات السبع، فيكون لكم أيضاً بذلك حجة في عبادتكموها، فإن من حجتى على إفرادى العبادة لربي، أنه لا شريك له في خلقها، وأنه المنفرد بخلقها دون كل ما سواه" (٢).

قال السمعاني: " معناه: أنه ليس لهم شرك، لا في خلق الأرض، ولا في خلق السماء، أي: نصيب، فكيف تعبد مع الله؟!" (٣).

قال ابن كثير: " أي : ولا شرك لهم في السموات ولا في الأرض، وما يملكون من قطمير، إن المُلْك والتصرّف كله إلا الله، عز وجل، فكيف تعبدون معه غيره، وتشركون به ؟ من أرشدكم إلى هذا ؟ من دعاكم إليه ؟ أهو أمركم به ؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند أنفسكم ؟" (٤).

قال السعدي: " هل خلقوا من أجرام السموات والأرض شيئاً؟ هل خلقوا جبالاتاً؟ هل أجروا أنهاراً؟ هل نشروا حيواناً؟ هل أنبتوا أشجاراً؟ هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك؟ لا شيء من ذلك بإقرارهم على أنفسهم فضلاً عن غيرهم، فهذا دليل عقلي قاطع على أن كل من سوى الله فعبادته باطلة" (٥).

قوله تعالى: {الَّذِينَ يَكْتَابُونَ مِنَ الْقُرْآنِ بِحُجْرٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا} [الأحقاف: ٤]، أي: " هاتوا كتاباً من الكتب المنزلة من عند الله قبل هذا القرآن يأمركم بعبادة هذه الأصنام؟" (٦).

قال الزجاج: " أي: اتتوني بكتاب أنزل فيه برهان ما تدعون" (٧).

قال النحاس: " أي: بكتاب فيه برهان على ما قلت" (٨).

قال السمعاني: " أي: بكتاب من قبل القرآن يدل على ما زعمتموه" (٩).

قال ابن كثير: " أي : هاتوا كتاباً من كتب الله المنزلة على الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام، يأمركم بعبادة هذه الأصنام" (١٠).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: بكتاب جاء من عند الله من قبل هذا القرآن الذي أنزل عليّ، بأن ما تعبدون من الآلهة والأوثان خلقوا من الأرض شيئاً، أو أن لهم مع الله شركاً في السموات، فيكون ذلك حجة لكم على عبادتكم إياها، لأنها إذا صح لها ذلك صحت لها الشركة في النعم التي أنتم فيها، ووجب لها عليكم الشكر، واستحقت منكم الخدمة، لأن ذلك لا يقدر أن يخلقه إلا الله" (١١).

قال الصابوني: " وهو أم تعجيز لأنهم ليس لهم كتاب يدل على الإشارك بالله، بل الكتب كلها ناطقة بالتوحيد" (١٢).

قوله تعالى: {وَأَوْ أَثَارَةَ مِنْ عِلْمٍ} [الأحقاف: ٤]، أي: " أو بقية من علم من علوم الأولين شاهدة بذلك" (١٣).

قال ابن كثير: " أي : دليل بيّن على هذا المسلك الذي سلكتموه" (١٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠١٤): ص ٣١٨٦/١٠.

(٢) تفسير الطبري: ٩٢/٢٢.

(٣) تفسير السمعاني: ١٤٨/٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٧.

(٥) تفسير السعدي: ٧٧٩.

(٦) صفوة التفاسير: ١٧٩/٣.

(٧) معاني القرآن: ٤٣٨/٤.

(٨) معاني القرآن: ٤٣٨/٦.

(٩) تفسير السمعاني: ١٤٨/٥.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٧.

(١١) تفسير الطبري: ٩٢/٢٢.

(١٢) صفوة التفاسير: ١٧٩/٣.

(١٣) صفوة التفاسير: ١٧٩/٣.

قال السعدي: " من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك، بل نجزم ونتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم ونهوا عن الشرك به، وهي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وكل رسول قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ فعلم أن جدال المشركين في شركهم غير مستندين فيه على برهان ولا دليل وإنما اعتمدوا على ظنون كاذبة وآراء كاسدة وعقول فاسدة. يدل ذلك على فسادها استقراء أحوالهم وتتبع علومهم وأعمالهم والنظر في حال من أفنوا أعمارهم بعبادته هل أفادهم شيئاً في الدنيا أو في الآخرة؟" (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَارَةَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]، وجوه من التفسير: أحدها: بقية من علم، قاله أبو بكر بن عياش (٣)، وأبو عبيدة (٤)، وابن قتيبة (٥)، وبه قال الطبري (٦). ومنه قول الشاعر:

وذات أثاره أكلت عليها ... نباتاً في أكمته قفارا  
أي: بقية من شحم.

قال ابن قتيبة: "أي: بقية من علم تؤثر عن الأولين" (٧).  
الثاني: أو علم تأثره عن غيركم، قاله مجاهد (٨).  
الثالث: أو أثره يستخرجه فيثوره، قاله الحسن (٩).  
قال الحسن: "أثاره شيء يستخرجه فطره" (١٠).  
قال النحاس: " وهذه الأقوال [الثلاثة] متقاربة، لأن البقية هو شيء يؤثر ومعروف في اللغة أن يقال سممت الناقة على أثاره أي على بقية من سمن" (١١).  
الرابع: أو خاصة من علم أوتيته، وأوثرتم به على غيركم، قاله قتادة (١٢).  
قال النحاس: "يقال: لفلان عندي أثره أو أثره أي شيء أخصه به، ومنه: آثرت فلانا على فلان" (١٣).

الخامس: أنه علم الخط، وهو خط كان تخطه العرب في الأرض. قاله ابن عباس (٤)، ورواه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (١٥).  
عن ابن عباس، قال: سفيان لا أعلمه إلا عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: -- {أَوْ أَثَارَةَ مِنْ عِلْمٍ} قال: الخط" (١٦).

قال أبو بكر بن عياش: "الخط: هو العيافة" (١٧).  
وروي عن أبي سلمة في قوله: " {أَوْ أَثَارَةَ مِنْ عِلْمٍ}، قال: الخط" (١٨).

- (١) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٧.
- (٢) تفسير السعدي: ٧٧٩.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ٩٤/٢٢.
- (٤) انظر: مجاز القرآن: ٢١٢/٢.
- (٥) انظر: غريب القرآن: ٤٠٧.
- (٦) تفسير الطبري: ٩٢/٢٢.
- (٧) انظر: غريب القرآن: ٤٠٧.
- (٨) انظر: تفسير الطبري: ٩٤/٢٢.
- (٩) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٢.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٢.
- (١١) معاني القرآن: ٤٣٨/٦.
- (١٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٢.
- (١٣) معاني القرآن: ٤٤٠/٦.
- (١٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٢.
- (١٥) انظر: مسند أحمد (١٩٩٢): ص ٤٧٦-٤٧٧، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٦٣): ص ٣٢٩٣/١٠.
- (١٦) مسند أحمد (١٩٩٢): ص ٤٧٦-٤٧٧.
- (١٧) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٢.
- (١٨) تفسير سفيان الثوري (٨٩٢: ٢): ص ٢٧٦.

قال الواحدي: "المعنى على هذا: انتوني بعلم من قبل الخط الذي تخطونه في الأرض، وكأنه قيل لهم ذلك لأنهم كانوا يعدونه علماً لهم وبياناً في الأمور فقيل لهم: انتوني بعلم من هذه الجهة على ما تدعونه حقاً إن كنتم صادقين أن الله شريكاً. واشتقاق هذا القول من الأثر بمعنى العلامة، والخط أثر" (١).

وفي بعض التفاسير: أن من خط خطه علم علمه" (٢).  
وعن ابن إسحاق قال: "أول من خط بالقلم إدريس النبي عليه السلام" (٣).  
السادس: أو ببينة من الأمر. قاله ابن عباس (٤).  
السابع: أو رواية من علم. قاله يحيى (٥)، ومقاتل (٦).  
قال مقاتل: "يقول: أو رواية تعلمونها من الأنبياء قبل هذا القرآن بأن له شريكاً" (٧).  
وعن مطرف بن الوراق: "قال: قوله: {أو أثارة من علم}: هو الإسناد" (٨).  
الثامن: أو علامة من علم، قاله الزجاج (٩).  
التاسع: أو اجتهد بعلم، لأن أثارة العلم الاجتهاد. أفاده الماوردي (١٠).  
العاشر: أو مناظرة بعلم، لأن المناظر في العلم مثير لمعانيه. أفاده الماوردي (١١).  
وقرأ ابن مسعود، الحسن، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، وأيوب السختياني، ويعقوب: «أثره» بفتح الثاء: «أو أثره من علم» (١٢).  
قال الفراء: "المعنى فيهن كلهن: بقية من علم، أو شيء مأثور من كتب الأولين" (١٣).  
قال ابن كثير: «وقرئ: "أو أثره من علم»، أي: أو علم صحيح يأترونه عن أحد ممن قبلهم" (١٤).  
قال النحاس: "ويجوز أن يكون {أثره} خبراً عن بعض الأنبياء صلى الله عليهم من أثرت الحديث وذا قول أبي عبيدة" (١٥).  
قال ابن كثير: بعد أن ذكر طائفة من الأقوال السابقة: "وكل هذه الأقوال متقاربة" (١٦).  
قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الأثارة: البقية من علم، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وهي مصدر من قول القائل: أثر الشيء أثارة، مثل سمح سماجة، وقبح قباحة، كما قال راعي الإبل (١٧):  
وذاتِ أثارةٍ أكلتْ عليها ... نَبأاً في أكمته قفارا

- (١) التفسير البسيط: ١٦٢/٢٠-١٦٣.
- (٢) نقلا عن تفسير السمعاني: ١٤٩/٥.
- (٣) نقلا عن تفسير السمعاني: ١٤٩/٥.
- (٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٤/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٦٤) ص: ٣٢٩٣/١٠.
- (٥) انظر: النكت والعيون: ٢٧١/٥.
- (٦) انظر: تفسير مقال بن سليمان: ١٥/٤.
- (٧) تفسير مقال بن سليمان: ١٥/٤.
- (٨) نقلا عن تفسير السمعاني: ١٤٩/٥.
- (٩) انظر: معاني القرآن: ٤٣٨/٤.
- (١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٧١/٥.
- (١١) انظر: النكت والعيون: ٢٧١/٥.
- (١٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٢/٢٢، ومعاني القرآن للزجاج: ٤٣٨/٤، والنكت والعيون: ٢٧١/٥، وزاد المسير: ١٠٣/٤.
- (١٣) معاني القرآن: ٥٠/٣.
- (١٤) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٧.
- (١٥) معاني القرآن: ٤٤٠/٦.
- (١٦) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٧.
- (١٧) البيت في اللسان (أثر) والقرطبي ١٨٢/١٦ والخزانة ٢٥١/٤، نسبه صاحب اللسان إلى الشماخ ولم أجده في ديوانه وقال البغدادي: والبيت من قصيدة للراعي مدح بها سعد ابن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد عدتها سبعة وخمسون بيتاً. بعض القصيدة في الأغاني ١٦٨/٢٠.



يعني: وذات بقية من شحم، فأما من قرأه «أَوْ أَثَرَةٍ» فإنه جعله أثره من الأثر، كما قيل: فترة وغيره وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأه: «أَوْ أَثَرَةٍ» بسكون الثاء، مثل الرجفة والخطفة، وإذا وجه ذلك إلى ما قلنا فيه من أنه بقية من علم، جاز أن تكون تلك البقية من علم الخط، ومن علم استنثير من كتب الأولين، ومن خاصة علم كانوا أوثروا به. وقد روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك خبر بأنه تأوله أنه بمعنى الخط<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأحقاف: ٤]، أي: "إن كنتم صادقين في دعوكم أنها شركاء مع الله"<sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: اللات والعزى ومناة بأنهن له شركاء"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: أي: "في دعوكم لها ما تدعون، فإن الدعوى إذا لم يكن معها حجة لم تُغن عن المدعي شيئاً"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لا دليل لكم نقلياً ولا عقلياً على ذلك"<sup>(٥)</sup>.

## القرآن

{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)} [الأحقاف: ٥]

التفسير:

لا أحد أضلُّ وأجهل ممن يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب دعاءه أبداً؛ لأنها من الأموات أو الأحجار والأشجار ونحوها، وهي غافلة عن دعاء من يعبدها، عاجزة عن نفعه أو ضره.

قوله تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [الأحقاف: ٥]، أي: "لا أحد أضلُّ وأجهل ممن يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب دعاءه أبداً؛ لأنها من الأموات أو الأحجار والأشجار ونحوها"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وأي عبد أضلُّ من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة: يقول: لا تُجيب دعاءه أبداً، لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك"<sup>(٧)</sup>.

قال الزجاج: "أي: من أضلُّ ممن عبد غير الله، وجميع ما خلق الله دليل على وحدانيته فمن أضلُّ ممن عبد حجراً لا يستجيب له"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لا أضلُّ ممن يدعو أصناماً، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلى يوم القيامة"<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: "أي: لا يستجيب أبداً"<sup>(١٠)</sup>.

قوله تعالى: {وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} [الأحقاف: ٥]، أي: "وهي غافلة عن دعاء من يعبدها، عاجزة عن نفعه أو ضره"<sup>(١١)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: الآلهة غافلون عن من يعبدها، فأخبر الله عنها في الدنيا"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٩٤/٢٢-٩٥.

(٢) صفوة التفاسير: ١٧٩/٣.

(٣) تفسير مقال بن سليمان: ١٥/٤.

(٤) تفسير الطبري: ٩٥/٢٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠٢.

(٧) تفسير الطبري: ٩٥/٢٢.

(٨) معاني القرآن: ٤٣٨/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٧.

(١٠) تفسير السمعاني: ١٤٩/٥.

(١١) التفسير الميسر: ٥٠٢.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦/٤.

قال ابن كثير: "وهي غافلة عما يقول، لا تسمع ولا تبصر ولا تبطش؛ لأنها جماد حجارة صم"<sup>(١)</sup>.

قال السمعاني: "أي: لا يسمعون دعاءهم وإن دعوا، والمراد من الآية هو الأصنام، يعني: كيف يعبدون الأصنام؟ ولو دعوهم لم يستجيبوا لهم ولم يسمعوا كلامهم"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "والهتيم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل. وإنما عنى بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئاً، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه. وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وفتح اختيارهم في عبادتهم، من لا يعقل شيئاً ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب"<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: "قال {ومَنْ} وقال {وَهُمْ} وهو لغير ما يعقل، لأن الذين عبدوها أجرَها مجرى ما يميز فخطبوا على مخاطباتهم كما قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

{وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦)} [الأحقاف : ٦]

### التفسير:

وإذا حُشِرَ الناس يوم القيامة للحساب والجزاء كانت الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، تلعنهم وتتبرأ منهم، وتتكبر علمها بعبادتهم إياها.

قوله تعالى: {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً} [الأحقاف : ٦]، أي: "وإذا حُشِرَ الناس يوم القيامة للحساب والجزاء كانت الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: إذا جمع الناس في الآخرة.. كانت الآلهة أعداء لمن يعبدوها"<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، لأنهم يتبرءون منهم"<sup>(٧)</sup>.

قال السعدي: "يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: هو "كقوله تعالى: {وَآتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [مريم : ٨١، ٨٢] أي : سيخونونهم أحوج ما يكونون إليهم، وقال الخليل: {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ نَاصِرِينَ} [العنكبوت : ٢٥]"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الأحقاف : ٦]، أي: "وتتبرأ الأصنام من الذين عبدوها"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: تبرأت الآلهة من عبادتهم إياها"<sup>(١١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٧.

(٢) تفسير السمعاني: ١٤٩/٥ - ١٥٠.

(٣) تفسير الطبري: ٩٥/٢٢.

(٤) معاني القرآن: ٤٣٨/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦/٤.

(٧) تفسير الطبري: ٩٦/٢٢.

(٨) تفسير السعدي: ٧٧٩.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٧.

(١٠) صفوة التفاسير: ١٧٩/٣.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦/٤.

قال الزجاج: "أي: كانت الأصنام كافرين بعبادتهم إياها، تقول: ما دعوهم إلى عبادتنا"<sup>(١)</sup>.  
 قال السمعاني: "يعني: أنهم يقولون: ما دعوناكم إلى عبادتنا"<sup>(٢)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "وكانت ألتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين، لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا"<sup>(٣)</sup>.  
 فوائد الآيات: [٦-١]:

- ١- إثبات النبوة المحمدية بتقرير أن القرآن تنزيل الله على رسوله المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٢- انتفاء العبث عن الله تعالى في خلقه السموات والأرض وما بينهما وفي كل أفعاله وأقواله.
- ٣- تقرير حقيقة علمية وهي من لا يخلق لا يُعبد.
- ٤- بيان أنه لا أضل في الحياة من أحد يدعو من لا يستجيب له أبداً كمن يدعون الأصنام الأحجار والأشجار ونحوها.

## القرآن

{وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧)}

[الأحقاف: ٧]

التفسير:

وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات، قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر.

قوله تعالى: {وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ} [الأحقاف: ٧]، أي: "وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آياتنا واضحات"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وإذا يقرأ على هؤلاء المشركين بالله من قومك آياتنا، يعني حججنا التي احتجناها عليهم، فيما أنزلناه من كتابنا على محمد صلى الله عليه وسلم {بَيِّنَاتٍ}، يعني: واضحات نيرات"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن المشركين في كفرهم وعنادهم: أنهم إذا تتلى عليهم آيات الله بينات، أي: في حال بيانها ووضوحها وجلالها"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: "آياتنا، يعني: القرآن، {بَيِّنَاتٍ}، يقول: بيان الحلال والحرام"<sup>(٧)</sup>.

قال الزمخشري: "بَيِّنَاتٍ جمع بينة: وهي الحجة والشاهد. أو واضحات مبينات"<sup>(٨)</sup>.

قال الماتريدي: "أي: بينات أنها من الله تعالى، أو بينات: واضحات، ما يبين لهم ما عليهم مما لهم، وما لبعض على بعض وما لله عليهم"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الأحقاف: ٧]، أي: "قال الذين كفروا حين جاءهم القرآن: هذا سحر ظاهر"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: يقول: "قال الذين جحدوا وحدانية الله، وكذبوا رسوله للحق لما جاءهم من عند الله، فأنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم {هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}، يعنون: هذا القرآن خداع

(١) معاني القرآن: ٤٣٨/٤.

(٢) تفسير السمعاني: ١٥٠/٥.

(٣) تفسير الطبري: ٩٦/٢٢.

(٤) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(٥) تفسير الطبري: ٩٦/٢٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٧.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦/٤.

(٨) الكشاف: ٢٩٦/٤.

(٩) تأويلات أهل السنة: ٢٤٠/٩.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٠٣.

يخدعنا، ويأخذ بقلوب من سمعه فعل السحر {مبين}، يقول: يُبين لمن تأمله ممن سمعه أنه سحر مبين" (١).

قال ابن كثير: "يقولون: {هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}، أي: سحر واضح، وقد كَذَّبُوا وافترخوا وضلُّوا وكفروا" (٢).

قال البغوي: "يسمون القرآن سحرا" (٣).

قال الزمخشري: "المراد بالحق: الآيات، وبالذين كفروا: المتلو عليهم، فوضع الظاهران موضع الضميرين، للتسجيل عليهم بالكفر، وللمتلو بالحق، {لَمَّا جَاءَهُمْ}، أي: بادوه بالجوهر ساعة أتاهم، وأول ما سمعوه من غير إجابة فكر ولا إعادة نظر. ومن عنادهم وظلمهم: أنهم سموه سحرا مبينا ظاهرا أمره في البطلان لا شبهة فيه" (٤).

## القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨) [الأحقاف: ٨]}

التفسير:

بل أيقول هؤلاء المشركون: إن محمداً اختلق هذا القرآن؟ قل لهم -أيها الرسول-: إن اختلقته على الله فإنكم لا تقدر أن تدفعوا عني من عقاب الله شيئا، إن عاقبني على ذلك هو سبحانه أعلم من كل شيء سواه بما تقولون في هذا القرآن، كفى بالله شاهداً عليّ وعليكم، وهو الغفور لمن تاب إليه، الرحيم بعباده المؤمنين.

قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} [الأحقاف: ٨]، أي: "بل أيقول هؤلاء المشركون: إن محمداً اختلق هذا القرآن؟" (٥).

قال الطبري: يقول: "أم يقولون هؤلاء المشركون بالله من قریش، افترى محمد هذا القرآن، فاخترقه وتخرصه كذبا" (٦).

قال يحيى بن سلام: "يعني: المشركين، يقولون: إن محمداً افترى القرآن، أي: قد قالوه، وهو على الاستفهام" (٧).

قال ابن كثير: "يعنون: محمداً صلى الله عليه وسلم" (٨).

قال السمعاني: "في التفسير: أن أبا جهل قال للنبي: يا محمد، إنك تفترى على الله حيث تزعم أن هذا القرآن من وحيه وكلامه، وإنما هو كلام تقوله من تلقاء نفسك" (٩).

قال مقاتل: "وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- ما هذا القرآن إلا شيء ابتدئته من تلقاء نفسك؟ أيعجز الله أن يبعث نبيا غيرك؟ - وأنت أحقرنا وأصغرنا وأضعفنا ركنا وأقلنا حلية- أو يرسل ملكا، إن هذا الذي جئت به لأمر عظيم" (١٠).

قال القشيري: "رموا رسلنا بالسحر ثم بالافتراء والمكر" (١١).

(١) تفسير الطبري: ٩٦/٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٧.

(٣) تفسير البغوي: ٢٥٢/٧.

(٤) الكشف: ٢٩٦/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(٦) تفسير الطبري: ٩٧-٩٦/٢٢.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨٤/٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٧.

(٩) تفسير السمعاني: ١٥٠/٥.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦/٤.

(١١) لطائف الإشارات: ٣٩٦/٣.

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [الأحقاف: ٨]، أي: "قل لهم - أيها الرسول-: إن اختلقته على الله فإنكم لا تقدرُونَ أن تدفعوا عني من عقاب الله شيئاً، إن عاقبني على ذلك"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: أي: "قل لهم يا محمد إن افتريته وتخرصته على الله كذبا، فلا تغنون عني من الله إن عاقبني على افترائي إياه، وتخرصي عليه شيئاً، ولا تقدرُونَ أن تدفعوا عني سوءاً إن أصابني به"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلني - وليس كذلك - لعاقبني أشد العقوبة، ولم يقدِرْ أحد من أهل الأرض، لا أنتم ولا غيركم أن يجبرني منه، كقوله: {قُلْ إِيَّيْ لَنْ يُجْبِرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ} [الجن: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]"<sup>(٣)</sup>.

قال السمعاني: "أي: إن افتريت على الله وعاقبني لا تملك دفع عقوبته عني"<sup>(٤)</sup>.

قال الزجاج: "أي: فَلَسْتُمْ تملكون من الله شيئاً، أي: الله أملك بعباده"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ} [الأحقاف: ٨]، أي: "هو سبحانه أعلم من كل شيء سواه بما تقولون في هذا القرآن"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ربي أعلم من كل شيء سواه بما تقولون بينكم في هذا القرآن"<sup>(٧)</sup>.

عن مجاهد، قوله: " {إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}، قال: تقولون"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} [الأحقاف: ٨]، أي: "كفى بالله شاهداً عليّ وعلَيْكُمْ"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقول: كفى بالله شاهداً عليّ وعلَيْكُمْ بما تقولون من تكذيبكم لي فيما جننكم به من عند الله"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: "يقول فلا شاهد أفضل من الله بيني وبينكم بأن القرآن جاء من الله"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "هذا تهديد لهم، ووعيد أكيد، وترهيب شديد"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الأحقاف: ٨]، أي: "وهو الغفور لمن تاب إليه، الرحيم بعباده المؤمنين"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: أي: "الغفور الرحيم لهم، بأن لا يعذبهم عليها بعد توبتهم منها"<sup>(١٤)</sup>.

قال الزجاج: "معناه: أنه مَنْ أثنى من الكبائر العظام ما أتيتم به من الافتراء على الله جلَّ وعزَّ وعلًا - ثم تاب فإن الله غفورٌ رحيمٌ له"<sup>(١٥)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(٢) تفسير الطبري: ٩٧/٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٧-٢٧٦.

(٤) تفسير السمعاني: ١٥٠/٥.

(٥) معاني القرآن: ٤٣٩/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(٧) تفسير الطبري: ٩٧/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٢.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٩٧/٢٢.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٦/٤-١٧.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٦/٧.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٤) تفسير الطبري: ٩٧/٢٢.

(١٥) معاني القرآن: ٤٣٩/٤.

قال ابن كثير: "ترغيب لهم إلى التوبة والإنابة، أي: ومع هذا كله إن رجعتم وتبتتم، تاب عليكم وعفا عنكم، وغفر لكم ورحم. وهذه الآية كقوله في سورة الفرقان: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: ٥، ٦]"<sup>(١)</sup>.

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، "أي: يغفر الذنوب، ويرحم العباد، على ما فيهم"<sup>(٢)</sup>.

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليعفر"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

{قُلْ مَا كُنْتُ بَدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٩)} [الأحقاف: ٩]

### التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: ما كنتُ أول رسل الله إلى خلقه، وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم في الدنيا، ما أتبع فيما أمركم به وفيما أفعله إلا وحي الله الذي يوحيه إليّ، وما أنا إلا نذير بين الإنذار.

سبب النزول:

قال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس: "لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر وماء، فقصها على أصحابه، فاستبشروا بذلك ورأوا فيها فرجا مما هم فيه من أذى المشركين، ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك، فقالوا: يا رسول الله متى نهاجر إلى الأرض التي رأيت؟ فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ}، يعني: لا أدري أخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامي أو لا؟ ثم قال: «إنما هو شيء رأيته في منامي ما أتبع إلا ما يوحى إليّ»<sup>(٤)</sup>. [ضعيف]

قال مقاتل: "وأنزل في قول كفار مكة: أما وجد الله رسولاً غيرك: {قُلْ مَا كُنْتُ بَدْعًا مِنَ الرُّسُلِ}"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بَدْعًا مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٩]، أي: قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: ما كنتُ أول رسل الله إلى خلقه"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عباس: "يقول: لست بأول الرسل"<sup>(٧)</sup>. وفي رواية: "ما كنت أول رسول أرسل"<sup>(٨)</sup>.

قال مجاهد: "ما كنت أولهم"<sup>(٩)</sup>.

قال قتادة: "أي: قد كانت قبلي رسل"<sup>(١٠)</sup>. وفي رواية: "أي: إن الرسل قد كانت قبلي"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٧٦/٧.

(٢) أخرجه الطبري (٧٨٢٢): ص ٢٠٣/٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٧٩): ص ٩٦٣/٣.

(٤) أسباب النزول للواحدي: ٣٨٠، والإسناد واه بمره، بغض النظر عن أخرجه، فالكلبي لم يسمع أبا صالح وأبا صالح لم يسمع ابن عباس.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ١٦/٤ - ١٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٩٨/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٩٨/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٩٨/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٩٨/٢٢-٩٩.

قال أبو عبيدة: " ما كنت أولهم معناها بدأ من الرسل" (٢).  
قال ابن كثير: " أي : لست بأول رسول طرق العالم، بل قد جاءت الرسل من قبلي، فما أنا بالأمر الذي لا نظير له حتى تستكروني وتستبعدوا بعثتي إليكم، فإنه قد أرسل الله قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم" (٣).

قال سهل بن عبدالله: " أي: كانت قبلي رسل يأمرون بما أمر به، وينهون عما أنهى عنه، وما كنت عجباً من الرسل، فإني لم أدعكم إلا إلى التوحيد، ولم أدلكم إلا على مكارم الأخلاق، وبهذا بعثت الأنبياء قبلي" (٤).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش: ما كنت أول رسل الله التي أرسلها إلى خلقه، قد كان من قبلي له رسل كثيرة أرسلت إلى أمم قبلكم؛ يقال منه: هو بدع في هذا الأمر، وبديع فيه، إذا كان فيه أول. ومن البدع قول عدي بن زيد (٥):

فَلَا أَنَا بَدْعٌ مِنْ حَوَادِثِ تَعْتَرِي ... رَجُلًا عَرَتَ مِنْ بَعْدِ بُؤْسَى وَأَسْعَدَ  
وَمِنَ الْبَدِيعِ قَوْلَ الْأَحْوَصِ (٦):

فَخَرَتُ فَانْتَمَتَ فُؤَلْتُ أَنْظِرِينِي ... لَيْسَ جَهْلٌ أَنْيْهُ بِبَدِيعٍ  
يعني بأول، يقال: هو بدع من قوم أبداع" (٧).

قال الأخفش: " البدع: البديع، وهو: الأول" (٨).

قال النحاس: " يقال: ابتدع فلان كذا، إذا أتى بما لم يكن قبله، وفلان مبتدع من البدعة وهي التي لم يتقدم لها شبه، وقال عز وجل: {بديع السماوات والأرض} [البقرة: ١١٧]، أي: مبتدئهما" (٩).

قوله تعالى: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف: ٩]، أي: " وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم في الدنيا" (١٠).

وفي قوله تعالى: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف: ٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا لا في الآخرة ، فلا أدري ما يفعل بي أخرج كما أخرجت الأنبياء من قبلي، أو أقتل كما قتل الأنبياء من قبلي ولا أدري ما يفعل بكم، إنكم مصدقون أو مكذبون، أو معذبون أو مؤخرون. قاله الحسن (١١).

روي الطبري بسنده عن الحسن، قال: " أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلي أو أقتل كما قُتلت الأنبياء من قبلي، ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم، أممي المكذبة، أم أممي المصدقة، أم أممي المرمية بالحجارة من السماء قذفاً، أم مخسوف بها خسفاً، ثم أوحى إليه: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ}، يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك، فعرف

(١) أخرجه الطبري: ٩٩/٢٢.

(٢) مجاز القرآن: ٢١٢/٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٧٦/٧.

(٤) تفسير التستري: ١٤٤.

(٥) استشهد بهذا البيت ابن عطية ١٥ / ١٣، والقرطبي ١٦ / ١٨٥، وأبو حيان ٨ / ٥٦، وفي "شعراء النصرانية" ص ٤٦٥، و"المفضليات" ٨٢٩.

(٦) البيت في اللسان (أثر)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢١٢/٢، وتفسير القرطبي ١٦ / ١٨٢، والخزانة: ٤ / ٢٥١، نسبه صاحب اللسان إلى الشماخ ولم أجده في ديوانه وقال البغدادي: والبيت من قصيدة للراعي مدح بها سعد ابن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد عدتها سبعة وخمسون بيتاً. بعض القصيدة في الأغاني ٢٠ / ١٦٨.

(٧) تفسير الطبري: ٩٨/٢٢.

(٨) معاني القرآن: ٥١٩/٢.

(٩) إعراب القرآن: ١٠٦/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٠/٢٢-١٠١.

أنه لا يُقتل، ثم أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾، يقول: أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الأديان، ثم قال له في أمته: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، فأخبره الله ما يصنع به، وما يصنع بأمرته<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال قبل الهجرة: «لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَرْضًا أُخْرِجُ إِلَيْهَا مِنْ مَكَّةَ»، فلما اشتد البلاء على أصحابه بمكة، قالوا: يا رسول الله حتى متى نلقى هذا البلاء؟ ومتى تخرج إلى الأرض التي رأيت؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «مَا أُدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ، أُنْمُوتُ بِمَكَّةَ أَمْ نَخْرُجُ مِنْهَا»، ثم قال لهم: «إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَرَيْتَهُ فِي مَنَامِي، وَمَا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ». يقول: لم يوح إلي ما أخبرتكم به. وعلى هذا لا نسخ في الآية<sup>(٢)</sup>. وهذا قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>، والكلبي<sup>(٤)</sup>، والفراء<sup>(٥)</sup>، والزجاج<sup>(٦)</sup>.

قال الزجاج: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأى في منامه أنه سيصير إلى أرض ذات نخل وشجر، وقد شكوا أصحابه الشدة التي نالتهم فلما أعلمهم أنه سيصير إلى أرض ذات نخل وشجر، وتأخر ذلك استبطأوا ما قال عليه السلام، فأعلمهم أن الذي يتبعه ما يوحى إليه، إن أمر يقتال أو انتقال، وكان ذلك الأمر وحياً فهو متبعه، ورؤيا الأنبياء عليهم السلام وحي"<sup>(٧)</sup>.

الثالث: معناه: وما أدري ما تؤمرون وما تنهون عنه. قاله الضحاك<sup>(٨)</sup>.  
وحكي الطبري عن بعضهم، قال: "ما يفترض عليّ وعليكم، أو ينزل من حكم"<sup>(٩)</sup>.  
قال حارث المحاسبي: "أكثر العلماء قالوا إنما أراد: ﴿مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾: ما أدري ما أؤمر به أنا وأنتم"<sup>(١٠)</sup>.

الرابع: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، وإلام نصير هنالك. وهذا قبل نزول: ﴿لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُنِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]. فلما نزل عليه ذلك عام الحديبية علم ما يفعل به في الآخرة وقال لأصحابه: ﴿لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ آيَةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعِهَا﴾، فلما تلاها قال رجل من القوم: هنيئاً يا رسول الله، قد بين الله ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥]، فبين الله ما يفعل به وبهم. قاله ابن عباس<sup>(١١)</sup>، والحسن<sup>(١٢)</sup>، وعكرمة<sup>(١٣)</sup>، وقتادة<sup>(١٤)</sup>.

قال الشافعي: "ثم أنزل الله - عز وجل - على نبيه - صلى الله عليه وسلم -: أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يعني - والله أعلم -: ما تقدم من ذنبه قبل الوحي، وما تأخر: أن

- 
- (١) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٢-١٠١.  
(٢) قال مكي: "وأما من قال أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا من تقلب الأحوال فيها، فالآية عنده محكمة". [الإيضاح "لمكي ص ٣٥٦].  
(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٨٠، والإسناد واه بمرّة، بغض النظر عن أخرجه.  
(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٧٢/٥-٢٧٣.  
(٥) انظر: معاني القرآن: ٥٠/٣-٥١.  
(٦) انظر: معاني القرآن: ٤٣٩/٤.  
(٧) انظر: معاني القرآن: ٤٣٩/٤.  
(٨) انظر: الكشف والبيان: ٨/٩، والنكت والعيون: ٢٧٣/٥. والخبر بدون سند. والخبر عند الماوردي بلفظ: "قل لا أدري ما أؤمر به ولا ما تؤمرون به".  
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٠١/٢٢.  
(١٠) فهم القرآن: ٤٥٦.  
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٢.  
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٢.  
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٢.  
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٠/٢٢.



يعصمه فلا يذنب، يعلم الله ما يفعل به من رضاه وأنه أول شافع وأول مشفع يوم القيامة وسيد الخلائق" (١).

قال سفيان: " يرون أنها نزلت قبل الفتح" (٢).

وفي رواية الضحاك، عن ابن عباس: "نسخها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] الآية" (٣).

قال النحاس: " محال أن يكون في هذا ناسخ ولا منسوخ من جهتين إحداهما أنه خبر والآخر أن من أول السورة إلى هذا الموضع فيه خطاب للمشركين واحتجاج عليهم وتوبيخ لهم فوجب أن يكون هذا أيضا خطابا للمشركين كما كان ما قبله وما بعده ومحال أن يقول صلى الله عليه وسلم للمشركين {وما أدري ما يفعل بي ولا بكم} [الأحقاف: ٩] في الآخرة ولم يزل صلى الله عليه وسلم من أول مبعثه إلى وفاته يخبر أن من مات على الكفر يخلد في النار ومن مات على الإيمان واتبعه وأطاعه فهو في الجنة، فقد درى صلى الله عليه وسلم ما يفعل به وبهم وليس يجوز أن يقول لهم: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة فيقولوا كيف نتبعك وأنت لا تدري أتصير إلى خفض ودعة أم إلى عذاب وعقاب. والصحيح في معنى الآية قول الحسن، كما قرئ على محمد بن جعفر بن حفص، عن يوسف بن موسى، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن الحسن، {وما أدري ما يفعل بي ولا بكم}: «في الدنيا». قال أبو جعفر النحاس: وهذا أصح قول وأحسنه لا يدري صلى الله عليه وسلم ما يلحقه وإياهم من مرض وصحة ورخص وغلاء وغنى وفقير، ومثله: {ولو كنتم تعلمون الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء} [الأعراف: ٢١٨٨] (٤).

قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دلّ عليه التنزيل، القول الذي قاله الحسن البصري، الذي رواه عنه أبو بكر الهذلي، وإنما قلنا ذلك أولاها بالصواب، لأن الخطاب من مبتدأ هذه السورة إلى هذه الآية، والخبر خرج من الله عزّ وجلّ خطابا للمشركين وخبرا عنهم، وتوبيخا لهم، واحتجاجا من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عليهم. فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أن هذه الآية أيضا سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم، وتوبيخ لهم، أو خير عنهم. وإذا كان ذلك كذلك، فمحال أن يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة، وآيات كتاب الله عزّ وجلّ في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون، والمؤمنون به في الجنان منعمون، وبذلك يرهبهم مرّة، ويرغبهم أخرى، ولو قال لهم ذلك، لقالوا له: فعلام نتبعك إذن وأنت لا تدري إلى أيّ حال تصير غدا في القيامة، إلى خفض ودعة، أم إلى شدة وعذاب؛ وإنما اتباعنا إياك إن اتبعناك، وتصديقنا بما تدعوننا إليه، رغبة في نعمة، وكرامة نصيبها، أو رهبة من عقوبة، وعذاب نهرب منه، ولكن ذلك كما قال الحسن، ثم بين الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ما هو فاعل به، وبمن كذب بما جاء به من قومه وغيرهم" (٥).

قال ابن كثير: " وهذا القول هو الذي عوّل عليه ابن جرير، وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أن هذا هو اللائق به، صلوات الله وسلامه عليه، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلى ماذا: أيؤمنون أم يكفرون، فيعذبون، فيستأصلون بكفرهم؟ فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد:

حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أم العلاء - وهي امرأة من نسائهم - أخبرته - وكانت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - قالت: طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون. فاشتكى عثمان

(١) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٦٢/٣.

(٢) رواه النحاس في الناسخ والمنسوخ: ٦٦٤.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٦٦٤.

(٤) الناسخ والمنسوخ: ٦٦٥-٦٦٦.

(٥) تفسير الطبري: ١٠٢-١٠١/٢٢.

عندنا فَمَرَضَانَا، حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك، لقد أكرمك الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما يدريك أن الله أكرمك؟" فقلت : لا أدري بأبي أنت وأمي! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما هو فقد جاءه اليقين من ربه، وإنني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي!" قالت : فقلت : والله لا أزكي أحدا بعده أبدا. وأحزنتني ذلك، فنمت فرأيت لعثمان عينا تجري، فجننت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ذاك عمله».

فقد انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم<sup>(١)</sup>، وفي لفظ له : «ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به»<sup>(٢)</sup>. وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ، بدليل قولها : «فأحزنتني ذلك». وفي هذا وأمثلة دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم، كالعشرة، وابن سلام، والغُميصاء، وبلال، وسراقة، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء<sup>(٣)</sup>. قال القشيري: "وفي الآية دليل على فساد قول أهل القدر والبدع حيث قالوا: «إيلام البريء قبيح في العقل»، لأنه لو لم يجر ذلك لكان يقول: أعلم- قطعا- أني رسول الله، وأنى معصوم.. فلا محالة يغفر لي، ولكنه قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ليعلم أن الأمر أمره، والحكم حكمه، وله أن يفعل بعباده ما يريد»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {إِنْ أَتَيْتُمْ إِثْمًا فَتَبِعُوا هُوَ} [الأحقاف : ٩]، أي: "ما أتبع فيما أمركم به وفيما أفعله إلا وحي الله الذي يوحى إلي" <sup>(٥)</sup>. قال الطبري: أي: "قل لهم ما أتبع فيما أمركم به، وفيما أفعله من فعل إلا وحي الله الذي يوحى إلي" <sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : إنما أتبع ما ينزله الله علي من الوحي" <sup>(٧)</sup>. قال مقاتل: "يقول: ما أتبع إلا ما يوحى إلي من القرآن، يقول: إذا أمرت بأمر فعلته ولا أبتدع ما لم أومر به" <sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [الأحقاف : ٩]، أي: "وما أنا إلا نذير بين الإنذار" <sup>(٩)</sup>. قال الطبري: "يقول: وما أنا لكم إلا نذير، أنذركم عقاب الله على كفركم به {مبين}: يقول: قد أبان لكم إنذاره، وأظهر لكم دعاءه إلى ما فيه نصيحتكم، يقول: فكذلك أنا" <sup>(١٠)</sup>. قال مقاتل: "يعني: نذير بين" <sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : بين النذارة، وأمري ظاهر لكل ذي لب وعقل" <sup>(١)</sup>.

(١) المسند (٤٣٦/٦) وصحيح البخاري برقم (١٢٤٣).

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٦٨٧).

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٧٦/٧-٢٧٧.

(٤) تفسير التستري: ٣٩٧/٣.

يتضح بأن القشيري ينكر أن يذهب البشر إلى التماس تعليقات للأفعال الإلهية لأن أفعال الله سبحانه لا تخضع للأغراض، فهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فهو يعود بالأمر كله إلى الحكمة والإرادة الإلهيتين، وطالما هما في غير نطاق الإنسانية فلا ينبغي إخضاعهما للمفاهيم الإنسانية من حسن وقيح، وخير وشر لأن هذه المفاهيم متأثرة بالمصلحة والغرض.. والله منزه عن ذلك، فله أن يفعل بعباده ما يشاء، وإذا كان رب الأسرة لا يقودها إلا إلى الخير فما ظنك برب البرية وخالق كل شيء؟!.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(٦) تفسير الطبري: ١٠٢/٢٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/٧.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٠) تفسير الطبري: ١٠٢/٢٢.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٧/٤.

عن ابن عباس: " {نذير}، قال: نذير من النار" (٢).

عن سعيد بن جبير: " {المبين}، يعني: البين" (٣).

فوائد الآيات: [٧-٩]:

١- وصف الله تعالى القائلين بأنّ القرآن سحر بالكفر، قال تعالى: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الأحقاف: ٧].

٢- مدح الله المعرضين عن الجاهلين، وأمر بذلك، وذكر في غير آية أعظم الزجر عن الطمع في هدايتهم.

٣- إثبات هذين الاسم بين الكريمين: «الغفور»، و «الرحيم»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.

- ف «الغفور»: هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة (٤).

والفرق بين صيغتي: «الغفار»، و «الغفور»: أن «الغفار» (٥)، معناه: الستار لذنوب عباده في الدنيا بأن لا يهتكهم ولا يشيدهما عليهم، ويكون معنى «الغفور»: منصرفا إلى مغفرة الذنوب في الآخرة، والتجاوز عن العقوبة فيها (٦).

٤- اختصاص علم الغيب بالله، ونفيه عن غيره تعالى من الملائكة والأنبياء، والأولياء، والجن.

٥- لا بد من الإيمان بالقدر والعمل بالشرع ولا منافاة بينهما: قال عليه السلام: {وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بَكُمْ} [الأحقاف: ٩]، يعني: في شؤون الدنيا. أما في الآخرة فمعلوم أن أهل الإيمان في الجنة وغيرهم في النار.

فالرسل -عليهم الصلاة والسلام- على علو منزلتهم لا يمتازون عن الخلق في تمام عبوديتهم، بافتقارهم إلى الله، وجريان قدره عليهم وعدم ملكهم شيئا معه من التصرف في ملكه، وعدم علمهم الغيب إلا ما علمهم الله، وجريان شرعه عليهم وقيامهم بما كلفوا به خاضعين لله راجين خائفين (٧).

## القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)} [الأحقاف: ١٠]

### التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل كعبد الله بن سلام على مثل هذا القرآن، وهو ما في التوراة من التصديق بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، فصدّق وعمل بما جاء في القرآن، وجددتم ذلك استكباراً، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟ إن الله لا يوقّق إلى الإسلام وإصابة الحق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٧٧٦): ص ٢٧٨٩/٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٢٢٠): ص ٣٤٥/٩.

(٤) انظر: شأن الدعاء: ٦٥ / ١.

(٥) قال الخطابي: " الغفار: هو الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى. كلما تكررت التوبة في الذنب من العبد تكررت المغفرة. كقوله - سبحانه -: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى} [طه: ٨٢].

وأصل الغفر في اللغة: الستر والتغطية، ومنه قيل لجنة الرأس: المغفر، وبه سمي زئير الثوب غفرا وذلك لأنه يستتر سداه؛ فالغفار: الستار لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته. ومعنى الستر في هذا أنه لا يكشف أمر العبد لخلق ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره فيعيونهم ويقال: إن المغفرة مأخوذة من الغفر: وهو فيما حكاه بعض أهل اللغة نبت يداوى به الجراح، يقال إنه إذا ذر عليها دملها وأبرأها". [شأن الدعاء: ١ / ٥٢ - ٥٣، وانظر: اللسان وتاج العروس، مادة "غفر"].

(٦) شأن الدعاء: ٦٥ / ١.

(٧) انظر: العقائد الإسلامية لابن باديس: ١١٢-١١٣.

## سبب النزول:

عن عوف بن مالك قال: "انطلق النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة، يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر اليهود أروني اثني<sup>(١)</sup> عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب، الذي غضب عليه" قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال: "أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا النبي المصطفى، آمنتم أو كذبتم". ثم انصرف وأنا معه حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت يا محمد. قال: فأقبل. فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفاقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك. قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله، الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شراً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كذبتم لن يقبل قولكم، أما أنفاً فنتنون عليه من الخير ما أتيتهم، ولما آمن أكذبتموه، وقتلتم فيه ما قتلتم، فلن يقبل قولكم". قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا وعبد الله بن سلام، وأنزل الله عز وجل فيه: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٢).

قال الحسن: "بلغني أنه لما أراد عبد الله بن سلام أن يسلم قال: يا رسول الله، قد علمت اليهود أنني من علمائهم، وأن أبي كان من علمائهم، وإني أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة، فأرسل إلى فلان وفلان، ومن سماه من اليهود، وأخبني في بيتك، وسلهم عني، وعن أبي، فإنهم سيحدثونك أنني أعلمهم، وأن أبي من أعلمهم، وإني سأخرج إليهم، فأشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة، أنك بُعثت بالهدى ودين الحق، قال: ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخبأه في بيته وأرسل إلى اليهود، فدخلوا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما عبد الله بن سلام فيكم؟" قالوا: أعلمنا نفساً. وأعلمنا أباً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرأيتُمْ إِنْ أَسْلَمَ تُسَلِّمُونَ؟" قالوا: لا يسلم، ثلاث مرار، فدعاه فخرج، ثم قال: أشهد أنك رسول الله، وأنهم يجدونك مكتوباً عندهم في التوراة، أنك بُعثت بالهدى ودين الحق، فقالت اليهود: ما كنا نخشاك على هذا يا عبد الله بن سلام، قال: فخرجوا كفاراً، فأنزل الله عز وجل في ذلك: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ} (٣).

عن عبد الملك بن عمير، أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام، قال: قال عبد الله: "أنزل في: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ... إلى قوله: {فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ} (٤).

وروي عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: "ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام؛ قال: وفيه نزلت: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ} (٥).

قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ} [الأحقاف: ١٠]، أي: قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله وكفرتُم به" (٦).

(١) قال المحقق: "قوله: "أروني اثني" تحرف في (م) و (ظ) و (ق) إلى: انبانا اثنا، والتصويب من "جامع المسانيد" و"مجمع الزوائد" ١٠٥/٧ ومصادر التخريج".

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٣٩٨٤): ص ٤٠٩/٣٩، والطبري في "التفسير" ١٠٧/٢٢، وابن حبان (٧١٦٢)، والطبراني في "الكبير" ١٨/ (٨٣)، وفي "الشاميين" (٩٤٨)، والحاكم ٤١٥/٣-٤١٦.

(٣) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٢.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠٣.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لهذا القرآن لما جاءهم هذا سحر مبين {أَرَأَيْتُمْ} أيها القوم {إِنْ كَانَ} هذا القرآن {مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} أنزله عليّ، وكذبتم أنتم به"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ما ظنكم أن الله صانع بكم إن كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد أنزله عليّ لأبلغكموه، وقد كفرتكم به وكذبتموه"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ} [الأحقاف: ١٠]، أي: "وقد شهد رجل من علماء بني إسرائيل على صدق القرآن، فأمن به واستكبرتم أنتم عن الإيمان، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟"<sup>(٣)</sup>.

وجواب «إِنْ» مُضْمَرٌ وفي تقديره ستة أقوال:

أحدها: أن جوابه: فَمَنْ أَضَلُّ مِنْكُمْ، قاله الحسن<sup>(٤)</sup>.

الثاني: أن تقدير الكلام: وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ، أَتُؤْمِنُونَ؟ قاله الزجاج<sup>(٥)</sup>.

الثالث: أن تقديره: أَتَأْمَنُونَ عقوبة الله؟ قاله أبو علي الفارسي<sup>(٦)</sup>.

الرابع: أن تقديره: أَمَا تَهْلِكُونَ؟ ذكره الماوردي<sup>(٧)</sup>.

الخامس: مَنْ الْمُحِقُّ مِثًا وَمِنْكُمْ وَمَنْ الْمُبْطِلُ؟ حكاه الثعلبي<sup>(٨)</sup>.

السادس: أن تقديره: أَلَيْسَ قَدْ ظَلَمْتُمْ؟ ويدلُّ على هذا المحذوف<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: "في التفسير: أن في الآية حذفاً، وتقديره: قل أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم أَلَسْتُمْ قَدْ ظَلَمْتُمْ وَأَنْتُمْ بِالْقَبِيحِ الَّذِي لَا يَجُوزُ"<sup>(١٠)</sup>.

واختلف في قوله تعالى: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ} [الأحقاف: ١٠]، على

أقوال:

أحدها: أنه عبد الله بن سلام شهد على اليهود أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مذكور في التوراة، قاله ابن عباس<sup>(١١)</sup>، والحسن<sup>(١٢)</sup>، وعكرمة<sup>(١٣)</sup>، والضحاك<sup>(١٤)</sup>، وقتادة<sup>(١٥)</sup>، ومجاهد<sup>(١٦)</sup>،

(١) تفسير الطبري: ١٠٢/٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/٧-٢٧٨.

(٣) انظر: صفوة التفاسير: ١٨٠/٣، والتفسير الميسر: ٥٠٣..

(٤) انظر: زاد المسير: ١٠٥/٤.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٤٤٠/٤.

(٦) نقلا عن: زاد المسير: ١٠٥/٤.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٧٤/٥.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ١٠/٩.

(٩) انظر: زاد المسير: ١٠٥/٤.

(١٠) تفسير السمعاني: ١٥٢/٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٢-١٠٥.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٢.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٧٣/٥، وتفسير السمعاني: ١٥١/٥.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٥/٢٢-١٠٦.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٥/٢٢.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٥/٢٢.

ويوسف بن عبد الله بن سلام<sup>(١)</sup>، والسُّدِّي<sup>(٢)</sup>، والثوري<sup>(٣)</sup>، ومالك بن أنس<sup>(٤)</sup>، وابن زيد<sup>(٥)</sup>، وابن سيرين<sup>(٦)</sup>. وهو قول الأكثرين<sup>(٧)</sup>.

قال السمعاني: "وعلى هذا القول هذه الآية مدنية من جملة السورة؛ لأن عبد الله بن سلام أسلم بالمدينة بالاتفاق"<sup>(٨)</sup>.

قال قتادة: "كنا نحدِّث أنه عبد الله بن سلام آمن بكتاب الله وبرسوله وبالإسلام، وكان من أخبار اليهود"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن زيد: "هذا عبد الله بن سلام، شهد أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتابه حق، وهو في التوراة حق، فأمن واستكبرتم"<sup>(١٠)</sup>.

قال الضحاك: "الشاهد: عبد الله بن سلام، وكان من الأخبار من علماء بني إسرائيل، وبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليهود، فأتوه، فسألهم فقال: "أَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ تَجِدُونَنِي مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ؟" قالوا: لا نعلم ما تقول، وإنا بما جئت به كافرين، فقال: "أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ سَلَامٍ عِنْدَكُمْ؟" قالوا: عالمنا وخيرنا، قال: "أَتَرْضَوْنَ بِهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ؟" قالوا: نعم، فأرسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عبد الله بن سلام، فجاءه فقال: "ما شهادتك يا ابنَ سلام؟" قال: أشهد أنك رسول الله، وأن كتابك جاء من عند الله، فأمن وكفروا، يقول الله تبارك وتعالى: {فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ}<sup>(١١)</sup>.

قال ابن عباس: «كان رجل من أهل الكتاب آمن بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إنا نجد في التوراة، وكان أفضل رجل منهم، وأعلمهم بالكتاب، فخاصمت اليهود النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: "أترضون أن يحكم بيني وبينكم عبد الله بن سلام؟" "أتؤمنون؟" قالوا: نعم، فأرسل إلى عبد الله بن سلام، فقال: "أتشهد أنني رسول الله مكتوبا في التوراة والإنجيل"، قال: نعم، فأعرضت اليهود، وأسلم عبد الله بن سلام، فهو الذي قال الله جل ثناؤه عنه: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ}، يقول: فأمن عبد الله بن سلام»<sup>(١٢)</sup>.

وقال مقاتل: "يعني: عبد الله بن سلام، {على مثله}، يعني: على مثل ما شهد عليه يامين بن يامين، كان أسلم قبل عبد الله بن سلام وكان يامين من بني إسرائيل من أهل التوراة فأمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم-"<sup>(١٣)</sup>.

الثاني: أنه يامين<sup>(١٤)</sup> بن يامين، قال لما أسلم عبد الله بن سلام: «أنا شاهد مثل شهادته ومؤمن كإيمانه». قاله السدي<sup>(١٥)</sup>.

الثالث: أن المراد به رجل من بني إسرائيل على الجملة، شهد على مثل ما شهد عليه عبد الله بن سلام من التصديق بالنبي صلى الله عليه وآله موصوف في التوراة، فأمن ذلك الرجل واستكبرتم. وهذا قول الفراء<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٢.

(٢) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٢٧٨/٧.

(٣) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٢٧٨/٧.

(٤) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٢٧٨/٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٢.

(٦) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ١٥١/٥.

(٧) حكاه عن الأكثرين، الرازي في مفاتيح الغيب: ١٠/٢٨.

(٨) تفسير السمعاني: ١٥١/٥.

(٩) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٢.

(١١) أخرجه الطبري: ١٠٦-١٠٥/٢٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٠٥-١٠٤/٢٢.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٨/٤.

(١٤) وفي بعض المصادر «أمين بن يامين».

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٢٧٣/٥.

قال الزجاج: " قيلَ في تفسير قوله: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ} عَلَى مِثْلِ شَهَادَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَالْأَجُودِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ يَكُونَ {عَلَى مِثْلِهِ} عَلَى مِثْلِ شَهَادَةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -" (٢).

قال السمعاني: " وعلى هذا القول الآية مكية مثل سائر آيات السورة" (٣).  
الثالث : أن موسى مثل محمد -صلى الله عليه وسلم- يشهد بنبوته، والتوراة مثل القرآن يشهد بصحته ، قاله مسروق (٤)، والشعبي (٥)، وبه قال الطبري (١).

والمعنى على هذا القول: " وشَهِدَ موسى على التوراة التي هي مثل القرآن أنها من عند الله، كما شهد محمد على القرآن أنه كلام الله، «فَأَمِنَ» مَنْ آمَنَ بِمُوسَى وَالتَّوْرَةَ «وَاسْتَكْبَرْتُمْ» أَنْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَنْ تَتُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ وَالتَّوْرَانَ" (٧).

قال الماوردي: " ولم يكن في عبد الله بن سلام لأنه أسلم بالمدينة والآية مكية" (٨).  
قال الفخر الرازي: " أنكر الشعبي ومسروق وجماعة آخريين أن يكون الشاهد المذكور في هذه الآية هو عبد الله بن سلام، قالوا لأن إسلامه كان بالمدينة قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل هذه الآية المكية على واقعة حدثت في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة؟

وأجاب الكلبي: بأن السورة مكية إلا هذه الآية فإنها مدنية وكانت الآية تنزل فيؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في سورة كذا فهذا الآية نزلت بالمدينة وإن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين" (٩).  
قال القرطبي: " الآية في محاجة المشركين، ووجه الحجة أنهم كانوا يراجعون اليهود في أشياء.. ولا يبعد أن تكون السورة في محاجة اليهود" (١٠).

قال مسروق: " والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما أنزلت إلا بمكة، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة، ولكنها خصومة خاصم محمد صلى الله عليه وسلم بها قومه، قال: فنزلت: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ}، قال: فالتوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم، فأمنوا بالتوراة وبرسولهم، وكفرتهم" (١١).

وقال مسروق: "فخاصم به الذين كفروا من أهل مكة، التوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم" (١٢).

قال الشعبي: "إن ناسا يزعمون أن الشاهد على مثله: عبد الله بن سلام، وأنا أعلم بذلك، وإنما أسلم عبد الله بالمدينة، وقد أخبرني مسروق أن «أَلْ حَم» إنما نزلت بمكة، وإنما كانت محاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه، فقال: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ}، يعني: الفرقان {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ}، فمثل التوراة: الفرقان، التوراة شهد عليها موسى، ومحمد على الفرقان صلى الله عليهما وسلم" (١٣).

(١) انظر: معاني القرآن: ٥١/٣.

(٢) معاني القرآن: ٤٣٩/٤.

(٣) تفسير السمعاني: ١٥٢/٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٢/٢٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٢٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٢.

(٧) زاد المسير: ١٠٥/٤.

(٨) النكت والعيون: ٢٧٣/٥.

(٩) مفاتيح الغيب: ١١/٢٨.

(١٠) تفسير القرطبي: ١٨٨/١٦.

(١١) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢-٢٢: ١.

(١٣) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٢.

الرابع : هو من آمن من بني إسرائيل بموسى والتوراة ، قاله الشعبي<sup>(١)</sup> .  
قال ابن كثير: " وهذا الشاهد اسم جنس يعمر عبد الله بن سلام وغيره ، فإن هذه الآية مكية  
نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام . وهذه كقوله : {وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا  
إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} [القصص : ٥٣] ، وقال : {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ  
يَخْرُؤْنَ لِلآذِقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا} [الإسراء : ١٠٧ ،  
١٠٨]"<sup>(٢)</sup> .

قال الطبري: " والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك  
أشبه بظاهر التنزيل ، لأن قوله {فَلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ} في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش ، واحتجاجا عليهم لنبية صلى  
الله عليه وسلم ، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها ، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك  
ذكر ، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت ، ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم  
الخبر عنهم معنى ، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل ، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن ،  
والسبب الذي فيه نزل ، وما أريد به"<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الأحقاف : ١٠] ، أي: "إن الله لا يوفق إلى  
الإسلام وإصابة الحق القوم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله"<sup>(٤)</sup> .  
قال الطبري: " يقول: إن الله لا يوفق لإصابة الحق ، وهدى الطريق المستقيم ، القوم  
الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بإيجابهم لها سخط الله بكفرهم به"<sup>(٥)</sup> .  
قال السمعاني: " يعني: الكافرين"<sup>(٦)</sup> .  
قال الزجاج: " ثم أعلم أن هؤلاء المعاندين خاصة لا يؤمنون ، فقال: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ، أي: قد جعل جزاءهم على كفرهم بعدما تبين لهم الهدى مذهبهم في الضلالة"<sup>(٧)</sup> .

## القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا  
إِفْكٌ قَدِيمٌ (١١)} [الأحقاف : ١١]  
التفسير:

وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمداً على  
ما جاء به خيراً ما سبقتمونا إلى التصديق به، وإذ لم يهتدوا بالقرآن ولم ينتفعوا بما فيه من الحق  
فسيقولون: هذا كذب، مأثور عن الناس الأقدمين.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} [الأحقاف : ١١] ،  
أي: " وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين آمنوا به: لو كان تصديقكم محمداً  
على ما جاء به خيراً ما سبقتمونا إلى التصديق به"<sup>(٨)</sup> .

قال الطبري: يقول: " وقال الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بني  
إسرائيل للذين آمنوا به، لو كان تصديقكم محمداً على ما جاءكم به خيراً، ما سبقتمونا إلى  
التصديق به، وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ}

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٧٣/٥ ، وتفسير القرطبي: ١٨٨/١٦ .

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٨/٧ .

(٣) تفسير الطبري: ١٠٧/٢٢ .

(٤) التفسير الميسر: ٥٠٣ .

(٥) تفسير الطبري: ١٠٨/٢٢ .

(٦) تفسير السمعاني: ١٥٢/٥ .

(٧) معاني القرآن: ٤٤٠/٤ .

(٨) التفسير الميسر: ٥٠٣ .



أنه معنيّ به عبد الله بن سلام، فأما على تأويل من تأوّل أنه عنيّ به مشركو قريش، فإنه ينبغي أن يوجه تأويل قوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} أنه عنيّ به مشركو قريش<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: "وذلك أنهم قالوا: لو كان الذي جاء به محمد حقا: أن القرآن من الله ما سبقونا يقول ما سبقنا إلى الإيمان به أصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم"-<sup>(٢)</sup>.

قال الفراء: "لما أسلمت: مزينة، وجهينة، وأسلم، وغفار، قالت بنو عامر بن صعصعة وغطفان، وأشجع وأسد: لو كان هذا خيرا ما سبقنا إليه رعاة البهائم"<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: "جاء في التفسير: أنه لما أسلمت جُهينة ومزينة وأسلم وغفار، قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع: لو كان ما دخل فيه هؤلاء من الذين خيرا ما سبقونا إليه، ونحن أعز منهم، وإنما هؤلاء رعاة البهائم"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: قالوا عن المؤمنين بالقرآن: لو كان القرآن خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه. يعنون بلالا وعمارا وصهيبا وخبابا وأشباههم وأقرانهم من المستضعفين والعبيد والإماء، وما ذلك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية. وقد غلطوا في ذلك غلطا فاحشا، وأخطئوا خطأ بينا، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا} [الأنعام: ٥٣] أي: يتعجبون: كيف اهتدى هؤلاء دوننا؛ ولهذا قالوا: {لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ}، وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرا لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: "قال ذلك أناس من المشركين: نحن أعزّ، ونحن، ونحن، فلو كان خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان، فإن الله يختص برحمته من يشاء"<sup>(٦)</sup>.

وعن قتادة: "قال قوم من المشركين: نحن ونحن نفتخرون لو كان خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان يعنون عمارا وبلالا وصهيبا وضروبهم فأنزل الله جل وعز: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} [البقرة: ١٠٥]"<sup>(٧)</sup>.

وقال قتادة: "قد قال ذلك قائلون من الناس، كانوا أعزّ منهم في الجاهلية، قالوا: والله لو كان هذا خيرا ما سبقنا إليه بنو فلان وبنو فلان، يختص الله برحمته من يشاء، ويكرم الله برحمته من يشاء، تبارك وتعالى"<sup>(٨)</sup>.

قال الحسن: "كانت غفار وأسلم أهل سلة - يعني: أهل سرقة في الجاهلية - قال: «فلما أسلموا قالت قريش: {لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ}»"<sup>(٩)</sup>.  
وقال مسروق: "هم أهل الكتاب"<sup>(١٠)</sup>.

قوله تعالى: {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّبِقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ} [الأحقاف: ١١]، أي: "وإذ لم يهتدوا بالقرآن ولم ينتفعوا بما فيه من الحق فسيقولون: هذا كذب، مأثور عن الناس الأقدمين"<sup>(١١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ١٠٨/٢٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩/٤.

(٣) معاني القرآن: ٥١/٣.

(٤) معاني القرآن: ٤٤٠/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٧٨/٧-٢٧٩.

(٦) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢٢-١٠٩.

(٧) رواه النحاس في إعراب القرآن: ١٠٧/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ١٠٩/٢٢.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٤٦): ص ١٩٦/٣.

(١٠) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٤٥/٦.

(١١) التفسير الميسر: ٥٠٣.

قال الطبري: يقول: " وإذ لم يبصروا بمحمد وبما جاء به من عند الله من الهدى، فإرشدوا به الطريق المستقيم، فسيقولون هذا القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أكاذيب من أخبار الأولين قديمة، كما قال جل ثناؤه مخبراً عنهم، {وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَنَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} "(١).

قال ابن كثير: " {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ}، أي: بالقرآن {فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ}، أي: كذب {قَدِيمٌ}، أي: مأثور عن الأقدمين، فينتقصون القرآن وأهله، وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بطر الحق، وعمط الناس» "(٢)"(٣).  
قال النحاس: " {هَذَا إِفْكٌ}، أي: تقدم مثله في سالف الدهور "(٤).

## القرآن

{وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ (١٢)} [الأحقاف: ١٢]  
التفسير:

ومن قبل هذا القرآن أنزلنا التوراة إماماً لبني إسرائيل يقتدون بها، ورحمة لمن آمن بها وعمل بما فيها، وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب، أنزلناه بلسان عربي؛ لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وبشري للذين أطاعوا الله، فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم في الدنيا.

قوله تعالى: {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً} [الأحقاف: ١٢]، أي: "ومن قبل هذا القرآن أنزلنا التوراة إماماً لبني إسرائيل يقتدون بها، ورحمة لمن آمن بها وعمل بما فيها" "(٥).

قال الطبري: يقول: " ومن قبل هذا الكتاب، كتاب موسى، وهو التوراة، إماماً لبني إسرائيل يأتون به، ورحمة لهم أنزلناه عليهم" "(٦).

قال ابن كثير: " {وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ} وهو التوراة {إِمَامًا وَرَحْمَةً} "(٧).

قال ابن أبي زمنين: " {وَمِنْ قَبْلِهِ} من قبل القرآن، {كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا}، يعني: التوراة؛ يهتدون به، {وَرَحْمَةً}، لمن آمن به" "(٨).

قوله تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا} [الأحقاف: ١٢]، أي: " وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب، أنزلناه بلسان عربي" "(٩).

قال الطبري: يقول: " وهذا كتاب أنزلناه لساناً عربياً" "(١٠).

قال ابن كثير: " {وَهَذَا كِتَابٌ} يعني: القرآن {مُصَدِّقٌ}، أي: لما قبله من الكتب {لِّسَانِ عَرَبِيًّا}، أي: فصيحاً بيناً واضحاً" "(١١).

قال ابن أبي زمنين: " {إِمَامًا}، منصوب على الحال، {وَرَحْمَةً} عطف عليه، و{لساناً عربياً} منصوب أيضاً على الحال، المعنى: مصدق لما بين يديه عربياً وذكر (لساناً) توكيداً" "(١٢).

قال مجاهد: " نزل القرآن بلسان قريش وبه كلامهم" "(١).

(١) تفسير الطبري: ١٠٩/٢٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٧.

(٤) إعراب القرآن: ١٠٧/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(٦) تفسير الطبري: ١٠٩/٢٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٧.

(٨) تفسير ابن أبي زمنين: ٢٢٤/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(١٠) تفسير الطبري: ١٠٩/٢٢.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٧.

(١٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٢٢٤/٤.

عن ابن بريدة في قوله -جل ذكره-: «{بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} قال: بلسان جرهم»<sup>(٢)</sup>.  
 عن يحيى ابن الضريس يقول: "سمعت سفيان الثوري، يقول: لم ينزل وحى إلا بالعربية  
 ثم ترجم كل نبي لقومه، واللسان يوم القيامة بالسريانية فمن تكلم بالعربية دخل الجنة"<sup>(٣)</sup>.  
 وفي قراءة عبد الله: «مصدق لما بين يديه لسانا عربيا»<sup>(٤)</sup>.  
 قوله تعالى: {لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرَ لِلْمُحْسِنِينَ} [الأحقاف: ١٢]، أي: "لينذر الذين  
 ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وبشري للذين أطاعوا الله، فأحسنوا في إيمانهم وطاعتهم في  
 الدنيا"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول: لينذر هذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد عليه الصلاة والسلام  
 الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره، وهو بشري للذين أطاعوا الله فأحسنوا في  
 إيمانهم وطاعتهم إياه في الدنيا، فحسن الجزاء من الله لهم في الآخرة على طاعتهم إياه"<sup>(٦)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣)} [الأحقاف: ١٣]  
 التفسير:

إن الذين قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا على الإيمان به، فلا خوف عليهم من فزع يوم القيامة  
 وأهواله، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم من حظوظ الدنيا.  
 قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [الأحقاف: ١٣]، أي: "إن الذين قالوا:  
 ربنا الله، ثم استقاموا على الإيمان به"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ} الذي لا إله غيره {ثُمَّ  
 اسْتَقَامُوا} على تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك، ولم يخالفوا الله في أمره ونهيه"<sup>(٩)</sup>.  
 وفي قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [الأحقاف: ١٣]، وجوه من التفسير:  
 أحدها: استقاموا على التوحيد، قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه-<sup>(١٠)</sup>، ومجاهد<sup>(١١)</sup>،  
 وعكرمة<sup>(١٢)</sup>.

قال الصديق رضي الله عنه-: "قالوا: ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره"<sup>(١٣)</sup>.  
 وفي رواية: "هم الذين لم يشركوا بالله شيئا"<sup>(١٤)</sup>.  
 قال مجاهد: "أسلموا ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به"<sup>(١٥)</sup>.  
 وقال السدي: "تموا على ذلك"<sup>(١٦)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٩٤٨): ص ٢٨١٨/٩.

(٢) تفسير إسحاق البستي (٧٥٢): ص ٥٤٢/١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٩٥٠): ص ٢٨١٩/٩.

(٤) معاني القرآن: ٥١/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(٦) تفسير الطبري: ١١٠/٢٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٧.

(٨) التفسير الميسر: ٥٠٣.

(٩) تفسير الطبري: ١١١/٢٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢١.

(١٤) تفسير سفيان الثوري (٨٥٩: ٦: ٧): ص ٢٦٦.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢١-٤٦٥.

(١٦) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١.

وفي رواية: "استقاموا على ألا يشركوا"<sup>(١)</sup>.  
 عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا"، قال: «قد قالها الناس، ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام»<sup>(٢)</sup>.  
 وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «هم أمي ورب الكعبة استقاموا ولم يشركوا كما فعلت اليهود والنصارى»<sup>(٣)</sup>.  
 الثاني: استقاموا على طاعته وأداء فرائضه، قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه-<sup>(٤)</sup>، وابن عباس<sup>(٥)</sup>، وقتادة<sup>(٦)</sup>، وابن زيد<sup>(٧)</sup>.  
 قال عمر الفاروق: "استقاموا لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعلب"<sup>(٨)</sup>.  
 قال قتادة: "وكان الحسن إذا تلاها قال: اللهم فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة"<sup>(٩)</sup>.  
 الثالث: استقاموا على الإخلاص والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية<sup>(١٠)</sup>، والسدي<sup>(١١)</sup>.  
 الرابع: استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا عنها. قاله مقاتل<sup>(١٢)</sup>.  
 الخامس: أن الاستقامة أن يجمع بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي لأن التكليف يشتمل على أمر بطاعة تبعث على الرغبة ونهي عن معصية يدعو إلى الرهبة. أفاده الماوردي<sup>(١٣)</sup>.  
 عن عبد الله بن سفيان الثقيفي، عن أبيه: "أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: "قل آمنت بالله، ثم استقم" قلت: فما أتقي؟ فأوماً إلى لسانه"<sup>(١٤)</sup>.  
 قوله تعالى: {قُلْ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} [الأحقاف: ١٣]، أي: "فلا خوف عليهم من فزع يوم القيامة وأهواله"<sup>(١٥)</sup>.  
 قال الطبري: أي: "من فزع يوم القيامة وأهواله"<sup>(١٦)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: فيما يستقبلون"<sup>(١٧)</sup>.  
 عن سعيد بن جببر، قوله: "قُلْ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ"، يعني: في الآخرة"<sup>(١٨)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأحقاف: ١٣]، أي: "ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم من حظوظ الدنيا"<sup>(١٩)</sup>.  
 قال الطبري: أي: "على ما خلفوا وراءهم بعد مماتهم"<sup>(٢٠)</sup>.  
 قال ابن كثير: أي: "على ما خلفوا"<sup>(١)</sup>.

- 
- (١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢٧٦): ص ١٢٠/١.  
 (٢) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢١-٤٦٤.  
 (٣) نقلاً عن: تفسير التستري: ١٣٧، وتفسير القرطبي: ١٣٧.  
 (٤) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١، وانظر: الزهد لابن المبارك ص ١١٠، وفيه: (أخرجه أحمد في الزهد).  
 (٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١.  
 (٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١.  
 (٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١-٤٦٦.  
 (٨) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١، وانظر: الزهد لابن المبارك ص ١١٠، وفيه: (أخرجه أحمد في الزهد).  
 (٩) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١.  
 (١٠) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٥، وزاد المسير: ٥١/٤.  
 (١١) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٥، وزاد المسير: ٥١/٤.  
 (١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٣.  
 (١٣) انظر: النكت والعيون: ١٨٠/٥.  
 (١٤) رواه أحمد في المسند (٣٨٤/٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٨٩).  
 (١٥) التفسير الميسر: ٥٠٣.  
 (١٦) تفسير الطبري: ١١١/٢٢.  
 (١٧) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٧.  
 (١٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٢٥): ص ٩٣/١.  
 (١٩) التفسير الميسر: ٥٠٣.  
 (٢٠) تفسير الطبري: ١١١/٢٢.

عن سعيد بن جبير، قوله: "وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"، يعني: لا يحزنون للموت<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

{أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤)} [الأحقاف: ١٤]

### التفسير:

أولئك أهل الجنة ماكنين فيها أبداً برحمة الله تعالى لهم، وبما قدّموا من عمل صالح في دنياهم. قوله تعالى: {أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا} [الأحقاف: ١٤]، أي: "أولئك المؤمنون المستقيمون في دينهم، هم أهل الجنة ماكنين فيها أبداً"<sup>(٣)</sup>. قال الطبري: يقول: "هؤلاء الذين قالوا هذا القول، واستقاموا أهل الجنة وسكانها، ماكنين فيها أبداً"<sup>(٤)</sup>.

عن سعيد بن جبير: "هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ"، يعني: لا يموتون"<sup>(٥)</sup>. قال ابن عباس: "أي: خالدون أبداً، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً لا انقطاع له"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأحقاف: ١٤]، أي: "نالوا ذلك النعيم جزاءً لهم على أعمالهم الصالحة"<sup>(٧)</sup>. قال الطبري: "يقول: ثوابا منا لهم آتيناهم ذلك على أعمالهم الصالحة التي كانوا في الدنيا يعملونها"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: الأعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم"<sup>(٩)</sup>.

فوائد الآيات: [١٠-١٤]:

- ١- اعتبار الشهادة وانها أداة يتوصل بها إلى احقاق الحق وابطال الباطل فلذا يشترط عدالة صاحبها والعدالة هي إجتناّب الكبائر واتقاء الصغائر غالباً.
- ٢- تقرير قاعدة من جهل شيئاً عاداه، إذ المشركون لما لم يهتدوا بالقرآن قالوا هذا إفك قديم.
- ٣- بيان تأخي وتلاقي الكتابين التوراة والقرآن فشهادة أحدهما للأخر أثبتت صحته.
- ٤- وجوب تعلم العربية لمن أراد أن يحمل رسالة الدعوة المحمدية فينذر ويبشر.
- ٥- فضل الإستقامة حتى قيل أنها خير من ألف كرامة، والإستقامة هي التمسك بالإيمان والعبادة كما جاء بذلك القرآن وبينت السنة.

روي عن سفيان بن عبد الله الثقفي، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك - قال أبو معاوية: بعدك - قال: "قل: أمنت بالله، ثم استقم"<sup>(١٠)</sup>.

## القرآن

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ

(١) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٢٥): ص ٩٣/١.

(٣) صفوة التفاسير: ١٨١/٣.

(٤) تفسير الطبري: ١١١/٢٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٩٦٢): ص ٧٣١/٣.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٦٨): ص ٦٨/١.

(٧) صفوة التفاسير: ١٨١/٣.

(٨) تفسير الطبري: ١١١/٢٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٧.

(١٠) أخرجه احمد في المسند (١٥٤١٦): ص ١٤١/٢٤، ومسلم في صحيحه (٣٨)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٢١)، وفي "الأحاد والمثاني" (١٥٨٤)، والبيهقي في "شرح السنة" (١٦)، من طرق عن هشام بن عروة، وأخرجه ابن حبان (٥٦٩٨)، والبيهقي في "الشعب" (٤٩٢٢) من طريق يونس عن الزهري. [إسناده صحيح].

وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
 (١٥) ﴿[الأحقاف: ١٥]﴾  
 التفسير:

ووصينا الإنسان أن يحسن في صحبته لوالديه برًّا بهما في حياتهما وبعد مماتهما، فقد حملته أمه جنينًا في بطنها على مشقة وتعب، وولده على مشقة وتعب أيضًا، ومدة حمله وطاقمه ثلاثون شهرًا. حتى إذا بلغ هذا الإنسان نهاية قوته البدنية والعقلية، وبلغ أربعين سنة دعا ربه قائلاً: ربي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمتها عليّ وعلى والديّ، واجعلني أعمل صالحًا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من الخاضعين لك بالطاعة والمستسلمين لأمرك ونهيك، المتقادين لحكمك.

في سبب نزول الآيتين: [١٥-١٦]، قولان:

أحدهما: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص. وقد مضت القصة في سورة «العنكبوت»<sup>(١)</sup>، قاله الضحاك<sup>(٢)</sup>، والسدي<sup>(٣)</sup>.

قال الواحدي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]: "قال المفسرون: نزلت في سعد بن أبي وقاص وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه حمنة: يا سعد بلغني أنك صبوت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح ولا أكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وترجع إلي ما كنت عليه، وكان أحب ولدها، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي في لقمان<sup>(٤)</sup>، والأحقاف<sup>(٥)</sup>"<sup>(٦)</sup>.

قال السمعاني: "ويقال: نزلت في أخيه عمير بن أبي وقاص، ومعنى الآية على هذا: هو الوصية بالإحسان إليهما دون الموافقة في الشرك"<sup>(٧)</sup>.

الثاني: أنها نزلت في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرة، وأمهم أم الخير بنت صخر بن عمرو بن عامر، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال لربه: {إني تبت إليك وإني من المسلمين}. قاله علي<sup>(٨)</sup>، وابن عباس<sup>(٩)</sup>.

عن علي -رضي الله عنه- في قوله: {ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا}، نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من أصحاب رسول الله من المهاجرين أسلم أبواه غيره، أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده [وكان أبو بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة ونبي النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ودعا ربه ف قال رب أوزعني، ألهمني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، بالهداية والإيمان، وأن أعمل صالحاً ترضاه]<sup>(١٠)</sup><sup>(١١)</sup>.

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

(٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢/٩، والبغوي في التفسير: ١٩٥/٤، والقرطبي في التفسير: ١٩٤/١٦. بدون سند.

(٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢/٩، والبغوي في التفسير: ١٩٥/٤، والقرطبي في التفسير: ١٩٤/١٦. بدون سند.

(٤) [سورة لقمان: الآية ١٤].

(٥) [سورة الأحقاف: الآية ١٥].

(٦) أسباب النزول: ٣٤٠.

(٧) تفسير السمعاني: ١٥٥/٥.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ١٢/٩.

(٩) رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق: ٣٣٨/٣٠.

(١٠) هذه الزيادة في تفسير البغوي: ١٩٥/٤.

(١١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢/٩.

أخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس -رضي الله عنهم- :  
"نزلت في أبي بكر الصديق : {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الأحقاف : ١٥] ، إلى قوله:  
{وَعَدَّ الصَّدُوقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} [الأحقاف : ١٦]"<sup>(١)</sup>.

قال ابن عباس: "وأجابه الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: {وأصلح لي في ذريتي}، فأجابه الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبو قحافة النبي صلى الله عليه وسلم وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة"<sup>(٢)</sup>.  
وقال الحسن: "هي رسالة نزلت على العموم"<sup>(٣)</sup>. أي: إنها عامة وعلى سبيل التمثيل والموعظة.

قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا} [الأحقاف : ١٥] ، أي: "ووصينا الإنسان أن يحسن في صحبته لوالديه برّاً بهما في حياتهما وبعد مماتهما"<sup>(٤)</sup>.  
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ووصينا ابن آدم بوالديه الحسن في صحبته إياهما أيام حياتهما، والبرّ بهما في حياتهما وبعد مماتهما"<sup>(٥)</sup>.  
وقرى: «حُسْنَا» بضمّ الحاء<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} [الأحقاف : ١٥] ، أي: "حملته أمه جنيئاً في بطنها على مشقة وتعب، وولدتها على مشقة وتعب أيضاً"<sup>(٧)</sup>.  
قال الطبري: "وصف جِلّ ثناؤه ما لديه من نعمة أمه، وما لاقت منه في حال حملها ووضعها، ونبهه على الواجب لها عليه من البرّ، واستحقاقها عليه من الكرامة وجميل الصحبة، فقال: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ}، يعني: في بطنها مشقة، {وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا}، يقول: وولدتها مشقة"<sup>(٨)</sup>.  
قال قتادة: "حملته مشقة، ووضعته مشقة"<sup>(٩)</sup>.

عن قتادة والحسن قالا: "قالا حملته في مشقة، ووضعته في مشقة"<sup>(١٠)</sup>.  
عن مجاهد، قوله: "حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا}، قال: مشقة عليها"<sup>(١١)</sup>.  
قوله تعالى: {وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا} [الأحقاف : ١٥] ، أي: "ومدة حملها وطفامها ثلاثون شهراً"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وحمل أمه إياه جنيئاً في بطنها، وفسالها إياه من الرضاع، وطفمها إياه، شرب اللبن ثلاثون شهراً"<sup>(١٣)</sup>.

قال محمد بن إسحاق: "حملته تسعة أشهر، وفساله من اللبن لأحد وعشرين شهراً"<sup>(١٤)</sup>.  
روي عن بعجة بن عبد الله الجهني، قال: "تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان فذكر ذلك له، فبعث إليها، فلما قامت لتلبس ثيابها

(١) تاريخ دمشق: ٣٣٨/٣٠.

(٢) نقلا عن: تفسير البيهقي: ٢٥٨/٧. بدون سند.

(٣) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٩٤/١٦.

(٤) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٥) تفسير الطبري: ١١٢/٢٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١١٢/٢٢.

(٧) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٨) تفسير الطبري: ١١٢/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٢.

(١١) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٢.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٣) تفسير الطبري: ١١٣/٢٢.

(١٤) تفسير الثعلبي: ١٢/٩.

بكت أختها، فقالت: ما يبكيك؟ فو الله ما التبس بي أحد من خلق الله غيره قط، فيقضي الله في ما يشاء، فلما أتى بها عثمان أمر برجمها، فبلغ ذلك علياً فأناه، فقال له: ما تصنع؟ قال: ولدت تماماً لسنة أشهر، وهل يكون ذلك؟ فقال له: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى قال: أما سمعت الله يقول: {وحمله وفصاله ثلاثون شهراً}، وقال: حولين كاملين فلم تجده بقي إلا ستة أشهر، قال: فقال عثمان والله ما فطنت لهذا، علي بالمرأة. فوجدوها قد فرغ منها، قال: فقال بعجة: فو الله ما الغراب بالغراب، ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه. فلما رآه أبوه قال: ابني والله لا أشك فيه، قال: وأبلاه الله بهذه الفرحة الأكلة، فما زالت تأكله حتى مات" (١).

عن ابن عباس، قال: "إذا وضعت المرأة لتسعة أشهر، كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهراً، وإذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً، وإذا وضعته لسنة أشهر فحولين كاملين، لأن الله تعالى يقول: {وحمله وفصاله ثلاثون شهراً}" (٢).

قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ اأَشُدَّهُ وَبَلَغَ اأَرْبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف: ١٥]، أي: "حتى إذا بلغ هذا الإنسان نهاية قوته البدنية والعقلية، وبلغ أربعين سنة" (٣).

واختلف أهل العلم في معنى «الأشد»، على عشرة أقوال:

أحدها: معناه: بلوغ الحلم، قاله الشعبي (٤)، وربيعه (٥)، وزيد بن أسلم (٦)، ومالك (٧). قال الشعبي: "الأشد: الحلم. إذا كتبت له الحسنات، وكتبت عليه السيئات" (٨).

الثاني: ثماني عشرة سنة، قاله سعيد بن جبیر (٩)، وبه قال مقاتل (١٠).

الثالث: عشرون سنة، قاله ابن عباس (١١)، والضحاك (١٢).

الرابع: خمس وعشرون سنة، قاله عكرمة (١٣).

الخامس: ثلاثون سنة، قاله السدي (١٤).

السادس: ثلاث وثلاثون سنة. قاله ابن عباس (١٥)، والحسن (١٦)، ومجاهد (١٧)، وقتادة (١٨).

قال ابن عباس: "أشدّه: ثلاث وثلاثون سنة، واستواؤه أربعون سنة، والعذر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون" (١٩).

السابع: بضع ثلاثون سنة. قاله ابن عباس (٢٠).

الثامن: ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة. وهذا مروى عن ابن عباس من وجه غير مرضي - كما قاله الطبري - (١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٦٦): ص ٣٢٩٣/١٠ - ٣٢٩٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٦٧): ص ٣٢٩٤/١٠.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١١٤/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم (١١٤٤٨): ص ٢١١٩/٧.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١١٤٤٦): ص ٢١١٩/٧، و(١٦٧٤١): ص ٢٩٥١/٩.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١١٤٤٧): ص ٢١١٩/٧، و(١٦٧٤٢): ص ٢٩٥١/٩.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢١١٩/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٤٨): ص ٢١١٩/٧.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١١٤٥٠): ص ٢١١٩/٧.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٣٨/٣.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢١/٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري (١٨٩٦١): ص ٢٣/١٦.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١١٤٤٥): ص ٢١١٩/٧.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١١٤٤٩): ص ٢١٩/٧.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٢، وابن أبي حاتم (١١٤٤٣): ص ٢١١٨/٧.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢١/٣.

(١٧) انظر: تفسير الطبري (١٨٩٥٧) - (١٨٩٦٠): ص ٢٢/١٦.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ٢١١٨/٧. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٩) أخرجه الطبري: ١١٣/٢٢.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري (١٨٩٦٠): ص ٢٢/١٦.



التاسع: أربعون سنة. قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. قال ابن العربي: "يروى عن جماعة"<sup>(٣)</sup>.

العاشر: وهو ما بين ثلاث وثلاثين إلى تسع وثلاثين"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "«الأشد»: جمع «شد»، وهو تناهي قوته واستوائه. وإذا كان ذلك كذلك، كان الثلاث والثلاثون به أشبه من اللحم، لأن المرء لا يبلغ في حال حُلْمه كمال قواه، ونهاية شدته، فإن العرب إذا ذكرت مثل هذا من الكلام، فعطفت ببعض على بعض جعلت كلا الوقتين قريبا أحدهما من صاحبه، كما قال جل ثناؤه: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ} ولا تكاد تقول أنا أعلم أنك تقوم قريبا من ساعة من الليل وكله، ولا أخذت قليلا من مال أو كله، ولكن تقول: أخذت عامة مالي أو كله، فكذلك ذلك في قوله: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} لا شك أن نسق الأربعين على الثلاث والثلاثين أحسن وأشبه، إذ كان يراد بذلك تقريب أحدهما من الآخر من النسق على الخمس عشرة أو الثمان عشرة، وقوله: {وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً}، ذلك حين تكاملت حجة الله عليه، وسير عنه جهالة شبابه وعرف الواجب لله من الحق في بر والديه"<sup>(٥)</sup>.

قال الشنقيطي: "أما الأشد من حيث هو: فهو يطلق على خمس وعشرين، وعلى ثلاثين سنة، وعلى أربعين، وعلى ستين، وعلى خمسين"<sup>(٦)</sup>.

قال الشوكاني: "والأولى في تحقيق بلوغ «الأشد»: أنه البلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد، وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكا مسلك العقلاء، لا مسلك أهل السفه والتبذير، ويدل على هذا قوله تعالى في سورة النساء: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} [النساء: ٦]، فجعل بلوغ النكاح، وهو بلوغ سن التكليف مقيدا بإيناس الرشد"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: " {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ}، أي: قوى وشب وارتجل {وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً}، أي: تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه. ويقال: إنه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الأربعين.. قال الحجاج بن عبد الله الحكمي -أحد أمراء بني أمية بدمشق-: «تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياء من الناس، ثم تركتها حياء من الله عز وجل». وما أحسن قول الشاعر:

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ... فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ: ابْطُلْ"<sup>(٨)</sup>.

قال أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن القاسم بن عبد الرحمن قال: "قلت لمسروق: متى يؤخذ الرجل بذنوبه؟ قال: إذا بلغت الأربعين، فخذ حذرك"<sup>(٩)</sup>.  
عن قتادة: " {وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً}، وقد مضى من سيئ عمله"<sup>(١٠)</sup>.

عن عثمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله حساباه، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه، وإذا بلغ سبعين سنة أحببه أهل السماء، وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله حسناته ومحا سيئاته، وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وشقعه الله في أهل بيته، وكتب في السماء: أسير الله في أرضه"<sup>(١١)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/١٦.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١١٤٤٤) ص: ٢١١٨/٧.

(٣) أحكام القرآن: ٤٦/٣.

(٤) معاني القرآن: ١٣٥/٤.

(٥) تفسير الطبري: ١١٤/٢٢.

(٦) العذب المنير: ٥٠٨/٢.

(٧) فتح القدير: ٣٠٢/٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٨٠/٧.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٦٩) ص: ٣٢٩٤/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٠/٧.

(١٠) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٢.

(١١) رواه أبو يعلى، كما في تفسير ابن كثير ٢٨١/٧، قال الهيثمي في المجمع (٢٠٥/١٠): "رواه أبو يعلى في الكبير وفيه عزرة بن قيس الأزدي، وهو ضعيف".

وروي عن أنس بن مالك-بسند ضعيف جدا-<sup>(١)</sup> قال: "إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة آمنه الله من أنواع البلايا، من الجنون، والبرص، والجذام، وإذا بلغ الخمسين لئن الله عزَّ وجلَّ عليه حسابه، وإذا بلغ الستين، رزقه الله إنابة يحبُّه عليها، وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء، وإذا بلغ الثمانين تقبَّل الله منه حسناته ومحا عنه سيئاته، وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسُمِّيَ أسيرَ الله في الأرض، وشُفِّعَ في أهله"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ} [الأحقاف: ١٥]، أي: "دعا ربه قائلاً: ربي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمتها عليّ وعلى والدي"<sup>(٣)</sup>. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قال هذا الإنسان الذي هداه الله لرشده، وعرف حقَّ الله عليه فيما ألزمه من برِّ والديه {رَبِّ} أغرني بشكر نعمتك التي أنعمت عليّ في تعريفك إياي توحيدك وهدايتك لي للإقرار بذلك، والعمل بطاعتك {وَعَلَى وَالِدَيَّ} من قبلي، وغير ذلك من نعمتك علينا، وألهمني ذلك"<sup>(٤)</sup>.

عن ابن عباس: "قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ، يقول: اجعلني"<sup>(٥)</sup>.  
عن قتادة: "{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ}، ألهمني أن أشكر نعمتك"<sup>(٦)</sup>. وروي عن السدي مثله<sup>(٧)</sup>.

عن ابن زيد، قوله: "{أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ}، قال: اجعلني أشكر نعمتك"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن زيد: "في كلام العرب، أوزع فلانا بفلان، يقول: حرصه، قال ابن زيد: {أوزعني}: ألهمني وحرصني على أن أشكر نعمتك"<sup>(٩)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: ألهمني {أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ}."<sup>(١٠)</sup>  
قوله تعالى: {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ} [الأحقاف: ١٥]، أي: "واجعلني أعمل صالحًا ترضاه"<sup>(١١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "أوزعني أن أعمل صالحاً من الأعمال التي ترضاه، وذلك العمل بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم"<sup>(١٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: في المستقبل"<sup>(١٣)</sup>.  
عن الضحاك: {وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ}: "شكر ما أنعم به عليه"<sup>(١٤)</sup>.  
قوله تعالى: {وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي} [الأحقاف: ١٥]، أي: "واجعل ذريتي ونسلي صالحين"<sup>(١٥)</sup>.

(١) أوجه ضعف هذا الإسناد أن الفرغ بن فضالة ضعيف، قال البخاري في الصغير ١٩٩: "منكر الحديث، تركه ابن مهدي أخيراً"، وقال في الضعفاء ٢٩: "منكر الحديث"، وقال في الصغير أيضاً ١٩٢: "كان عبد الرحمن لا يحدث عن فرج بن فضالة، ويقول: حدث عن يحيى بن سعيد أحاديث منكراً".

(٢) المسند (٥٦٢٦): ص ١٤٥/٥-١٥٠.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٤) تفسير الطبري: ١١٤/٢٢-١١٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٠/١٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢٠٧): ص ٢٨٥٨/٩.

(٧) انظر: ابن أبي حاتم: ص ٢٨٥٨/٩.

(٨) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٢. وقال: "وهذا الذي قاله ابن زيد في قوله {رَبِّ أَوْزِعْنِي} وإن كان ينول إليه معنى الكلمة، فليس بمعنى الإيزاع على الصحة".

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢٠٨): ص ٢٨٥٨/٩.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٨١/٧.

(١١) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٢) تفسير الطبري: ١١٥/٢٢.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٨١/٧.

(١٤) النكت والعيون: ٢٠١/٤.

(١٥) صفوة التفاسير: ١٨٢/٣.

قال الطبري: " يقول: وأصلح لي أموري في ذريتي الذين وهبتهم، بأن تجعلهم هداة للإيمان بك، واتباع مرضاتك، والعمل بطاعتك، فوصفه جل ثناؤه بالبرّ بالأبَاء والأمهات والبنين والبنات"<sup>(١)</sup>.

قال الزجاج: " معناه: اجعل ذريتي صالحين"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: {ذُرِّيَّتِي} "أي: نسلي وعقبى"<sup>(٣)</sup>.

عن مالك بن مغول، قال: شكّا أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف، فقال طلحة - رضي الله عنه -: استعن عليه بهذه الآية: {رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ}، الآية"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: ١٥]، أي: "إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من الخاضعين لك بالطاعة والمستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: " وهذا فيه إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد التوبة والإنابة إلى الله، عز وجل، ويعزم عليها"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: أي: " تبت من ذنوبي التي سلفت مني في سالف أيامي إليك، وإني من الخاضعين لك بالطاعة، المستسلمين لأمرك ونهيك، المنقادين لحكمك"<sup>(٧)</sup>.

وقال عطاء: "إني رجعت إلى كل ما تحب"<sup>(٨)</sup> وأسلمت لك بقلبي ولساني"<sup>(٩)</sup>.

عن ابن مسعود، رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد: "اللهم، ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبيل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنّبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها قابليها، وأتممها علينا"<sup>(١٠)</sup>.

قال الفخر الرازي: " اعلم أنه تعالى حكى عن هذا الداعي أنه طلب من الله تعالى ثلاثة

أشياء:

أحدها: أن يوفقه الله للشكر على نعمه.

والثاني: أن يوفقه للإتيان بالطاعة المرضية عند الله.

الثالث: أن يصلح له في ذريته"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

{أَوْلَئِكَ الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦)} [الأحقاف: ١٦]

التفسير:

أولئك الذين نتقبل منهم أحسن ما عملوا من صالحات الأعمال، ونصفح عن سيئاتهم، في جملة أصحاب الجنة، هذا الوعد الذي وعدناهم به هو وعد الصدق الحق الذي لا شك فيه.

(١) تفسير الطبري: ١١٥/٢٢.

(٢) معاني القرآن: ٤٤٢/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٨١/٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٧٠): ص ٣٢٩٤/١٠.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٨١/٧.

(٧) تفسير الطبري: ١١٥/٢٢.

(٨) التفسير البسيط للواحدى: ١٨١/٢٠، وذكر ذلك الماوردي في هذه الجملة عن ابن عباس بلفظ: "رجعت عن الأمر الذي كنت عليه": ٢٧٨ / ٥، وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير" بنص عبارة الواحدى ولم ينسبه / ٣٧٨، وكذلك ذكره الأخير في "الوسيط" عن عطاء عن ابن عباس. انظر: ١٠٨ / ٤.

(٩) التفسير البسيط للواحدى: ١٨١/٢٠.

(١٠) سنن أبي داود برقم (٩٦٩).

(١١) مفاتيح الغيب: ١٩/٢٨.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٦]، أي: "أولئك الذين نتقبل منهم أحسن ما عملوا من صالحات الأعمال"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم، هم الذين يُتقبل عنهم أحسن ما عملوا في الدنيا من صالحات الأعمال، فيجازيهم به، ويثيبهم عليه (وَنَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ) يقول: ويصفح لهم عن سيئات أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فلا يعاقبهم عليها (في أصحاب الجنة) يقول: نعمل ذلك بهم فعلنا مثل ذلك في أصحاب الجنة وأهلها الذين هم أهلها"<sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: نجزيهم بإحسانهم ولا نجزيهم بمساوئهم، والكفار يجزيهم بإساءتهم ويبطل إحسانهم لأنهم عملوا ما ليس بحسنة"<sup>(٣)</sup>.

قال السمعاني: "أي: الأحسن من أعمالهم، والأحسن من الأعمال كل ما يرضاه الله تعالى"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: هؤلاء المتصفون بما ذكرنا، التائبون إلى الله المنيبون إليه، المستدركون ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا"<sup>(٥)</sup>.

عن زيد بن أسلم-ويحكيه مرفوعاً: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾: "أنهم إذا أسلموا قبلت حسناتهم وغفرت سيئاتهم"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَنَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف: ١٦]، أي: "ونصفح عن سيئاتهم، في جملة أصحاب الجنة"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ويتجاوز عن سيئاتهم، فيغفر لهم الكثير من الزلل، ويتقبل منهم اليسير من العمل، {في أصحاب الجنة}، أي: هم في جملة أصحاب الجنة، وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله من تاب إليه وأتاب"<sup>(٨)</sup>.

عن أشعث بن سوار، قال: "قلت للحسن البصري: {من يعمل سوءا يجز به}. قال: لا يجزى -والله- يوم القيامة مؤمن بسوء عمله. ثم قرأ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّدَقُ الَّذِي كَانُوا يوعدون﴾ [الأحقاف: ١٦]"<sup>(٩)</sup>.  
عن ابن عباس، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الروح الأمين، قال: "يؤتي بحسنات العبد وسيئاته، فيقتص بعضها ببعض، فإن بقيت حسنة وسع الله له في الجنة- قال: فدخلت علي يزداد، فحدث بمثل هذا الحديث، قال: قلت: فإن ذهبت الحسنة؟ قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ... الآية"<sup>(١٠)</sup>.

عن مجاهد، قال: "دعا أبو بكر عمر رضي الله عنهما، فقال له: إني أوصيك بوصية أن تحفظها: إن لله في الليل حقا لا يقبله بالنهار، وبالنهار حقا لا يقبله بالليل، إنه ليس لأحد نافلة حتى يؤدي الفريضة، إنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقل ذلك عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل، وخفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة، لاتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف. ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم، فيقول قائل: أين يبلغ عملي من عمل هؤلاء، وذلك أن الله عز وجل تجاوز عن أسوأ أعمالهم فلم يبده، ألم تر أن الله ذكر أهل

(١) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٢) تفسير الطبري: ١١٦/٢٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١/٤.

(٤) تفسير السمعاني: ١٥٤/٥-١٥٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٨١/٧.

(٦) النكت والعيون: ٢٧٩/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٨١/٧-٢٨٢.

(٩) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (ت: إسماعيل إبراهيم عوض) ٤١٠ / ١ (٥٩١).

(١٠) أخرجه الطبري: ١١٦/٢٢.

النار بأسوأ أعمالهم حتى يقول قائل: أنا خير عملا من هؤلاء، وذلك بأن الله ردّ عليهم أحسن أعمالهم، ألم تر أن الله عزّ وجلّ أنزل آية الشدة عند آية الرخاء، وآية الرخاء عند آية الشدة، ليكون المؤمن راغبا راهبا، لئلا يُلقى بيده إلى التهلكة، ولا يتمنى على الله أمنية يتمنى على الله فيها غير الحق<sup>(١)</sup>.

عن يوسف بن ، عن محمد بن حاطب قال : "ونزل في داري حيث ظهر علي على أهل البصرة، فقال لي يوما : لقد شهدتُ أمير المؤمنين عليا، وعنده عمارا وصعصعة والأشتر ومحمد بن أبي بكر، فذكروا عثمان فنالوا منه، وكان علي، رضي الله عنه، على السرير، ومعه عود في يده، فقال قائل منهم : إن عندكم من يفصل بينكم فسألوه، فقال علي : كان عثمان من الذين قال الله : {أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَّجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} قال : والله عثمان وأصحاب عثمان - قالها ثلاثا - قال يوسف : فقلت لمحمد بن حاطب: الله سمعت هذا من علي؟ قال : الله سمعت هذا من علي، رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

وقرى: «يُنْقَبَلُ» و«يُتَجَاوَزُ» بضم الياء منهما، على ما لم يسم فاعله، ورفع «أحسن»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَعَدَّ الصَّدَقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} [الأحقاف: ١٦]، أي: "هذا الوعد الذي وعدناهم به هو وعد الصدق الحق الذي لا شك فيه"<sup>(٤)</sup>. قال الطبري: "يقول: وعدهم الله هذا الوعد، وعد الحق لا شك فيه أنه موفّ لهم به، الذي كانوا إياه في الدنيا يعدهم الله تعالى"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "وعدهم الله- تعالى- الجنة في الآخرة على السنة الرسل في الدنيا"<sup>(٦)</sup>. عن عاصم، في قول الله تعالى: {من يعمل سوءا يجز به} [النساء: ١٢٣]، قال: "قال الحسن: ذلك لمن أراد الله هوانه، فأما من أراد الله كرامته فإنه يتجاوز عن سيئاته في أصحاب الجنة {وعد الصدق الذي كانوا يوعدون}"<sup>(٧)</sup>.

فوائد الآيتين: [١٥-١٦]:

- ١- وجوب البر بالوالدين بطاعتها في المعروف والإحسان بهما بعد كف الأذى عنهما.
- ٢- الإشارة إلى أن مدة الحمل قد تكون ستة أشهر فأكثر، وأن الرضاع قد يكون حولين فأقل.
- ٣- جواز التوسل بالتوبة إلى الله والانقياد له بالطاعة.
- ٤- أن الدعاء لا يصح إلا مع التوبة والإسلام والانقياد لأمر الله تعالى.
- ٥- فضيلة آل أبي بكر الصديق على غيرهم من سائر الصحابة ما عدا آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ٦- بشارة الصديق وأسرته بالجنة، إذ آمنوا كلهم وأسلموا أجمعين وماتوا على ذلك.

## القرآن

{وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُي لَمَنْ أُعَذِّبُهُ فَأَعَذَّبْنَا لَمَنْ كَفَرَ بِهِ وَأَنزَلْنَا لَهُ السُّرَّةَ الْأُولَىٰ وَذُنُوبُهُمْ وَأَبَدُهُمْ قَوْمًا يَتَطَوَّعُونَ} [الأحقاف: ١٧]

وَيْلٌ لِّمَنْ أَمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧) [الأحقاف: ١٧]

التفسير:

(١) أخرجه الطبري: ١١٦/٢٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٧١) ص: ٣٢٩٥/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٢/٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١١٧/٢٢.

(٤) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٥) تفسير الطبري: ١١٧/٢٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١/٤.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٤٨٥ / ١٩ (٣٦٧٩٨).

والذي قال لوالديه إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث: قبحاً لكما أتعدانني أن أخرج من قريتي حياً، وقد مضت القرون من الأمم من قبلي، فهلوكوا فلم يُبعث منهم أحد؟ ووالداه يسألان الله هدايته قائلين له: ويلك، آمن وصدّق واعمل صالحاً، إن وعد الله بالبعث حق لا شك فيه، فيقول لهما: ما هذا الذي تقولانه إلا ما سطره الأولون من الأباطيل، منقول من كتبهم.

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: أن قوله: {وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْمَا} [الأحقاف: ١٧]، نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر. قاله مروان بن الحكم<sup>(١)</sup>، وابن عباس<sup>(٢)</sup>، وأبو العالية<sup>(٣)</sup>، ومجاهد<sup>(٤)</sup>، وقتادة<sup>(٥)</sup>، والسدي<sup>(٦)</sup>، والكلبي<sup>(٧)</sup>، ومقاتل<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: "هو عبد الرحمن بن أبي بكر وأمه رومان بنت عمرو بن عامر الكندي، دعاه أبواه إلى الإسلام وأخبراه بالبعث بعد الموت، فقال لوالديه: {أَفٍّ لَكُمْمَا}<sup>(٩)</sup>."

قال ابن عطية: "وذلك أنه كان أكبر ولد أبي بكر وشهد بدرًا وأحداً مع الكفار، وقال لأبيه في الحرب<sup>(١٠)</sup>:"

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ شِكَّةٍ وَيَعْبُوبٌ ... وَصَارُمٌ يَقْتُلُ ضَلَالَةَ الشَّيْبِ

ودعاه إلى المبارزة، فكان بمكة على نحو هذه الخلق، فقيل: إن هذه الآية نزلت فيه<sup>(١١)</sup>.

قال السدي: "نزلت هذه الآية: {وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْمَا} [الأحقاف: ١٧]، في عبد الرحمن بن أبي بكر، قال لوالديه وكانا قد أسلما، وأبى هو أن يسلم فكان يأمرانه بالإسلام ويرد عليهما ويكذبهما، فيقول: فأين فلان؟ وأين فلان؟ يعني: مشايخ قريش ممن قد مات. ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية: {وَوَلِّكُمُ الدَّرَجَاتِ مِمَّا عَمَلُوا} [الأحقاف: ١٩]"<sup>(١٢)</sup>.

وقال السدي: "فلقد رأيت عبد الرحمن بن أبي بكر بالمدينة، وما بالمدينة أعبدُ منه، ولقد استجاب الله فيه دعوة أبي بكر رضي الله عنه"<sup>(١٣)</sup>.

واعترض الزجاج على هذا القول، فقال: "أما قوله: {وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْمَا}

[الأحقاف: ١٧]، فقال بعضهم: إنها نزلت في عبد الرحمن قبل إسلامه، وهذا يبطله قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [الأحقاف: ١٨]، فأعلم الله أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، وإذا أعلم بذلك فقد أعلم أنهم

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٨٢٧): ص ١٣٣/٦

(٢) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٨٤/٢٠. بدون سند.

(٣) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٨٤/٢٠. بدون سند.

(٤) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ١٨٤/٢٠. بدون سند.

(٥) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٨٥٩): ص ٢٠٠/٣.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٧٢): ص ٣٢٩٥-٣٢٩٦.

(٧) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٨٥٩): ص ٢٠٠/٣.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١/٤.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١/٤.

(١٠) انظر: سيرة ابن هشام: ٦٣٨/١. قال ابن هشام: ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن، وهو يومئذ مع المشركين، فقال: أين مالي يا خبيث؟ فقال عبد الرحمن:

لم يبق غير شكة ويعبوب ... وصارم يقتل ضلال الشيب

الشكة: السلاح. ويعبوب: الفرس الكثير الجري. والصارم: السيف القاطع.

قال ابن كثير: "يعني لم يبق إلا عدة الحرب، وحصان وهو يعبوب يقاتل عليه شيوخ الضلالة، هذا يقوله في حال كفره". [البداية والنهاية: ٢٩٢/٣]

(١١) المحرر الوجيز: ٩٩/٥.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٧٣): ص ٣٢٩٥-٣٢٩٦، -وكما في فتح الباري ٨ / ٥٧٧ - . وقال ابن حجر: «لكن نفى عائشة أن تكون نزلت في عبد الرحمن وآل بيته أصح إسناداً وأولى بالقبول». وجاء في تفسير

البغوي ٧ / ٢٥٨ عن السدي: نزلت في عبد الله.

(١٣) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٨٠/٥.

لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن، ومن أفاضل المؤمنين وسرّواتهم. والتفسير الصحيح أنها نزلت في الكافر العاق"<sup>(١)</sup>.

وقال الفراء: "ذُكِرَ أَنَّهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَ أَنْ يَسْلَمَ: {أَفْ لَكُمْ} [الأحقاف : ١٧].. وقوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} [الأحقاف : ١٨]، لم تنزل في عبد الرحمن بن أبي بكر، ولكن عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ: ابْعَثُوا لِي جُدْعَانَ بْنَ عَمْرٍو، وَعَثْمَانَ بْنَ عَمْرٍو- وهما من أجداده- حَتَّى أَسْأَلَهُمَا عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ- أَحَقُّ أَمْ بَاطِلٌ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} [الأحقاف : ١٨]، يعنى: جدعان، وعثمان"<sup>(٢)</sup>.

قال الثعلبي: "فأما ابن أبي بكر، فقد أجاب الله تعالى فيه دعاء أبيه بقوله: {وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرَيْتِي} [الأحقاف : ١٥]، فأسلم وحسن إسلامه"<sup>(٣)</sup>.

قال مكي: "قوله: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ} إلى قوله: {نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [الآيات ١٦ - ٢٤]، هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه عند بعض العلماء، ورد ذلك بعضهم قال: هذا يبطله قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} [الأحقاف : ١٨]، فقد حقت عليه وعلى أمثاله كلمة العذاب بهذه الآية، وأن عبد الرحمن من أفاضل المؤمنين"<sup>(٤)</sup>.

قال الواحدي: "الأكثر على أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن عطية: "الأصوب أن تكون عامة في أهل هذه الصفات، ولم يقصد بها عبد الرحمن ولا غيره من المؤمنين، والدليل القاطع على ذلك قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} في أمم، وكان عبد الرحمن رحمه الله من أفضل الصحابة ومن الأبطال، وممن له في الإسلام غناء يوم اليمامة وغيره"<sup>(٦)</sup>.

قال السمعاني: "زعم جماعة من أهل التفسير أن الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ووالديه أبو بكر وأمه أم رومان.. وأنكر كثير من أهل التفسير هذا القول، وروي عن عائشة أنها كانت تنكر أن المراد بالآية أخوها، وكذلك ذكر الزجاج في كتاب المعاني وغيره"<sup>(٧)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير: "ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما- فقله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما- أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه"<sup>(٨)</sup>.

عن يوسف بن ماهك، قال: "كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدرُوا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ} [الأحقاف: ١٧]، فقالت عائشة من وراء الحجاب: «ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري»"<sup>(٩)</sup>.

روي عن محمد بن زياد قال: "لما بايع معاوية لابنه، قال مروان: سئنة أبي بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سئنة هرقل وقيصر. فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ} الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذب مروان! والله ما هو به، ولو

(١) معاني القرآن: ٤٤٤/٤-٤٤٣٠.

(٢) معاني القرآن: ٥٣/٣-٥٤.

(٣) الكشف والبيان: ١٣/٩.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٨٤٥/١١.

(٥) التفسير البسيط: ١٨٤/٢٠.

(٦) المحرر الوجيز: ٩٩/٥.

(٧) تفسير السمعي: ١٥٥/٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.

(٩) صحيح البخاري (٤٨٢٧): ص ١٣٣/٦.

شئت أن أسمى الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه، فمروان فضض<sup>(١)</sup> من لعنة الله<sup>(٢)</sup>.

وروي عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: "أخبرني عبد الله بن الميني قال: إني لفي المسجد حين خطب مروان، فقال: إن الله أرى أمير المؤمنين في يزيد رأياً حسناً، وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: أهرقلية؟!<sup>(٣)</sup> إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده، ولا أحد من أهل بيته، ولا جعلها معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده. فقال مروان: ألسنت الذي قال لوالديه: أف لكما؟ فقال عبد الرحمن: ألسنت ابن اللعين الذي لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أباك. قال: وسمعتهم عائشة، فقالت: يا مروان، أنت القائل لعبد الرحمن كذا وكذا؟ كذبت، ما فيه نزلت، ولكن نزلت في فلان بن فلان. ثم انتحب مروان، ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف"<sup>(٤)</sup>. وفي رواية: "فقال مروان: هذا الذي يقول الله تعالى فيه: {وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْمَا أَتَعَدَانِي} [الأحقاف: ١٧]... الآية، فسمعت عائشة رضي الله عنها بذلك فغضبت، وقالت: والله ما هي به، ولو شئت لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه"<sup>(٥)</sup>، فأنت [نضض]<sup>(٦)</sup> من لعنة الله"<sup>(٧)</sup>.

الثاني: أنها نزلت في عبد الله بن أبي بكر، وكان يدعو أبواه إلى الإسلام فيجيبهما بما أخبر الله تعالى. قاله ابن عباس<sup>(٨)</sup>، وأبو العالية<sup>(٩)</sup>، ومجاهد<sup>(١٠)</sup>، والسدي<sup>(١١)</sup>، وابن جريج<sup>(١٢)</sup>.

قال مجاهد: "ونزلت في عبد الله بن أبي بكر بطولها"<sup>(١٣)</sup>. وروى العوفي، عن ابن عباس: "أنها نزلت في ابن أبي بكر الصديق"<sup>(١٤)</sup>، ولم يذكر

اسمه".

قال ابن كثير: "وفي صحة هذا نظر، والله أعلم"<sup>(١٥)</sup>.

الثالث: أن هذه الآية مرسله عامة، وهي نعت عبد كافر فاجر عاق لوالديه، المكذب بالبعث. قاله الحسن<sup>(١٦)</sup>، وقتادة<sup>(١٧)</sup>.

(١) في الصحاح كل شيء تفرق فهو فضض. وفي الحديث: أنت فضض من لعنة الله، يعنى: ما انفض من نطفة الرجل وتتردد في صلبه.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٩١).

(٣) أي: اتبعتم طريقته في إسناد الملك لأولاد المالكن وخالفتم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده إذ إنهم لم يفعلوا ذلك.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٧٢): ص ٣٢٩٥/١٠.

(٥) قال مكى: "تعني الحكم - طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم". [الهداية على بلوغ النهاية: ٦٨٤٦/١١]

(٦) في الكشف والبيان مكتوب «نضض»، قال المحقق: كذا في المخطوط.

(٧) الكشف والبيان: ١٣/٩.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ١٣/٩، وتفسير البيهقي: ٢٥٨/٧، بدون ذكر سند.

(٩) انظر: الكشف والبيان: ١٣/٩. حكاه عنه بدون ذكر سند.

(١٠) رواه ابن جريج عن مجاهد، كما في تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧، وانظر: الكشف والبيان: ١٣/٩، والنكت والعيون: ٢٨٠/٥، وتفسير البيهقي: ٢٥٨/٧، وغرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القراء: ١٠٩٥/٢. حكى عنه بدون سند.

(١١) انظر: تفسير البيهقي: ٢٥٨/٧. حكاه بدون سند.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.

(١٣) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، تاج القراء: ١٠٩٥/٢. بدون سند.

(١٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧، والهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٨٤٥/١١.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.

(١٦) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣/٩، والواحد في التفسير البسيط: ١٨٥/٢٠، وابن كثير: في التفسير: ٢٨٤/٧. بدون سند.

(١٧) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣/٩، والواحد في التفسير البسيط: ١٨٥/٢٠، وابن كثير: في التفسير: ٢٨٤/٧. بدون سند.



وروى سعيد عن قتادة قال: "هذا عبد سوء نعته الله جل وعز قال لوألدنيه: {أَتَعِدَانِي أَنْ} أبعث"<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير: "لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة، عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ} - وهذا عام في كل من قال هذا"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عطية: {الَّذِي}، يعني: به الجنس على حد العموم الذي في الآية التي قبلها في قوله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ} [الأحقاف: ١٥]، هذا قول الحسن وجماعة، ويشبه أن لها سببا من رجل قال ذلك لأبويه. فلما فرغ من ذكر الموفق عقب بذكر هذا العاق"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ} [الأحقاف: ١٧]، أي: "والذي قال لوألدنيه إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث: قبحا لكما على هذه الدعوة"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "لما ذكر تعالى حال الصالح البار لوألدنيه ذكر حالة العاق وأنها شر الحالات فقال: {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ} إذ دعواه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر وخوفاه الجزاء، وهذا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لوألدنيه أن يدعوه إلى ما فيه سعادته الأبدية وفلاحه السرمدي فقابلهما بأقبح مقابلة فقال: {أَفْ لَكُمْ}، أي: تبا لكما ولما جئتما به"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "أَفْ لَكُمْ}، يعني: قبحا لكما، الرديء من الكلام"<sup>(٦)</sup>.

قال الفراء: "أَفْ لَكُمْ}، قذرا لكما"<sup>(٧)</sup>.

قال الثعلبي: "هي كلمة كراهية"<sup>(٨)</sup>.

قال السمعاني: "تبرم واستفذار"<sup>(٩)</sup>.

عن أبي مالك غزوان الغفاري، في قوله: {أَف}، يعني: "الرديء من الكلام"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "وهذا نعت من الله تعالى ذكره نعت ضال به كافر، وبوالديه عاق، وهما مجتهدان في نصيحته ودعائه إلى الله، فلا يزيده دعاؤهما إياه إلى الحق، ونصيحتهما له إلا عتوا وتمردا على الله، وتماديا في جهله، يقول الله جل ثناؤه {وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ} أن دعواه إلى الإيمان بالله، والإقرار ببعث الله خلقه من قبورهم، ومجازاته إياهم بأعمالهم {أَفْ لَكُمْ}، يقول: قذرا لكما ومنتنا"<sup>(١١)</sup>.

و«الأف»: الوسخ الذي حول الظفر، وقيل: الأفّ وسخ الأذن، يقال ذلك عند استفذار الشيء، ثم استعمل ذلك عند كل شيء يضر منه، ويتأذى به"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي} [الأحقاف: ١٧]، أي: "أتعدانني أن أخرج من قبوري حيا، وقد مضت القرون من الأمم من قبلي، فهلكوا فلم يُبعث منهم أحد؟"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن عباس: "أتعدانني أن أبعث بعد الموت"<sup>(١٤)</sup>.

(١) معاني القرآن للنحاس: ٤٥٠/٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٧.

(٣) المحرر الوجيز: ٩٨/٥.

(٤) التفسير الميسر: ٥٠٤، وصفوة التفاسير: ١٨٢/٣.

(٥) تفسير السعدي: ٧٨١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١/٤.

(٧) معاني القرآن: ٥٣/٣.

(٨) الكشف والبيان: ١٢/٩.

(٩) تفسير السمعاني: ١٥٥/٥.

(١٠) الدر المنثور: ٦٣٨/٥، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١١) تفسير الطبري: ١١٧/٢٢.

(١٢) انظر: اللسان، مادة «أف».

(١٣) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٢.

قال قتادة: يعني: "البعث بعد الموت"<sup>(١)</sup>.

قال السدي: "قال لوالديه- [أي عبدالرحمن بن أبي بكر]- وكانا قد أسلما، وأبى هو أن يسلم فكان يأمرانه بالإسلام ويرد عليهما ويكذبهما، فيقول: فأين فلان؟ وأين فلان؟ يعني: مشايخ قريش ممن قد مات. ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته في هذه الآية: {وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا} [الأحقاف: ١٩]"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: أتعداني أن أخرج من قبري من بعد فنائي وبلائي فيه حيا، وقد مضت قرون من الأمم قبلي، فهلكوا، فلم يبعث منهم أحدا، ولو كنت مبعوثا بعد وفاتي كما تقولان، لكان قد بعث من هلك قبلي من القرون"<sup>(٣)</sup>.

قال الثعلبي: "أتعداني أن أخرج" من قبري حيا بعد فنائي وبلائي، {وقد مضت القرون من قبلي} فلم يبعث منهم أحد"<sup>(٤)</sup>.

قال السدي: "ثم ذكر وجه استبعاده وإنكاره لذلك فقال: {أتعداني أن أخرج} من قبري إلى يوم القيامة {وقد خلت القرون من قبلي} على التكذيب وسلفوا على الكفر وهم الأئمة المقتدى بهم لكل كفور وجهول ومعاند"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "أتعداني أن أخرج" من الأرض، يعني: أن يبعثني بعد الموت، {وقد خلت القرون من قبلي}، يعني: الأمم الخالية فلم أر أحدا منهم يبعث، فأين عبد الله بن جدعان؟ وأين عثمان بن عمرو؟ وأين عامر بن عمرو؟ كلهم من قريش وهم أجداده، فلم أر أحدا منهم أتانا"<sup>(٦)</sup>. قوله تعالى: {وَهُمَا يَسْتَعْثِبَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكِمَانِ} [الأحقاف: ١٧]، أي: "والداه يسألان الله هدايته قائلين له: ويلك، أمن وصدق واعمل صالحا، إن وعد الله بالبعث حق لا شك فيه"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره واللاه يستصرخان الله عليه، ويستغيثانه عليه أن يؤمن بالله، ويقرّ بالبعث ويقولان له: {ويؤيلك} صدق بوعد الله، وأقر أنك مبعوث من بعد وفاتك، إن وعد الله الذي وعد خلقه أنه باعثهم من قبورهم، ومخرجهم منها إلى موقف الحساب لمجازاتهم بأعمالهم حق لا شك فيه"<sup>(٨)</sup>.

قال الثعلبي: "يستصرخان الله ويستغيثانه عليه ويقولان له: {ويؤيلك} أمن إن وعد الله حق"<sup>(٩)</sup>.

قال القرطبي: "أي: يدعوان الله له بالهداية. أو يستغيثان بالله من كفره"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: "فقال أبواه: اللهم اهده، اللهم أقبل بقلبه إليك، اللهم تب عليه، فذلك قوله: وهما يستغيثان الله يعني يدعوان الله له بالهدى، أن يهديه ويقبل بقلبه، ثم يقولان: {ويؤيلك} صدق بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال {إن وعد الله حق}"<sup>(١١)</sup>.

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٨٥١): ص ٢ / ١٩٨، والطبري: ١١٨/٢٢، ومن طريق سعيد أيضا. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٧٣): ص ١٠ / ٣٢٩٥-٣٢٩٦، وكما في فتح الباري ٨ / ٥٧٧ - . وقال ابن حجر: «لكن نفي عائشة أن تكون نزلت في عبد الرحمن وآل بيته أصح إسنادا وأولى بالقبول». وجاء في تفسير البغوي ٧ / ٢٥٨ عن السدي: نزلت في عبد الله.

(٣) تفسير الطبري: ١١٨/٢٢.

(٤) الكشف والبيان: ١٢/٩.

(٥) تفسير السدي: ٧٨١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٨) تفسير الطبري: ١١٨/٢٢.

(٩) الكشف والبيان: ١٢/٩.

(١٠) تفسير القرطبي: ١٩٩/١٦.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١/٤.

قال السعدي: " {وَهُمَا} أي: والداه {يَسْتَعِينَانِ اللَّهَ} عليه ويقولان له: {وَيَلِكَ آمِنٌ} أي: يبدلان غاية جهدهما ويسعيان في هدايته أشد السعي حتى إنهما -من حرصهما عليه- أنهما يستعينا الله له استغاثة الغريق ويسألانه سؤال الشريك ويعذلان ولدهما ويتوجعان له ويبينان له الحق فيقولان: {إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا} ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما، وولدهما لا يزداد إلا عتوا ونفورا واستكبارا عن الحق وقدحا فيه"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأحقاف: ١٧]، أي: " فيقول لهما: ما هذا الذي تقولانه إلا ما سطره الأولون من الأباطيل، منقول من كتبهم"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: " فيقول عدو الله مجيبا لوالديه، وردًا عليهما نصيحتهما، وتكذيبا بوعد الله: ما هذا الذي تقولان لي وتدعواني إليه من التصديق بأني مبعوث من بعد وفاتي من قبري، إلا ما سطره الأولون من الناس من الأباطيل، فكتبوه، فأصبتماه أنتما فصدقتما"<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي: " أي: أحاديثهم وما سطره مما لا أصل له"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: " أي: إلا منقول من كتب المتقدمين ليس من عند الله ولا أوحاه الله إلى رسوله، وكل أحد يعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أمي لا يكتب ولا يقرأ ولا تعلم من أحد، فمن أين يتعلمه؟ وأنى للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا؟"<sup>(٥)</sup>.

عن السدي، قوله: {إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}: أساجيع الأولين"<sup>(٦)</sup>.

عن قتادة، قوله: "{أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}"، أي: أحاديث الأولين وباطلهم"<sup>(٧)</sup>. وروي عن الضحاك نحو ذلك"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلْتُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [الأحقاف: ١٨]

### التفسير:

أولئك الذين هذه صفتهم وجب عليهم عذاب الله، وحلت بهم عقوبته وسخطه في جملة أمم مضت من قبلهم من الجن والإنس على الكفر والتكذيب، إنهم كانوا خاسرين يبيعهم الهدى بالضلال، والنعيم بالعذاب.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلْتُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ} [الأحقاف: ١٨]، أي: " أولئك الذين هذه صفتهم وجب عليهم عذاب الله، وحلت بهم عقوبته وسخطه في جملة أمم مضت من قبلهم من الجن والإنس على الكفر والتكذيب"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفة صفتهم، الذين وجب عليهم عذاب الله، وحلت بهم عقوبته وسخطه، فيمن حلَّ به عذاب الله على مثل الذي حلَّ بهؤلاء من الأمم الذين مضوا قبلهم من الجن والإنس، الذين كذبوا رسل الله، وعتوا عن أمر ربهم"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: أي: " وجب عليهم الغضب مع أمم {قد خلت من قبلهم من الجن والإنس} صاروا إلى النار"<sup>(١١)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٧٨١.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٣) تفسير الطبري: ١١٨/٢٢-١١٩.

(٤) تفسير القرطبي: ١٩٩/١٦.

(٥) تفسير السعدي: ٧٨١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٠): ص ٢٩١٦/٩.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥١): ص ٢٩١٦/٩.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢١٩١٦/٩.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٠) تفسير الطبري: ١١٩/٢٢.

(١١) تفسير ابن أبي زمنين: ٢٢٧/٤.

قال القرطبي: " يعني: الذين أشار إليهم ابن أبي بكر في قوله: أحيوا لي مشايخ قريش، وهم المعنيون بقوله: {وقد خلت القرون من قبلي}، فأما ابن أبي بكر عبد الله أو عبد الرحمن فقد أجاب الله فيه دعاء أبيه في قوله: {وأصلح لي في ذريتي} [الأحقاف: ١٥] على ما تقدم، ومعنى {حق عليهم القول}، أي: وجب عليهم العذاب، وهي كلمة الله: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي»<sup>(١)</sup>، {في أمم}، أي: مع أمم {قد خلت}: تقدمت ومضت {من قبلهم من الجن والإنس} الكافرين"<sup>(٢)</sup>.

عن الكلبي، في قوله تعالى: " {وأولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت} [الأحقاف: ١٨] قال: يعني بهذا القرآن {وقد خلت القرون من قبلي} [الأحقاف: ١٧]"<sup>(٣)</sup>.

عن قتادة، عن الحسن، قال: "الجن لا يموتون، قال قتادة: فقلت: {وأولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت} ... الآية"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {إنهم كانوا خاسرين} [الأحقاف: ١٨]، أي: "إنهم كانوا خاسرين ببيعهم الهدى بالضلال، والنعيم بالعذاب"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إنهم كانوا المغبونين ببيعهم الهدى بالضلال والنعيم بالعقاب"<sup>(٦)</sup>.

قال القرطبي: "أي: تلك الأمم الكافرة {كانوا خاسرين} لأعمالهم، أي: ضاع سعيهم وخسروا الجنة"<sup>(٧)</sup>.

قال السعدي: "الخسران فوات رأس مال الإنسان، وإذا فقد رأس ماله فالأرباح من باب أولى وأحرى، فهم قد فاتهم الإيمان ولم يحصلوا على شيء من النعيم ولا سلموا من عذاب الجحيم"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

**{وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩)} [الأحقاف: ١٩]**

### التفسير:

ولكل فريق من أهل الخير وأهل الشر منازل عند الله يوم القيمة؛ بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، كل على وفق مرتبته؛ وليؤفقيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يُظلمون بزيادة في سيئاتهم، ولا بنقص من حسناتهم.

قوله تعالى: {وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا} [الأحقاف: ١٩]، أي: "ولكل فريق من أهل الخير وأهل الشر منازل عند الله يوم القيمة؛ بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، كل على وفق مرتبته"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ولكل هؤلاء الفريقين: فريق الإيمان بالله واليوم الآخر، والبرّ بالوالدين، وفريق الكفر بالله واليوم الآخر، وعقوق الوالدين اللذين وصف صفتهم ربنا عز وجل في هذه الآيات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة، مما عملوا، يعني من عملهم الذي عملوه في الدنيا من صالح وحسن وسييء يجازيهم الله به"<sup>(١٠)</sup>.

قال الثعلبي: أي: "منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها"<sup>(١١)</sup>.

(١) مسند احمد (١٧٦٦٠): ص ٢٩٠/٢٠٦، من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي.

(٢) تفسير القرطبي: ١٩٩/١٦.

(٣) تفسير عبدالرزاق (٢٨٦١): ص ٣/٢٠١.

(٤) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٢.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٦) تفسير الطبري: ١١٩/٢٢.

(٧) تفسير القرطبي: ١٩٩/١٦.

(٨) تفسير السعدي: ٧٨١.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(١٠) تفسير الطبري: ١١٩/٢٢.

(١١) الكشف والبيان: ١٣/٩.

قال ابن زنين: أي: "للمؤمنين درجات في الجنة على قدر أعمالهم، وللمشركين درجات في النار على قدر أعمالهم"<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: "أي: ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والإنس مراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لكل عذاب بحسب عمله"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن زيد: "درج أهل النار يذهب سفلا ودرج أهل الجنة يذهب علوا"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس: "يريد من سبق إلى الإسلام، فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة"<sup>(٥)</sup>.

قال السدي: "ثم أسلم بعد، فحسن إسلامه [أي: عبد الرحمن بن أبي بكر]، فنزلت توبته في هذه الآية: {ولكل درجات مما عملوا}"<sup>(٦)</sup>.

قال السمعاني: "أي: لكل المؤمنين درجات مما عملوا. وفي التفسير: أن الدرجات من الذهب والفضة والياقوت والزبرجد والزمرد واللؤلؤ وغيره من الجواهر، وفي بعض الأخبار: أن الله تعالى يدخل المؤمنين الجنة ويأمرهم أن يقسموها بأعمالهم"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {وَلْيُؤَقِّبِهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الأحقاف: ١٩]، أي: "وليؤفبهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون بزيادة في سيئاتهم، ولا بنقص من حسناتهم"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: وليعطي جميعهم أجور أعمالهم التي عملوها في الدنيا، المحسن منهم بإحسانه ما وعد الله من الكرامة، والمسيء منهم بإساءته ما أعدّه من الجزاء، وجميعهم لا يظلمون: لا يجازى المسيء منهم إلا عقوبة على ذنبه، لا على ما لم يعمل، ولا يحمل عليه ذنب غيره، ولا يبخس المحسن منهم ثواب إحسانه"<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: "أي: لا يزداد في إساءة المسيء، ولا ينقص من إحسان المحسن"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)}

[الأحقاف: ٢٠]

## التفسير:

ويوم يعرض الذين كفروا على النار للعذاب، فيقال لهم توبيخًا: لقد أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها، فالיום -أيها الكفار- تُجزون عذاب الخزي والهوان في النار؛ بما كنتم تتكبرون في الأرض بغير الحق، وبما كنتم تخرجون عن طاعة الله.

قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ} [الأحقاف: ٢٠]، أي: "ويوم يعرض الذين كفروا على النار للعذاب"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير ابن أبي زنين: ٢٢٧/٤.

(٢) تفسير القرطبي: ١٩٩/١٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٨٤/٧.

(٤) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٢.

(٥) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط: ١١٠/٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٧٣): ص ٣٢٩٥/١٠ - ٣٢٩٦، وكما في فتح الباري ٨/ ٥٧٧ - . وتقدم بتمامه في الآية قبل السابقة.

(٧) تفسير السمعاني: ١٥٦/٥.

(٨) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٩) تفسير الطبري: ١١٩/٢٢.

(١٠) تفسير السمعاني: ١٥٦/٥.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٨٤/٧.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٠٤.

عن الحسن: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ} : " دخولهم" (١).  
قال الزمخشري: " وعرضهم على النار: تعذيبهم بها، من قولهم: عرض بنو فلان على السيف، إذا قتلوا به. ومنه قوله تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا}، ويجوز أن يراد: عرض النار عليهم من قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريدون: عرض الحوض عليها فقلبو" (٢).  
قال السعدي: " يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على النار حين يوبخون ويقرعون" (٣).

قال ابن عباس: " يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها" (٤).  
قوله تعالى: {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا} [الأحقاف: ٢٠]، أي: " فيقال لهم توبيخًا: لقد أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها" (٥).  
قال السمعاني: " أي: أذهبت طيباتكم في الآخرة من معاصيكم في الدنيا، ويقال: شغلتم الشهوات عن الطاعات. وقيل: أخذتم نصيبكم في الدنيا فلا نصيب لكم في الآخرة، {واستمعتم بها}، أي: تلذذتم وانتفعتم بها" (٦).

قال الزمخشري: " أي: ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دنياكم، وقد ذهبت به وأخذتموه، فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها" (٧).

قال الواحدي: " وذلك أنهم يفعلون ما يشتهون لا يتوفون حراما ولا يجتنبون مائما" (٨).  
قال السعدي: " حيث اطمأنتم إلى الدنيا، واغتررتم بلذاتها ورضيتم بشهواتها وألهتكم طيباتها عن السعي لأخرتكم وتمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من آخرتكم" (٩).

قال ابن العربي: " أي: فيقال لهم: أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا، يريد أفنيتموها في الكفر بالله ومعصيته، وإن الله أحل الطيبات من الحلال واللذات، وأمر باستعمالها في الطاعات، فصرفها الكفار إلى الكفر فأوعدهم الله بما أخبر به عنهم، وقد يستعملها المؤمن في المعاصي، يدخل في وعيد آخر وتناوله آية أخرى برجاء المغفرة، ويرجع أمره إلى المشيئة، فينفذ الله فيه ما علمه منه وكتبه له" (١٠).

قال ابن عيينة: " أخبرني رجل من أهل المدينة في قوله تعالى: {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ [الأحقاف: ٢٠]، قال: أبصر عمر مع جابر بن عبد الله إنسانا يحمل شيئا، فقال: ما هذا؟ فقال: لحم اشتريته بدرهم، فقال عمر: ما يقرم أحدكم قرمة إلا أخرج درهما فاشترى به لحما، أما سمعتم الله يقول: {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا} [الأحقاف: ٢٠]" (١١).

عن هشام بن عروة، في قوله تعالى: {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا} [الأحقاف: ٢٠] أن عمر بن الخطاب قال: «لو شئت أن أذهب طيباتي في حياتي الدنيا، لأمرت بجدي سمين فطبخ باللبن» (١٢).

قال قتادة: " تعلمون أن أقواما يسترطون حسناتهم في الدنيا، استبقى رجل طيباته إن استطاع، ولا قوة إلا بالله. قال: وذكر لنا: أن عمر بن الخطاب كان يقول: لو شئت لكنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكني استبقي طيباتي. وذكر لنا: أن عمر بن الخطاب لما قدم الشام صنع

(١) تفسير ابن أبي زمنين: ٢٢٧/٤.

(٢) الكشاف: ٣٠٥/٤.

(٣) تفسير السعدي: ٧٨٢.

(٤) حكاة عنه الزمخشري في الكشاف: ٣٠٥/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٦) تفسير السمعاني: ١٥٦/٥-١٥٧.

(٧) الكشاف: ٣٠٥/٤.

(٨) الوجيز: ٩٩٦.

(٩) تفسير السعدي: ٧٨٢.

(١٠) احكام القرآن: ١٢٧/٤.

(١١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٤٨): ص ١٩٦/٣.

(١٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٥٢): ص ١٩٨/٣.

له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا! فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟! فقال خالد بن الوليد: لهم الجنة. فاغرورقت عينا عمر، فقال: لئن كان حظنا من هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا"<sup>(١)</sup>.

عن قتادة، قوله: "وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ"، قرأ يزيد حتى بلغ: {وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ}، تعلمون والله أن أقواما يشترطون حسناتهم استبقى رجل طبيباته إن استطاع، ولا قوة إلا بالله. ذكر أن عمر بن الخطاب كان يقول: لو شئت كنت أطيبكم طعاما، وألينكم لباسا، ولكني استبقى طبيباتي. وذكر لنا أنه لما قدم الشام، صنع له طعام لم ير قبله مثله، قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ قال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظنا في الحطام، وذهبوا- قال أبو جعفر فيما أرى أنا- بالجنة، لقد باينونا بونا بعيدا. وذكر لنا "أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دخل على أهل الصفة مكانا يجتمع - فيه فقراء المسلمين، وهم يرفعون ثيابهم بالأدم، ما يجدون لها رقاعا، قال: أنتم اليوم خير، أو يوم يغدو أحدكم في حلة، ويروح في أخرى، ويغدى عليه بحفنة، ويروح عليه بأخرى، ويستتر بيته كما تستر الكعبة. قالوا: نحن يومئذ خير، قال: "بل أنتم اليوم خير"<sup>(٢)</sup>.

عن أبي هريرة، قال: "إنما كان طعامنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الأسودين: الماء، والتمر، والله ما كنا نرى سمراءكم هذه، ولا ندرى ما هي"<sup>(٣)</sup>.

عن أبي بردة بن عبد الله بن قيس الأشعري، عن أبيه، قال: "أي بني لو شهدتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع نبينا إذا أصابتنا السماء، حسبت أن ريحنا ريح الضأن، إنما كان لباسنا الصوف"<sup>(٤)</sup>.

روى الزهري عن ابن عباس قال: "فقلت: ادع يا رسول الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم، وهم لا يعبدون الله. فاستوى جالسا، ثم قال: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طبيباتهم في الحياة الدنيا»"<sup>(٥)</sup>.

عن ابن زيد، في قول الله عز وجل: "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا} ... إلى آخر الآية، ثم قرأ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوْفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ}، وقرأ: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا} وقرأ (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} ... إلى آخر الآية، وقال: هؤلاء الذين أذهبوا طبيباتهم في حياتهم الدنيا"<sup>(٦)</sup>.

وقرأ أبو جعفر: «أَذْهَبْتُمْ» بالاستفهام، والعرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فيه، فنقول: أذهبت ففعلت كذا وكذا، وذهبت ففعلت وفعلت"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {قَالِيَوْمَ نُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [الأحقاف : ٢٠]، أي: "فاليوم -أيها الكفار- نُجْزَوْنَ عَذَابَ الْخِزْيِ وَالْهُونِ فِي النَّارِ"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يقال لهم: فاليوم أيها الكافرون الذين أذهبوا طبيباتهم في حياتهم الدنيا: تتأبون عذاب الهوان، وذلك عذاب النار الذي يهينهم"<sup>(٩)</sup>.  
عن مجاهد: "عَذَابَ الْهُونِ}، قال: الهوان"<sup>(١٠)</sup>.

(١) أخرجه الطبري ١٢٠/٢٢ بنحوه، وكذلك عبدالرزاق في التفسير (٢٨٥٢): ص ١٩٨/٣ - كما سيأتي. وعزه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٢ - ١٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٢.

(٥) قطعة من حديث رواه الإمام احمد في المسند (٢٢٢): ص ٣٤٦/١.

(٦) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢٢.

(٨) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٩) تفسير الطبري: ١٢١/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٢٢/٢٢.

قال السعدي: "أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويفضحكم"<sup>(١)</sup>.  
 قال ابن كثير: "فجوزوا من جنس عملهم، فكما نَعَمُوا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق، وتعاطوا الفسق والمعاصي، جازاهم الله بعذاب الهون، وهو الإهانة والخزي والآلام الموجعة، والحسرات المنتابعة والمنازل في الدرجات المفضعة، أجازنا الله من ذلك كله"<sup>(٢)</sup>.  
 قوله تعالى: {بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأحقاف: ٢٠]، أي: "بما كنتم تتكبرون في الأرض بغير الحق"<sup>(٣)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: بما كنتم تتكبرون في الدنيا على ظهر الأرض على ربكم، فتأبون أن تخلصوا له العبادة، وأن تذعنوا لأمره ونهيه بغير الحق، أي بغير ما أباح لكم ربكم، وأذن لكم به"<sup>(٤)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ} [الأحقاف: ٢٠]، أي: "وبما كنتم تخرجون عن طاعة الله"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول: بما كنتم فيها تخالفون طاعته فتعصونه"<sup>(٦)</sup>.  
 قال السعدي: "فجمعوا بين قول الباطل والعمل بالباطل والكذب على الله بنسبته إلى رضاه والقدح في الحق والاستكبار عنه فعوقبوا أشد العقوبة"<sup>(٧)</sup>.  
 فوائد الآيات: [١٧-٢٠]:

- ١- حرمة عقوق الوالدين وأنها من الكبائر.
- ٢- بيان حنان الوالدين وحبهما لولدهما وبذل كل ما يقدران عليه من أجل إسعاده وهدايته.
- ٣- التحذير من الانغماس في الملاذ والشهوات والاستمتاع.
- ٤- التحذير من الكبر والفسق وأن الكبر من أعمال القلوب والفسق من أعمال الجوارح.
- ٥- مدى فهم السلف الصالح لهذه الآية: {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا}.  
 قرأ يزيد حتى بلغ: {وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ} [الأحقاف: ٢٠] تعلمون والله أن أقواما يسترطون حسناتهم استبقى رجل طيباته إن استطاع، ولا قوة إلا بالله"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١)} [الأحقاف: ٢١]  
 التفسير:

واذكر -أيها الرسول- نبيَّ الله هودًا أخا عاد في النَّسَبِ لا في الدين، حين أنذر قومه أن يحل بهم عقاب الله، وهم في منازلهم المعروفة بـ «الأحقاف»، وهي الرمال الكثيرة جنوب الجزيرة العربية، وقد مضت الرسل بإنذار قومها قبل هود وبعده: بأن لا تشركوا مع الله شيئاً في عبادتكم له، إنني أخاف عليكم عذاب الله في يوم يعظم هولاً، وهو يوم القيامة.  
 قوله تعالى: {وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ} [الأحقاف: ٢١]، أي: "واذكر -أيها الرسول- نبيَّ الله هودًا أخا عاد في النَّسَبِ لا في الدين"<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٧٨٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٨٤/٧.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٤) تفسير الطبري: ١٢٢/٢٢.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٤.

(٦) تفسير الطبري: ١٢٢/٢٢.

(٧) تفسير السعدي: ٧٨٢.

(٨) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٢.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٥.



قال ابن كثير: "يقول تعالى مسلماً لنبيه في تكذيب من كذبه من قومه: {وَإِذْ كَرَّ أَخَا عَادٍ} وهو هود، عليه السلام، بعثه الله إلى عاد الأولى" (١).

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرحمنا الله، وأخا عاد" (٢). قوله تعالى: {إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ} [الأحقاف: ٢١]، أي: "حين أنذر قومه أن يحل بهم عقاب الله، وهم في منازلهم المعروفة بـ«الأحقاف»، وهي الرمال الكثيرة جنوب الجزيرة العربية" (٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد لقومك الراديين عليك ما جنتهم به من الحق هودا أخا عاد، فإن الله بعثك إليهم كالذي بعثه إلى عاد، فحوقمهم أن يحلّ بهم من نعمة الله على كفرهم ما حلّ بهم إذ كذبوا رسولنا هوداً إليهم، إذ أنذر قومه عاداً بالأحقاف. والأحقاف: جمع حقف وهو من الرمل ما استطال، ولم يبلغ أن يكون جبلاً وإياه عنى الأعشى" (٤).

فَبَاتَ إِلَى أَرطَاةٍ حَقْفٍ تَلْفُهُ ... خَرَبِقُ شَمَالٍ يَثْرُكُ الْوَجْهَ أَقْتَمًا" (٥).

واختلف أهل التفسير في الموضع الذي به هذه الأحقاف، على أقوال:

أحدها: أن «الأحقاف»: رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها: الشحر، قاله قتادة (٦). قال قتادة: "ذكر لنا أن عاداً كانوا حياً باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها: الشحر" (٧).

وقال قتادة: "بلغنا أنهم كانوا على أرض يقال لها: الشحر، مشرفين على البحر، وكانوا أهل رمل" (٨).

وقال قتادة: "كان مساكن عاد بالشحر" (٩).

وقال ابن زيد: "«الأحقاف»: الرمل الذي يكون كهيئة الجبل تدعوه العرب: الحقف، ولا يكون أحقافاً إلا من الرمل، قال: وأخو عاد هود" (١٠).

قال السدي: "إن عاداً كانوا باليمن بالأحقاف، والأحقاف: هي الرمال، فأتاهم فوعظهم، وذكرهم بما قص الله في القرآن، فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب" (١١).

قال النحاس: "الحقف- عند أهل اللغة- الرمل المنحني وجمعه حقفة محمد وأحقاف وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ «بطنبي حاقف» (١٢)، أي: منحنتان" (١٣).

قال الزجاج: "«الأحقاف»: رمال مستطيلة مرتفعة كالدكاوات، وكانت هذه الأحقاف

(١) تفسير ابن كثير: ٢٨٥/٧.

(٢) سنن ابن ماجه (٣٨٥٢)، "باب إذا دعا فليبدأ بنفسه"، وقال البوصيري في الزوائد (٢٠٤/٣): "هذا إسناد صحيح وله شواهد في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي بن كعب".

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٤) هذا الرجز نسبه الطبري في تفسيره: ١٢٢/٢٢ إلى العجاج، ولم أقف عليه في شعر الأعشى ولا في أراجيز العجاج. والأرطاة: جمعه أرطي، وهو شجر من شجر الرمل.

(٥) تفسير الطبري: ١٢٢/٢٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٢.

(٩) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢٢.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٤٤): ص ١٥٠٨/٥.

(١٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند (١٥٧٤٤): ص ٢٥/٢٠-٢١، ابن أبي عاصم في "الأحاديث والمثنوي" (١٣٨٢)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ١٧٢/٢، والطبراني في "الكبير" (٥٢٨٣)، والبيهقي في "السنن" ١٨٨/٥، من طريق يزيد بن هارون، وأخرجه مالك في "الموطأ" ٣٥١/١- ومن طريقه عبد الرزاق في "المصنف" (٨٣٣٩)، والنسائي في "المجتبى" ١٨٢/٥-١٨٣، وابن حبان (٥١١١)، والبيهقي ١٧١/٦ و٣٢٢/٩، عن يحيى بن سعيد الأنصاري.

(١٣) معاني القرآن: ٤٥٢/٦.

منازل عاد<sup>(١)</sup>.  
قال الكلبي<sup>(٢)</sup>، وأبو عبيدة<sup>(٣)</sup>: "الأحقاف: الرمال".  
قال الفراء: "أحقاف: الرمل، واحدها: حَقْفٌ، والحَقْفُ: الرملة المستطيلة المرتفعة إلى فوق"<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن قتيبة: "واحدها: حَقْفٌ" وهو من الرمل ما أشرفَ من كُنْبَانِه واستطال وانحنى"<sup>(٥)</sup>.  
الثاني: أن «الأحقاف»: الأرض . قاله مجاهد<sup>(٦)</sup>.  
وروي عن مجاهد: "إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ، حِشَافٍ مِنْ جِسْمِي"<sup>(٧)</sup>.  
وروي عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: "إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ، قال: حشاف أو كلمة تشبهها، قال أبو موسى: يقولون مستحشف"<sup>(٨)</sup>.  
الثالث: أنه جبل بالشام يسمى: الأحقاف، قاله ابن عباس<sup>(٩)</sup>.  
وقال الضحاك: "جبل يسمى: الأحقاف"<sup>(١٠)</sup>.  
وقال عكرمة: "الأحقاف: الجبل والغار"<sup>(١١)</sup>.  
الرابع: هو ما بين عمان وحضرموت، قاله ابن إسحاق<sup>(١٢)</sup>.  
قال ابن إسحاق: "كانت منازل عاد وجماعتهم، حيث بعث الله إليهم هودا الأحقاف: الرمل فيما بين عُمان إلى حَضْرَمَوْتِ، فاليمين كله، وكانوا مع ذلك قد فَشَوْا في الأرض كلها، قهرُوا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله"<sup>(١٣)</sup>.  
وقال مقاتل: "كانت منازل عاد باليمن في حضرموت" بموضع يقال له: مهرة، وإليها تنسب الإبل المهرية"<sup>(١٤)</sup>، .. وكانوا أهل عمود سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم وكانوا من قبيلة آدم بن شيم بن سام بن نوح وكانوا أصهاره وكان طول أحدهم اثني عشر ذراعا وكان فيهم الملك"<sup>(١٥)</sup>.  
الخامس: أن «الأحقاف» الذي أنذر هود قومه واد بين عمان ومهرة، قاله ابن عباس-أيضا-<sup>(١٦)</sup>.  
وروي عن علي -رضي الله عنه- قال: "خير واديين في الناس وادي مكة ووادي إرم بأرض الهند، وشر واديين في الناس وادي الأحقاف، وواد بحضرموت يدعى برهوت، يلقي في أرواح الكفار، وخير بئر في الناس زمزم، وشر بئر في الناس برهوت. وهي في ذلك الوادي الذي بحضرموت"<sup>(١٧)</sup>.

- 
- (١) معاني القرآن: ٤٤٤/٤.
  - (٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٥٤): ص ١٩٩/٣.
  - (٣) انظر: مجاز القرآن: ٢١٣/٢.
  - (٤) معاني القرآن: ٥٤/٣.
  - (٥) غريب القرآن: ٤٠٧.
  - (٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٢.
  - (٧) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٢.
  - (٨) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٢.
  - (٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٢.
  - (١٠) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٢.
  - (١١) حكاه عنه ابن كثير: في التفسير: ٢٨٥/٧.
  - (١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٢.
  - (١٣) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٢.
  - (١٤) هذا النقل حكاه عنه البيهقي في التفسير: ٢٦٢/٧.
  - (١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣-٢٢/٤.
  - (١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٢.
  - (١٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٧٤): ص ٣٢٩٦/١٠.

قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أن الله تبارك وتعالى أخبر أن عاداً أنذرهم أخوهم هود بالأحقاف، والأحقاف ما وصفت من الرمال المستطيلة المشرفة.. وجائز أن يكون ذلك جبلاً بالشأم. وجائز أن يكون وادياً بين عمان وحضرموت. وجائز أن يكون الشحر وليس في العلم به أداء فرض، ولا في الجهل به تضييع واجب، وأين كان فصفته ما وصفنا من أنهم كانوا قوماً منازلهم الرمال المستطيلة المستطيلة"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} [الأحقاف: ٢١]، أي: " وقد مضت الرسل بإنذار قومها قبل هود وبعده: بأن لا تشركوا مع الله شيئاً في عبادتكم له"<sup>(٢)</sup>.

قال يحيى بن سلام: " يعني: وقد بعثت الرسل من قبل هود إلى قومهم، {وَمِنْ خَلْفِهِ}، يعني: ومن بعده"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: " وقد مضت الرسل بإنذار أممها من قبل هود ومن بعد هود، {ألا} تشركوا مع الله شيئاً في عبادتكم إياه، ولكن أخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهة، إنه لا إله غيره، وكانوا فيما ذكر أهل أوثان يعبدونها من دون الله"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: " يعني: وقد أرسل الله إلى من حول بلادهم من القرى مرسلين ومنذرين، كقوله: {فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا} [البقرة: ٦٦]، وكقوله: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَتَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} [فصلت: ١٣، ١٤]"<sup>(٥)</sup>.

قال الفراء: " {مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ}: قبله، {وَمِنْ خَلْفِهِ}: من بعده"<sup>(٦)</sup>.  
قال مجاهد: " جاءت قبلهم الرسل النذر بتوحيد الله، وأتى الرسل بعدهم بتوحيد الله"<sup>(٧)</sup>.  
عن الضحاك: " {وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}، قال: لن يبعث الله رسولا إلا بأن يعبد الله"<sup>(٨)</sup>.

وفي قراءة عبد الله: «وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ بَعْدِهِ»<sup>(٩)</sup>.  
قوله تعالى: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأحقاف: ٢١]، أي: " إنني أخاف عليكم عذاب الله في يوم يعظم هولاه، وهو يوم القيامة"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هود لقومه: إنني أخاف عليكم أيها القوم بعبادتكم غير الله عذاب الله في يوم عظيم وذلك يوم يعظم هولاه، وهو يوم القيامة"<sup>(١١)</sup>.  
عن سعيد بن جبیر: " {عظيم}، يعني: وافر"<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

{قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَاتِنًا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢)} [الأحقاف: ٢٢]  
التفسير:

(١) تفسير الطبري: ١٢٤/٢٢-١٢٥.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٣) التصاريح لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٦٥.

(٤) تفسير الطبري: ١٢٥/٢٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٨٥/٧.

(٦) معاني القرآن: ٥٤/٣.

(٧) تفسير إسحاق البستي (٨٧٢): ص ٣٤٩/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢٢.

(٩) انظر: معاني القرآن للفراء: ٥٤/٣، وتفسير الطبري: ١٢٥/٢٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(١١) تفسير الطبري: ١٢٥/٢٢.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٨٢٥): ص ٢٧٩٦/٩.

قالوا: أجبنا بدعوتك؛ لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟ فأتنا بما تعدنا به من العذاب، إن كنت من أهل الصدق في قولك ووعدك.

قوله تعالى: {قَالُوا أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَا عَنْ آلِهَتِنَا} [الأحقاف: ٢٢]، أي: "قالوا: أجبنا بدعوتك؛ لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "قالت عاد لهود، إذ قال لهم لا تعبدوا إلا الله: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، أجبنا يا هود لتصرفنا عن عبادة آلهتنا إلى عبادة ما تدعوننا إليه، وإلى اتباعك على قولك"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن قتيبة: {لِنُؤْفِكَا} لتصرفنا"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لتصدقنا"<sup>(٤)</sup>.

قال الزجاج: "أي: لتصرفنا عنها بالإفك والكذب"<sup>(٥)</sup>.

قال الزمخشري: "الإفك: الصرف. يقال أفك عن رأيه {عَنْ آلِهَتِنَا} عن عبادتها"<sup>(٦)</sup>.

قال الضحاك: "لتزيلنا عن عبادتها بالإفك"<sup>(٧)</sup>.

عن ابن زيد، قوله: {أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَا عَنْ آلِهَتِنَا}، قال: لتزيلنا، وقرأ: {إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا}، قال: تضلنا وتزيلنا وتؤفكنا"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {قَاتِنَا بِمَا نَعُدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الأحقاف: ٢٢]، أي: "فأتنا بما تعدنا به من العذاب، إن كنت من أهل الصدق في قولك ووعدك"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: يقول: {قَاتِنَا بِمَا نَعُدُّنَا} من العذاب على عبادتنا ما نعد من الآلهة {إِنْ كُنْتُمْ} من أهل الصدق في قوله وعداته"<sup>(١٠)</sup>.

قال الزجاج: "أي: اتتنا بالعذاب الذي نعدنا"<sup>(١١)</sup>.

قال السمعاني: " {إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ} يعني: إن كنت نبيا من قبل الله تعالى"<sup>(١٢)</sup>.

قال البغوي: " {إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ} أن العذاب نازل بنا"<sup>(١٣)</sup>.

قال الزمخشري: " {بِمَا نَعُدُّنَا} من معاملة العذاب على الشرك، {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقًا} في وعدك"<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن كثير: "استعجلوا عذاب الله وعقوبته، استبعادا منهم وقوعه، كقوله: {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا} [الشورى: ١٨]"<sup>(١٥)</sup>.

## القرآن

{قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣)} [الأحقاف: ٢٣]:

(١) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٢٦/٢٢.

(٣) غريب القرآن: ٤٠٧.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٥/٧.

(٥) معاني القرآن: ٤٤٥/٤.

(٦) الكشاف: ٣٠٦/٤.

(٧) تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٦.

(٨) اخرج الطبري: ١٢٦/٢٢.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(١٠) تفسير الطبري: ١٢٦/٢٢.

(١١) معاني القرآن: ٤٤٥/٤.

(١٢) تفسير السمعاني: ١٥٨/٥.

(١٣) تفسير البغوي: ٢٦٢/٧.

(١٤) الكشاف: ٣٠٦/٤.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧.

## التفسير:

قال هود عليه السلام: إنما العلم بوقت مجيء ما وعدتم به من العذاب عند الله، وإنما أنا رسول الله إليكم، أبلغكم عنه ما أرسلني به، ولكني أراكم قومًا تجهلون في استعجالكم العذاب، وجرأتكم على الله.

قوله تعالى: {قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ} [الأحقاف: ٢٣]، أي: "قال هود عليه السلام: إنما العلم بوقت مجيء ما وعدتم به من العذاب عند الله" (١).

قال الطبري: "قال هود لقومه عاد: {إِنَّمَا الْعِلْمُ} بوقت مجيء ما أعدكم به من عذاب الله على كفركم به عند الله، لا أعلم من ذلك إلا ما علمني" (٢).

قال مقاتل: "يعنى: نزول العذاب بكم علمه" (٣) عند الله إذا شاء أنزله" (٤).

قال السمعاني: "أي: وقت عذابكم يعلمه الله، ولا أعلمه أنا" (٥).

قال ابن كثير: "أي: الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فيفعل ذلك بكم" (٦).

قال الزمخشري: "فقال لهم: لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا، إنما علم ذلك عند الله، فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم؟" (٧).

قوله تعالى: {وَأَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ} [الأحقاف: ٢٣]، أي: "وإنما أنا رسول الله إليكم، أبلغكم عنه ما أرسلني به" (٨).

قال الطبري: "يقول: وإنما أنا رسول إليكم من الله، مبلغ أبلغكم عنه ما أرسلني به من الرسالة" (٩).

قال السمعاني: "معناه: أن إليّ تبليغ الرسالة، وليس إليّ إنزال العذاب، وإنما هو إلى الله تعالى" (١٠).

قال ابن كثير: "أي: "وأما أنا فمن شأنى أني أبلغكم ما أرسلت به" (١١).

قال الزمخشري: "أن الذي هو شأنى وشرطي: أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدى" (١٢).

قال السدي: "فأتاهم- يعني:- هودا، فوعظهم وذكرهم بما قص الله في كتابه فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب فقال لهم: {إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ} (١٣).

قوله تعالى: {وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} [الأحقاف: ٢٣]، أي: "ولكني أراكم قومًا تجهلون في استعجالكم العذاب، وجرأتكم على الله" (١٤).

قال الطبري: "يقول: {وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} مواضع حظوظ أنفسكم، فلا تعرفون ما عليها من المضرّة بعبادتكم غير الله، وفي استعجال عذابه" (١٥).

(١) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٢٦/٢٢.

(٣) في المطبوع «عليه».

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣/٤.

(٥) تفسير السمعاني: ١٥٨/٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧.

(٧) الكشاف: ٣٠٧/٤.

(٨) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٩) تفسير الطبري: ١٢٦/٢٢.

(١٠) تفسير السمعاني: ١٥٨/٥.

(١١) تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧.

(١٢) الكشاف: ٣٠٧/٤.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٦٤٩): ص ١٥٠٩/٥.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(١٥) تفسير الطبري: ١٢٦/٢٢.

- قال ابن كثير: "أي: لا تعقلون ولا تفهمون"<sup>(١)</sup>.  
قال مقاتل: "تَجْهَلُونَ {العذاب}"<sup>(٢)</sup>.  
قال الزمخشري: "أي: ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين، ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه"<sup>(٣)</sup>.  
فوائد الآيات: [٢١-٢٣]:  
١- بيان سنة الله في الأمم في إرسال الرسل إليهم.  
٢- وبيان مهمة الرسل وهي النذارة والبلاغ.  
٣- بيان سفة وجهل الأمم التي تطالب بالعذاب وتستعجل به.  
٤- بيان أن عاداً أهلكت بالريح الدبور، وأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نصر بريح الصبا كما في الحديث الصحيح.  
٥- بيان سنة الله تعالى في إهلاك المجرمين وهم الذين يصرون على الشرك والمعاصي.

### القرآن

{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤)} [الأحقاف: ٢٤]

### التفسير:

فلما رأوا العذاب الذي استعجلوه عارضاً في السماء متجهاً إلى أوديتهم قالوا: هذا سحب ممطر لنا، فقال لهم هود عليه السلام: ليس هو بعارض غيث ورحمة كما ظننتم، بل هو عارض العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم موجه.  
قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ} [الأحقاف: ٢٤]، أي: "فلما رأوا العذاب الذي استعجلوه عارضاً في السماء متجهاً إلى أوديتهم"<sup>(٤)</sup>.  
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فلما جاءهم عذاب الله الذي استعجلوه، فرأوه سحابة عارضا في ناحية من نواحي السماء {مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ}، والعرب تسمى السحاب الذي يرى في بعض أقطار السماء عشياً، ثم يصبح من الغد قد استوى، وحبا بعضه إلى بعض عارضا، وذلك لعرضه في بعض أرجاء السماء حين نشأ، كما قال الأعشى"<sup>(٥)</sup>.  
يا من يرى عارضا قد بت أرْمُقُهُ ... كأنما البرق في حافاتِه الشُّعْلُ"<sup>(٦)</sup>.  
قال الزجاج: "أي: فلما رأوا السحاب الذي نشأت منه الريح التي غُذِبُوا بها قد عَرَضَتْ في السماء"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لما رأوا العذاب مستقبلهم"<sup>(٨)</sup>.  
قال الفراء: "طمعوا أن يكون سحباً مطر، فقالوا: هَذَا الَّذِي وَعَدْتْنَا، هَذَا والله الغيث والخير"<sup>(٩)</sup>.  
قال مقاتل: "العارض: بعض السحابة التي لم تطبق السماء التي يرى ما فيها من المطر"<sup>(١٠)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧.  
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣/٤.  
(٣) الكشاف: ٣٠٧/٤.  
(٤) التفسير الميسر: ٥٠٥.  
(٥) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعه القاهرة ٥٧) وفي روايته: "أرقبه" في موضع "أرمقه"، وهما بمعنى أنظر إليه.  
(٦) تفسير الطبري: ١٢٧/٢٢.  
(٧) معاني القرآن: ٤٤٥/٤.  
(٨) تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧.  
(٩) معاني القرآن: ٥٥/٣.  
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣/٤.

قوله تعالى: {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا} [الأحقاف: ٢٤]، أي: "قالوا: هذا سحاب ممطر لنا"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "ظنا منهم برؤيتهم إياه أن غيثا قد أتاهم يحيون به، فقالوا: هذا الذي كان هوذا يعدنا، وهو الغيث"<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "قالوا: الذي وعدتنا به سحاب فيه الغيث والحياة والمطر"<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن كثير: "اعتقدوا أنه عارض ممطر، ففرحوا واستبشروا به، وقد كانوا محملين محتاجين إلى المطر"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: "قالوا لهود: {هذا عارض ممطرننا}، لأن المطر كان حبس عنهم وكانت السحابة إذا جاءت من قبل ذلك الوادي مطروا.. فلما كذبوا هودا حبس الله عنهم المطر ثلاث سنين فلما دنا هلاكهم أوحى الله إلى الخزان، خزان الريح أن أرسلوا عليهم من الريح مثل منخر الثور، فقالت الخزان: يا رب، إذا تنسف الريح الأرض ومن عليها. قال: أرسلوا عليهم مثل خرق الخاتم، يعني على قدر حلقة الخاتم، ففعلوا فجاءت ريح باردة شديدة تسمى الدبور من وراء دكاوك الرمل، وكان المطر يأتيهم من تلك الناحية فيما مضى فمن ثم: «قالوا هذا عارض ممطرننا» فعمد هو فحط على نفسه، وعلى المؤمنين خطا إلى أصل شجرة ينبع من ساقها عين فلم يدخل عليهم من الريح إلا النسيم الطيب وجعلت الريح شدتها تجئ بالطعن بين السماء والأرض، فلما رأوا أنها ريح قالوا: يا هود إن ريحك هذه لا تزيل أقدامنا وقالوا من أشد منا قوة يعني بطشا فقاموا صفونا فاستقبلوها بصدورهم فأزالت الريح أقدامهم. فقالوا: يا هود، إن ريحك هذه تزيل أقدامنا فألقتهم الريح لوجوههم ونسفت عليهم الرمل حتى إنه يسمع أنين أحدهم من تحت الرمل، فذلك قوله: {أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم} [فصلت: ١٥]"<sup>(٥)</sup>.

روى طاووس عن ابن عباس، قال: "كان لعاد واد إذا جاء المطر أو الغيم من ناحيته كان غيثا فأرسل الله عليهم العذاب من ناحيته فلما وعدهم هود صلى الله عليه وسلم بالعذاب ورأوا العارض قالوا: {هذا عارض ممطرننا}"<sup>(٦)</sup>.

قال قتادة: "وذكر لنا أنهم حبس عنهم المطر زمانا، فلما رأوا العذاب مقبلا: {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا}. وذكر لنا أنهم قالوا: كذب هود كذب هود؛ فلما خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم الله فشامه، قال: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن إسحاق: "ساق الله السحابة السوداء التي اختار قيل ابن عنز بما فيها من النعمة إلى عاد، حتى تخرج عليهم من واد لهم يقال له المغيث، فلما رأوها استبشروا: {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا}، يقول الله عز وجل: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأحقاف: ٢٤]، أي: "فقال لهم هود عليه السلام: ليس هو بعارض غيث ورحمة كما ظننتم، بل هو عارض العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم موجع"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "أي: هو العذاب الذي استعجلتم به، فقلتم: {قَاتِنَا بِمَا نَعُدُّنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ}، {ريحٌ فيها عذابٌ أليمٌ}، والريح مكررة على ما في قوله: {هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ} كأنه قيل: بل هو ريح فيها عذاب أليم"<sup>(١)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٢٧/٢٢.

(٣) معاني القرآن: ٤٤٥/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣-٢٥.

(٦) نقلا عن: معاني القرآن للنحاس: ٤٥٣/٦.

(٧) أخرجه الطبري: ١٢٧/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ١٢٧/٢٢-١٢٨.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٥.

قال أبو العالية: "الأليم: الموجع في القرآن كله"<sup>(٢)</sup>، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك<sup>(٣)</sup>.  
قال مقاتل: "وكان استعجالهم حين قالوا: يا هود: {قَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: هو العذاب الذي قلتم: {قَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}"<sup>(٥)</sup>.  
قال عمرو بن ميمون: "لما رأى قوم عاد العارض، {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا}، قال الله: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا (٢٥)}، فإن كانت الريح لتدفع الراعي وغنمه بين السماء والأرض ثم تقلبها عليهم"<sup>(٦)</sup>.  
قال عمرو بن ميمون: "كان هود جلدا في قومه، وإنه كان قاعدا في قومه، فجاء سحاب مكفهر، {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا فَقَالَ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}، قال: فجاءت ريح فجعلت تلقي الفسطاط، وتجيء بالرجل الغائب فتلقيه"<sup>(٧)</sup>.  
قال عمرو بن ميمون: لقد كانت الريح تحمل الطعينة فترفعها حتى تُرى كأنها جرادة"<sup>(٨)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: "{قَلَمًا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ} ... إلى آخر الآية، قال: هي الريح إذا أثارت سحابا، {قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا}، فقال نبيهم: بل ريح فيها عذاب أليم"<sup>(٩)</sup>.  
قالت عائشة-رضي الله عنها-: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى مخيطة تغير وجهه ودخل وخرج، وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سري عنه فذكرت ذلك له، فقال: "ما أمنت أن تكون كما قال الله: {قَلَمًا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ} [الأحقاف: ٢٤] إلى قوله: {رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأحقاف: ٢٤]"<sup>(١٠)</sup>.

وعن عائشة-رضي الله عنها- قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: "اللهم، إني أسألك خيرا، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به". قالت: وإذا تَخَيَّلَت السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سري عنه، فعرفت ذلك عائشة، فسألته، فقال: "لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: {قَلَمًا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا}"<sup>(١١)</sup>.  
وقرأ عبدالله: «قُلْ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ»<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥)}

[الأحقاف: ٢٥]

التفسير:

- (١) تفسير الطبري: ١٢٨/٢٢.
- (٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.
- (٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.
- (٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤/٤.
- (٥) تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧.
- (٦) أخرجه سفيان الثوري في التفسير (٨٩٥): ص ٢٧٧.
- (٧) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٢.
- (٨) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٢.
- (٩) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٢.
- (١٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (١٤٣٩): ص ٢٥٤/٢.
- (١١) صحيح مسلم برقم (٨٩٩).
- (١٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٥٥/٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٤٤٥/٤.



تدمر كل شيء تمر به مما أرسلت بهلاكه بأمر ربها ومشينته، فأصبحوا لا يرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها، مثل هذا الجزاء نجزي القوم المجرمين؛ بسبب جرمهم وطغيانهم.

قوله تعالى: {تُدْمَرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} [الأحقاف: ٢٥]، أي: "تدمر كل شيء تمر به مما أرسلت بهلاكه بأمر ربها ومشينته"<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: "قال لهم هود حين جاءتهم الريح: إنها {تُدْمَرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا}، يعني: تهلك كل شيء من عاد {بأمر ربها} من الناس والأموال والدواب، بإذن ربها"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: تخرب كل شيء، وترمي بعضه على بعض فتهلكه، كما قال جرير"<sup>(٣)</sup>:

وكانَ لَكُمْ كِبْكُرٌ تُمُودَ لَمَّا ... رَغَا ظَهْرًا فَدَمَّرَهُمْ دَمَارًا

يعني بقوله: «دمرهم»: ألقى بعضهم على بعض صرعى هلكى.

قال الطبري: وإنما عنى بقوله: {تُدْمَرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} مما أرسلت بهلاكه، لأنها لم تدمر هودا ومن كان آمن به"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: تخرب {كُلُّ شَيْءٍ} من بلادهم، مما من شأنه الخراب {بأمر ربها}، أي: بإذن الله لها في ذلك، كقوله: {مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ} [الذاريات: ٤٢] أي: كالشيء البالي"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن عباس: "ما أرسل الله على عادٍ من الريح إلا قدر خاتمي هذا، فنزع خاتمه"<sup>(٦)</sup>.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما فتح على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم، ثم أرسلت عليهم [فحملتهم] البدو إلى الحضرة فلما رأها أهل الحضرة قالوا: هذا عارض ممطرنا مستقبل أوديتنا. وكان أهل البوادي فيها، فألقى أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا. قال: عنت على خزانها حتى خرجت من خلال الأبواب"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ} [الأحقاف: ٢٥]، أي: "فأصبحوا لا يرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فأصبح قوم هود وقد هلكوا وفنوا، فلا يرى في بلادهم شيء إلا مساكنهم التي كانوا يسكنونها"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم تبق لهم باقية"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: "يقول الله- تعالى- لمحمد- صلى الله عليه وسلم-: {فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ} بالشجر ولم يبق لهم شيء... وهاجت الريح غدوة وسكنت بالعشي اليوم الثامن عند غروب الشمس، فذلك قوله: {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ} [الحاقة: ٧]، وقبضت أرواحهم يوم

(١) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥/٤.

(٣) البيت ليس لجرير كما ورد في الأصل، وإنما هو للفردق، من قصيدة في ديوانه يرد بها على جرير ويناقضه وهي في ديوانه (طبعة الصاوي ٤٤٢)، وأول القصيدة: جَرَّ الْمُخْزِيَاتِ عَلَى كَلْبٍ ... جرير ثم ما منع الذمارًا

وكانَ لَهُمْ كِبْكُرٌ تُمُودَ لَمَّا ... رَغَا ظَهْرًا فَدَمَّرَهُمْ دَمَارًا

أي جلب على قومه الدمار والخراب.

(٤) تفسير الطبري: ١٢٩/٢٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧.

(٦) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢٢.

(٧) المعجم الكبير (٤٢/١٢)، قال الهيثمي في المجمع (١١٣/٧): "فيه مسلم الملائي وهو ضعيف".

(٨) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٩) تفسير الطبري: ١٢٩/٢٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧.

الثامن، فذلك قوله: {وَتَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} [الحاقة : ٧]، يعني: كاملة دائمة متتابعة.. ثم بعث الله طيرا سودا فالتقطتهم حتى ألقتهم في البحر<sup>(١)</sup>.

قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور»<sup>(٢)</sup>.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَرَأَ: «لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: "أجودها في العربية والقراءة: {لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ}، وتأويله: لا يُرَى شيءٌ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَهْلَكُوا"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [الأحقاف : ٢٥]، أي: "مثل هذا الجزاء نجزي القوم المجرمين؛ بسبب جرمهم وطغيانهم"<sup>(٥)</sup>.

عن السدي: " {المجرمون} وهم المشركون"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "كما جزينا عادا بكفرهم بالله من العقاب في عاجل الدنيا، فأهلكناهم بعدابنا، كذلك نجزي القوم الكافرين بالله من خلقنا، إذ تمادوا في غيهم وطغوا على ربهم"<sup>(٧)</sup>.

قال الزجاج: "المعنى: مثل ذلك نجزي القوم المجرمين أي بالعذاب"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا، وخالف أمرنا"<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: " {المجرمين}، أي: ذو الإجمام"<sup>(١٠)</sup>.

عن الحارث البكري، قال: "خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم، فمررت بالربذة، فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها، فقالت لي: يا عبد الله، إن لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة، فهل أنت مبلغني إليه؟ قال: فحملتها فأتيت بها المدينة، فإذا المسجد غاص بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وإذا بلال متقلد السيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها. قال: فجلست، فدخل منزله - أو قال: رحله - فاستأذنت عليه، فأذن لي، فدخلت فسلمت، فقال: "هل كان بينكم وبين تميم شيء؟ قلت: نعم، وكانت لنا الدبرة عليهم، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع، بها فسألتنني أن أحملها إليك، وها هي بالباب: فأذن لها فدخلت، فقلت: يا رسول الله، إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزا فاجعل الدهناء، فحميت العجوز واستوفزت، وقالت: يا رسول الله، فإلى أين يضطر مضطرك؟ قال: قلت: إن مثلي ما قال الأول: "مِعْزَى حَمَلْتِ حَقْفَهَا"، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصما، أعود بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد. قال: "هيه، وما وافد عاد؟" - وهو أعلم بالحديث منه، ولكن يستطعمه- قلت: إن عادًا قحطوا فبعثوا وافدًا لهم يقال له: قَيْل، فمر بمعاقبة بن بكر، فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما "الجرادتان" - فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مَهْرَةَ فقال: اللهم، إنك تعلم أنني لم أجد إلى مريض فداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عادا ما كنت تسقيه. فمرت به سحابات سود، فنودي منها: "اختر"، فأومأ إلى سحابة منها سوداء، فنودي منها: "خذها رمادًا رمدًا، لا تبقي من عاد أحدًا". قال: فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح إلا كقدر ما يجري في خاتمي هذا، حتى هلكوا - قال أبو وائل: وصدق - وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدًا لهم قالوا: "لا تكن كوافد عاد"<sup>(١١)</sup>.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥/٤.

(٢) مسند احمد(٢٩٨٢):ص١٢٧/٥. [إسناده صحيح على شرط الشيخين]، وأخرجه مسلم (٩٠٠).

(٣) رواه عنه الفراء في معاني القرآن: ٥٥/٣.

(٤) معاني القرآن: ٤٤٦/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٢٤):ص١٦٦٢/٥.

(٧) تفسير الطبري: ١٣٠/٢٢.

(٨) معاني القرآن: ٤٤٦/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧.

(١٠) تفسير السمعاني: ١٦٠/٥.

(١١)المسند(٤٨٢/٣).

قال ابن كثير: " غريب جدًا من غرائب الحديث وأفراده" (١).

## القرآن

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأحقاف: ٢٦]

## التفسير:

ولقد يسرنا لعدا أسباب التمكين في الدنيا على نحوٍ لم نمكنكم فيه معشر كفار قريش، وجعلنا لهم سمعًا يسمعون به، وأبصارًا يبصرون بها، وأفئدة يعقلون بها، فاستعملوها فيما يسخط الله عليهم، فلم تغن عنهم شيئًا إذ كانوا يكذبون بحجج الله، ونزل بهم من العذاب ما سخروا به واستعجلوه.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ} [الأحقاف: ٢٦]، أي: "ولقد يسرنا لعدا أسباب التمكين في الدنيا على نحوٍ لم نمكنكم فيه معشر كفار قريش" (٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لكفار قريش: ولقد مكنا أيها القوم عادا الذين أهلكتناهم بكفرهم فيما لم نمكنكم فيه من الدنيا، وأعطيناهم منها الذي لم نعطكم منهم من كثرة الأموال، وبسطة الأجسام، وشدة الأبدان" (٣).

قال ابن كثير: "يقول تعالى: ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد، وأعطيناهم منها ما لم نعطكم مثله ولا قريبا منه" (٤).

قال مقاتل: "يعني: في الذي أعطيناكم في الأرض من الخير والتمكن في الدنيا، يعني: مكناكم في الأرض يا أهل مكة" (٥).

قال قتادة: "أنبأكم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم" (٦).

عن ابن عباس، قوله: "وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ"، يقول: لم نمكنكم" (٧).

قال النحاس: "ف«إن» على هذا القول بمعنى: «ما»، وقد قيل إنها زائدة، والأول أولى، لأنه لا يعرف زيادتها إلا في النفي وفي الإيجاب «أن» بالفتح" (٨).

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً} [الأحقاف: ٢٦]، أي: "وجعلنا لهم سمعًا يسمعون به، وأبصارًا يبصرون بها، وأفئدة يعقلون بها، ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على الخالق المنعم" (٩).

قال الطبري: يقول: "وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا" يسمعون به مواظ ربهم، وأبصارا يبصرون بها حجج الله، وأفئدة يعقلون بها ما يسرهم وينفعهم" (١٠).

قوله تعالى: {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} [الأحقاف: ٢٦]، أي: "فلم تغن عنهم تلك الحواس شيئًا إذ كانوا يكذبون بحجج الله" (١١).

(١) تفسير ابن كثير: ٢٨٦/٧.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٣) تفسير الطبري: ١٣١/٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٧.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٢.

(٨) معاني القرآن: ٤٥٤/٦.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٥، وصفوة التفاسير: ١٨٦/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ١٣١/٢٢.

(١١) التفسير الميسر: ٥٠٥، وصفوة التفاسير: ١٨٦/٣.

قال الطبري: " يقول: فلم ينفعهم ما أعطاهم من السمع والبصر والفؤاد إذ لم يستعملوها فيما أعطوها له، ولم يعملوها فيما ينجيهم من عقاب الله، ولكنهم استعملوها فيما يقربهم من سخطه، إذ كانوا يكذبون بحجج الله وهم رُسُلُه، وينكرون نبوتهم" (١).

قوله تعالى: {وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأحقاف: ٢٦]، أي: " ونزل بهم من العذاب ما سخروا به واستعجلوه" (٢).

قال الطبري: " يقول: وعاد عليهم ما استهزءوا به، ونزل بهم ما سخروا به، فاستعجلوا به من العذاب، وهذا وعيد من الله جلّ ثناؤه لقريش، يقول لهم: فاحذروا أن يحلّ بكم من العذاب على كفركم بالله وتكذيبكم رسله، ما حلّ بعاد، وبادروا بالتوبة قبل النقمة" (٣).

قال ابن كثير: " أي : وأحاط بهم العذاب والنكال الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه، أي : فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم، فيصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة" (٤).

عن مجاهد: {وَحَاقَ بِهِمْ}، قال: " حل بهم" (٥).

وروي عن السدي: " وقع بهم" (٦).

وقال الربيع: " نزل" (٧).

قال الضحاك: {وَحَاقَ}، "أي: أحاط" (٨).

## القرآن

**{وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧)} [الأحقاف: ٢٧]**

### التفسير:

ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل «مكة» من القرى كعاد وثمود، فجعلناها خاوية على عروشها، وبيئاً لهم أنواع الحجج والدلالات؛ لعلهم يرجعون عما كانوا عليه من الكفر بالله وآياته.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيَةِ} [الأحقاف: ٢٧]، أي: " ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل «مكة» من القرى كعاد وثمود، فجعلناها خاوية على عروشها" (٩).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لكفار قريش محدّثهم بأسه وسطوته، أن يحلّ بهم على كفرهم {وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا} أيها القوم من القرى ما حول قريبتكم، كحجر ثمود وأرض سدوم ومأرب ونحوها، فأنذرنا أهلها بالمثلات، وخرّبنا ديارها، فجعلناها خاوية على عروشها" (١٠).

قال مقاتل: " يعني: القرون، قوم نوح، وقوم صالح، وقوم لوط، فأما قوم لوط فهم بين المدينة والشام، وأما عاد فكانوا باليمن" (١١).

قال ابن كثير: " يعني : أهل مكة، قد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسول مما حولها كعاد، وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن وثمود، وكانت منازلهم بينهم وبين الشام، وكذلك سبأ

(١) تفسير الطبري: ١٣١/٢٢.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٣) تفسير الطبري: ١٣١/٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٧.

(٥) تفسير مجاهد: ٥٨٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧١٥): ص ٢٠٠٧/٦.

(٧) ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٧٥ ب، والواحد في "الوسيط" ١٣ / ١، و"البسيط": ٣٠/٣، والبغوي في "تفسيره" ١٣٠ / ٣.

(٨) ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١٧٥ ب، والواحد في "الوسيط" ١٣ / ١، و"البسيط": ٣٠/٨، والبغوي في "تفسيره" ١٣٠ / ٣، وأبو حيان في "البحر" ٨٠ / ٤.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(١٠) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٢.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦/٤.

وهم أهل اليمن، ومدين وكانت في طريقهم وممرهم إلى غزة، وكذلك بحيرة قوم لوط، كانوا يَمرون بها أيضا"<sup>(١)</sup>.

عن ابن جريج: "وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقَرْيِ"، قال: "ههنا وههنا شيئاً باليمن واليمامة والشام"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ} [الأحقاف: ٢٧]، أي: "وبيئنا لهم أنواع الحجج والدلالات"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ووعظناهم بأنواع العظمت، وذكرناهم بضروب من الذِّكر والحجج، وبيئنا لهم ذلك"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: بيناها ووضحناها"<sup>(٥)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: بينا الحجج ونوعناها"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: "وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ} في أمور شتى، يقول: نبعث مع كل نبي إلى أمته آية ليست لغيرهم"<sup>(٧)</sup>.

قال السمعاني: "أي: مرة عاقبناهم، ومرة أنعمنا عليهم، ويقال: خوفناهم مرة، وأطعمناهم مرة"<sup>(٨)</sup>.

عن ابن زيد، قوله: "وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ"، قال: بيئناها"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأحقاف: ٢٧]، أي: "لعلهم يرجعون عما كانوا عليه من الكفر بالله وآياته"<sup>(١٠)</sup>.

قال السمعاني: "أي: عن الكفر الذي كانوا عليه"<sup>(١١)</sup>.

قال الشوكاني: "لكي يرجعوا عن كفرهم فلم يرجعوا"<sup>(١٢)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: لكي {يرجعون} من الكفر إلى الإيمان، فلم يتوبوا فأهلكهم الله بالعذاب"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول ليرجعوا عما كانوا عليه مقيمين من الكفر بالله وآياته، وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه، وهو: فأبوا إلا الإقامة على كفرهم، والتمادي في غيهم، فأهلكناهم، فلن ينصرهم منا ناصر"<sup>(١٤)</sup>.

عن ابن عباس: "لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"، قال: يتوبون"<sup>(١٥)</sup>.

عن الحسن: "لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ": لعلهم يتوبون"<sup>(١٦)</sup>.

## القرآن

- (١) تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٧.
- (٢) الدر المنثور: ٤٥١/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
- (٣) التفسير الميسر: ٥٠٥.
- (٤) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٢.
- (٥) تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٧.
- (٦) فتح القدير: ٢٩/٥.
- (٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦/٤.
- (٨) تفسير السمعاني: ١٦١/٥.
- (٩) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٢.
- (١٠) التفسير الميسر: ٥٠٥.
- (١١) تفسير السمعاني: ١٦١/٥.
- (١٢) فتح القدير: ٢٩/٥.
- (١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦/٤.
- (١٤) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٢.
- (١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٥٠٧): ص ٣٠٩٢/٩.
- (١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٤٨٧): ص ١٦٠٦/٥.

{فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأحقاف: ٢٨]

التفسير:

فهلا نصر هؤلاء الذين أهلكتناهم من الأمم الخالية ألتهم التي اتخذوا عبادتها قربانًا يتقربون بها إلى ربهم؛ لتشفع لهم عنده، بل ضلّت عنهم ألتهم، فلم يجيبوهم، ولا دافعوا عنهم، وذلك كذبهم وما كانوا يفترون في اتخاذهم إياهم آلهة.

قوله تعالى: {فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً} [الأحقاف: ٢٨]، أي: "فهلا نصر هؤلاء الذين أهلكتناهم من الأمم الخالية ألتهم التي اتخذوا عبادتها قربانًا يتقربون بها إلى ربهم؛ لتشفع لهم عنده"<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: فهلا منعتهم ألتهم من العذاب الذي نزل بهم"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: فهلا نصرهم عند احتياجهم إليهم"<sup>(٣)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: فهلا نصرهم ألتهم التي تقربوا بها بزعمهم إلى الله لتشفع لهم، حيث قالوا: هؤلاء شفاعونا عند الله ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "يقول جلّ ثناؤه: فلولا نصر هؤلاء الذين أهلكتناهم من الأمم الخالية قبلهم أوثانهم وألتهم التي اتخذوا عبادتها قربانًا يتقربون بها فيما زعموا إلى ربهم منا إذ جاءهم بأسنا، فتنفذهم من عذابنا إن كانت تشفع لهم عند ربهم كما يزعمون"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "وهذا احتجاج من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على مُشركي قومه، يقول لهم: لو كانت ألتهم التي تعبدون من دون الله تغني عنكم شيئًا، أو تنفعكم عند الله كما تزعمون أنكم إنما تعبدونها، لتقربكم إلى الله زلفى، لأغنت عنكم من الأمم التي أهلكتها بعبادتهم إياها، فدفعت عنها العذاب إذا نزل، أو لشفعت لهم عند ربهم، فقد كانوا من عبادتها على مثل الذي عليه أنتم، ولكنها ضررتهم ولم تنفعهم"<sup>(٦)</sup>.

قال الكسائي: "القربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة، ونسكة، والجمع قرايين، كالرهبان والرهايين"<sup>(٧)</sup>.

قال السمعاني: "قوله: {قربانًا} إنما قال ذلك؛ لأنهم كانوا يقولون إن عبادتنا لها تقربنا إلى الله"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن قتيبة: "أي: اتخذوهم آلهة يتقربون بهم إلى الله"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ} [الأحقاف: ٢٨]، أي: "بل ضلّت عنهم ألتهم، فلم يجيبوهم، ولا دافعوا عنهم"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: بل ضلّت عنهم الآلهة فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: بل تركتهم ألتهم التي كانوا يعبدونها، فأخذت غير طريقهم، لأن عبادتها هلكت، وكانت هي حجارة أو نحاس، فلم يصبها ما أصابهم ودعوها، فلم تجبهم، ولم

(١) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٧.

(٤) فتح القدير: ٢٩/٥.

(٥) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٢.

(٦) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٢.

(٧) حكاة عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٩/٩. وانظر: "تهذيب اللغة" (قرب) ١٢٤/٩.

(٨) تفسير السمعاني: ١٦١/٥.

(٩) غريب القرآن: ٤٠٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦/٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٧.

تغتهم، وذلك ضلالها عنهم، وذلك إفكهم، يقول عز وجل هذه الآلهة التي ضلّت عن هؤلاء الذين كانوا يعبدونها من دون الله عند نزول بأس الله بهم، وفي حال طمعهم فيها أن تغيبهم، فخذلتهم" (١).

قوله تعالى: {وَدَلِكْ إِفْكَهُمُ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأحقاف: ٢٨]، أي: "وذلك كذبهم وما كانوا يفترون في اتخاذهم إياهم آلهة" (٢).

قال مقاتل: "وَدَلِكْ إِفْكَهُمُ"، يعني: كذبهم بأنها آلهة، {وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} في قولهم من الشرك" (٣).

قال ابن كثير: "وَدَلِكْ إِفْكَهُمُ"، أي: كذبهم، {وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}، أي: وافترأؤهم في اتخاذهم إياهم آلهة، وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها، واعتمادهم عليها" (٤).

قال الطبري: "هو كذبهم الذي كانوا يكذبون، ويقولون به هؤلاء آلهتنا وما كانوا يفترون، يقول: وهو الذي كانوا يفترون، فيقولون: هي تقرّبنا إلى الله زلفى، وهي شفعاؤنا عند الله" (٥).

قال الثعلبي: "أي: كذبهم الذي كانوا يقولون: إنها تقرّبهم إلى الله تعالى، وتشفع لهم عنده" (٦).

عن ابن عباس: "وَدَلِكْ إِفْكَهُمُ" أي صرفهم، ونحو هذا في القرآن: {وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (٧).

عن ابن عباس: "أنه كان يقرؤها: «وَدَلِكْ أَفْكَهُمُ»، -يعني: بفتح الألف والكاف-، وقال: أضلهم" (٨).

قال الزجاج: "أي: دعاؤهم آلهتهم هو إفكهم، ويقرأ «أفكهم»، بمعنى: وذلك كذبهم وكفرهم، والأفك والافك مثل النجس والنجس، ويقرأ: «أفكهم»، أي: ذلك جعلهم ضلالاً كافرين، أي: صرفهم عن الحق، ويقرأ: «أفكهم»، أي: جعلهم يافكون، كما تقول: ذلك أكفرهم وأضلهم" (٩).

فوائد الآيات: [٢٤-٢٨]:

١- بيان أن الإعراض عن دين الله والإصرار على الفسق عن أمر الله، والاستمرار على الخروج على طاعته إذا استوجب صاحبه العذاب ونزل به لم يغن عنه ذكاؤه ولا دهاؤه ولا علمه وحضارته ولا علوه وتطاوله.

٢- بيان أن الآيات والحجج وضرب الأمثال وسوق العبر والعظات لا تنفع في هداية العبد، إذا لم يرد الله هدايته {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ} ويحقيق به العذاب ويهلكه جزاء تكذيبه وكفره وإعراضه وفسقه.

٣- بيان غياب الشركاء من الأنداد التي كانت تعبد عن عابديها فضلا عن نصرتها لهم وذلك الخذلان هو جزاء كذبهم وافترائهم في الحياة الدنيا.

القرآن

{وَأِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩)} [الأحقاف: ٢٩]

(١) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٢.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٥.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٧.

(٥) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٢.

(٦) الكشف والبيان: ١٩/٩.

(٧) تفسير إسحاق البستي (٨٧٥): ص ٣٥٠/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ١٣٣/٢٢.

(٩) معاني القرآن: ٤٤٦/٤.

## التفسير:

واذكر -أيها الرسول- حين بعثنا إليك، طائفة من الجن يستمعون منك القرآن، فلما حضروا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا؛ لنستمع القرآن، فلما فرغ الرسول من تلاوة القرآن، وقد وعوه وأثر فيهم، رجعوا إلى قومهم منذرين ومحذرين لهم بأس الله، إن لم يؤمنوا به.

قوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ} [الأحقاف: ٢٩]، أي: "واذكر -أيها الرسول- حين بعثنا إليك، طائفة من الجن يستمعون منك القرآن" (١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مقرّعا كفار قريش بكفرهم بما آمنت به الجنّ {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ} يا محمد {نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ}" (٢).

قال مقاتل: "يعني: وجهنا إليك يا محمد نفرا من الجنّ {يستمعون القرآن}" (٣).

قال الزمخشري: أي: "أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك" (٤).

وقرئ: «صرفنا»، بالتشديد، لأنهم جماعة (٥).

وفي قوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ} [الأحقاف: ٢٩]،

قولان:

أحدهما: أنهم صرفوا عن استراق سمع السماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسى صرفوا عنه إلا عند مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: ما هذا الذي حدث في الأرض؟ فضربوا في الأرض حتى وقفوا على النبي -صلى الله عليه وسلم- ببطن نخلة عائداً إلى عكاظ وهو يصلي الفجر، فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلي ويقندي به أصحابه، فرجعوا إلى قومهم فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا، قاله ابن عباس (٦)، وسعيد بن جبير (٧).

قال ابن عباس: "لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا يقعدون مقاعد للسمع؛ فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حرس السماء حرسا شديدا، ورجمت الشياطين، فأنكروا ذلك، وقالوا: {لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}، فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، واجتمعت إليه الجن، فقال: تفرّقوا في الأرض، فأخبروني ما هذا الخبر الذي حدث في السماء، وكان أول بعث ركب من أهل نصيبين، وهي أشراف الجنّ وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة، فاندفعوا حتى بلغوا الوادي، وادي نخلة، فوجدوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة، فاستمعوا" (٨).

وعن عبد الله بن مسعود قال: "انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن، حتى أتى الحجون، فخط لي خطا، ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه، فقال سيد لهم يقال له: "وردان" : أنا أرحلهم عنك. فقال: إني لن يجيرني من الله أحد" (٩).

الثاني: أنهم صرفوا عن بلادهم بالتوفيق هداية من الله لهم حتى أتوا نبي الله ببطن نخلة. واختلّفوا في الموضع الذي تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه القرآن، على

قولين:

أحدهما: أنه -صلى الله عليه وسلم- قرأ عليهم بالحجون. قاله ابن مسعود (١٠).

(١) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٢) تفسير الطبري: ١٣٤/٢٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧/٤.

(٤) الكشاف: ٣١١/٤.

(٥) انظر: الكشاف: ٣١١/٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٣٤-١٣٥.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣٤/٢٢.

(٨) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٢-١٣٥.

(٩) دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٣١).

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢٢.



وعن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "بِتُّ اللَّيْلَةَ أَقْرَأُ عَلَى الْجِنِّ رُبْعًا بِالْحَجُونِ"<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه صلى الله عليه وسلم- قرأ عليهم بنخلة. قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>، والزبير<sup>(٣)</sup>، ومجاهد<sup>(٤)</sup>، وعمر بن عبدالعزيز<sup>(٥)</sup>.

عن ابن عباس "أن النفر الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من جن نصيبين أتوه وهو بنخلة"<sup>(٦)</sup>.

قال مجاهد: "لقيهم بنخلة ليلتئذ"<sup>(٧)</sup>. وفي رواية: «لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلتئذ بنخلة»<sup>(٨)</sup>.

قال الزبير: "بنخلة، قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء الآخرة كادوا يكونون عليه لبدًا"<sup>(٩)</sup>. قال سفيان: "اللبد: بعضهم على بعض، كاللبد بعضه على بعض"<sup>(١٠)</sup>.

وفيهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم جن من أهل نصيبين، قاله ابن عباس<sup>(١١)</sup>، ومقاتل<sup>(١٢)</sup>.

قال مقاتل: كانوا من أشرف الجن وساداتهم من أهل اليمن من قرية يقال لها: نصيبين، ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- يبطن نخلة يقرأ القرآن في صلاة الفجر"<sup>(١٣)</sup>.

الثاني: أنهم من أهل نينوى، قاله قتادة<sup>(١٤)</sup>، وعمر بن عبدالعزيز<sup>(١٥)</sup>.

قال عمر بن عبد العزيز: "أما الجن الذين لقوه بنخلة فجن نينوى، وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين"<sup>(١٦)</sup>.

الثالث: أنهم من جزيرة الموصل، قاله عكرمة<sup>(١٧)</sup>.

الرابع: من أهل نجران، قاله مجاهد<sup>(١٨)</sup>.

واختلف في عددهم على أقوال:

أحدها: أنهم كانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل، قاله عكرمة<sup>(١٩)</sup>.

قال عكرمة: "هم اثنا عشر ألفاً جاءوا من جزيرة الموصل، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- لابن مسعود كاد أن يذهب، فذكر قول رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فلم يبرح، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لو ذهبت ما التقينا إلى يوم القيامة»"<sup>(٢٠)</sup>.

الثاني: أنهم كانوا خمسة عشر نفرًا. قاله ابن مسعود<sup>(١)</sup>.

- (١) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٢.
- (٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢٢.
- (٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٨٢): ص ٣٢٩٧/١٠.
- (٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢٢.
- (٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٧٩): ص ٣٢٩٦/١٠.
- (٦) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٢.
- (٧) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٢.
- (٨) تفسير مجاهد: ٦٠٣.
- (٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٨٢): ص ٣٢٩/١٠، وانظر: المسند (١٦٧/١).
- (١٠) تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٧.
- (١١) انظر: تفسير الطبري: ١٣٤/٢٢-١٣٥.
- (١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧/٤.
- (١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧/٤.
- (١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣٦/٢٢.
- (١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٧٩): ص ٣٢٩٦/١٠.
- (١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٧٩): ص ٣٢٩٦/١٠.
- (١٧) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٥.
- (١٨) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٥.
- (١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٧٨): ص ٣٢٩٦/١٠.
- (٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٧٨): ص ٣٢٩٦/١٠.

قال ابن مسعود: "استتبعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن نفرا من الجن - خمسة عشر بني إخوة وبني عم - يأتونني الليلة، فأقرأ عليهم القرآن"، فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد، فخط لي خطأ وأجلسني فيه، وقال لي: "لا تخرج من هذا". فبت فيه حتى أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السحر في يده عظم حائل وروثة حُممة فقال لي: "إذا ذهبت إلى الخلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء". قال: فلما أصبحت قلت: لأعلمن علمي حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، فذهبت فرأيت موضع مبارك ستين بعيرا"<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أنهم كانوا تسعة نفر، أحدهم: زُوْبعة، قاله زر بن حبيش<sup>(٣)</sup>.

وقال مقاتل: كانوا "تسعة نفر من أشراف الجن وساداتهم"<sup>(٤)</sup>.

الرابع: أنهم كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا إلى قومهم. قاله ابن عباس<sup>(٥)</sup>.

الخامس: أنهم كانوا ثلاثمائة. حكاه ابن كثير<sup>(٦)</sup>.

السادس: أنهم كانوا سبعة نفر، ثلاثة من أهل حران، وأربعة من أهل نصيبين، وكانت أسماؤهم حي وحسي ومسي، وشاصر وناصر، والأرد وإبيان والأحقم، قاله مجاهد<sup>(٧)</sup>.

قال الزمخشري: "والنفر: دون العشرة. ويجمع أنفارا"<sup>(٨)</sup>.

وذكر أبو حمزة الثمالي: "أن هذا الحي من الجن كان يقال لهم: بنو الشيصبان، وكانوا أكثر الجن عددا وأشرفهم نسبا، وهم كانوا عامة جنود إبليس"<sup>(٩)</sup>.

واختلف في علم النبي -صلى الله عليه وسلم- على قولين:

أحدهما: أنه ما شعر بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى أوحى الله إليه فيهم وأخبره عنهم، قاله ابن عباس<sup>(١٠)</sup>، والحسن<sup>(١١)</sup>.

قال الحسن: "ما شعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءوا، فأوحى الله عز وجل إليه فيهم، وأخبر عنهم"<sup>(١٢)</sup>.

الثاني: أن الله قد كان أعلمه بهم قبل مجيئهم، إذ أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليهم القرآن، وأنهم جمعوا له بعد أن تقدم الله إليه بإنذارهم، وأمره بقراءة القرآن عليهم.

قال قتادة: "ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نبيؤى، قال: فإن نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني أمرت أن أقرأ القرآن على الجن، فأيكم يتبعني؟" فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا، فقال رجل: يا رسول الله إنك لذو بدئه<sup>(١٣)</sup>، فاتبعه عبد الله بن مسعود، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون. قال: وخط نبي الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله خطأ ليثبته به، قال: فجعلت تهوي بي وأرى أمثال النور تمشي في دقوقها، وسمعت لغطا شديدا، حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم، ثم تلا القرآن؛ فلما رجع نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: يا نبي الله ما اللغط الذي سمعت؟ قال: اجتمعوا إلي في قتيل كان بينهم،

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي: ٢٣١/٢.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي: ٢٣١/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣٥/٢٢.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧/٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣٥/٢٢.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٧.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٨٠): ص ٣٢٩٧/١٠.

(٨) الكشاف: ٣١١/٤.

(٩) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٧.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٢-١٣٥.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٦/٥.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٢.

(١٣) في ابن كثير "لذو ندبة"، وكأن الرجل يتعجب من نشاط رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسراعه لما ندب أصحابه إليه فأحجموا. ولعله مأخوذ من قولهم "رجل ندب" أي خفيف سريع في الحاجة.

ففضي بينهم بالحق. وذكر لنا أن ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط، فراعوه، قال: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نفر من الأعاجم، قال: ما أريت للذين قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم من الجن شيئا أدنى من هؤلاء" (١).

وفي رواية عن قتادة: "أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ذهب وابن مسعود ليلة دعا الجن، فخط النبي صلى الله عليه وسلم على ابن مسعود خطأ، ثم قال له: لا تخرج منه ثم ذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجن، فقرأ عليهم القرآن، ثم رجع إلى ابن مسعود فقال: وهل أريت شيئا؟ قال: سمعت لغطا شديدا، قال: إن الجن تدارأت في قتيل قتل بينها، ففضي بينهم بالحق، وسألوه الزاد، فقال: وكل عظم لكم عرق، وكل روث لكم خضرة. قالوا: يا رسول الله تقدرها الناس علينا، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجي بأحدهما؛ فلما قدم ابن مسعود الكوفة رأى الزط، وهم قوم طوال سود، فأفزعوه، فقال: أظهرُوا؟ فقبل له: إن هؤلاء قوم من الزط، فقال ما أشبههم بالنفر الذين صُرفوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم" (٢).

عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي أنه قال لابن مسعود: "حدثت أنك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن، قال: أجل، قال: فكيف كان؟ فذكر الحديث كله. وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم خط عليه خطأ وقال: ولا تبرح منها، فذكر أن مثل العجاجة السوداء غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعرت ثلاث مرات، حتى إذا كان قريبا من الصبح، أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنمت؟ قلت: لا والله، ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول: واجلسوا، قال: ولو خرجت لم آمن أن يختطفك بعضهم، ثم قال: وهل رأيت شيئا؟ قال: نعم رأيت رجالا سودا مستشعري ثياب بيض، قال: أولئك جن نصيبين، سألوني المتاع، والمتاع الزاد، فمتعتهم بكل عظم حائل أو بكرة أو روثة، فقلت: يا رسول الله، وما يعني ذلك عنهم؟ قال: إنهم لن يجدوا عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت، فلا يستنقون أحدًا منكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بكرة ولا روثة" (٣).

قوله تعالى: {فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا} [الأحقاف: ٢٩]، أي: فلما حضروا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ، قال بعضهم لبعض: أنصتوا؛ لنستمع القرآن" (٤).

قال الطبري: "فلما حضر هؤلاء نفر من الجن الذين صرفهم الله إلى رسوله نبي الله صلى الله عليه وسلم" (٥).

قال الواحدي: "فلما حضروه" قال بعضهم لبعض: {أنصتوا} أي: اسكتوا" (٦).

قال الزمخشري: "فَلَمَّا حَضَرُوهُ" الضمير للقرآن. أي: فلما كان بمسمع منهم. أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم" (٧).

قال ابن عطية: قوله: {فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا} فيه تأدب مع العلم وتعليم كيف يتعلم" (٨).

عن زر قال: أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة وهو يقرأ القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا، قالوا: صه. قال: وكانوا سبعة أحدهم زوبعة" (٩).

قال قتادة: "قد علم القوم أنهم لن يعقلوا حتى ينصتوا" (١٠).

(١) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٢-١٣٧.

(٢) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٢-١٣٨.

(٤) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٥) تفسير الطبري: ١٣٥/٢٢.

(٦) الوجيز: ٩٩٨.

(٧) الكشاف: ٣١١/٤.

(٨) المحرر الوجيز: ١٠٥/٥.

(٩) تفسير إسحاق البستي (٨٧٩) ص: ٣٥١/٢، وتفسير الطبري: ١٣٩/٢٢.

قوله تعالى: {فَلَمَّا فَضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: ٢٩]، أي: "فلما فرغ الرسول من تلاوة القرآن، وقد وعوه وأثر فيهم، رجعوا إلى قومهم منذرين ومحذرين لهم بأس الله، إن لم يؤمنوا به"<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "أي: فلما تلى عليهم القرآن حتى فرغ منه، {وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ}"<sup>(٣)</sup>.  
قال الواحدي: "أي: فرغ من تلاوة القرآن رجعوا {إلى قومهم منذرين} وقالوا لهم ما قصَّ الله في كتابه"<sup>(٤)</sup>.

قال البغوي: "فلما فرغ من تلاوته، انصرفوا إلى قومهم، مخوفين داعين بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: " {فَلَمَّا فَضِيَ}، أي: فرغ. كقوله: {فَإِذَا فَضِيَتِ الصَّلَاةُ} [الجمعة: ١٠]، {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت: ١٢]، {فَإِذَا فَضِيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ} [البقرة: ٢٠٠] {وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ}، أي: رجعوا إلى قومهم فأندروهم ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كقوله: {لِيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [التوبة: ١٢٢].

وقد استدل بهذه الآية على أنه في الجن نُذِرٌ، وليس فيهم رسل: ولا شك أن الجن لم يبعث الله منهم رسولا؛ لقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} [يوسف: ١٠٩]، وقال {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ} [الفرقان: ٢٠]، وقال عن إبراهيم الخليل: {وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} [العنكبوت: ٢٧]. فكل نبي بعثه الله بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته، فأما قوله تعالى في سورة الأنعام: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} [الأنعام: ١٣٠]، فالمراد من مجموع الجنسين، فيصدق على أحدهما وهو الإنس، كقوله: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا التُّؤَالُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن: ٢٢] أي: أحدهما"<sup>(٦)</sup>.

وقرأ حبيب بن عبد الله بن الزبير وأبو مجلز: «قضى» على بناء الفعل للفاعل، أي: قضى محمد القراءة"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن عمر وجابر بن عبد الله: "قرأ عليهم سورة الرحمن، فكان إذا قال: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: ١٣] قالوا: لا بشيء من آلائك نكذب، ربنا لك الحمد، ولما ولت هذه الجملة تفرقت على البلاد منذرة للجن"<sup>(٨)</sup>.  
قال قتادة: "ما أسرع ما عقل القوم"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن عطية: "فهناك وقعت قصة سواد وشصار وخنافر وأشباههم صلى الله عليه محمد عبده ورسوله"<sup>(١٠)</sup>.

روي عن أبي إسحاق، عن البراء -رضي الله عنه- قال: "بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ قال: أيها الناس، أفياكم سواد بن قارب؟ قال: فلم يجبه أحد تلك السنة، فلما كانت السنة المقبلة قال: أيها الناس، أفياكم سواد بن قارب؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، وما سواد بن قارب؟ قال: فقال له عمر: إن سواد بن

(١) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٢.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٣) معاني القرآن: ٤٤٧/٤.

(٤) الوجيز: ٩٩٨.

(٥) تفسير البغوي: ٢٦٩/٧. [بتصرف]

(٦) تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٧.

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ١٠٥/٥.

(٨) نقلا عن تفسير المحرر الوجيز: ١٠٥/٥.

(٩) أخرجه الطبري: ١٤١/٢٢.

(١٠) المحرر الوجيز: ١٠٥/٥.

قارب كان بدء إسلامه شيئاً عجبياً، قال : فبينما نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب، قال : فقال له عمر : يا سواد حدثنا ببدء إسلامك، كيف كان ؟ قال سواد : فإني كنت نازلاً بالهند، وكان لي ربي من الجن، قال : فبينما أنا ذات ليلة نائم، إذ جاءني في منامي ذلك. قال : قم فافهم واعقل إن كنت تعقل، قد بعث رسول من لؤي بن غالب، ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ لِلجَنِّ وَأَنْجَاسِهَا ... وَشَدَّهَا العَيْسَ بِأَحْلَاسِهَا  
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الهُدَى... مَا مُؤْمِنُو الجِنِّ كَأَرْجَاسِهَا  
فَأَنْهَضُ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ... وَاسْمُ بَعِيْنِيكَ إِلَى رَاسِهَا

قال : ثم أنبهنني فأفز عني، وقال : يا سواد بن قارب، إن الله بعث نبياً فانهض إليه تهتد وترشد. فلما كان من الليلة الثانية أتاني فأنبهنني، ثم أنشأ يقول كذلك :

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وَتَطْلَابِهَا... وَشَدَّهَا العَيْسَ بِأَقْتَابِهَا  
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الهُدَى... لَيْسَ قُدَامَهَا كَأَذْنَابِهَا  
فَانهض إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ... وَاسْمُ بَعِيْنِيكَ إِلَى نَاطِهَا  
فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهنني، ثم قال :

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وَتَخْبَارِهَا... وَشَدَّهَا العَيْسَ بِأَكْوَارِهَا  
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الهُدَى... لَيْسَ دَوُو الشَّرِّ كَأَخْيَارِهَا  
فَأَنْهَضُ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ... مَا مُؤْمِنُو الجِنِّ كَكْفَارِهَا

قال : فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة، وقع في قلبي حب الإسلام من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله، قال : فانطلقت إلى رحلي فشددته على راحتلي، فما حلت عليه نسعة ولا عقدت أخرى حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بالمدينة - يعني مكة - والناس عليه كعرف الفرس، فلما رأني النبي صلى الله عليه وسلم قال : "مرحبا بك يا سواد بن قارب، قد علمنا ما جاء بك". قال : قلت : يا رسول الله، قد قلت شعراً، فاسمعه مني. قال سواد : فقلت :

أَتَانِي رُبِّي بَعْدَ لَيْلٍ وَهَجَعَةٍ... وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ  
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلِّ لَيْلَةٍ : ... أَتَاكَ رَسُوْلٌ مِنْ لُؤْيِ بْنِ غَالِبٍ  
فَسْتَمَرْتُ عَنْ سَاقِي الإِزَارِ وَوَسَطْتُ... بِي الدَّعْلَبِ الوَجْنَءُ عِنْدَ السَّبَاسِبِ  
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ... وَأَنْتَكَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ  
وَأَنْتَكَ أَدْنَى المُرْسَلِينَ شَفَاعَةَ... إِلَى اللهِ يَا ابْنَ الأَكْرَمِينَ الأَطْيَابِ  
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الدَّوَانِبِ  
وَكَنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا دُوَّ شَفَاعَةَ... سِوَاكَ بِمَعْنَى عَنِ سِوَادِ بْنِ قَارِبٍ

قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، وقال لي : "أفلحت يا سواد" : فقال له عمر : هل يأتيك ربيك الآن ؟ فقال : منذ قرأت القرآن لم يأتيني، ونعم العوض كتاب الله من الجن" (١).

## القرآن

{قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠)} [الأحقاف : ٣٠]

التفسير:

قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى، مصدقاً لما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله، يهدي إلى الحق والصواب، وإلى طريق صحيح مستقيم.

قوله تعالى: {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى} [الأحقاف : ٣٠]، أي: "قالوا: يا قومنا إنا سمعنا كتاباً مجيداً منزلاً على رسول من بعد موسى" (١).

(١) دلالات النبوة للبيهقي: ٢٤٨/١، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٨/٧-٢٩٩.

قال ابن كثير: " ولم يذكروا عيسى؛ لأن عيسى، عليه السلام، أنزل عليه الإنجيل فيه مواظ وتزيقات وقليل من التحليل والتحرير، وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة؛ فلهذا قالوا: {أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى}، وهكذا قال ورقة بن نوفل، حين أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بقصة نزول جبريل -عليه السلام- عليه أول مرة، فقال: بَخْ بَخْ، هذا الناموس الذي كان يأتي موسى، يا ليتني أكون فيها جَدًّا" (٢).

قال السمعاني: " يحتمل أنهم لم يكونوا سمعوا بذكر عيسى، ويحتمل أنهم سمعوا بذكر موسى وعيسى جميعا إلا أنهم ذكروا موسى لأنه أقدم؛ ولأنه عامة ما في الإنجيل من الأحكام موافقة لما في التوراة إلا في أشياء معدودة" (٣).

قال ابن عطية: " وخصصوا موسى عليه السلام لأحد أمرين: إما لأن هذه الطائفة كانت تدين بدين اليهود، وإما لأنهم كانوا يعرفون أن موسى قد ذكر محمدا وبشر به، فأشاروا إلى موسى من حيث كان هذا الأمر مذكورا في توراتهم" (٤).

وقال عطاء: " كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا: {إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى} " (٥).

قوله تعالى: {مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} [الأحقاف : ٣٠]، أي: " مصدقا لما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله" (٦).

قال مجاهد: " يعني: «لما قبله من كتاب أو رسول»" (٧).

قال الطبري: " يقول: يصدق ما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله" (٨).

قال ابن كثير: " أي : من الكتب المنزلة قبله على الأنبياء" (٩).

قال الزجاج: " أي: يُصَدِّقُ جَمِيعَ الكُتُبِ التي تقدمته والانبيااء الذين أتوا بها، وفي هذا دليل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث إلى الإنس والجن" (١٠).

قوله تعالى: {يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأحقاف : ٣٠]، أي: " يهدي إلى الحق والصواب، وإلى طريق صحيح مستقيم" (١١).

قال الطبري: " يقول: يرشد إلى الصواب، ويدل على ما فيه الله رضا، وإلى طريق لا اعوجاج فيه، وهو الإسلام" (١٢).

قال ابن كثير: " {يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ}، أي : في الاعتقاد والإخبار، {وإلى طريقٍ مُسْتَقِيمٍ} في الأعمال، فإن القرآن يشتمل على شيئين خبر وطلب، فخبيره صدق، وطلبه عدل، كما قال: {وَرَمَّتْ كَلِمَةَ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} [الأنعام : ١١٥]، وقال {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} [التوبة : ٣٣]، فالهدى هو : العلم النافع، ودين الحق : هو العمل الصالح. وهكذا قالت الجن : {يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ} في الاعتقادات، {وإلى طريقٍ مُسْتَقِيمٍ}، أي : في العمليات" (١٣).

(١) صفوة التفسير: ١٨٦/٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٧-٣٠٣.

(٣) تفسير السمعاني: ١٦٣/٥.

(٤) المحرر الوجيز: ١٠٥/٥-١٠٦.

(٥) حكاة عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤١/٢٤. ط. دار التفسير، والزمخشري في "الكشاف": ٣١٢/٤، والقرطبي في " الجامع لأحكام القرآن": ٢١٧/١٦، والبيهقي في "معالم التنزيل": ٢٦٩/٧، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٣٩٠/٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٧) تفسير مجاهد: ٢٤٨.

(٨) تفسير الطبري: ١٤٠/٢٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٧.

(١٠) معاني القرآن: ٤٤٧/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(١٢) تفسير الطبري: ١٤٠/٢٢.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٧.

قال ابن عطية: "و«الحَقَّ» و«الطريق المستقيم» هنا بمعنى يتقارب لكن من حيث اختلف اللفظ، وربما كان الحَقُّ أعم، وكان أحدهما قد يقع في مواضع لا يقع فيها الآخر" (١).  
 عن قتادة أنه قرأ: "قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ"، فقال: ما أسرع ما عقل القوم، ذُكر لنا أنهم صُرفوا إليه من نينوى" (٢).

عن مجاهد، {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}: "يعني: الإسلام: الدين الحق" (٣).  
 عن مجاهد في قوله: "{صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}"، قال: الحق" (٤).  
 عن عاصم الأحول، عن أبي العالية: "الصراط المستقيم، قال: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن. فقال صدق أبو العالية ونصح" (٥).  
 فوائد الآيتين: [٢٩-٣٠]:

- ١- إثبات عالم الجن وتقريره في هذا السياق ولذا كان إنكار الجن كإنكار الملائكة كفرًا.
- ٢- وجوب التأدب عند تلاوة القرآن بالإصغاء التام.
- ٣- وجوب البلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث بلغوا عني ولو آية.
- ٤- الإعراض عن دين الله يوجب الخذلان والحرمان.

### القرآن

{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِمَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١)}

[الأحقاف: ٣١]

### التفسير:

يا قومنا أجبوا رسول الله محمدًا إلى ما يدعوكم إليه، وصدقوه واعملوا بما جاءكم به، يغفر الله لكم من ذنوبكم وينقذكم من عذاب مؤلم موجه.  
 قوله تعالى: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ} [الأحقاف: ٣١]، أي: "يا قومنا أجبوا رسول الله محمدًا إلى ما يدعوكم إليه، وصدقوه واعملوا بما جاءكم به" (١).  
 قال الطبري: "قالوا: أجبوا رسول الله محمدًا إلى ما يدعوكم إليه من طاعة الله، وصدقوه فيما جاءكم به وقومه من أمر الله ونهيه، وغير ذلك مما دعاكم إلى التصديق به" (٢).  
 قال ابن كثير: "يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ" فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمدًا صلوات الله وسلامه عليه إلى الثقلين الإنس والجن حيث دعاهم إلى الله، وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين، وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم، وهي سورة الرحمن؛ ولهذا قال {أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ} (٣).

قال بن عباس: "فاستجاب لهم من فوقهم نحو من سبعين رجلا من الجن، فرجعوا إلى رسول الله، فوافقوه بالبطحاء، فقرأ عليهم القرآن، وأمرهم ونهاهم" (٤).  
 قال سهل: "لا يجيب الداعي إلا من سمع النداء، فوفق للخيرات وأيقن، وإلا فمن يحسن إجابة الدعوة. وقال: إن في قلب كل مؤمن داعيًا يدعو إلى رشده، فالسعيد من سمع دعاء الداعي فاتبعه" (٥).

(١) المحرر الوجيز: ١٠٦/٥.

(٢) أخرجه الطبري: ١٤١/٢٢.

(٣) تفسير مجاهد: ٣٣٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٨): ص ١٢٨٧/٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٧): ص ١٢٨٧/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٧) تفسير الطبري: ١٤١/٢٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٧.

(٩) تفسير الثعلبي ٢٣/٩.

(١٠) تفسير التستري: ١٤٤.

قال الماتريدي: "فيه دلالة لزوم العمل بخبر الواحد؛ لأن النفر الذين حضروا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من الجن سمعوا القرآن منه وصدقوه كانوا قليلي العدد لما رجعوا إلى قومهم فإنما يرجع كل إلى قومه، وقد يحتمل الاجتماع والتواصل على ذلك، ودعا كل قومه إلى إجابة داعي الله - تعالى - وحذرهم مخالفته، وأنه يحتمل ما ذكرنا من الأفراد والأحاد، دل أن خبر الواحد حجة في حق العمل، وهو ما قال - عَزَّ وَجَلَّ - : {قُلُوبًا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ}، فكان العمل بخبر الأحاد والأفراد ظاهراً مشهوراً في الإنس والجن؛ حيث ذكر ما ذكرنا وألزهم الإجابة والحذر، والله أعلم. ثم قوله - تعالى - : {أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ} يحتمل الإجابة له في الاعتقاد والإيمان به"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ} [الأحقاف: ٣١]، أي: "يغفر الله لكم من ذنوبكم"<sup>(٢)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: يتعمد لكم ربكم من ذنوبكم فيسترها لكم ولا يفضحكم بها في الآخرة بعقوبته إياكم عليها"<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن كثير: "قيل: إن «من» هاهنا زائدة، وفيه نظر؛ لأن زيادتها في الإثبات قليل، وقيل: إنها على بابها للتبغيض"<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: {وَيُجْرِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ} [الأحقاف: ٣١]، أي: "وينقذكم من عذاب مؤلم موجه"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: ويؤمنكم من عذاب وجيع"<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: وينقذكم من عذاب موجه إذا أنتم تبتن من ذنوبكم، وأنبتن من كفركم إلى الإيمان بالله وبداعيه"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن عطية: "يَغْفِرُ" معناه: يغفر الله. {وَيُجْرِكُمْ} معناه: يمنعكم ويجعل دونكم جوار حفظه حتى لا ينالكم عذاب"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ويطيقكم من عذابه الأليم. وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة، وإنما جزاء صالحهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة؛ ولهذا قالوا هذا في هذا المقام، وهو مقام تبجح ومبالغة فلو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هذا لأوشك أن يذكروه"<sup>(٩)</sup>.

عن ابن عباس قال: "لا يدخل مؤمنوا الجن الجنة، لأنهم من ذرية إبليس، ولا تدخل ذرية إبليس الجنة"<sup>(١٠)</sup>.

عن ليث، قال: "الجن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابا مثل البهائم"<sup>(١١)</sup>.

عن الضحاك، قال: "الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تأويلات أهل السنة: ٢٥٨/٩.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٣) تفسير الطبري: ١٤١/٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٧.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨/٤.

(٧) تفسير الطبري: ١٤١/٢٢.

(٨) المحرر الوجيز: ١٠٦/٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٧.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٨١): ص ٣٢٩٧/١٠.

(١١) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٣/٢٤. ط. دار التفسير.

(١٢) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٤٤/٢٤، ط. دار التفسير، [ضعيف]، وأخرجه أبو الشيخ في "العظمة" ١٦٩٦/٥ من طريق سفيان، به، بمثله، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" ٣/٣٦٠ لابن المنذر، وذكره: البغوي في "تفسيره" ٢٧٠/٧، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ٢١٨/١٦، والخازن في "تفسيره" ١٣١/٤.



قال ابن كثير: "والحق أن مؤمنهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة، كما هو مذهب جماعة من السلف، وقد استدلل بعضهم لهذا بقوله: {لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٧٤]، وفي هذا الاستدلال نظر، وأحسن منه قوله تعالى: {وَلَمْ يَخَافْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذَّبَانِ} [الرحمن : ٤٦، ٤٧]، فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجنّ هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس، فقالوا: "ولا يشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد" فلم يكن تعالى ليمتنّ عليهم بجزاء لا يحصل لهم، وأيضا فإنه إذا كان يجازي كافرهم بالنار - وهو مقام عدل - فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة - وهو مقام فضل - بطريق الأولى والأحرى. ومما يدل أيضا على ذلك عموم قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف : ١٠٧]، وما أشبه ذلك من الآيات. وقد أفردت هذه المسألة في جزء على حدة، والله الحمد والمنة. وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينشئ الله لها خلقا، أفلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحا؟ وما ذكروه هاهنا من الجزاء على الإيمان من تكفير الذنوب والإجارة من العذاب الأليم، هو يستلزم دخول الجنة؛ لأنه ليس في الآخرة إلا الجنة أو النار، فمن أجبر من النار دخل الجنة لا محالة. ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمني الجن لا يدخلون الجنة وإن أجبروا من النار، ولو صح لقلنا به، والله أعلم. وهذا نوح، عليه السلام، يقول لقومه: {يَعْقِرُ لَكُمْ مِنْ دُنُوبِكُمْ وَيُوخِّرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [نوح : ٤]، ولا خلاف أن مؤمني قومه في الجنة، فكذلك هؤلاء. وقد حكى فيهم أقوال غريبة فعن عمر بن عبد العزيز: أنهم لا يدخلون بُحْبُوحَةَ الجنة، وإنما يكونون في رِبَضِهَا وحولها وفي أرجائها. ومن الناس من زعم أنهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون بني آدم عكس ما كانوا عليه في الدار الدنيا. ومن الناس من قال: لا يأكلون في الجنة ولا يشربون، وإنما يلهمون التسبيح والتحميد والتفديس، عوضا عن الطعام والشراب كالملائكة، لأنهم من جنسهم. وكل هذه الأقوال فيها نظر، ولا دليل عليها"<sup>(١)</sup>.

وسئل سهل: "هل يدخل الجن الجنة؟ فقال: بلغني أن في الجنة براري يسكنها الجن، ويأكلون فيها ويشربون، وفي القرآن دليل عليه، قال تعالى: لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ [الرحمن : ٧٤]"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

{وَمَنْ لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٢)} [الأحقاف : ٣٢]

التفسير:

ومن لا يُجِبُ رسول الله إلى ما دعا إليه فليس بمعجز الله في الأرض إذا أراد عقوبته، وليس له من دون الله أنصار يمنعونه من عذابه، أولئك في ذهاب واضح عن الحق.

قوله تعالى: {وَمَنْ لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ} [الأحقاف : ٣٢]، أي: "ومن لا يُجِبُ رسول الله إلى ما دعا إليه فليس بمعجز الله في الأرض إذا أراد عقوبته"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء النفر لقومهم: ومن لا يجب أئها القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا، وداعيه إلى ما بعثه بالدعاء إليه من توحيده، والعمل بطاعته، فليس بمعجز ربه بهربه، إذا أراد عقوبته على تكذيبه داعيه، وتركه تصديقه وإن ذهب في الأرض هاربا، لأنه حيث كان فهو في سلطانه وقبضته"<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٧-٣٠٤.

(٢) تفسير التستري: ١٧٩.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٤) تفسير الطبري: ١٤١/٢٢.

قال مقاتل: "ومن لا يجب داعي الله، يعني: محمدا- صلى الله عليه وسلم- إلى الإيمان، فليس بسابق الله فيفوته هربا في الأرض حتى يجزيه بعمله الخبيث"<sup>(١)</sup>.  
قال السمعاني: "أي: لا يفوت الله ولا يسبقه"<sup>(٢)</sup>.  
قال الزمخشري: "أي: لا ينجى منه مهرب، ولا يسبق قضاءه سابق"<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: بل قدرة الله شاملة له ومحيطه به"<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن عطية: "يحتمل أن يكون من كلام المنذرين، ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى لمحمد عليه السلام، والمراد بها إسماع الكفار وتعلق اللفظ إلى هذا المعنى من قول الجن: {أجيبوا داعي الله}، فلما حكى ذلك قبل ومن لا يفعل هذا فهو بحال كذا، والمعجز الذاهب في الأرض الذي يبدي عجز طالبه ولا يقدر عليه"<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {وليس له من دونه أولياء} [الأحقاف: ٣٢]، أي: "وليس له من دون الله أنصار يمنعونه من عذابه"<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: وليس لمن لم يحب داعي الله من دون ربه نصراء ينصرونه من الله إذا عاقبه ربه على كفره به وتكذيبه داعيه"<sup>(٧)</sup>.  
قال مقاتل: "يعني: ليس له أقرباء يمنعونه من الله- عز وجل-"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: لا يجبرهم منه أحد"<sup>(٩)</sup>.  
قوله تعالى: {أولئك في ضلال مبين} [الأحقاف: ٣٢]، أي: "أولئك في ذهاب واضح عن الحق"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: هؤلاء الذين لم يجيبوا داعي الله فيصدقوا به، وبما دعاهم إليه من توحيد الله، والعمل بطاعته في جور عن قصد السبيل، وأخذ على غير استقامة، {مبين}: يقول: يبين لمن تأمله أنه ضلال، وأخذ على غير قصد"<sup>(١١)</sup>.  
قال السعدي: "وأي ضلال أبلغ من ضلال من نادته الرسل ووصلت إليه النذر بالآيات البيّنات، والحجج المتواترات فأعرض واستكبر؟"<sup>(١٢)</sup>.  
قال مقاتل: "هذا قول الجن التسعة"<sup>(١٣)</sup>.  
قال ابن كثير: "وهذا مقام تهديد وترهيب، فدعوا قومهم بالترهيب والترهيب؛ ولهذا نجح في كثير منهم، وجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودا وفودا"<sup>(١٤)</sup>.

## القرآن

{أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنّه على كل شيء قدير} (٣٣) [الأحقاف: ٣٣]  
التفسير:

- (١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨/٤.
- (٢) تفسير السمعاني: ١٦٣/٥.
- (٣) الكشاف: ٣١٢/٤.
- (٤) تفسير ابن كثير: ٣٠٤/٧.
- (٥) المحرر الوجيز: ١٠٦/٥.
- (٦) التفسير الميسر: ٥٠٦.
- (٧) تفسير الطبري: ١٤١/٢٢.
- (٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨/٤.
- (٩) تفسير ابن كثير: ٣٠٤/٧.
- (١٠) التفسير الميسر: ٥٠٦.
- (١١) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٢.
- (١٢) تفسير السعدي: ٧٨٣.
- (١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨/٤.
- (١٤) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٧.

أَغْفَلُوا ولم يعلموا أَنَّ الله الذي خلق السموات والأرض على غير مثال سبق، ولم يعجز عن خلقهن، قادر على إحياء الموتى الذين خلقهم أولاً؟ بلى، ذلك أمر يسير على الله تعالى الذي لا يعجزه شيء، إنه على كل شيء قدير.

قال مقاتل: " {أولم يروا} نزلت في أبي بن خلف الجمحي، عمد فأخذ عظما حائلا نخرا، فأتى به النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا محمد، أتعدنا إذا بليت عظمانا، وكنا رفاتا أن الله يبعثنا خلقا جديدا. وجعل يفت العظم ويذريه في الريح، ويقول: يا محمد، من يحيي هذا؟! قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «يحيي الله هذا، ثم يميتك، ثم يبعثك في الآخرة، ويدخلك النار». فأنزل الله تعالى يعظه ليعتبر في خلق الله فيوحده: {أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض} <sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض} [الأحقاف: ٣٣]، أي: "أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض على غير مثال سبق" <sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أولم ينظر هؤلاء المنكرون إحياء الله خلقه من بعد وفاتهم، وبعثه إياهم من قبورهم بعد بلائهم، القائلون لأبائهم وأمهاتهم: {أفأ لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي}، فلم يبعثوا بأبصار قلوبهم، فيروا ويعلموا أن الله الذي خلق السموات السبع والأرض، فابتدعهن من غير شيء" <sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى: {أولم يروا}، أي: هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة، المستبعدون لقيام الأجساد يوم المعاد {أن الله الذي خلق السموات والأرض} <sup>(٤)</sup>.

قال المراغي: "أي: أولم ينظر هؤلاء المنكرون إحياء الخلق بعد وفاتهم، وبعثه إياهم من قبورهم بعد بلاهم، فيعلموا أن الذي خلق السموات والسبع والأرض فابتدعهن من غير شيء" <sup>(٥)</sup>.

قال ابن عطية: " {أولم يروا}، الضمير لقريش، والرؤية رؤية القلب" <sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {ولم يعي بخلقهن} [الأحقاف: ٣٣]، أي: "ولم يعجز عن خلقهن" <sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "ولم يعي بإنشائهن، فيعجز عن اختراعهن وإحداثهن" <sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ولم يكرهه خلقهن، بل قال لها: "كوني" فكانت، بلا ممانعة ولا مخالفة، بل طائعة محببة خائفة وجلّة" <sup>(٩)</sup>.

قال مقاتل: "وهما أشد خلقا من خلق الإنسان بعد أن يموت، ولم يعي بخلقهن إذ خلقهن، يعنى كيف يعي عن بعث الموتى" <sup>(١٠)</sup>.

قال الواحدي: أي: "لم يعجز عن ذلك، يقال: عيي فلان بأمره، إذا لم يهتد له، ولم يقدر عليه" <sup>(١١)</sup>.

قال المراغي: أي: ولم يعي في إنشائهن" <sup>(١٢)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: لم يعجز عن ذلك ولا ضعف عنه، يقال: عي بالأمر وعيي إذا لم يهتد لوجهه، ومنه قول الشاعر <sup>(١)</sup>:

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٠ / ٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٣) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٠٤/٧.

(٥) تفسير المراغي: ٣٩/٢٦.

(٦) المحرر الوجيز: ١٠٦/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٨) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٣٠٤/٧.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠/٤.

(١١) التفسير الوسيط: ١١٦/٤.

(١٢) تفسير المراغي: ٣٩/٢٦.

عيوا بأمرهم كما ... عيت ببيضتها الحمامة" (٢).

قال أبو عوسجة والثبي: قوله: {وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ}، يقال: عييت بهذا: أي: لم أحسنه، ولم أقو عليه" (٣).

قال النحاس: " {وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ}، ليس من: التعب، وإنما يقال في التعب: أعيأ يعيي وعيي بالأمر يعي وعي به إذا لم يتجه له" (٤).

قرأ الجمهور: «ولم يعي»، بسكون العين وفتح الياء، مضارع: عيي. وقرأ الحسن بكسر العين وسكون الياء (٥).

قوله تعالى: {بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ} [الأحقاف: ٣٣]، أي: "قادرٌ على أن يعيد الموتى بعد الفناء" (٦).

قال المراغي: أي: "بقادر على أن يحيى الموتى فيخرجهم من بعد بلاهم في قبورهم أحياء كهينتهم قبل وفاتهم" (٧).

قال الطبري: "فيخرجهم من بعد بلائهم في قبورهم أحياء كهينتهم قبل وفاتهم" (٨).

قال ابن كثير: "أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى؟ كما قال في الآية الأخرى: {الْخَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر: ٥٧]" (٩).

قال أبو عبيدة: {بقادر}، أي: "قادر، والعرب تؤكد الكلام بالباء وهي مستغنى عنها" (١٠).

قال الأخفش: "فهو بالباء كالباء في قوله: {كَفَىٰ بِاللَّهِ}، وهي مثل {تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ} [المؤمنون: ٢٠]" (١١).

قال ابن عطية: "وهذه آية مثل واحتجاج، لأنهم قالوا إن الأجساد لا يمكن أن تبعث ولا تعاد، وهم مع ذلك معترفون بأن الله تعالى خلق السموات والأرض فأقيمت عليهم الحجة من أقوالهم" (١٢).

قرأ عبد الرحمن الأعرج وابن أبي إسحاق وعاصم الجحدري: «يقدر» (١٣).

قال النحاس: "وقد زعم بعض النحويين أن القراءة بيقدرو أولى لأن الباء إنما تدخل في النفي وهذا إيجاب وتعجب من أبي عمرو والكسائي كيف جاز عليهما مثل هذا حتى غلطا فيه مع مطلقهما من العربية قال أبو جعفر: وفي هذا طعن على من تقوم الحجة بقراءته ومع ذلك فقد أجمعت الأئمة على أن قرءوا: {أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ} [يس: ٨١]، ولا نعلم بينهما فرقا ولا تجتمع الجماعة على ما لا يجوز" (١٤).

قوله تعالى: {بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأحقاف: ٣٣]، أي: "بلى، ذلك أمر يسير على الله تعالى الذي لا يعجزه شيء، إنه على كل شيء قدير" (١٥).

(١) البيت لعبيد بن الأبرص كما في "ديوانه" ص ١٣٨، و"أدب الكاتب" ص ٥٤، و"الحيوان" ٣ / ١٨٩، و"شرح أبيات سيبويه" ٢ / ٤٣٠، و"لسان العرب" (حيا) ٢ / ١٠٨٠.

(٢) فتح القدير: ٣٢/٥.

(٣) نقلا عن: تاويلات أهل السنة: ٢٥٩/٩.

(٤) إعراب القرآن: ١١٥/٤.

(٥) انظر: المحرر الوجيز: ١٠٦/٥، وفتح القدير: ٣٢/٥.

(٦) صفوة التفاسير: ١٨٧/٣.

(٧) تفسير المراغي: ٣٩/٢٦.

(٨) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٣٠٤/٧.

(١٠) مجاز القرآن: ٢١٣/٢.

(١١) معاني القرآن: ٥١٩/٢.

(١٢) المحرر الوجيز: ١٠٦/٥.

(١٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ١١٥/٤.

(١٤) إعراب القرآن: ١١٥/٤.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٠٦.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: بلى، يقدر الذي خلق السموات والأرض على إحياء الموتى: أي الذي خلق ذلك على كل شيء شاء خلقه، وأراد فعله، ذو قدرة لا يعجزه شيء أراد، ولا يُعيبه شيء أراد فعله، فيعييه إنشاء الخلق بعد الفناء، لأن من عجز عن ذلك فضعيف، فلا ينبغي أن يكون إلها من كان عما أراد ضعيفا"<sup>(١)</sup>.

قال السعدي-في الآية:- "هذا استدلال منه تعالى على الإعادة بعد الموت بما هو أبلغ منها، وهو أنه الذي خلق السموات والأرض على عظمها وسعتها وإتقان خلقهما من دون أن يكثر بذلك ولم يعي بخلقهن فكيف تعجزه إعادتكم بعد موتكم وهو على كل شيء قدير؟"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

**{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤)} [الأحقاف: ٣٤]**

### التفسير:

ويوم القيامة يُعْرَضُ الذين كفروا على نار جهنم للعذاب فيقال لهم: أليس هذا العذاب بالحق؟ فيجيبون قائلين: بلى وربنا هو الحق، فيقال لهم: فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون عذاب النار وتكفرونه في الدنيا.

قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ} [الأحقاف: ٣٤]، أي: "ويوم القيامة يُعْرَضُ الذين كفروا على نار جهنم للعذاب فيقال لهم: أليس هذا العذاب بالحق؟"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ويوم يعرض هؤلاء المكذبون بالبعث، وثواب الله عباده على أعمالهم الصالحة، وعقابه إياهم على أعمالهم السيئة، على النار، نار جهنم، يقال لهم حينئذ: أليس هذا العذاب الذي تعدبونه اليوم، وقد كنتم تكذبون به في الدنيا بالحق، توبيخا من الله لهم على تكذيبهم به، كان في الدنيا"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عطية: "المعنى: واذكر يوم، وهذا وعيد للكفار من قريش وسواهم. والعرض في هذه الآية، عرض مباشرة، كما تقولون عرضت الجاني على السوط. والمعنى يقال لهم أليس هذا العذاب حقا وقد كنتم تكذبون به؟"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: يقال لهم: أما هذا حق؟ أفسح هذا؟ أم أنتم لا تبصرون؟"<sup>(٦)</sup>. قوله تعالى: {قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا} [الأحقاف: ٣٤]، أي: "فيجيبون قائلين: بلى وربنا هو الحق"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فيجيب هؤلاء الكفرة من فورهم بذلك، بأن يقولوا بلى هو الحق والله"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن عطية: "وذلك تصديق حيث لا ينفع"<sup>(٩)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: لا يسعهم إلا الاعتراف"<sup>(١٠)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٢.

(٢) تفسير السعدي: ٧٨٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٤) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٢.

(٥) المحرر الوجيز: ١٠٧/٥.

(٦) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٧.

(٧) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٨) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٢.

(٩) المحرر الوجيز: ١٠٧/٥.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٧.

قال الشوكاني: "اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف، وأكدوا هذا الاعتراف بالقسم لأن المشاهدة هي حق اليقين الذي لا يمكن جرده ولا إنكاره"<sup>(١)</sup>.  
 قوله تعالى: {قَالَ قُدُوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ} [الأحقاف: ٣٤]، أي: "فيقال لهم: فدوقوا العذاب بما كنتم تجحدون عذاب النار وتكفرونه في الدنيا"<sup>(٢)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: فقال لهم المقرّر بذلك: فدوقوا عذاب النار الآن بما كنتم تجحدونه في الدنيا، وتكفرونه، وتأبون الإقرار إذا دُعيتم إلى التصديق به"<sup>(٣)</sup>.  
 قال الشوكاني: "أي: بسبب كفركم بهذا في الدنيا وإنكاركم له، وفي هذا الأمر لهم بذوق العذاب توبيخ بالغ وتهكم عظيم"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ (٣٥)} [الأحقاف: ٣٥]  
 التفسير:

فاصبر -أيها الرسول- على ما أصابك من أذى قومك المكذبين لك، كما صبر أولو العزم من الرسل من قبلك -وهم، على المشهور: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وأنت منهم- ولا تستعجل لقومك العذاب؛ فحين يقع ويروونه كأنهم لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، هذا بلاغ لهم ولغيرهم. ولا يهلك بعذاب الله إلا القوم الخارجون عن أمره وطاعته.  
 قوله تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥]، أي: "فاصبر -أيها الرسول- على ما أصابك من أذى قومك المكذبين لك، كما صبر أولو العزم من الرسل من قبلك"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مثبتته على المضي لما قلده من عبء الرسالة، وثقل أحمال النبوة صلى الله عليه وسلم، وأمره بالانتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لُفوا فيه من قومهم من المكاره، ونالهم فيه منهم من الأذى والشدائد {فَاصْبِرْ} يا محمد على ما أصابك في الله من أذى مكديك من قومك الذين أرسلناك إليهم بالإنذار {كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} على القيام بأمر الله، والانتهاء إلى طاعته من رسله الذين لم ينههم عن النفوذ لأمره، ما نالهم فيه من شدة. وقيل: إن أولي العزم منهم، كانوا الذين أمئحوا في ذات الله في الدنيا بالمحن، فلم تزدهم المحن إلا جدًا في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى ومن أشبههم"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: " {فاصبر} يا محمد على الأذى والتكذيب يعزي نبيه- صلى الله عليه وسلم- ليصبر {كما صبر أولو العزم}، يعني: أولو الصبر {من الرسل}"<sup>(٧)</sup>.

قال الشوكاني: "لما قرر سبحانه الأدلة على النبوة والتوحيد والمعاد أمر رسوله بالصبر، فقال: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} والفاء جواب شرط محذوف، أي: إذا عرفت ذلك وقامت عليه البراهين ولم ينجع في الكافرين فاصبر كما صبر أولو العزم، أي: أرباب الثبات والحزم فإنك منهم"<sup>(٨)</sup>.

(١) فتح القدير: ٣٢/٥.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٣) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٢.

(٤) فتح القدير: ٣٢/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٦) تفسير الطبري: ٤٥١/٢٢.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١/٤.

(٨) فتح القدير: ٣٢/٥.

قال ابن عطية: " قوله تعالى: {فَاصْبِرْ} الفاء عاطفة هذه الجملة من الوصاة على هذه الجملة من الإخبار عن حال الكفرة في الآخرة، والمعنى بينهما مرتبط، أي: هذه حالهم مع الله.. وقوله: {مِنَ الرُّسُلِ} {مِنَ} للتبعيض، والمراد من حفظت له مع قومه شدة ومجاهدة"<sup>(١)</sup>.  
قال القشيري: " أولو الجد والصبر والحزم، و«الصبر» هو الوقوف لحكم الله، والثبات من غير بثّ ولا استكراه"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " قال تعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه، {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}، أي: على تكذيب قومهم لهم"<sup>(٣)</sup>.  
قال سهل: " يعني: اصبر صبر أهل المعرفة، كما صبر أولو العزم من الرسل الذين كانوا قبلك رضى وتسليماً من غير شكوى ولا جزع. وقال: أولو العزم من الرسل إبراهيم صلوات الله عليه، ابتلي بالنار وذبح الولد فرضي وسلم وأيوب عليه السلام بالبلاء وإسماعيل بالذبح فرضي ونوح بالتكذيب فصبر ويونس ببطن الحوت فدعا والتجأ ويوسف صلوات الله عليه بالسجن والجب فلم يتغير ويعقوب بذهاب البصر وفقدان الولد، فشكا بثه إلى الله، ولم يشك إلى غيره، وهم اثنا عشر نبياً صلوات الله عليهم، صبروا على ما أصابهم، فهم أولو العزم من الرسل، والله سبحانه وتعالى أعلم"<sup>(٤)</sup>.

قال هبة الله: " قَوْلُهُ تَعَالَى {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} نسخ الأمر بالصبر بآية السَّيْف"<sup>(٥)</sup>.

واختلف في قوله تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥]، على أقوال:

أحدها: أن أولي العزم من الرسل الذين أمروا بالقتال من الأنبياء، قاله ابن عباس<sup>(٦)</sup>، والسدي<sup>(٧)</sup>، والكلبي<sup>(٨)</sup>.

الثاني: أنهم العرب من الأنبياء. قاله مجاهد<sup>(٩)</sup>، والشعبي<sup>(١٠)</sup>.

الثالث: من لم تصبه فتنة من الأنبياء. قاله الحسن<sup>(١١)</sup>.

الرابع: من أصابه منهم بلاء بغير ذنب. قاله ابن جريج<sup>(١٢)</sup>.

الخامس: أنهم اصحاب الشرائع. حكاه الثعلبي<sup>(١٣)</sup>.

السادس: ذوو الجد والصبر. قاله الضحاك<sup>(١٤)</sup>.

السابع: الرأي والصواب. قاله القرظي<sup>(١٥)</sup>.

الثامن: أنهم أولو الصبر الذين صبروا على أذى قومهم فلم يجزعوا. حكاه الماوردي<sup>(١٦)</sup>.

وقال سعيد بن جبير: " سماه الله من شدته العزم"<sup>(١)</sup>.

(١) المحرر الوجيز: ١٠٧/٥.

(٢) لطائف الإشارات: ٤٠٢/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٧.

(٤) تفسير التستري: ١٤٤.

(٥) الناسخ والمنسوخ: ١٦٤.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ٢٥/٩، والنكت والعيون: ٢٨٨/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤. والخبر بدون سند.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤. والخبر بدون سند.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤. والخبر بدون سند.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥.

(١٣) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٥/٩.

(١٤) تفسير الثعلبي: ١٤٧/٢٤، وذكره البغوي في "تفسيره" ٢٧١/٧، والخازن في "تفسيره" ١٣٢/٤.

(١٥) تفسير الثعلبي: ١٤٧/٢٤.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥.

عن عائشة رضي الله عنها- قالت: "ظل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- صائماً ثم طواه، ثم ظل صائماً ثم طواه، ثم ظل صائماً قال: «يا عائشة، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهاها والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم، فقال: {قَاصِبِرْ كَمَا صَبِرَ أَوْلُوا الْعَزْمَ مِنَ الرُّسُلِ}، وإني والله لاصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله" (٢).

وفي «أولي العزم من الرسل»، أقوال:

أحدها : أن جميع الأنبياء أولوا العزم ، ولم يبعث الله رسولاً إلا كان من أولي العزم . فأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أن يصبر كما صبروا ، قاله ابن زيد (٣).

واختره ابن الأنباري، وقال: "«من» دخلت للتجنيس لا للتبعيض، كما تقول: قد رأيت الثياب من الخَزِّ والحياب من القَرِّ" (٤).

قال ابن عطية: " وقال ابن زيد ما معناه: إن {من} لبيان الجنس. قال: والرسل كلهم أولوا العزم، ولكن قوله: {كَمَا صَبِرَ أَوْلُوا الْعَزْمَ} يتضمن رسلاً وغيرهم، فبين بعد ذلك جنس الرسل خاصة تعظيماً لهم، ولتكون القدوة المضروبة لمحمد عليه السلام أشرف، وذكر الثعلبي هذا القول عن علي بن مهدي الطبري" (٥).

الثاني : أن أولي العزم منهم: نوح وهود وإبراهيم، فأمر الله رسوله أن يكون رابعهم ، قاله أبو العالية (٦).

قال أبو العالية: " وكانوا ثلاثة ورسول الله صلى الله عليه وسلم رابعهم، قال نوح: {يَا قَوْمِ إِنْ كَانَتْ كِبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ} [يونس : ٧١] ، إلى آخرها فأظهر لهم المفارقة وقال هود حين قالوا: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} (٥٤) من دونه { هود : ٥٤-٥٥} ، فأظهر لهم المفارقة قال لإبراهيم {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ} [المتحنة : ٤] ، إلى آخر الآية فأظهر لهم المفارقة قال يا محمد: {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الأنعام : ٥٦] ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة فقرأها على المشركين فأظهر لهم المفارقة" (٧).

قال قتادة: " كنا نحدث أن إبراهيم كان منهم" (٨).

الثالث : أنهم: أربعة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، قاله قتادة (٩).

وروي مالك بن أنس، عن الحسن بن زيد في هذه الآية: {كما صبر أولوا العزم من الرسل}، أنهم أربعة، ولم يحفظ أسماءهم" (١٠).

الرابع : أنهم: أربعة: إبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى. قاله الحسن البصري (١١).

قال الحسن: " فقال: إبراهيم فعزمه قيل له: أسلم، قال: {أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [البقرة : ١٣١]. ثم ابتلي في ماله، وولده، ووطنه، ونفسه، فوجد صادقاً وأفياً في جميع ما أبتلي به، وأما موسى، فعزمه قوله حين قال له قومه: {إِنَّا لَمُدْرِكُونَ} [الشعراء : ٦١] ، قال: {كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء : ٦٢] ، وأما داود، فعزمه أنه أخطأ خطيئة، فنبه عليها، فبلي أربعين سنة على خطيئته حتى نبتت من دموعه شجرة، وقعدت تحت ظلها، وأما عيسى فعزمه أنه لم يضع في

(١) أخرجه الطبري: ١٤٦/٢٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٥٨٣): ص ٣٢٩٧/١٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٢٢.

(٤) نقلاً عن: زاد المسير: ١١٤/٤.

(٥) المحرر الوجيز: ١٠٧/٥.

(٦) الدر المنثور: ٤٥٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وأبوي الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر.

(٧).

(٨) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٢.

(٩) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٨٦٢): ص ٢٠١/٣.

(١٠) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٨٥): ص ٨٢/١.

(١١) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦/٩. بدون سند.



الدنيا لبنة على لبنة، وقال: إنها معبر فاعبروها، ولا تعمروها. فكان الله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: {قَاصِبِرٌ كَمَا صَبَرَ أَوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥]، أي: كن صادقاً فيما ابتليت به مثل صدق إبراهيم، واتقا بنصرة مولاك مثل ثقة موسى، مهتماً لما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود، زاهداً في الدنيا مثل زهد عيسى -عليه السلام-<sup>(١)</sup>.

الخامس: أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -صلى الله عليه وسلم-. قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>، ومجاهد<sup>(٣)</sup>، وقتادة<sup>(٤)</sup>، وعطاء الخراساني<sup>(٥)</sup>، وابن السائب الكلبي<sup>(٦)</sup>.

السادس: أنهم: نوح وهود وإبراهيم وشعيب وموسى، قاله قتادة -أيضاً-<sup>(٧)</sup>.

السابع: أنهم: نوح وهود وصالح وموسى وداود وسليمان. قاله ابن عباس -أيضاً-<sup>(٨)</sup>.

الثامن: أنهم: إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد -صلوات الله عليهم أجمعين-، قاله السدي<sup>(٩)</sup>.

التاسع: أنهم ستة: نوح صبر على أذى قومه طويلاً، وإبراهيم صبر للناس، وإسحاق صبر نفسه للذبح، ويعقوب صبر على فقد لولده وعمي بصره وقال: {قَصَبِرٌ جَمِيلٌ} [يوسف: ٨٣]، ويوسف على السجن وفي البئر، وأيوب صبر على البلاء. قاله مقاتل<sup>(١٠)</sup>.

العاشر: أنهم الثمانية عشر المذكورين في سورة الأنعام، لأنه قال بعقب ذكرهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ} [الأنعام: ٩٠]. قاله الحسن بن الفضل<sup>(١١)</sup>.

الحادي عشر: أن منهم إسماعيل ويعقوب وأيوب، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم، قاله ابن جريج<sup>(١٢)</sup>.

وحكي عن أبي القاسم الحكيم أنه قال: "الرسول كلهم أولو عزم إلا يونس عليه السلام"<sup>(١٣)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: "بلغني أن أولي العزم من الرسل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر"<sup>(١٤)</sup>.

وعن أبي علي حبش المقرئ، قال: "قال بعض أهل العلم: أولوا العزم اثنا عشر نبياً أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام فعصوهم، فأوحى الله تعالى إلى الأنبياء -عليهم السلام-: «إني مرسل عذابي على عصاة بني إسرائيل»، فشق ذلك عليهم، فأوحى الله تعالى إليهم أن اختاروا لأنفسكم، إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بني إسرائيل، وإن شئتم أنجيتكم وأنزلت ببني إسرائيل. ففتشاوروا بينهم، فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجي بني إسرائيل، فأنجي الله بني إسرائيل وأنزل بأولئك العذاب، وذلك إنه سلط عليهم ملوك الأرض، فمنهم من نشر

(١) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦/٩. بدون سند.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٥٤/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) انظر: زاد المسير: ١١٤/٤. حكاه بدون سند.

(٤) انظر: زاد المسير: ١١٤/٤. حكاه بدون سند.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٢٢.

(٦) انظر: زاد المسير: ١١٤/٤. حكاه بدون سند.

(٧) الدر المنثور: ٤٥٤/٧. وعزاه إلى ابن عساکر.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٤٥٥/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٨٨/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣١/٤.

(١١) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٥/٩، وابن عطية في المحرر الوجيز: ١٠٧/٥، وابن الجوزي في زاد المسير: ١١٤/٤.

(١٢) الدر المنثور: ٤٥٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر، وانظر: النكت والعيون: ٢٨٩/٥، وزاد المسير: ١١٤/٤.

(١٣) نقلاً عن المحرر الوجيز: ١٠٧/٥.

(١٤) الدر المنثور: ٤٥٥/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

بالمناشير، ومنهم من سلخ جلد رأسه ووجهه، ومنهم من رفع على الخشب، ومنهم من أحرق بالنار" (١).

قال ابن كثير: "وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد صلى الله عليه وسلم، قد نص الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي "الأحزاب" (٢) و "الشورى" (٣)، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل، وتكون {من} في قوله: {مِنَ الرُّسُلِ} لبيان الجنس" (٤).

قال ابن عطية: "ولا محالة أن لكل نبي ورسول عزيمة وصبراً" (٥).  
عن الأحوص بن حكيم بن كعب الحبر، قال: "في جنة عدن مدينة من لؤلؤ بيضاء، تكل عنها الأبصار، لم يرها نبي مرسل ولا ملك مقرب، أعدها الله سبحانه وتعالى لأولي العزم من الرسل والشهداء والمجاهدين، لأنهم فضلوا الناس عقلاً وحلماً وإنابة ولباً" (٦).

قال ابن عباس: "يريد العذاب" (٧).  
قوله تعالى: {وَمَا تَسْتَعْجِلُ لَهُمْ} [الأحقاف: ٣٥]، أي: "ولا تستعجل لقومك العذاب" (٨).  
قال الطبري: "يقول: ولا تستعجل عليهم بالعذاب، يقول: لا تعجل بمسألتك ربك ذلك لهم فإن ذلك نازل بهم لا محالة" (٩).

قال ابن كثير: "أي: لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم، كقوله: {وَدَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قُلَيْلاً} [المزمل: ١١]، وكقوله {فَمَهَلَّ الْكَافِرِينَ أَهْمَلُهُمْ رُوَيْدًا} [الطارق: ١٧]" (١٠).

قال ابن عطية: "فلا تستعجل أنت فيما حملته واصبر له ولا تخف في الله أحداً" (١١).  
قال البغوي: "كانه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال" (١٢).

قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ} [الأحقاف: ٣٥]، أي: "كانهم حين يعاينون العذاب في الآخرة لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة من النهار، لما يشاهدون من شدة العذاب وطوله" (١٣).

قال الطبري: "يقول: كأنهم يوم يرون عذاب الله الذي يعدهم أنه منزله بهم، لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار، لأنه ينسيهم شدة ما ينزل بهم من عذابه، قدر ما كانوا في الدنيا لبتوا، ومبلغ ما فيها مكثوا من السنين والشهور، كما قال جل ثناؤه: {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ} (١٤).

(١) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٥/٩.

(٢) قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب: ٧].

(٣) قال تعالى: {تَسْرِعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى: ١٣].

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٧.

(٥) المحرر الوجيز: ١٠٧/٥.

(٦) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦/٩.

(٧) التفسير البسيط للواحدى: ٢٠٦/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٥٠٦.

(٩) تفسير الطبري: ١٤٦/٢٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٧.

(١١) المحرر الوجيز: ١٠٧/٥.

(١٢) تفسير البغوي: ٢٧٢/٧.

(١٣) صفوة التفاسير: ١٨٧/٣.

(١٤) تفسير الطبري: ١٤٦/٢٢.

قال الشوكاني: "أي: كأنهم يوم يشاهدونه في الآخرة لم يلبثوا في الدنيا إلا قدر ساعة من ساعات الأيام لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم"<sup>(١)</sup>.  
وقال الكلبي: "لم يمكثوا في القبور إلا ساعة"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي البرزخ حين عينوا يوم القيامة وشدايدها وطولها"<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: {بَلَاغٌ} [الأحقاف: ٣٥]، أي: "هذا بلاغ وإنذار"<sup>(٤)</sup>.  
وفي قوله تعالى: {بَلَاغٌ} [الأحقاف: ٣٥]، وجوه من التفسير:  
أحدها: أن ذلك اللبث بلاغ، بمعنى: ذلك بلاغ لهم في الدنيا إلى أجلهم. قاله ابن عيسى<sup>(٥)</sup>، وابن جرير الطبري<sup>(٦)</sup>، والأخفش<sup>(٧)</sup>.  
قال النحاس: "يقال: ما معه من الزاد إلا بلاغ، أي: قليل"<sup>(٨)</sup>.  
الثاني: أن هذا القرآن والتذكير بلاغ لهم وكفاية، إن فكروا واعتبروا فتذكروا، قاله الحسن<sup>(٩)</sup>.  
قال البغوي: "والبلاغ بمعنى التبليغ"<sup>(١٠)</sup>.  
الثالث: أن هذا الذي وصفه الله من الموعظة بلاغ، وهو حلول ما وعده إما من الهلاك في الدنيا أو العذاب في الآخرة. قاله الأخفش<sup>(١١)</sup>.  
وقرأ أبو مجلز: «بلغ»، على الأمر<sup>(١٢)</sup>.  
قوله تعالى: {فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف: ٣٥]، أي: "ولا يُهْلِكُ بعذاب الله إلا القوم الخارجون عن أمره وطاعته"<sup>(١٣)</sup>.  
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فهل يهلك الله بعذابه إذا أنزله إلا القوم الذين خالفوا أمره، وخرجوا عن طاعته وكفروا به. ومعنى الكلام: وما يهلك الله إلا القوم الفاسقين"<sup>(١٤)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: لا يهلك على الله إلا هالك، وهذا من عدله تعالى أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب"<sup>(١٥)</sup>.  
قال البغوي: {فهل يهلك} بالعذاب إذا نزل {إلا القوم الفاسقون} الخارجون من أمر الله"<sup>(١٦)</sup>.  
قال مقاتل: "يعني: العاصون الله- عز وجل- فيما أمرهم من أمره ونهيه"<sup>(١٧)</sup>.  
قال الواحدي: "يعني: أن العذاب لا يقع إلا بهم فيما بلغهم محمد -صلى الله عليه وسلم- عن الله"<sup>(١٨)</sup>.

- 
- (١) فتح القدير: ٣٣/٥.  
(٢) التفسير البسيط للواحدي: ٢٠٦/٢٠.  
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٧.  
(٤) صفوة النفايس: ١٨٧/٣.  
(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٨٩/٥.  
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤٦/٢٢.  
(٧) انظر: معاني القرآن: ٥١٩/٢.  
(٨) إعراب القرآن: ١١٦/٤.  
(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٨٩/٥. وحكاية الطبري: ١٤٦/٢٢. دون نسبه إلى أحد.  
(١٠) تفسير البغوي: ٢٧٣/٧.  
(١١) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ١١٦/٤، وحكاية الماوردي في النكت والعيون: ٢٨٩/٥. دون نسبه إلى أحد.  
(١٢) انظر: معاني القرآن للنحاس: ٤٥٥/٦.  
(١٣) التفسير الميسر: ٥٠٦.  
(١٤) تفسير الطبري: ١٤٦/٢٢.  
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٧.  
(١٦) تفسير البغوي: ٢٧٣/٧.  
(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٢/٤.  
(١٨) التفسير البسيط: ٢٠٧/٢٠.

قال النحاس: "أي: فهل يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا القوم الفاسقون؟" (١) أي: من فسق في الدنيا. ويقال: إن هذه الآية من أرجى آية في القرآن إلا أن ابن عباس قال: أرجى آية في القرآن {وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعُورَةٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ} [الرعد: ٦] (٢).  
 قال الزجاج: "تأويله أنه لا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا القوم الفاسقون.. وما في الرجاء لرحمة الله شيء أقوى من هذه الآية، وهي قوله: {فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ} (٣).  
 قال قتادة: "تعلموا ما يهلك على الله إلا هالك ولي الإسلام ظهره أو منافق صدق بلسانه وخالف بعمله. ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ أُمَّتِي هَمَّ بِحَسَنَةٍ كَتَبْتُ لَهُ وَاحِدَةً، وَإِنْ عَمَلَهَا كَتَبْتُ لَهُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا. وَأَيُّمَا عَبْدٍ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمَلَهَا كَتَبْتُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ كَانَ يَتَّبِعُهَا، وَيَمْحُوهَا اللَّهُ وَلَا يَهْلِكُ إِلَّا هَالِكٌ" (٤).  
 فوائد الآيات: [٣١-٣٥]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.
  - ٢- الكفر هو الموجب للنار والكفر هو تكذيب بوجود الله تعالى وهو الإلحاد أو تكذيب بلقائه تعالى أو بآياته أو رسله، أو شرائعه بعضاً أو كلاً.
  - ٣- وجوب الصبر على الطاعات فعلاً، وعن المعاصي تركاً، وعلى البلاء بعدم التضجر والسخط.
  - ٤- التأسي بأهل الصبر والعزائم، فالتأمل في سير الصابرين وما لاقوه من ألوان الابتلاء والشدائد يعين على الصبر، ويطفئ نار المصيبة ببرد التأسي، قال الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلَا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ} [الأحقاف: ٣٥].
  - ٤- إطلاق الفسق على الكفر باعتباره خروجاً عن طاعة الله فيما يأمر به من العقائد والعبادات وينهى عنه من الشرك والمعاصي.
- «آخر تفسير سورة (الأحقاف)، والحمد لله وحده»

(١) معاني القرآن: ٤٥٥/٦.

(٢) إعراب القرآن: ١١٦/٤.

(٣) معاني القرآن: ٤٤٨/٤.

(٤) أخرجه الطبري: ١٤٦/٢٢-١٤٧.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة «محمد»

سورة «محمد» هي السورة «السابعة والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والتسعون» بحسب نزول سور القرآن، نزلت بعد «سورة الحديد»، وقبل «سورة الرعد».

وعدد آياتها أربعون في البصرة، وثمان في الكوفة وتسع وثلاثون عند الباقيين. وكلماتها خمسمائة وتسع وثلاثون. وحروفها ألفان وثلثمائة وتسع وأربعون. المختلف فيها آيتان: {أَوْزَارَهَا} [محمد : ٤]، {لِلشَّارِبِينَ} [محمد : ١٥]. فواصل آياتها: «ما»<sup>(١)</sup>.

#### ■ أسماء السورة:

#### ■ أولاً: أسمها التوقيفي: «سورة محمد»:

سميت هذه السورة في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-<sup>(٢)</sup>، وفي كتب السنّة «سورة محمد» وكذلك تُرجمت في «صحيح البخاري»<sup>(٣)</sup>، وكذلك في كتب التفسير. ووجهه أنها ذُكر فيها اسم النبي صلى الله عليه وسلم في الآية الثانية منها، فعُرفت به قبل سورة آل عمران التي فيها: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ} [آل عمران : ١٤٤]. قال المهامي: "سميت به، لما فيها من أن الإيمان بما نزل على محمد متفرقا، أعظم من الإيمان بما نزل مجموعا على سائر الأنبياء عليهم السلام. وهو من أعظم مقاصد القرآن"<sup>(٤)</sup>.

#### ■ ثانيا: اسمها الإجتهدية:

#### الاسم الأول: «سورة الذين كفروا»:

تسمى «سورة الذين كفروا»، كما جاءت في كلام الصحابة-رضوان الله عليهم-<sup>(٥)</sup>.

#### الاسم الثاني: «سورة القتال»:

سميت هذه السورة في كلام بعض الصحابة-رضوان الله عليهم- بـ«سورة القتال»، كما روي عن قال ابن عباس، قال: "أنزلت سورة القتال بالمدينة"<sup>(٦)</sup>. وبهذا الاسم عنونها بعض كتب التفسير، ووجه تسميتها بهذا؛ لأنها ذكرت فيها مشروعية القتال؛ ولأنها ذكر فيها لفظه في قوله تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ} [محمد : ٢٠]، فالمراد بـ«السورة» في هذه الآية هذه السورة، فتكون تسميتها «سورة القتال» تسمية قرآنية<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٤٣٠.

(٢) أخرج ابن مردويه عن علي-رضي الله عنه- قال: "سورة محمد آية فينا وآية في بني أمية". [الدر المنثور: ٤٥٦/٧].

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٣٤/٦.

(٤) نقلا عن: محاسن التأويل: ٤٦٣/٨.

(٥) فعن ابن عمر، "أن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ بهم في المغرب: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [محمد : ١]". رواه الطبراني في الكبير (١٣٣٨٠): ص ٣٧٢/١٢، وفي الاوسط (١٢٦١): ص ١٣٩/٢، و(١٧٦٣): ص ٤٤١/٢، والصغير (١١٧): ص ١٠، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٧١/٢: "رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح".

وعن ابن الزبير، قال: "نزلت بالمدينة سورة «الذين كفروا»". اورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧، وعزاه لابن مردويه.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٧/٧. وعزاه إلى ابن ضريس.

(٧) انظر: التحرير والتنوير: ٧١/٢٦.

قال سيد قطب رحمه الله: " وهو اسم حقيقي لها. فالقتال هو موضوعها. والقتال هو العنصر البارز فيها"<sup>(١)</sup>.

قال المهامي: " وتسمى سورة «القتال»، لدلالاتها على ارتفاع حرمة نفوس الكفار المانعة من قتالهم، وما يترتب على القتال وكثرة فوائده"<sup>(٢)</sup>.

#### ■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:  
أحدها: أنها أنزلت بالمدينة. قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>، وعبد الله بن الزبير<sup>(٤)</sup>، ومجاهد<sup>(٥)</sup>، ومقاتل<sup>(٦)</sup>، وحكاة ابن الجوزي عن الأكثرين<sup>(٧)</sup>.

الثاني: أنها مدنية إلا آية منها نزلت عليه بعد حجّه حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت، وهي قوله: {وَكَايْنٌ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ} [محمد: ١٣]. وهذا القول منسوب إلى ابن عباس<sup>(٨)</sup>، وقتادة<sup>(٩)</sup>.

قال ابن عاشور: " ولعله وهم ناشىء عما روي عن ابن عباس أن قوله تعالى: {وَكَايْنٌ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ} [محمد: ١٣]، الآية نزلت في طريق مكة قبل الوصول إلى حراء، أي في الهجرة. قيل: نزلت هذه السورة بعد يوم بدر وقيل نزلت في غزوة أحد"<sup>(١٠)</sup>.

الثالث: أنها مكية. قاله الضحاك<sup>(١١)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(١٢)</sup>، والسدي<sup>(١٣)</sup>.  
قال الفيروزآبادي: " السورة مدنية بالاتفاق"<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن عطية: " هذه السورة مدنية بإجماع، غير أن بعض الناس قال في قوله تعالى: {وَكَايْنٌ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ} [محمد: ١٣] إنها نزلت بمكة في وقت دخول النبي فيها عام الفتح أو سنة الحديبية، وما كان مثل هذا فهو معدود في المدني، لأن المراعى في ذلك إنما هو ما كان قبل الهجرة أو بعدها"<sup>(١٥)</sup>.

#### ■ مناسبة السورة لما قبلها:

فإن أولها متلاحم بآخر السورة السابقة، حتى لو أسقطت البسملة من البين لكان الكلام متصلاً بسابقه لا تنافر فيه، وكان بعضه أخذاً بحجز بعض<sup>(١٦)</sup>.

#### ■ أغراض السورة ومقاصدها

معظم ما في هذه السورة التحريض على قتال المشركين، وترغيب المسلمين في ثواب الجهاد. وقد افتتحت بما يثير حنق المؤمنين على المشركين؛ لأنهم كفروا بالله، وصدوا عن سبيله، أي دينه. ف «القتال» هو موضوع السورة؛ فهي تبدأ ببيان حقيقة الذين كفروا، وحقيقة

(١) في ظلال القرآن: ٣٢٧٨/٦.

(٢) نقلًا عن: محاسن التأويل: ٤٦٣/٨.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧. وعزاه إلى ابن ضريس، والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧. وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) حكاة ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١/٤.

(٧) انظر: زاد المسير: ١١٥/٤.

(٨) حكاة ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(٩) حكاة ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(١٠) التحرير والتنوير: ٧١/٢٦.

(١١) حكاة ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(١٢) حكاة عنه الزمخشري في الكشاف: ٣١٤/٤.

(١٣) حكاة ابن الجوزي في "زاد المسير": ١١٥/٤. بدون سند.

(١٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٣٠/١.

(١٥) المحرر الوجيز: ١٠٩/٥.

(١٦) انظر: تفسير المراغي: ٤٣/٢٦.

الذين آمنوا في صيغة هجوم أدبي على الذين كفروا، وتمجيد كذلك للذين آمنوا، مع إحياء بأن الله عدو للأولين، ولي للآخرين، وأن هذه حقيقة ثابتة في تقدير الله سبحانه. فهو إذن إعلان حرب منه تعالى على أعدائه وأعداء دينه منذ اللفظ الأول في السورة.

وعلى الجملة، فإن مقاصد هذه السورة ينتظم وفق التالي:

١- بينت أن الله أبطل أعمال الكافرين لإعراضهم عن الحق واتباع الباطل، والوقوف في وجه الدعوة؛ ليصدوا الناس عن دين الله، وأنه سبحانه كَفَّرَ عن المؤمنين سيئاتهم؛ لأنهم نصرُوا الحق، وسلَكُوا طريقه، واتبَعُوا ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فكان ذلك كفالة للمؤمنين بالنصر على أعدائهم.

٢- بينت وجوب الدفاع عن الحق، وما يتطلبه ذلك عند لقاء الكفار في بدء المعركة ونهايتها، وذكرت جزاء من قُتل في سبيل الله.

٣- وَعَدَّ المجاهدين بالجنة، وأمر المسلمين بمجاهدة الكفار، وأن لا يدعوهم إلى السلم، وإنذار المشركين بأن يصيبهم ما أصاب الأمم المكذبين من قبلهم.

٤- حذرت كفار مكة سوء المصير، فضربت لهم الأمثال بالطغاة المتجبرين من الأمم السابقة، وبينت أن الله دَمَّرَ عليهم بسبب إجرامهم وطغيانهم: {أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [محمد : ١٠]، ثم ذكرت جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعاقبة الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم، وأشارت إلى أن سنة الله إهلاك القرى الظالمة التي هي أشد من قرينك التي أخرجتك {فَلَا تَأْوِي لَهُمْ} [محمد : ١٣].

٥- وصف الجنة ونعيمها، ووصف جهنم وعذابها.

٦- وصف المنافقين وحال اندهاشهم، إذا نزلت سورة فيها الحز على القتال، وقلة تدبرهم القرآن، وموالاتهم المشركين، وتهديدهم بأن الله ينبيء رسوله صلى الله عليه وسلم بسماهم، وتحذير المسلمين من أن يروج عليهم نفاق المنافقين.

٧- أوضحت السورة أن الذين صدوا عن سبيل الله، وشاقوا الرسول من بعد ما وضح الحق وتبين الهدى لن يضرُوا الله شيئاً، وسيحبط أعمالهم، وأنهم إذا ماتوا وهم كفار، فلن يغفر الله لهم.

٨- ختمت السورة بالإشارة إلى وَعَدَّ المسلمين بنوال التمكين، والتحذير إن صار إليهم الأمر من الفساد في الأرض، وقطيعة الرحم، وذمت البخلاء في الإنفاق، وبينت استغناء الحق عن الخلق، وفقر الخلق إلى الحق في قوله سبحانه: {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ} [محمد : ٣٨] (١).

#### ■ الناسخ والمنسوخ:

فيها من المنسوخ آية واحدة: {فَإِمَّا مَأْتِيَنَّكُمْ} [محمد : ٤]، نسختها آية السيف. قال قتادة: "رخص الله لهم أن يمتنعوا على من شاءوا منهم ويأخذوا الفداء منهم إذا أئخنتموهم ثم نسخ ذلك في براءة فقال: {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [النساء : ٨٩]" (٢).

#### ■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عمر: "أنه كان يقرأ في عشاء الآخرة بالذين كفروا والفتح" (٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة محمد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من أنهار الجنة» (٤).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٢٤/١.

(٢) الناسخ والمنسوخ لقتادة: ٤٧.

(٣) فضائل القرآن للمستغفري (٩١٢): ص ٦١٦/٢.

(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٥٨/٨، والواحي في التفسير الوسيط (٨٣١): ص ٩٤/٤. [وقد مرَّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمر بن أبي خثعم يضعف، قال محمد: وهو منكر الحديث".  
وانظر: الموضوعات (١/ ١٨٠)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٦٦): "موضوع".



## القرآن

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١)} [محمد : ١]

التفسير:

الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه، أذهب الله أعمالهم، وأبطلها، وأشقاهم بسببها.

سبب نزول الآيتين: [٢-١]:

عن ابن عباس، في قوله: "{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}" [محمد : ١]، قال: نزلت في أهل مكة، {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [محمد : ٢]، قال: الأنصار<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: "نزلت في اثني عشر رجلا من قريش وهم المطعمون من كفار مكة في مسيرهم إلى قتال النبي- صلى الله عليه وسلم- ببدر منهم أبو جهل، والحارث ابنا هشام، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وأمية وأبي ابنا خلف، ومنبه ونبية ابنا الحجاج، وأبو البخترى بن هشام، وربيع بن الأسود، وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر بن نوفل.. {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [محمد : ٢]: نزلت في بني هاشم وبني المطلب"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [محمد : ١]، أي: "الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، وصدوا الناس عن دينه"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: الذين جحدوا توحيد الله وعبدوا غيره وصدوا من أراد عبادته والإقرار بوحديته، وتصديق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن الذي أراد من الإسلام والإقرار والتصديق"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا}، أي: بآيات الله، {وَصَدُّوا} غيرهم {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}"<sup>(٥)</sup>.

قال السعدي: "هؤلاء رؤساء الكفر، وأئمة الضلال، الذين جمعوا بين الكفر بالله وآياته، والصد لأنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، التي هي الإيمان بما دعت إليه الرسل واتباعه"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عباس: "{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}" أهل مكة"<sup>(٧)</sup>.  
عن قتادة، {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}، قال: "الذين قتلوا يوم أحد"<sup>(٨)</sup>.

عن السدي: "{وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}" [الحج: ٢٥]، "يعني: ويمنعون الناس عن دين الله الإسلام"<sup>(٩)</sup>.

قال السدي: "أما {سبيل الله}: فمحمد- صلى الله عليه وسلم-"<sup>(١٠)</sup>.  
قوله تعالى: {أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد : ١]، أي: "أذهب الله أعمالهم، وأبطلها، وأشقاهم بسببها"<sup>(١١)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٤) تفسير الطبري: ١٥١/٢٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٦/٧.

(٦) تفسير السعدي: ٧٨٤.

(٧) تفسير الثعلبي: ١٦٦-١٦٥/٢٤. ط. دار التفسير، وأخرجه الطبري في "تفسيره": ١٥٢/٢٢، والحاكم في "المستدرک" ٤٩٦ / ٢ (٣٧٠٣ / ٨٤٠) بنحوه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: صحيح.

وزاد السيوطي في "الدر" ١٩ / ٦ عزوه للفرجاني وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه

(٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٧٣) ص ٢٠٤/٣.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٣٦١/١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٧٨): ص ١٦٨٧/٦.

(١١) التفسير الميسر: ٥٠٧.

قال الطبري: "يقول: جعل الله أعمالهم ضلالا على غير هدى وغير رشاد، لأنها عملت في سبيل الشيطان وهي على غير استقامة"<sup>(١)</sup>.

قال ابن قتيبة: أي: "أبطلها، وأصل «الضلال»: الغيبوبة. يقال ضل الماء في اللبن، إذا غاب وغلب عليه، فلم يتبين"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أبطلها وأذهبها، ولم يجعل لها جزاء ولا ثوابا، كقوله تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: ٢٣]"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: أبطل الله أعمالهم، يعني: نفقتهم في غزاة بدر ومسيرهم ومكرهم أبطل الله ذلك كله في الآخرة، أبطل أعمالهم التي عملوا في الدنيا، لأنها كانت في غير إيمان"<sup>(٤)</sup>.

قال الزجاج: "أبطلها فلا يرون في الآخرة لها جزاء، والمعنى: أن حبط ما كان من صدقاتهم وصلتهم الرحم وأبواب البر بكفرهم، كما قال عز وجل: {كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ}، وقوله: {كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ}، وهؤلاء هم الذين صدوا عن النبي - صلى الله عليه وسلم -"<sup>(٥)</sup>.

قال السعدي: "أي: أبطلها وأشقاها بسببها، وهذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق وأولياء الله، أن الله جعل كيدهم في نحورهم، فلم يدركوا مما قصدوا شيئا، وأعمالهم التي يرجون أن يتأبوا عليها، أن الله سيحبطها عليهم، والسبب في ذلك أنهم {اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ}، وهو كل غاية لا يراد بها وجه الله من عبادة الأصنام والأوثان، والأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة، كانت الأعمال لأجلها باطلة"<sup>(٦)</sup>.

وقال الضحاك: "أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الديرة عليهم"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢)} [محمد: ٢]

التفسير:

والذين صدقوا الله واتبعوا شرعه وصدقوا بالكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الحق الذي لا شك فيه من ربهم، عفا عنهم وستر عليهم ما عملوا من السيئات، فلم يعاقبهم عليها، وأصلح شأنهم في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [محمد: ٢]، أي: "إن الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: يقول: "والذين صدقوا الله وعملوا بطاعته، واتبعوا أمره ونهيه"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: آمنت قلوبهم وسرائرهم، وانقادت جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم"<sup>(١١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ١٥١/٢٢.

(٢) غريب القرآن: ٣٥٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٦/٧.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣/٤.

(٥) معاني القرآن: ٥/٥.

(٦) سورة محمد: الآية: ٣. سوف يأتي تفسيره.

(٧) تفسير السعدي: ٧٨٤.

(٨) تفسير الثعلبي: ٢٨/٩.

(٩) التفسير الميسر: ٢٢٤.

(١٠) تفسير الطبري: ١٥١/٢٢.

(١١) تفسير ابن كثير: ٣٠٦/٧.

قال السعدي: " وأما {وَالَّذِينَ آمَنُوا} بما أنزل الله على رسله عموماً، وعلى محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً، {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله، وحقوق العباد الواجبة والمستحبة"<sup>(١)</sup>.

قال مقاتل: " {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، يعني: وأدوا الفرائض"<sup>(٢)</sup>.

قال السمرقندي: " {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، يعني: الطاعات"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عباس: " {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} : الأنصار"<sup>(٤)</sup>.

عن السُّدِّيِّ، في قوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"<sup>(٥)</sup>.

و«الإيمان» في اللغة: " التصديق: قال تعالى عن إخوة يوسف قائلين لأبيهم: {وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين} [البقرة: ٢١٨]؛ وأما في الشرع: فهو التصديق المستلزم للقبول والإذعان"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {وَأْمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ} [محمد: ٢]، أي: " وصدقوا بالكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(٧)</sup>.

قال سفيان الثوري: " يعني: لم يخالفوه في شيء"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وصدقوا بالكتاب الذي أنزل الله على محمد"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: قوله: " {وَأْمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ}، عطف خاص على عام، وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته صلوات الله وسلامه عليه"<sup>(١٠)</sup>.

قوله تعالى: {وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} [محمد: ٢]، أي: " وهو الثابت المؤكد المقطوع بأنه كلام الله ووحية المنزل من عند الله"<sup>(١١)</sup>.

قال مقاتل: " يعني: القرآن"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: " وقوله: {وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} جملة معترضة حسنة"<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} [محمد: ٢]، أي: " عفا عنهم وستر عليهم ما عملوا من السيئات، فلم يعاقبهم عليها"<sup>(١٤)</sup>.

قال الطبري: " يقول: محا الله عنهم بفعلهم ذلك سيئ ما عملوا من الأعمال، فلم يؤاخذهم به، ولم يعاقبهم عليه"<sup>(١٥)</sup>.

قال مقاتل: " يقول: محا عنهم سيئاتهم، يعني: ذنوبهم، الشرك وغيرها بتصديقهم"<sup>(١٦)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٧٨٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٨ / ١.

(٣) بحر العلوم: ٣٧٣ / ١.

(٤) تفسير الثعلبي: ١٦٦ / ٢٤. ط. دار التفسير. وأخرجه الطبري في "تفسيره": ١٥٢ / ٢٢، والحاكم في "المستدرک" ٤٩٦ / ٢ (٣٧٠٣ / ٨٤٠) بنحوه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: صحيح.

وزاد السيوطي في "الدر" ١٩ / ٦ عزوه للفرابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه

(٥) علقه يحيى بن سلام ٦١٨ / ٢.

(٦) تفسير ابن عثيمين: ٦٢ / ٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٨) تفسير الثعلبي: ١٦٥ / ٢٤. ط. دار التفسير. وذكره البغوي في "تفسيره" ٢٧٧ / ٧، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ٢٢٤ / ١٦، وابن عادل في "اللباب" ٤٢٥ / ١٧.

(٩) تفسيراً لطبري: ١٥١ / ٢٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٠٦ / ٧.

(١١) صفوة التفاسير: ١٩١ / ٣.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣ / ٤.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٦ / ٧.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(١٥) تفسيراً لطبري: ١٥١ / ٢٢.

(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣ / ٤.

قال ابن قتيبة: "أي: سترها"<sup>(١)</sup>.  
قال الزجاج: "أي: كَفَرُ عَنْهُمْ وما اقترفوه وَهُمْ كَافِرُونَ لَمَّا آمَنُوا بِاللَّهِ وبالنبى عليه السلام، وسائر الأنبياء أجمعين"<sup>(٢)</sup>.  
قال النحاس: أي: "غطى عليها ولم يؤاخذهم بما عملوا وقت كفرهم"<sup>(٣)</sup>.  
قال السعدي: "كَفَرُوا {عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} صغارها وكبارها، وإذا كفرت سيئاتهم، نجوا من عذاب الدنيا والآخرة"<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: {وَأَصْلِحَ بِاللَّهِمْ} [محمد : ٢]، أي: "وأصلح شأنهم في الدنيا والآخرة"<sup>(٥)</sup>.  
قال مقاتل: "يقول: أصلح بالتوحيد حالهم في سعة الرزق"<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جنانه"<sup>(٧)</sup>.  
قال السعدي: "أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح ثوابهم، بتنميته وتزكيتهم، وأصلح جميع أحوالهم، والسبب في ذلك أنهم: {اتبعوا الحق} (٨) الذي هو الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم، الصادر {مِنْ رَبِّهِمْ} (٩) الذي رباهم بنعمته، ودبرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق فاتبعوه، فصلحت أمورهم، فلما كانت الغاية المقصودة لهم، متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقي الحق المبين، كانت الوسيلة صالحة باقية، باقيا ثوابها"<sup>(١٠)</sup>.  
قال ابن قتيبة: {وَأَصْلِحَ بِاللَّهِمْ}، "أي: حالهم"<sup>(١١)</sup>.  
عن ابن زيد:، قوله: "وَأَصْلِحَ بِاللَّهِمْ}، قال: حالهم"<sup>(١٢)</sup>.  
قال قتادة: "أصلح حالهم"<sup>(١٣)</sup>.  
عن ابن عباس: "وَأَصْلِحَ بِاللَّهِمْ}، قال: أمرهم"<sup>(١٤)</sup>.  
وقال مجاهد: "شأنهم"<sup>(١٥)</sup>. وفي رواية: "أمرهم"<sup>(١٦)</sup>.  
قال الزجاج: "أي: أصْلِحَ امْرَهُمْ وحالهم"<sup>(١٧)</sup>.  
وفي حديث تشميت العاطس: "يهديكُم الله ويصلح بالكم"<sup>(١٨)</sup>.  
عن ابن عباس، في قوله: "{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، قال: الأنصار"<sup>(١٩)</sup>.

- 
- (١) غريب القرآن: ٣٥٢.
  - (٢) معاني القرآن: ٥/٥.
  - (٣) معاني القرآن: ٤٦٠/٦.
  - (٤) تفسير السعدي: ٧٨٤.
  - (٥) التفسير الميسر: ٥٠٧.
  - (٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣/٤.
  - (٧) تفسير الطبري: ١٥١/٢٢.
  - (٨) سورة محمد: الآية: ٣.
  - (٩) سورة محمد: الآية: ٣.
  - (١٠) تفسير السعدي: ٧٨٤.
  - (١١) غريب القرآن: ٣٥٢.
  - (١٢) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢.
  - (١٣) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢.
  - (١٤) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢.
  - (١٥) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢.
  - (١٦) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢، والحاكم ٤٥٧ / ٢ وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.
  - (١٧) معاني القرآن: ٥/٥.
  - (١٨) رواه أبو داود في السنن برقم (٥٠٣٨) والترمذي في السنن برقم (٢٧٣٩) وابن ماجه في السنن برقم (٣٧١٥) وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".
  - (١٩) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٢.

القرآن  
**{ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣)}** [محمد : ٣]

التفسير:

ذلك الإضلال والهدى سببه أن الذين كفروا اتبعوا الشيطان فأطاعوه، وأن الذين آمنوا اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من النور والهدى، كما بيّن الله تعالى فعله بالفريقين أهل الكفر وأهل الإيمان بما يستحقان يضرب سبحانه للناس أمثالهم، فيلحق بكل قوم من الأمثال والأشكال ما يناسبه.

قوله تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ}** [محمد : ٣]، أي: "ذلك الإضلال والهدى سببه أن الذين كفروا اتبعوا الشيطان فأطاعوه، وأن الذين آمنوا اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من النور والهدى" (١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهذين الفريقين من إضلالنا أعمال الكافرين، وتكفيرنا عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، جزاء منا لكل فريق منهم على فعله. أما الكافرون فأضللنا أعمالهم، وجعلناها على غير استقامة وهدى، بأنهم اتبعوا الشيطان فأطاعوه، وهو الباطل، وأما المؤمنون فكفرنا عنهم سيئاتهم، وأصلحنا لهم حالهم بأنهم اتبعوا الحق الذي جاءهم من ربهم، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاءهم به من عند ربه من النور والبرهان" (٢).

قال الزجاج: "أي: الأمر ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل، وجائز أن يكون ذلك الإضلال لاتباعهم الباطل، وتلك الهداية والكفارات باتباع المؤمنين الحق" (٣).

قال السمعاني: "أي: ذلك الذي فعلناه من إحباط أعمال الكفار، وقبول أعمال المؤمنين وتكفير سيئاتهم وإصلاح بالهم، كان بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم" (٤).

قال ابن كثير: "أي: إنما أبطلنا أعمال الكفار، وتجاوزنا عن سيئات الأبرار، وأصلحنا شؤونهم؛ لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل، أي: اختاروا الباطل على الحق، {وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ} (٥)".

قال الشوكاني: "أي: الأمر ذلك بسبب أن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم فالباطل: الشرك، والحق: التوحيد والإيمان، والمعنى: أن ذلك الإضلال لأعمال الكافرين بسبب اتباعهم الباطل من الشرك بالله والعمل بمعاصيه، وذلك التكفير لسيئات المؤمنين وإصلاح بالهم بسبب اتباعهم للحق الذي أمر الله باتباعه من التوحيد والإيمان وعمل الطاعات" (٦).

قال مجاهد: "الباطل: الشيطان" (٧).

عن ابن عباس: "ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ: يعني: الشرك"، {وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ} قال ابن عباس: يعني التوحيد وتصديق النبي -صلى الله عليه وسلم- (٨).

(١) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢) تفسير الطبري: ١٥٣/٢٢.

(٣) معاني القرآن: ٥/٥.

(٤) تفسير السمعاني: ١٦٧/٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٦/٧.

(٦) فتح القدير: ٣٦/٥.

(٧) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٢.

(٨) التفسير البسيط للواحدى: ٢١٤/٢٠، انظر: "تفسير أبي الليث" السمرقندي ٣/ ٢٤٠، و"الجامع" للقرطبي ١٦/ ٢٢٥، ولم أقف على الشطر الثاني من النص.

قوله تعالى: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ} [محمد : ٣]، أي: "كما بيّن الله تعالى فعله بالفريقين أهل الكفر وأهل الإيمان بما يستحقان يضرب سبحانه للناس أمثالهم، فيلحق بكل قوم من الأمثال والأشكال ما يناسبه"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول عزّ وجلّ: كما بينت لكم أيها الناس فعلي بفريق الكفر والإيمان، كذلك نمثل للناس الأمثال، ونشبه لهم الأشباه، فلحق بكل قوم من الأمثال أشكالا"<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "أي: كذلك يبين الله للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين، أي: كالبيان الذي ذكر، ومعنى قول القائل: ضربت لك مثلاً، أي بينت لك ضرباً من الأمثال، أي صنفاً منها"<sup>(٣)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: مثل ذلك الضرب يبين للناس أمثالهم، أي: أحوال الفريقين الجارية مجرى الأمثال في الغرابة"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: يبين لهم مآل أعمالهم، وما يصيرون إليه في معادهم"<sup>(٥)</sup>.  
قال عطاء: يريد: "فمصير الذين كفروا إلى النار، ومصير الذين آمنوا إلى الجنة"<sup>(٦)</sup>.

فوائد الآيات: [٣-١]:

١- بيان طريقي الفلاح والخسران وطريق الفلاح والإيمان والعمل الصالح وطريق الخسران والشرك والمعاصي.

٢- ومن الفوائد: بطلان قول من قال: أن الأعمال كلها ما خلا الاعتقاد والإقرار ليست بإيمان، وبينها في كتابه فقال: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات} فثبت بذلك أن الأعمال ليست بإيمان.

٣- بيان أعمال البر مع الكفر والشرك لا تنفع صاحبها يوم القيامة ولا تشفع له وقد يثاب عليها في الدنيا فيبارك له في ماله وولده.

٤- بيان الحكمة في ضرب الأمثال وهي هداية الناس إلى ما يفلحون به، فينجون من النار ويدخلون الجنة.

## القرآن

{فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَمْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْهِمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦)} [محمد : ٤-٦]

التفسير:

فإذا لقيتم -أيها المؤمنون- الذين كفروا في ساحات الحرب فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق، حتى إذا أضعفتموهم بكثرة القتل، وكسرتهم شوكتهم، فأحكموا قيد الأسرى: فإما أن تمؤوا عليهم بفك أسرهم بغير عوض، وإما أن يفادوا أنفسهم بالمال أو غيره، واستمرؤوا على ذلك حتى تنتهي الحرب. ذلك الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومداولة الأيام بينهم، ولو يشاء الله لانتصر للمؤمنين من الكافرين بغير قتال، ولكن جعل عقوبتهم على أيديكم، فشرع الجهاد؛ ليختبركم بهم، ولينصر بكم دينه. والذين قُتلوا في سبيل الله من المؤمنين فلن يُبطل الله ثواب أعمالهم، سيوفقهم أيام حياتهم في الدنيا إلى طاعته ومرضاته، ويُصلح حالهم وأمورهم وثوابهم في الدنيا والآخرة، ويدخلهم الجنة، عرفهم بها ونعتها لهم، ووقفهم للقيام بما أمرهم به - ومن جملته الشهادة في سبيله-، ثم عرفهم إذا دخلوا الجنة منازلهم بها.

(١) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢) تفسير الطبري: ١٥٣/٢٢.

(٣) معاني القرآن: ٥/٥.

(٤) فتح القدير: ٣٦/٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٦/٧.

(٦) التفسير البسيط للواحدى: ٢٠٤/٢٠، ولم أقف عليه.

قوله تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ} [محمد : ٤]، أي: "فإذا لقيتم -أيها المؤمنون- الذين كفروا في ساحات الحرب فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق"<sup>(١)</sup>.  
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لفريق الإيمان به وبرسوله: {فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا} بالله ورسوله من أهل الحرب، فاضربوا رقابهم"<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "معناه: فاضربوا الرقاب ضرباً، منصوباً على الأمر، وتأويله: فإذا لقيتم الذين كفروا فاقتلوهم، ولكن أكثر مواقع القتل ضرب العنق، فأعلمهم الله - عزَّ وجلَّ - كيف القصد، وكيف قال: {واضربوا منهم كلاً بنان}، أي: فليس يتوهم بهذا أن الضرب محظور إلا على الرقبة فقط"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مرشداً للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين: {فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ}، أي: إذا واجهتموهم فاحصدوهم حصداً بالسيوف"<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن عطية: "قوله: {فَضَرْبَ الرِّقَابِ}، مصدر بمعنى الفعل، أي: فاضربوا رقابهم وعين من أنواع القتل أشهره وأعرفه فذكره، والمراد: اقتلوهم بأي وجه أمكن، قد زادت آية: {واضربوا منهم كلاً بنان} [الأنفال: ١٢] وهي من أنكى ضربات الحرب، لأنها تعطل من المضروب جميع جسده، إذ البنان أعظم آلة المقاتل وأصلها"<sup>(٥)</sup>.  
عن السدي: {فَضَرْبَ الرِّقَابِ}: "أنه قتلهم بالسلاح واليدين"<sup>(٦)</sup>.

عن ابن جريج في قوله: "فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم" قال: مشركي العرب يقول {فاضربوا رقابهم} قال: حتى يقولوا لا إله إلا الله"<sup>(٧)</sup>.

قال الطنطاوي: "التعبير عن القتل بقوله: {فَضَرْبَ الرِّقَابِ}، لتصويره في أفطح صورته. ولتهويل أمر هذا القتال، ولإرشاد المؤمنين إلى ما يجب عليهم فعله"<sup>(٨)</sup>.

قال الزمخشري: "فَضَرْبَ الرِّقَابِ} أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافاً إلى المفعول. وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد، لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنسبة التي فيه. وضرب الرقاب عبارة عن القتل، لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء، وذلك أنهم كانوا يقولون: ضرب الأمير رقبة فلان، وضرب عنقه وعلاوته، وضرب ما فيه عيناه إذا قتله، وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبتة، فوقع عبارة عن القتل، وإن ضرب بغير رقبتة من المقاتل على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل، لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه. ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى: {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا أَثَخَّنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ} [محمد : ٤]، أي: "حتى إذا أضعفتموهم بكثرة القتل، وكسرتهم شوكتهم، فأحكموا قيد الأسرى"<sup>(١٠)</sup>.

قال سعيد بن جبیر: "لا تأسروهم ولا تفادوهم حتى تتخنوهم بالسيوف"<sup>(١١)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: حتى إذا غلبتموهم وقهرتم من لم تضربوا رقبتة منهم، فصاروا في أيديكم أسرى، فشدهم في الوثاق كيلاً يقتلوكم، فيهربوا منكم"<sup>(١)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢) تفسير الطبري: ١٥٣/٢٢.

(٣) معاني القرآن: ٦/٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٧.

(٥) المحرر الوجيز: ١١٠/٥.

(٦) النكت والعيون: ٢٩٣/٥.

(٧) الدر المنثور: ٤٥٧/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨) التفسير الوسيط: ٢٢٠/١٣.

(٩) الكشف: ٣١٦/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(١١) الدر المنثور: ٤٥٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

قال الزجاج: " {أَخْنَنُوهُمْ} : أكثرتم فيهم القتل، كما قال: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخَنَ فِي الْأَرْضِ}، فالأسر بعد المبالغة في القتل" (٢).  
قال النحاس: "أي: لئلا يهربوا أو يلحقكم منهم مكروه. والإثخان المبالغة بالضرب مشتق من قولهم: شيء تخين، أي: متكاتف" (٣).

قال البيهقي: يقول: " {حتى إذا} بالغتم في القتل وقهرتموهم، {فسدوا الوثاق} يعني في الأسر حتى لا يفلتوا منكم، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل" (٤).

قال ابن كثير: " {حتى إذا أَخْنَنُوهُمْ فَسَدُوا}، أي : أهلكتموهم قتلا {فسدوا} وثاق الأسارى الذين تأسروهم، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم، إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتم أسرارهم مجاناً، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشاطرونهم عليه. والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر، فإن الله، سبحانه، عاتب المؤمنين على الاستكثار من الأسارى يومئذ ليأخذوا منهم الفداء، والنقل من القتل يومئذ فقال: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [ الأنفال : ٦٧ ، ٦٨ ]" (٥).

قوله تعالى: {فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فَدَاءٌ} [محمد : ٤]، أي: "فإنما أن تمؤوا عليهم بفك أسرهم بغير عوض، وإنما أن يفادوا أنفسهم بالمال أو غيره" (٦).

قال الطبري: "يقول: فإذا أسرتموهم بعد الإثخان، فإنما أن تمنوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر، وتحرروهم بغير عوض ولا فدية، وإنما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من أنفسهم عوضاً حتى تطلقوهم، وتخلوا لهم السبيل" (٧).

قال الزجاج: "أي: بعد أن تأسروهم إما مننتم عليهم مناً، وإما أطلقتموهم بفداء" (٨).  
واختلف في حكم قوله تعالى: {حتى إذا أَخْنَنُوهُمْ فَسَدُوا} الوفاق فإنما مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فَدَاءٌ [محمد : ٤]، على قولين:

أحدهما: أنه منسوخ بقوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥]، وقوله: {فَأَمَّا تَتَقَفَّتْهُمُ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ} [الأنفال : ٥٧]. وهذا مذهب ابن عباس (٩)، والضحاك (١٠)، ابن جريج (١١)، والسدي (١٢)، وأبي حنيفة (١٣).

قال ابن جريج: "نسخها قوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥]" (١٤).  
قال السدي: "نسخها: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥]" (١٥).  
وقال قتادة: "نسخها قوله: {فَأَمَّا تَتَقَفَّتْهُمُ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ} [الأنفال : ٥٧]" (١٦).

(١) تفسير الطبري: ١٥٣/٢٢.

(٢) معاني القرآن: ٦/٥.

(٣) إعراب القرآن: ١١٨/٤.

(٤) تفسير البيهقي: ٢٧٨/٧.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٧.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٧) تفسير الطبري: ١٥٤/٢٢.

(٨) معاني القرآن: ٦/٥.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٢.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٢.

(١٣) حكاة عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٥٨٣/٢.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٢.

(١٥) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٢.

(١٦) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٢.



وقال قتادة: "كان المسلمون إذا لقوا المشركين قاتلوهم، فإذا أسروا منهم أسيرا، فليس لهم إلا أن يُفادوه، أو يمنوا عليه، ثم يرسلوه، فنسخ ذلك بعد قوله: {فَإِمَّا تَقَفُّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَسَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ}، أي: عظ بهم من سواهم من الناس لعلهم يدكرون"<sup>(١)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: {فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ} ... إلى آخر الآية، قال: الفداء منسوخ، نسختها: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ} ... إلى {كُلَّ مَرْصِدٍ}، قال: فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا حرمة بعد براءة، وانسلاخ الأشهر الحرم"<sup>(٢)</sup>.

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً}، هذا منسوخ، نسخه قوله: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}، فلم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة بعد براءة"<sup>(٣)</sup>.

عن عبد الكريم الجزري، قال: "كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه في أسير أسر، فذكر أنهم التمسوه بفداء كذا وكذا، فقال أبو بكر: اقتلوه، لقتل رجل من المشركين، أحب إلي من كذا وكذا"<sup>(٤)</sup>.

الثاني: أنها محكمة، وأن حكم المن والفداء باق لم ينسخ، وهذا مذهب ابن عمر<sup>(٥)</sup>، وبه قال الحسن<sup>(٦)</sup>، وعطاء<sup>(٧)</sup>، وهو قول الثوري<sup>(٨)</sup>، والشافعي<sup>(٩)</sup>، وأحمد<sup>(١٠)</sup>، وإسحاق<sup>(١١)</sup>، وابن سيرين<sup>(١٢)</sup>. وحكاه البيهقي وابن كثير عن الأكثرين<sup>(١٣)</sup>.

قال الحسن: "أتى الحجاج بأسارى، فدفع إلى ابن عمر رجلا يقتله، فقال ابن عمر: ليس بهذا أمرنا، قال الله عز وجل: {حَتَّىٰ إِذَا أَنخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً}، قال: البكاء بين يديه، فقال الحسن: لو كان هذا وأصحابه لا يتدروا إليهم"<sup>(١٤)</sup>.

عن ابن جريج: "عن عطاء: أنه كان يكره قتل المشرك صبوا، قال: ويتلو هذه الآية {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً}"<sup>(١٥)</sup>.

قال الحسن: "لا تقتل الأسارى إلا في الحرب يهيب بهم العدو"<sup>(١٦)</sup>.

عن معمر، عن رجل من أهل الشام ممن كان يحرس عمر بن عبد العزيز، وهو من بني أسد، قال: "ما رأيت عمر رحمه الله قتل أسيرا إلا واحدا من الترك كان جيء بأسارى من الترك، فأمر بهم أن يُسترقوا، فقال رجل ممن جاء بهم: يا أمير المؤمنين، لو كنت رأيت هذا لأحدهم وهو يقتل المسلمين لكثير بكاؤك عليهم، فقال عمر: فدونك فاقتله، فقام إليه فقتله"<sup>(١٧)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٢.

(٣) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٢.

(٤) أخرجه الطبري: ١٥٤-١٥٥/٢٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٢.

(٦) حكاه عنه البيهقي في التفسير: ٢٧٨/٧.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٢-١٥٦، وتفسير البيهقي: ٢٧٨/٧.

(٨) حكاه عنه البيهقي في التفسير: ٢٧٨/٧.

(٩) حكاه عنه البيهقي في التفسير: ٢٧٨/٧، وابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٥٨٣/٢.

(١٠) حكاه عنه البيهقي في التفسير: ٢٧٨/٧، وابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٥٨٣/٢.

(١١) حكاه عنه البيهقي في التفسير: ٢٧٨/٧.

(١٢) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٥٨٣/٢.

(١٣) انظر: تفسير البيهقي: ٢٧٨/٧، وتفسير ابن كثير: ٣٠٧/٧.

(١٤) قال المحقق: "لعله سقط من الأصل هنا كلمة أو نحوها، مثل اشتد أو علا، أو ارتفع أي ارتفع: بكاء الأسرى بين يدي الحجاج".

(١٥) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٢.

(١٦) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٢-١٥٦.

(١٧) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٢.

(١٨) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٢.

قال الطبري: " والصواب من القول عندنا في ذلك أن هذه الآية محكمة غير منسوخة، وذلك أن صفة الناسخ والمنسوخ ما قد بينا في غير موضع في كتابنا إنه ما لم يجز اجتماع حكميهما في حال واحدة، أو ما قامت الحجة بأن أحدهما ناسخ الآخر، وغير مستنكر أن يكون جعل الخيار في المنّ والفداء والقتل إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلى القائمين بعده بأمر الأمة، وإن لم يكن القتل مذكورا في هذه الآية، لأنه قد أذن بقتلهم في آية أخرى، وذلك قوله {فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} ... الآية، بل ذلك كذلك، لأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذلك كان يفعل فيمن صار أسيرا في يده من أهل الحرب، فيقتل بعضا، ويفادي ببعض، ويمنّ على بعض، مثل يوم بدر قتل عتبة بن أبي معيط وقد أتى به أسيرا، وقتل بني قريظة، وقد نزلوا على حكم سعد، وصاروا في يده سلما، وهو على فدائهم، والمنّ عليهم قادر، وفادي بجماعة أسارى المشركين الذين أسروا ببدر، ومنّ على ثمامة بن أثال الحنفي، وهو أسير في يده، ولم يزل ذلك ثابتا من سيره في أهل الحرب من لدن أذن الله له بحربهم، إلى أن قبضه إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائما ذلك فيهم، وإنما ذكر جلّ ثناؤه في هذه الآية المنّ والفداء في الأسارى، فخصّ ذكرهما فيها، لأن الأمر بقتلها والإذن منه بذلك قد كان تقدم في سائر أي تنزيله مكررا، فأعلم نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما ذكر في هذه الآية من المنّ والفداء ما له فيهم مع القتل" (١).

قوله تعالى: {حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [محمد : ٤]، أي: " واستمروا على ذلك حتى تنتهي الحرب بوضع آلاتها وأثقالها" (٢).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: فإذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا رقابهم، وافعلوا بأسراهم ما بينت لكم، حتى تضع الحرب أثامها وأثقال أهلها، المشركين بالله بأن يتوبوا إلى الله من شركهم، فيؤمنوا به وبرسوله، ويطيعوه في أمره ونهيه، فذلك وضع الحرب أوزارها" (٣).

وفي قوله تعالى: {حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [محمد : ٤]، وجوه من التفسير: أحدها: أن أوزار الحرب أثقالها، والوزر: «التقل، ومنه: وزير الملك، لأنه يتحمل عنه الأثقال، وأثقالها السلاح. قاله ابن قتيبة» (٤)، والسجستاني (٥).

قال ابن قتيبة: " أي: يضع أهل الحرب السلاح، وأصل «الوزر»: ما حملته؛ فسمي السلاح «أوزارا»، لأنه يحمل" (٦).

الثاني: أنه وضع سلاحهم بالهزيمة أو المواعدة، قال الأعشى (٧):  
وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا ... رَمَاحًا طَوَالًا وَخَيْلًا دُكُورًا  
وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ يُحْدَى بِهَا ... عَلَى أَثَرِ الْحَيِّ عَيْرًا فَعِيرًا  
الثالث: حتى تضع الحرب أوزار كفرهم بالإسلام، حتى لا يبقى إلا مسلم، قاله الفراء (٨)،  
والزجاج (٩).

قال الزجاج: " حتى يؤمنوا ويُسَلِّمُوا، فلا يجب أن تحاربوهم، فما دام الكفر فالجهاد والحرب قائمة أبدا" (١٠).

(١) تفسير الطبري: ١٥٦/٢٢-١٥٧.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٧، وصفوة التفاسير: ١٩٢/٣.

(٣) تفسير الطبري: ١٥٧/٢٢.

(٤) انظر: غريب القرآن: ٤٠٩.

(٥) انظر: غريب القرآن: ٥٨.

(٦) غريب القرآن: ٤٠٩.

(٧) البيهقي في ديوانه ٧١، وتفسير القرطبي. وأولهما في اللسان ١٤٥/٧. ونسبه ابن عطية -على ما في البحر

٧٤/٦- إلى عمرو بن معديكرب. وثانيهما في اللسان ٣٤٢/١٧. والرواية فيه:

" ... داود موضونة ... يساق بها ... وفي الديوان: "موضونة تساق مع".

(٨) انظر: معاني القرآن: ٥٧/٣.

(٩) انظر: معاني القرآن: ٦/٥.

(١٠) معاني القرآن: ٦/٥.

قال الفراء: "و«الهاء» التي في {أوزارها}، تكون للحرب وأنت تعني: أوزار أهلها، وتكون لأهل الشرك خاصة، كقولك: حتى تنفي الحرب أوزار المشركين"<sup>(١)</sup>.

الرابع: حتى لا يكون شرك. قاله قتادة<sup>(٢)</sup>، والكلي<sup>(٣)</sup>، ومقاتل<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن كثير: "وهذا كقوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [البقرة: ١٩٣]"<sup>(٥)</sup>.

قال الكلي: "حتى يظهر الإسلام على الدين كله"<sup>(٦)</sup>.  
وقال مقاتل: "يعني: ترك الشرك، حتى لا يكون في العرب مشرك"<sup>(٧)</sup>.  
وعن مقاتل: "إذا أسلمت العرب وضعت الحرب أوزارها، وقال في سورة الصف: {فَأَيُّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف: ١٤] بمحمد- صلى الله عليه وسلم- حين أسلمت العرب"<sup>(٨)</sup>.

وعن قتادة: {حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}، قال: "حتى لا يكون شرك، والحرب من كان يقاتله سمي هو حرباً"<sup>(٩)</sup>.

الخامس: حتى ينزل عيسى ابن مريم، قاله مجاهد<sup>(١٠)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(١١)</sup>.  
قال مجاهد: "حتى يخرج عيسى ابن مريم، فيسلم كلَّ يهودي نصراني وصاحب ملة، وتأمين الشاة من الذئب، ولا تقرض فأرة جرابا، وتذهب العداوة من الأشياء كلها، ذلك ظهور الإسلام على الدين كله، وينعم الرجل المسلم حتى تقطر رجله دما إذا وضعها"<sup>(١٢)</sup>.  
قال الماتريدي: المعنى: "حتى يخرج عيسى ابن مريم - عليهما السلام - فعند ذلك تذهب الحروب والقتال، أي: اقتلوهم، وافعلوا بهم ما ذكر إلى وقت خروج عيسى - عليه السلام -"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن كثير: "وكان مجاهد أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال»"<sup>(١٤)</sup><sup>(١٥)</sup>.

عن جُبَيْر بن نُفَيْر؛ أن سلمة بن نُفَيْل أخبرهم: أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني سببت الخيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، وقلت: "لا قتال" فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يُزيغ الله قلوب أقوام فيقاتلونهم: ويرزقهم الله منهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. ألا إن عُقْرَ دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"<sup>(١٦)</sup>.  
عن النواس بن سمعان قال: "لما فتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح فقالوا: يا رسول الله، سببت الخيل، ووضعت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قالوا: لا قتال، قال:

- (١) معاني القرآن: ٥٧/٣-٥٨.
- (٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢٢.
- (٣) انظر: النكت والعيون: ٢٩٣/٥.
- (٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤/٤.
- (٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٨/٧.
- (٦) انظر: النكت والعيون: ٢٩٣/٥.
- (٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤/٤.
- (٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤/٤.
- (٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٧٢): ص ٢٠٣/٣، والطبري: ١٥٨/٢٢ [باختصار].
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢٢.
- (١١) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٦٣/٦. بدون سند.
- (١٢) أخرجه الطبري: ١٥٧/٢٢.
- (١٣) تأويلات أهل السنة: ٢٦٥/٩.
- (١٤) رواه أبو داود في السنن برقم (٢٤٨٤) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.
- (١٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٨/٧.
- (١٦) المسند (١٠٤/٤) وسنن النسائي (٢١٤/٦).

"كذبوا، الآن، جاء القتال، لا يزال الله يُرَفِّع قلوب قوم يقاتلونهم، فيرزقهم منهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وعُفِّرَ دار المسلمين بالشام"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ} [محمد : ٤]، أي: "ذلك الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين ومداولة الأيام بينهم، ولو يشاء الله لانتصر للمؤمنين من الكافرين بغير قتال"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده"<sup>(٣)</sup>.  
قال الزجاج: "أي: لو يشاء الله لعدبهم وأهلكهم لأنه قادرٌ على ذلك"<sup>(٤)</sup>.  
قال الفراء: "بملائكة غيركم، ويُقال: بغير قتال، ولكن ليبلو بعضكم ببعض، المؤمن بالكافر، والكافر بالمؤمن"<sup>(٥)</sup>.

عن ابن جريج: {ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ}، قال: "لأرسل عليهم ملكا، فدمر عليهم"<sup>(٦)</sup>.

عن قتادة: "وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ"، إي والله بجنوده الكثيرة كلَّ خلقه له جند، ولو سلط أضعف خلقه لكان جندا"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ} [محمد : ٤]، أي: "ولكنه أمركم بجهادهم ليختبر بعضكم ببعض"<sup>(٨)</sup>.

قال الزجاج: "المعنى: ولكن أمركم بالحرب ليبلو بعضكم ببعض، أي: ليمحص الله المؤمنين ويمحق الكافرين"<sup>(٩)</sup>.

قال النحاس: "أي: ليمحص المؤمنين ويمحق الكافرين"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليختبركم، ويبلو أخباركم. كما ذكر حكمته في شرعية الجهاد في سورتي «آل عمران» و«براءة»، في قوله: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ} [آل عمران : ١٤٢]، وقال في سورة براءة: {فَاتْلُوهُمْ يُعَدِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُدْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة : ١٤، ١٥]

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد : ٤]، أي: "والذين قاتلوا في سبيل الله من المؤمنين فلن يُبْطِلَ اللهُ ثواب أعمالهم"<sup>(١١)</sup>.

قال الزجاج: "ذكر في أول السورة: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}، وأعلم أن الذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم"<sup>(١٢)</sup>.

(١) رواه أبو القاسم البغوي والحافظ أبو يعلى الموصلي، نقلًا عن: تفسير ابن كثير: ٣٠٨/٧، ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٦١٧) "موارد" من طريق أبي يعلى عن داود بن رشيد به، ورواه النسائي في السنن (٢١٤/٦) من طريق إبراهيم بن أبي عبلة، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل مرفوعا بنحوه.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٨/٧.

(٤) معاني القرآن: ٧/٥.

(٥) معاني القرآن: ٥٨/٣.

(٦) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري: ١٥٨/٢٢.

(٨) التفسير الميسر: ٥٠٧. [بتصرف]

(٩) معاني القرآن: ٧/٥.

(١٠) معاني القرآن: ٤٦٥/٦.

(١١) تفسير ابن كثير: ٣٠٨/٧-٣٠٩.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(١٣) معاني القرآن: ٧/٥.

قال ابن كثير: "أي: لن يذهبها بل يكثرها وينميها ويضاعفها. ومنهم من يجري عليه عمله في طول برزخه"<sup>(١)</sup>.

عن قتادة: {وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ}: «الذين قتلوا يوم أحد»<sup>(٢)</sup>.  
عن قيس الجذامي - رجل كانت له صحبة - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه: يُكفر عنه كل خطيئة، ويرى مقعده من الجنة، ويزوج من الحور العين، ويؤمن من الفرع الأكبر، ومن عذاب القبر، ويحلى حلة الإيمان"<sup>(٣)</sup>.

عن المقدم بن معد يكرب الكندي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن للشهيد عند الله ست خصال: أن يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويؤمن من الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشق في سبعين إنسانا من أقاربه"<sup>(٤)</sup>.  
وقال أبو الدرداء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته"<sup>(٥)</sup>.

عن عبد الله بن عمرو، وعن أبي قتادة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يُغفر للشهيد كل شيء إلا الذنوب"<sup>(٦)</sup>.  
قوله تعالى: {سَيَهْدِيهِمْ} [محمد: ٥]، أي: "سيوفقهم أيام حياتهم في الدنيا إلى طاعته ومرضاته"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "قول تعالى ذكره: سيوفق الله تعالى ذكره للعمل بما يرضى ويحب، هؤلاء الذين قاتلوا في سبيله"<sup>(٨)</sup>.  
قال البغوي: {سَيَهْدِيهِمْ} أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات"<sup>(٩)</sup>.

وقال ابن عطية: {سَيَهْدِيهِمْ}، أي: إلى طريق الجنة"<sup>(١٠)</sup>.  
قال ابن كثير: {سَيَهْدِيهِمْ}، أي: إلى الجنة، كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [يونس: ٩]"<sup>(١١)</sup>.  
وقال سهل: "يعني: سيهديهم في قبورهم لجواب منكر ونكير"<sup>(١٢)</sup>.  
قوله تعالى: {وَيُصَلِّحُ بِأَلْهَمِهِمْ} [محمد: ٥]، أي: "ويصلح حالهم وأمورهم وثوابهم في الدنيا والآخرة"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: أي: "ويصلح أمرهم وحالهم في الدنيا والآخرة"<sup>(١٤)</sup>.

- 
- (١) تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٧.  
(٢) تفسير عبدالرزاق (٢٨٧٣): ص ٢٠٤/٣.  
(٣) المسند (٢٠٠/٤) قال الهيثمي في المجمع (٢٩٣/٥): "فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وثقه أبو حاتم وجماعة وضعفه جماعة".  
(٤) المسند (١٣١/٤) وسنن الترمذي برقم (١٦٦٣) وسنن ابن ماجه برقم (٢٧٩٩).  
(٥) سنن أبي داود برقم (٢٥٢٢).  
(٦) صحيح مسلم برقم (١٨٨٦).  
(٧) التفسير الميسر: ٥٠٧.  
(٨) تفسير الطبري: ١٦٠-١٥٩/٢٢.  
(٩) تفسير البغوي: ٢٨٠/٧.  
(١٠) المحرر الوجيز: ١١١/٥.  
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٧.  
(١٢) تفسير التستري: ١٤٥.  
(١٣) التفسير الميسر: ٥٠٧.  
(١٤) تفسير الطبري: ١٦٠/٢٢.

قال ابن كثير: "أي: أمرهم وحالهم"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن عباس: أي: "أمرهم"<sup>(٢)</sup>.  
قال الضحاك: أي: "شأنهم"<sup>(٣)</sup>.  
قال البغوي: "يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم"<sup>(٤)</sup>.  
قال الزجاج: "يصلح لهم أمر معاشهم في الدنيا مع ما يجازيهم به في الآخرة، كما قال - عز وجل -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦]، أي: لو أنهم قبلوا ما فيها وما في الكتب وعملوا به لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وكما قال: ﴿اسْتَعْرَبُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾ [نوح: ١٠-١٢]، فوعد الله عز وجل المؤمنين إصلاح شأنهم وبالهم في الدنيا والآخرة"<sup>(٥)</sup>.  
قال النحاس: "«البال» - في اللغة - يعبر عنه بالأمر والشأن والحال"<sup>(٦)</sup>.  
قال محمد بن يزيد: "وقد يكون للبال موضع آخر يكون بمعنى: القلب. يقال: ما يخطر هذا على بالي، أي: على قلبي"<sup>(٧)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَها لَهُمْ﴾ [محمد: ٦]، أي: "ويدخلهم الجنة، عرفهم بها ونعتها لهم، ثم عرفهم إذا دخلوا الجنة منازلهم بها"<sup>(٨)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: ويدخلهم الله جنته عرفها ويبينها لهم، حتى إن الرجل ليأتي منزله منها إذا دخلها كما كان يأتي منزله في الدنيا، لا يشك عليه ذلك"<sup>(٩)</sup>.  
وفي قوله تعالى: ﴿عَرَفَها لَهُمْ﴾ [محمد: ٦]، وجوه من التفسير:  
أحدها: عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يسألون عنها، قاله مجاهد<sup>(١٠)</sup>، وقتادة<sup>(١١)</sup>، وابن زيد<sup>(١٢)</sup>، وهو قول أكثر المفسرين<sup>(١٣)</sup>.  
قال البغوي: "أي: بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطؤون ولا يستدلون عليها أحدا كأنهم سكانها منذ خلقوا، فيكون المؤمن أهدى إلى درجته، وزوجته وخدمه منه إلى منزله وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسرين"<sup>(١٤)</sup>.  
قال القرطبي: "أي: إذا دخلوها يقال لهم تفرقوا إلى منازلكم، فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم"<sup>(١٥)</sup>.  
عن قتادة، قوله: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَها لَهُمْ﴾، قال: أي منازلهم فيها"<sup>(١٦)</sup>.  
قال مجاهد: "يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم لا يخطئون، كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا"<sup>(١)</sup>.

- (١) تفسير ابن كثير: ٣١٠/٧.
- (٢) رواه عنه النحاس في إعراب القرآن: ١١٨/٤. بدون سند.
- (٣) رواه عنه النحاس في إعراب القرآن: ١١٨/٤. بدون سند.
- (٤) تفسير البغوي: ٢٨٠/٧.
- (٥) معاني القرآن: ٧/٥.
- (٦) إعراب القرآن: ١١٨/٤.
- (٧) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ١١٨/٤.
- (٨) التفسير الميسر: ٥٠٧. [بتصرف]
- (٩) تفسير الطبري: ١٦٠/٢٢.
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢٢.
- (١١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢٢.
- (١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢٢.
- (١٣) حكاه عن الأكثرين، البغوي في التفسير: ٢٨٠/٧، والقرطبي في التفسير: ٢٣١/١٦.
- (١٤) تفسير البغوي: ٢٨٠/٧.
- (١٥) تفسير القرطبي: ٢٣١/١٦.
- (١٦) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٢.

قال ابن زيد: "بلغنا عن غير واحد قال: يدخل أهل الجنة الجنة، ولهم أعرف بمنزلهم فيها من منازلهم في الدنيا التي يختلفون إليها في عمر الدنيا؛ قال: فتلك قول الله جل ثناؤه {وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ}"<sup>(٢)</sup>.

وقال سلمة بن كهيل: "عرفهم طرقها"<sup>(٣)</sup>.

قال الحسن: "وصف الجنة لهم في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها"<sup>(٤)</sup>.

عن أبي سعيد الخدري، قال: "إذا نجى الله المؤمنين من النار حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتصَّ بعضهم من بعض مظالم كثيرة كانت بينهم في الدنيا، ثم يُؤذن لهم بالدخول في الجنة، قال: فما كان المؤمن بأدلَّ بمنزله في الدنيا منه بمنزله في الجنة حين يدخلها"<sup>(٥)</sup>.

وقال مقاتل بن حيان: "بلغنا أن الملك الذي كان وُكِّلَ بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه في الجنة، ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له، فيعرفه كل شيء أعطاه الله في الجنة، فإذا انتهى إلى أقصى منزله في الجنة دخل إلى منزله وأزواجه، وانصرف الملك عنه"<sup>(٦)</sup>.

الثاني: عرفها بوصفها على ما يشوق إليها، حكاها ابن عيسى<sup>(٧)</sup>.

الثالث: معنى {عَرَفَهَا لَهُمْ}، أي: طَيَّبَهَا بأنواع الملاذ، مأخوذ من «العرف»، وهي الرائحة الطيبة، يقال: طعام معرف؛ أي: مطيب. حكاها ابن قتيبة عن أهل اللغة<sup>(٨)</sup>. واستشهد بقول الشاعر<sup>(٩)</sup>:

فَتَدْخُلُ أَيْدٍ فِي حَنَاجِرٍ أَفْنَعَتْ ... لِعَادَتِهَا مِنَ الْخَزِيرِ الْمُعْرِفِ

قال النحاس: وهذا القول "ليس بمرتب، لأنه: يقال طعام معرف، أي: مطيب"<sup>(١٠)</sup>.

الرابع: أن معنى «عَرَفَهَا»: أي: رفعها، مأخوذ من: العرف، لارتفاعه. حكاها النحاس<sup>(١١)</sup>.

الخامس: عرف المكلفين من عبادته بأنها لهم. حكاها النحاس-أيضا-<sup>(١٢)</sup>.

السادس: عرفهم ما لهم فيها من الكرامة، حكاها الماوردي<sup>(١٣)</sup>.

السابع: أنه عرف أهل السماء أنها لهم إظهاراً لكرامتهم فيها. أفاده الماوردي<sup>(١٤)</sup>.

قال النحاس: "القول الأول - وإن كان بعض أهل اللغة قد أنكره وقال لو كان كذا لقال عرفهم بها- أحسن الأقوال وأصحها ولا يلزم هذا الرد، والمعنى: بيَّنها لهم فتبينوها"<sup>(١٥)</sup>.

## القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)} [محمد : ٧]

(١) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٢.

(٢) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٢.

(٣) حكاها عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٦٦/٦.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٩٤/٥.

(٥) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٢.

(٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣١٠/٧.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٩٤/٥.

(٨) انظر: غريب القرآن: ٤١٠، و حكاها النحاس في معاني القرآن: ٤٦٦/٦.

(٩) البيت في اللسان ٣١٩/٥، و ١٤٥/١١. وهو للأسود بن يعفر يهجو عقاب بن محمد. و "أفنعته": مدت

ورفعت إلى الفم. و "الخير": الحساء من الدم. وقد ورد في القرطبي ١٣١/٢ مصحفاً بلفظ: "الحرير". وورد

فيه بعده: "ويروى: "المغرب" بالغين. ومعناه: مصبوغ بالمغرب! ". وهي زيادة مقحمة ليست من الأصل،

وناشئة عن التصحيف المذكور. وليس في اللسان ما يدل عليها.

(١٠) معاني القرآن: ٤٦٧/٦.

(١١) انظر: معاني القرآن: ٤٦٦/٦.

(١٢) انظر: معاني القرآن: ٤٦٦/٦.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٩٤/٥.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٩٤/٥.

(١٥) معاني القرآن: ٤٦٧-٤٦٦/٦.

## التفسير:

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه، إن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله، والحكم بكتابه، وامتنال أوامره، واجتنب نواهيه، ينصركم الله على أعدائكم، ويثبت أقدامكم عند القتال. قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [محمد : ٧]، أي: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله و عملوا بشرعه"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عباس: "ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعا سمعك [يعني: استمع لها]؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"<sup>(٤)</sup>.

عن الزهري قال: "إذا قال الله: يا أيها الذين آمنوا إفعلوا، فالنبي- صلى الله عليه وسلم- منهم"<sup>(٥)</sup>.

عن خزيمة قال: "ما تقرأون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عثيمين: "إن تصدير الحكم بالنداء، دليل على الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب انتباه المنادى؛ ثم النداء بوصف الإيمان دليل على أن تنفيذ هذا الحكم من مقتضيات الإيمان؛ وعلى أن فواته نقص في الإيمان"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} [محمد : ٧]، أي: "إن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله، والحكم بكتابه، وامتنال أوامره، واجتنب نواهيه، ينصركم الله على أعدائكم"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إن تنصروا الله ينصركم بنصركم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر به وجهادكم إياهم معه لتكون كلمته العليا ينصركم عليهم، ويظفركم بهم، فإنه ناصر دينه وأوليائه"<sup>(٨)</sup>.

قال الرمخشري: " {إِنْ تَنْصُرُوا} دين الله ورسوله {يَنْصُرْكُمْ} على عدوكم ويفتح لكم"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن عطية: "المعنى: تنصروه بجدكم واتباعكم وإيمانكم يَنْصُرْكُمْ بخلق القوة لكم والجرأة وغير ذلك من المعاون"<sup>(١٠)</sup>.

قال قتادة: "لأنه حقّ على الله أن يعطي من سأله، وينصر من نصره"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد : ٧]، أي: "ويثبت أقدامكم عند القتال"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ويقوّم عليهم، ويجرّكم، حتى لا تولوا عنهم، وإن كثر عددهم، وقلّ عددكم"<sup>(١٣)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٢) تفسير الطبري: ١٦٠/٢٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٥): ص ١٩٦/١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٣٧): ص ١٩٦/١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٨٦): ص ١٦٦٩/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٨٤): ص ١٦٦٩/٥.

(٦) تفسير ابن عثيمين: ٣٣٧/١.

(٧) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٨) تفسير الطبري: ١٦٠/٢٢.

(٩) الكشاف: ٣١٨/٤.

(١٠) المحرر الوجيز: ١١٢/٥.

(١١) أخرجه الطبري " ٢٢: ١٦١.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(١٣) تفسير الطبري " ١٦١/٢٢.



قال الزمخشري: أي: "في مواطن الحرب أو على محجة الإسلام"<sup>(١)</sup>.  
 قال الكلبي ومقاتل: "يعني: عند القتال"<sup>(٢)</sup>.  
 وروي عن ابن عباس: "على الصراط"<sup>(٣)</sup>.  
 عن ابن جريج: " {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}، قال: على نصره"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ  
 [(٩) {محمد : ٨-٩}]

## التفسير:

والذين كفروا فهلاكاً لهم، وأذهب الله ثواب أعمالهم؛ ذلك بسبب أنهم كرهوا كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فكذبوا به، فأبطل أعمالهم؛ لأنها كانت في طاعة الشيطان. قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ} [محمد : ٨]، أي: "والذين كفروا فهلاكاً لهم"<sup>(٥)</sup>. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} بالله، فجحدوا توحيدَه، فخزيا لهم وشقاء وبلاء"<sup>(٦)</sup>.

عن قتادة في قوله: " {فَتَعَسَا لَهُمْ}، قال: هي عامة للكفار"<sup>(٧)</sup>.  
 وفي قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ} [محمد : ٨]، وجوه من التفسير:  
 أحدها : معناه: خزياً لهم ، قاله السدي<sup>(٨)</sup>.  
 الثاني : شقاء لهم ، قاله ابن زيد<sup>(٩)</sup>.  
 الثالث : شتماً لهم من الله ، قاله الحسن<sup>(١٠)</sup>.  
 الرابع : هلاكاً لهم، و«التعس»: الشر. قاله ثعلب<sup>(١١)</sup>.  
 الخامس : خيبة لهم ، قاله الضحاك<sup>(١٢)</sup>، وابن زياد<sup>(١٣)</sup>.  
 السادس : يعني: فنكسا لهم وخبية. قاله مقاتل<sup>(١٤)</sup>.  
 السادس : قبحاً لهم ، حكاه النقاش<sup>(١٥)</sup>.  
 السابع : بعداً لهم، قاله ابن عباس<sup>(١٦)</sup>، وابن جريج<sup>(١٧)</sup>.  
 الثامن : سقوطاً لهم. قاله أبو العالية<sup>(١٨)</sup>.  
 التاسع: رغباً لهم ، قاله الضحاك-أيضاً-<sup>(١٩)</sup>.

- 
- (١) الكشاف: ٣١٨/٤.  
 (٢) التفسير البسيط للواحدى: ٢٢٦/٢٠، و"تنوير المقياس" ص ٥٠٧، "تفسير مقاتل" ٤٥/٤.  
 (٣) التفسير البسيط للواحدى: ٢٢٦/٢٠، وذكر هذا القول والذي قبله الثعلبي في "تفسيره" ولم ينسبهما ١٠/١٠.  
 (٤) الدر المنثور: ٤٦٢/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.  
 (٥) التفسير الميسر: ٥٠٧.  
 (٦) تفسير الطبري" ١٦١/٢٢.  
 (٧) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٢.  
 (٨) انظر: النكت والعيون: ٢٩٥/٥.  
 (٩) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٢.  
 (١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٩٥/٥.  
 (١١) انظر: معاني القرآن للنحاس : ٤٦٧/٦، والنكت والعيون: ٢٩٥/٥.  
 (١٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣١/٩. بدون سند.  
 (١٣) انظر: النكت والعيون: ٢٩٥/٥.  
 (١٤) تفسير مقاتل نب سليمان: ٤٥/٤.  
 (١٥) انظر: النكت والعيون: ٢٩٥/٥.  
 (١٦) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣١/٩. بدون سند.  
 (١٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٩٥/٥. بدون سند.  
 (١٨) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣١/٩. بدون سند.

العاشر: لعنا وطردا، وقمعا وبعدا! قاله القشيري<sup>(٢)</sup>.  
 الحادي عشر: فمكروها لهم وسوءاً، يقال هذا لمن دُعي عليه بالشر والهلكة. قاله المبرد<sup>(٣)</sup>.  
 الثاني عشر: يريد في الدنيا العثرة وفي الآخرة الترددي في النار. قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>.  
 الثالث عشر: أن «التعس»-في اللغة-: الأثحطاط والعثور، قاله الزجاج<sup>(٥)</sup>.  
 قال ابن قتيبة: "من قولك: تعست؛ أي: عثرت وسقطت"<sup>(٦)</sup>.  
 قال النحاس: "أي: ممن ينبغي أن يقال لهم: أتعسهم الله، أي: لا جبرهم. وهذا يدعى به  
 على العائر"<sup>(٧)</sup>.  
 وقال ابن السكيت: "التعس أن يخز على رأسه، والتعس أيضا الهلاك"<sup>(٨)</sup>.  
 قال ابن عطية: "أي: عثارا وهلاكاً فيه، وهي لفظة تقال للعائر إذا أريد به الشر، ومنه  
 قول الشاعر<sup>(٩)</sup>:

يا سيدي إن عثرت خذ بيدي ... ولا تقل: لا، ولا تقل تعسا  
 وقال الأعشى<sup>(١٠)</sup>:

بذات لوثٍ عقرناً إذا عثرت ... فالتعس أدنى لها من أن أقول لعاً"<sup>(١١)</sup>.

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "تعس عبد الدينار، تعس عبد  
 الدرهم، تعس عبد القطيفة - وفي رواية: تعس عبد الخميصة - تعس وانتكس، وإذا شيك فلا  
 انتقش"<sup>(١٢)</sup>. أي: فلا شفاه الله<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد: ٨]، أي: "وأذهب الله ثواب أعمالهم"<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أحبطها وأبطلها"<sup>(١٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول وجعل أعمالهم معمولة على غير هدى ولا استقامة، لأنها عملت في  
 طاعة الشيطان، لا في طاعة الرحمن"<sup>(١٦)</sup>.

قال ابن زيد: "الضلالة التي أضلهم الله لم يهدهم كما هدى الآخرين، فإن الضلالة التي  
 أخبرك الله: يضل من يشاء، ويهدي من يشاء؛ قال: وهؤلاء ممن جعل عمله ضلالاً"<sup>(١٧)</sup>.

(١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٢٩٥/٥. بدون سند.

(٢) انظر: لطائف الإشارات: ٤٠٦/٣.

(٣) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ٢٢٨/٢٠.

(٤) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ٢٢٨/٢٠، وذكر ذلك أبو حيان في البحر منسوباً لابن عباس لكن  
 بلفظ: (في الدنيا القتل ..). انظر: البحر المحيط ٧٦/٨، وذكره البغوي في "تفسيره" ولم ينسبه. انظر: "تفسيره"  
 ٧/ ٢٨١، ونسبه الزمخشري لابن عباس لكن بلفظ: (في الدنيا القتل وفي الآخرة التردد في النار). انظر:  
 "الكشاف" ٤٥٤/٣.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٨/٥.

(٦) غريب القرآن: ٤١٠.

(٧) معاني القرآن: ٤٦٧/٦.

(٨) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٦٧/٦-٤٦٨.

(٩).

(١٠) انظر: "ديوان الأعشى" ص ١٠٥، و"تهذيب اللغة" (تعس) ٧٩/٢، "اللسان" (تعس) ٣٢/٦، والكشاف  
 ٤٥٤/٣، وقال في مشاهد الإنصاف: يقال للعائر لعاً لك، دعاء له بالانتعاش وتعساً لك دعاء عليه بالسقوط،  
 يريد أنها لا تعثر ولو عثرت فالدعاء عليها أحق بها من الدعاء لها. انظر: "مشاهد الإنصاف على شواهد  
 الكشاف" ص ٧٦.

(١١) المحرر الوجيز: ١١٢/٥.

(١٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٣٥).

(١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٠/٧.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٣١٠/٧.

(١٦) تفسير الطبري: ١٦١/٢٢.

(١٧) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٢.

قال السمعاني: " فإن قيل: وأي عمل للكفار حتى يحبطه الله تعالى؟  
والجواب: أنهم كانوا يعملون أعمالاً على فضل الخير والتقرب إلى الله تعالى مثل: الصدقة، وصلة الرحم، والحج، والطواف، وما أشبه ذلك، ويظنون أن الله تعالى يثيبهم عليها، فأخبر الله تعالى أنه يحبطها بكفرهم"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [محمد : ٩]، أي: " ذلك بسبب أنهم كرهوا كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فكذبوا به"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: " يقول يعالي ذكره: هذا الذي فعلنا بهم من الإتعاس وإضلال الأعمال من أجل أنهم كرهوا كتابنا الذي أنزلناه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسخطوه، فكذبوا به، وقالوا: هو سحر مبين"<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: " كرهوا القرآن ونبوته النبي -عليه السلام-"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: " ذلك الإبطال بأنهم كرهوا الإيمان بما أنزل الله من القرآن على النبي -صلى الله عليه وسلم-، يعني: الكفار الذين قتلوا من أهل مكة"<sup>(٥)</sup>.

قال سفيان وعمرو بن ميمون: " كرهوا الفرائض التي أنزل الله من الصلاة والزكاة"<sup>(٦)</sup>.  
عن قتادة، في قوله تعالى: {فتعسا لهم وأضل أعمالهم}، قال: « هي عامة للكفار»<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد : ٩]، أي: " فأبطل أعمالهم"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: " يقول: فأبطل أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وذلك عبادتهم الآلهة، لم ينفعهم الله بها في الدنيا ولا في الآخرة، بل أبقهم بها، فأصلاهم سعيراً، وهذا حكم الله جلّ جلاله في جميع من كفر به من أجناس الأمم"<sup>(٩)</sup>.

قال الزجاج: " فأحبط الله أعمالهم"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: " لأنها لم تكن في إيمان"<sup>(١١)</sup>.

قال الصابوني: " لأن الإيمان شرط لقبول الأعمال، والشرك محبط للعمل"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن عباس ومقاتل: " يعني: ما عملوا من شيء يريدون به الله؛ لأنها لم تكن في إيمان، ولا يقبل الله إلا من المتقين"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن عطية: " قوله: {فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}، يقتضي أن أعمالهم في كفرهم التي هي بر مقيدة محفوظة، ولا خلاف أن الكافر له حفظة يكتبون سيئاته. واختلف الناس في حسناتهم، فقالت فرقة: هي ملغاة يثابون عليها بنعم الدنيا فقط. وقالت فرقة: هي محصاة من أجل ثواب الدنيا، ومن أجل أنه قد يسلم فينضاف ذلك إلى حسناته في الإسلام، وهذا أحد التأويلين في قول

(١) تفسير السمعاني: ١٧١/٥.  
(٢) التفسير الميسر: ٥٠٧.  
(٣) تفسير الطبري: ١٦٢/٢٢.  
(٤) معاني القرآن: ٨/٥.  
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥/٤.  
(٦) التفسير البسيط للواحدى: ٢٢٩/٢٠، و أورد ذلك السيوطي في " الدر المنثور" عن عمرو بن ميمون وعزاه لابن أبي شيببة وعبد ابن حميد وابن المنذر. انظر: " الدر المنثور" ٤٦٢ / ٧. ولم أقف على نسبه لسفيان.  
(٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٨٧٦): ص ٢٠٦/٣.  
(٨) التفسير الميسر: ٥٠٧.  
(٩) تفسير الطبري: ١٦٢/٢٢.  
(١٠) معاني القرآن: ٨/٥.  
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥/٤.  
(١٢) صفوة التفاسير: ١٩٢/٣.  
(١٣) التفسير البسيط للواحدى: ٢٢٩/٢٠، وانظر: "تفسير مقاتل" ٤ / ٤٥، و"القرطبي" ١٦ / ٢٣٣ فقد ذكر معنى هذا القول ولم ينسبه.

النبي عليه السلام لحكيم بن حزام: «أسلمت على ما سلف لك من خير»<sup>(١)</sup>. فقوم قالوا تأويله: أسلمت على أن يعد لك ما سلف من خير، وهذا هو التأويل الذي أشرنا إليه. وقالت فرقة معناه: أسلمت على إسقاط ما سلف لك من خير، إذ قد ثبت عليه بنعم دنياك. وذكر الطبري أن أعمالهم التي أخبر في هذه الآية بحبها: عبادتهم الأصنام وكفرهم<sup>(٢)</sup>. ومعنى: «أحبط» جعلها من العمل الذي لا يزكو ولا يعتد به، فهي لذلك كالذي أحبط<sup>(٣)</sup>.

فوائد الآيات: [٤-٩]:

١- أن الجهاد مشروع إلى آخر من يكون على هذا الدين من هذه الأمة إلى أن يرث الله جل وعلا الأرض ومن عليها، فما دام الدين الإسلامي قائماً ومشروعياً الجهاد قائمة لم تنسخ، حتى إذا نزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان فإنه ينزل حاكماً بهذا الدين، ولا يأتي بشرع جديد، بل يكون من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعند أن ينزل يقاتل الكفار بهذا الشرع الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا الدين هو آخر الأديان وهو خاتمها، كما أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الرسل فليس بعده رسول.

والله جل وعلا يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء، إذا شاء نصر عباده أظهرهم وصار الجهاد ظاهراً، وجعل راية الإسلام مرفوعة، وإذا شاء ضعف المسلمين جعلهم تحت حماية الكفار، وجعل الكفار هم الظاهرين، ولكن هذا لا يكون إلا بسبب أفعال المسلمين أنفسهم، وبسبب عدم تمسكهم بدينهم وبسبب رغبتهم في الدنيا، كما قال صلوات الله وسلامه عليه: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»<sup>(٤)(٥)</sup>.

٢- دلالة قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا أَتَّخِذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَثَّ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} [محمد : ٤]، على نزول عيسى-عليه السلام-.

قال البغوي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: معنى الآية: " أتخذوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام"<sup>(٦)</sup>.

٣- أن الإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم، فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال، أو بأسارى المسلمين، وإليه ذهب أكثر الصحابة والعلماء<sup>(٧)</sup>.

(١) مسند أحمد (١٥٣١٨): ص ٣٤/٢٤، إسناده صحيح على شرط الشيخين. وهو في "مصنف عبد الرزاق" (١٩٦٨٥)، ومن طريقه أخرجه ابن أبي عاصم في "الأحاد والمثاني" (٥٩٤)، ومسلم (١٢٣) (١٩٥)، والطبراني في الكبير" (٣٠٨٦)، والبيهقي في "السنن" ١٢٣/٩ و ٣١٦/١٠، والبغوي (٢٧). وأخرجه البخاري (١٤٣٦) من طريق هشام بن يوسف الصنعاني، عن معمر، به. وأخرجه البخاري في "صحيحه" (٢٢٢٠) و (٥٩٩٢)، وفي "الأدب المفرد" (٧٠)، ومسلم (١٢٣) (١٩٥)، وأبو عوانة ٧٢/١ و ٧٣، وابن حبان (٣٢٩)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٤٣٦٤)، والطبراني في "الكبير" (٣٠٨٨) و (٣٠٨٩) من طرق عن الزهري، به.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٢.

(٣) المحرر الوجيز: ١١٢/٥.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٧٤/٣)، رقم (٣٤٦٢). وأخرجه أيضاً: البيهقي (٣١٦/٥)، رقم (١٠٤٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٩/٥).

وللحديث أطراف أخرى منها: "إن أنتم اتبعتم أذناب البقر".

ومن غريب الحديث: "تبايعتم بالعينة": وهو أن يبيع سلعة بثمن معلوم لأحد لأجل ثم يشتريها منه عاجلاً بثمن أقل ليبقى الكثير في ذمته. "وأخذتم أذناب البقر": كناية عن الاشتغال عن الجهاد بالحرث. "سلط الله": أرسل بقره وقوته. "ذلاً": ضعفاً واستهانة. "لا ينزعه": لا يزيله ويكشفه عنكم.

(٥) انظر: شرح فتح المجيد، عبد الله بن محمد الغنيمان، [الدرس: ١٠/٢٦]. دروس صوتية مرقم آلياً.

(٦) تفسير البغوي: ٢٧٩/٧-٢٨٠.

(٧) انظر: تفسير البغوي: ٢٧٨/٧.

قال البيهقي: "وهذا هو الأصح والاختيار، لأنه عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده"<sup>(١)</sup>.

روي عن سعيد بن أبي سعيد سمع أبا هريرة قال: "بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية [من سواري] المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، حتى كان الغد، فقال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكرك، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال سل تعط فتركه حتى كان بعد الغد، فقال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: "أطلقوا ثمامة"، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا ولكن أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>(٢)</sup>.

٤- بشرى المجاهدين في سبيل الله بإكرام الله لهم وإنعامه عليهم في الدنيا والآخرة.

٥- يظفر بالنصر الحقيقي من نصر الله تعالى في دينه وأوليائه.

٦- إنذار الكافرين بالتعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة.

## القرآن

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠)} [محمد : ١٠]

### التفسير:

أفلم يسر هؤلاء الكفار في أرض الله معتبرين بما حلّ بالأمم المكذبة قبلهم من العقاب؟ دمّر الله عليهم ديارهم، وللكافرين أمثال تلك العاقبة التي حلت بتلك الأمم.

قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [محمد :

١٠]، أي: "أفلم يسر هؤلاء الكفار في أرض الله معتبرين بما حلّ بالأمم المكذبة قبلهم من العقاب؟"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: أفلم يسر هؤلاء المكذبون محمداً صلى الله عليه وسلم المنكرو ما أنزلنا عليه من الكتاب في الأرض سفراً، وإنما هذا توبيخ من الله لهم، لأنهم قد كانوا يسافرون إلى الشام، فيرون نعمة الله التي أحلها بأهل حجر ثمود، ويرون في سفرهم إلى اليمن ما أحلّ الله بسبأ، فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين به: أفلم يسر هؤلاء المشركون سفراً في البلاد فينظروا كيف كان عاقبة تكذيب الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها الرادة نصائحها"<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير البيهقي: ٢٧٨/٧.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب: وفد بني حنيفة: ٨ / ٨٧، ومسلم في الجهاد والسير، باب: ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه برقم (١٧٦٤) : ٣ / ١٣٨٦، والمصنف في شرح السنة: ١ / ٨٠-٨٢، والبيهقي في التفسير: ٢٧٨/٧-٢٧٩. واللفظ له.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٤) تفسير الطبري: ١٦٢/٢٢.

قال الحسن: " فينظروا كيف عذب الله قوم نوح، وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم، أي : ونجى المؤمنين من بين أظهرهم"<sup>(٢)</sup>.

قال الواحدي: " حث على الاعتبار بحال من مضى من الأمم المكذبة"<sup>(٣)</sup>.  
عن مالك بن دينار، قال : "أوحى الله تعالى إلى موسى ، عليه السلام ، أن يا موسى ، اتخذ نعلين من حديد وعصا، ثم سيح في الأرض، واطلب الآثار والعبر، حتى تتخرق النعلان وتكسر العصا"<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن أبي الدنيا : "قال بعض الحكماء : أحي قلبك بالمواعظ ، ونورّه بالفكر ، وموتّه بالزهد ، وقوّه باليقين، ودلّله بالموت، وقرّره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا ، وحدّره صولة الدهر وفحش ثقلب الأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره ما أصاب من كان قبله ، وسرّ في ديارهم وأثارهم ، وانظر ما فعلوا ، وأين حلّوا ، وعمّ انقلبوا"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {دَمَرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [محمد : ١٠] ، أي: "دمّر الله عليهم ديارهم"<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: أي: " ألم نهلكها فندمّر عليها منازلها ونخرّبها، فيتعظوا بذلك، ويحذروا أن يفعل الله ذلك بهم في تكذيبهم إياه، فينبوا إلى طاعة الله في تصديقك"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {وَاللَّكَافِرِينَ أَهْمًا لَهَا} [محمد : ١٠] ، أي: " وللكافرين أمثال تلك العاقبة التي حلت بتلك الأمم"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: " يقول: وللكافرين من قريش المكذبي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من العذاب العاجل، أمثال عاقبة تكذيب الأمم الذين كانوا من قبلهم رسلهم على تكذيبهم رسوله محمدا صلّى الله عليه وسلّم"<sup>(٩)</sup>.

قال الفراء: " يقول: لأهل مكة أمثال ما أصاب قوم لوط وعاد وثمود، وعيد من الله"<sup>(١٠)</sup>.  
قال مجاهد: " يقول: للكافرين مثل ما دمرت به القرون الأولى عند أمر الله لهم"<sup>(١١)</sup>.  
قال مجاهد: " وعيد من الله لهم"<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَمَّا مَوْلَى لَهُمْ (١١)} [محمد : ١١]

### التفسير:

ذلك الذي فعلناه بالفريقين فريق الإيمان وفريق الكفر; بسبب أن الله وليّ المؤمنين ونصيرهم، وأن الكافرين لا وليّ لهم ولا نصير.  
سبب النزول:

قال قتادة: "نزلت هذه الآية يوم أحد والنبي صلى الله عليه وسلم في الشعب وقد اتخن في المسلمين بالقتل والجراح فصاح المشركون يوم بيوم بدر لنا العزى ولا عزى لكم فانزل الله

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٠٥٣): ص ٢١٠ / ٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣١١ / ٧.

(٣) التفسير الوسيط: ٢٧٥ / ٣.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "التفكير والاعتبار"، كما في تفسير ابن كثير: ٤٣٨ / ٥، والدر المنثور: ٦١ / ٦.

(٥) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٤٣٨ / ٥.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٧) تفسير الطبري: ١٦٢ / ٢٢.

(٨) التفسير الميسر: ٥٠٧.

(٩) تفسير الطبري: ١٦٣ / ٢٢.

(١٠) معاني القرآن: ٥٩ / ٣.

(١١) تفسير مجاهد: ٦٠٥.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٦٣ / ٢٢.

جل وعز: {وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} [محمد : ٤]، إلى قوله: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد : ١١]، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وقتلانا أحياء يرزقون في الجنة وقتلاكم في النار<sup>(١)</sup>.  
قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا} [محمد : ١١]، أي: "ذلك الذي فعلناه بالفريقين فريق الإيمان وفريق الكفر؛ بسبب أن الله وليُّ المؤمنين ونصيرهم"<sup>(٢)</sup>.  
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: هذا الفعل الذي فعلنا بهذين الفريقين: فريق الإيمان، وفريق الكفر، من نصرتنا فريق الإيمان بالله، وتثبيتنا أقدامهم، وتدميرنا على فريق الكفر، من أجل أن الله وليٌّ من آمن به، وأطاع رسوله"<sup>(٣)</sup>.  
قال النحاس: "المعنى: الله ولي الذين آمنوا في الهداية والنصرة"<sup>(٤)</sup>.  
عن مجاهد، قوله: "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا"، قال: وليهم"<sup>(٥)</sup>.  
وفي قراءة عبدالله: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا»<sup>(٦)</sup>.  
قوله تعالى: {وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد : ١١]، أي: "وأن الكافرين لا ولي لهم ولا نصير"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وبأن الكافرين بالله لا ولي لهم، ولا ناصر"<sup>(٨)</sup>.  
قال أبو بكر الكلاباذي: "الولاية: النصر، قال الله تعالى {وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} [محمد : ١١] ، أي: لا ناصر لهم"<sup>(٩)</sup>.  
روي عن البراء -رضي الله عنه-، قال: "لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله، وقال: «لا تبرحوا، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهرنا عليهم فلا تعينونا» فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله: عهد إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم، فأصيب سبعون قتيلًا، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: «لا تجيبوه» فقال: أفي القوم ابن أبي حنيفة؟ قال: «لا تجيبوه» فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقي الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان: اعل هبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال: "قولوا: الله أعلى وأجل" قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزي لكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا، ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثله، لم أمر بها ولم تسؤني"<sup>(١٠)</sup>.

## القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} (١٢) [محمد : ١٢]  
التفسير:

- (١) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٧٠/٦. وانظر: سيرة ابن إسحاق: ٣٣٣. والخبر رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٠٤٣). باختلاف في الألفاظ وليس فيه عبارة: "فأنزل الله...".  
(٢) التفسير الميسر: ٥٠٧.  
(٣) تفسير الطبري: ١٦٣/٢٢.  
(٤) معاني القرآن: ٤٧٠/٦.  
(٥) اخرجه الطبري: ١٦٣/٢٢.  
(٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ٥٩/٣.  
(٧) التفسير الميسر: ٥٠٧.  
(٨) تفسير الطبري: ١٦٤/٢٢.  
(٩) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار: ٣٠٥.  
(١٠) صحيح البخاري (٤٠٤٣): ص ٩٤/٥.

إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار تكرمة لهم، ومثل الذين كفروا في أكلهم وتمتعهم بالدنيا، كمثل الأنعام من البهائم التي لا هم لها إلا في الاعتلاف دون غيره، ونار جهنم مسكن لهم ومأوى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [محمد : ١٢]، أي: "إن الله يدخل الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار تكرمة لهم"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول "إن الله له الألوهة التي لا تنبغي لغيره، يُدخل الذين آمنوا بالله ورسوله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار، يفعل ذلك بهم تكرمة على إيمانهم به ورسوله"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ [محمد : ١٢]، أي: "ومثل الذين كفروا في أكلهم وتمتعهم بالدنيا، كمثل الأنعام من البهائم التي لا هم لها إلا في الاعتلاف دون غيره"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: والذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم يتمتعون في هذه الدنيا بحطامها ورياشها وزينتها الفانية الدارسة، ويأكلون فيها غير مفكرين في المعاد، ولا معتبرين بما وضع الله لخلقهم من الحجج المؤدية لهم إلى علم توحيد الله ومعرفة صدق رسوله، فمثلهم في أكلهم ما يأكلون فيها من غير علم منهم بذلك، وغير معرفة، مثل الأنعام من البهائم المسخرة التي لا همة لها إلا في الاعتلاف دون غيره"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: "لا يلتفتون إلى الآخرة.. ليس لهم هم إلا الأكل والشرب في الدنيا"<sup>(٥)</sup>.  
قال الزمخشري: أي: "ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل ويأكلون غافلين غير مفكرين في العاقبة كما تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها، غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: في دنياهم، يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الأنعام، خضما وقضما وليس لهم همة إلا في ذلك. ولهذا ثبت في الصحيح: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»"<sup>(٧)</sup>،<sup>(٨)</sup>.

قال البغوي: أي: "ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، وهم لاهون ساهون عما في غد، قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع"<sup>(٩)</sup>.  
عن ابن جريج: "﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾، قال: لا يلتفت إلى آخرته"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن عباس: "يريد في الدنيا، ويأكلون كما تأكل الأنعام"<sup>(١١)</sup>.

قال الكلبي: الأنعام تأكل وتشرب ولا تدري ما في غد، وهكذا الكفار"<sup>(١٢)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢) تفسير الطبري: ١٦٤/٢٢.

(٣) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٤) تفسير الطبري: ١٦٤/٢٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦/٤.

(٦) الكشف: ٣٢٠/٤.

(٧) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٣٩٣) ومسلم في صحيحه برقم (٢٠٦٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٨) تفسير ابن كثير: ٣١١/٧.

(٩) تفسير البغوي: ٢٨١/٧.

(١٠) الدر المنثور: ٤٦٣/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١١) التفسير البسيط للواحدى: ٢٣٢/٢٠. ولم أقف عليه.

(١٢) التفسير البسيط للواحدى: ٢٣٢/٢٠، وأورد هذا القول: الثعلبي في "تفسيره"، ولم ينسبه. انظر: ١٢٥ / ١٠ ب، وكذلك ذكره ابن الجوزي في "زاد المسير"، ولم ينسبه. انظر: ٤٠٠ / ٧.



قال القشيري: "الأنعام تأكل من أي موضع بلا تمييز، وكذلك الكافر لا تمييز له بين الحلال والحرام، كذلك الأنعام ليس لها وقت لأكلها بل في كل وقت تقتات وتأكل، وكذلك الكافر، وفي الخبر: «إنه يأكل في سبعة أمعاء»<sup>(١)</sup>. أمّا المؤمن فيكتفى بالقليل كما في الخبر: «إن كان ولا بد فتلت للطعام وتلت للشراب وتلت للنفس»<sup>(٢)</sup>، و«ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه»<sup>(٣)</sup>. ويقال: الأنعام تأكل على الغفلة فمن كان في حال أكله ناسياً ربّه فأكله كأكل الأنعام»<sup>(٤)</sup>. قوله تعالى: {وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ} [محمد : ١٢]، أي: "ونار جهنم مسكن لهم ومأوى"<sup>(٥)</sup>. قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: والنار نار جهنم مسكن لهم، ومأوى، إليها يصيرون من بعد مماتهم"<sup>(٦)</sup>.

قال الزمخشري: أي: "منزل ومقام"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: يوم جزائهم"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنَاهُمْ فَلَا تَصِرَ لَهُمْ (١٣)} [محمد : ١٣]

### التفسير:

وكثير من أهل قرى كانوا أشد بأساً من أهل قرينك -أيها الرسول، وهي «مكة» - التي أخرجتك، دمرناهم بأنواع من العذاب، فلم يكن لهم نصير ينصرهم من عذاب الله. سبب النزول:

عن ابن عباس: "أن نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم، لما خرج من مكة إلى الغار، أراه قال: التفت إلى مكة، فقال: أنت أحبُّ بلاد الله إلى الله، وأنت أحبُّ بلاد الله إليّ، قلّو أنّ المشركين لم يُخرجونني لم أُخرج منكم، فأعتى الأعداء من عتانا على الله في حرمه، أو قتل غير قاتله، أو قتل بدحول الجاهليّة"، فأنزل الله تبارك وتعالى: {وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكُنَاهُمْ فَلَا تَصِرَ لَهُمْ}<sup>(٩)</sup>.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يأكل المسلم في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء». صحيح البخاري (٥٣٩٦)؛ ص: ٧٢/٧، وصحيح مسلم، الأشربة، باب: المؤمن يأكل في معي واحد. رقم (٢٠٦٢)، (٢٠٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٣٧)، والنسائي في "الكبرى" (٦٧٣٨) و (٦٧٣٩) من طرق عن يحيى بن جابر، عن المقدم بن معدي كرب. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه النسائي (٦٧٣٧) من طريق صالح بن يحيى بن المقدم، عن جده المقدم. وصالح بن يحيى لين. والحديث في "مسند أحمد" (١٧١٨٦)، و "صحيح ابن حبان" (٦٧٤) و (٥٢٣٦).

(٣) أخرجه ابن المبارك (٢١٣/١)، رقم (٦٠٣)، وأحمد (١٣٢/٤)، رقم (١٧٢٢٥)، والترمذي (٥٩٠/٤)، رقم (٢٣٨٠)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١١١١/٢)، رقم (٣٣٤٩)، وابن سعد (٤٠٩/١)، والطبراني (٢٧٢/٢٠)، رقم (٦٤٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨/٥)، رقم (٥٦٥٠)، والحاكم (٣٦٧/٤)، رقم (٧٩٤٥).

وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضاً: النسائي (١٧٧/٤)، رقم (٦٧٦٨)، وابن حبان (٤١/١٢)، رقم (٥٢٣٦)، والقضاعي (٢٧١/٢)، رقم (١٣٤٠)، والديلمي (٦٧/٤)، رقم (٦٢١٠).

(٤) لطائف الإشارات: ٤٠٧/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٦) تفسير الطبري: ١٦٤/٢٢.

(٧) الكشاف: ٣٢٠/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٣١١/٧.

(٩) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٢، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧ / ٤٦٣ أيضاً لعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم وابن مردويه.

قوله تعالى: {وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ} [محمد : ١٣]، أي: "وكثير من أهل قري كانوا أشد بأساً من أهل قريتك -أيها الرسول، وهي «مكة» - التي أخرجتك" (١).

قال الطبري: يقول: "وكم -يا محمد- من قرية أهلها أشد بأساً، وأكثر جمعا، وأعدّ عديدا من أهل قريتك- وهي مكة- وأخرج الخبر عن القرية، والمراد به أهلها" (٢).

قال الزمخشري: أي: "وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم. ومعنى أخرجوك: كانوا سبب خروجك" (٣).

عن قتادة، قوله: {وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكِنَاهُمْ}، قال: هي مكة" (٤). وفي رواية: "قريته مكة" (٥).

قوله تعالى: {أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ} [محمد : ١٣]، أي: "دمرناهم بأنواع من العذاب، فلم يكن لهم نصير ينصرهم من عذاب الله" (٦).

قال الماوردي: {أَهْلَكْنَاهُمْ}، يعني: بالعذاب، فلا مانع لهم منا، وهذا وعيد" (٧).

قال الفراء: "جاء في التفسير: فلم يكن لهم ناصر حين أهلكناهم، فهذا وجه، وقد يجوز إضمار «كان» ، وإن كنت قد نصبت الناصر بالتبرية، ويكون: أهلكناهم فلا ناصر لهم الآن من عذاب الله" (٨).

قال الزمخشري: "فإن قلت: كيف قال فلا ناصر لهم؟ وإنما هو أمر قد مضى.

قلت: مجراه مجرى الحال المحكية، كأنه قال: أهلكناهم فهم لا ينصرون" (٩).

قال ابن كثير-في الآية: "وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة، في تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو سيد المرسلين وخاتم الأنبياء، فإذا كان الله، عز وجل، قد أهلك الأمم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم، وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء، فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والأخرى؟ فإن رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة، فإن العذاب يوفّر على الكافرين به في معادهم، يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} [هود : ٢٠]" (١٠).

## القرآن

{أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤)} [محمد : ١٤]

### التفسير:

أفمن كان على برهان واضح من ربه والعلم بوحدانيته، كمن حسن له الشيطان قبيح عمله، واتبع ما دعت إليه نفسه من معصية الله وعبادة غيره من غير حجة ولا برهان؟ لا يستنون.

قوله تعالى: {أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ} [محمد : ١٤]، أي: "أفمن كان على برهان واضح من ربه والعلم بوحدانيته" (١١).

قال قتادة: "هو محمد - صلى الله عليه وسلم" (١٢).

(١) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٢) تفسير الطبري: ١٦٤/٢٢.

(٣) الكشاف: ٣٢٠/٤.

(٤) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٢.

(٦) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٧) النكت والعيون: ٢٩٦/٥.

(٨) معاني القرآن: ٥٩/٣.

(٩) الكشاف: ٣٢٠/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣١١/٧-٣١٢.

(١١) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(١٢) الدر المنثور: ٤٦٣/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {أَفَمَنْ كَانَ} على برهان وحجة وبيان {مِنْ} أمر {رَبِّهِ} والعلم بوحداثيته، فهو يعبد على بصيرة منه، بأن له ربًّا يجازيه على طاعته إياه الجنة، وعلى إساءته ومعصيته إياه النار.. قيل: هو نبينا -عليه الصلاة والسلام-"<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري: "أى: على حجة من عنده وبرهان، وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أى: على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه، بما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم، وبما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ} [محمد: ١٤]، أى: "كمن حسن له الشيطان قبيح عمله"<sup>(٤)</sup>.

قال قتادة: "هم المشركون"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول: كمن حسن له الشيطان قبيح عمله وسيئه، فأراه جميلا فهو على العمل به مقيم.. قيل: هم المشركون"<sup>(٦)</sup>.

قال الزمخشري: "هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله"<sup>(٧)</sup>.

قال السمعاني: "معنى الآية: أن الفريقين لا يستويان، فحذف هذا لفهم المخاطب، وهذا كالرجل يقول: من فعل الخيار سعد، ومن فعل السيئات شقي. ثم يقول: أفمن سعد كمن [شقي]، يعني: لا يكون، وحذف لفهم المخاطب. وقيل: الألف في قوله: {أفمن} ألف توقيف وتقرير لما علم المخاطب منه"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد: ١٤]، أى: "واتبع ما دعته إليه نفسه من معصية الله وعبادة غيره من غير حجة ولا برهان؟"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقول: واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم من معصية الله، وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة"<sup>(١٠)</sup>.

قال السمعاني: "أى: اتبعوا أهواءهم في اتباع الكفر"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "أى: ليس هذا، كهذا كقوله: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} [الرعد: ١٩]، وكقوله: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الحشر: ٢٠]"<sup>(١٢)</sup>.

عن عبد الله بن عباس، قال: "كل هوى ضلالة"<sup>(١٣)</sup>. وروي عن ابن جريج مثله<sup>(١٤)</sup>.

عن طاووس بن كيسان، قال: "ما ذكر الله هوى في القرآن إلا نمه"<sup>(١٥)</sup>.

قال الشعبي: "إنما سمي: الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ١٦٥/٢٢-١٦٦.

(٢) الكشاف: ٣٢٠/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧.

(٤) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٥) الدر المنثور: ٤٦٣/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٦) تفسير الطبري: ١٦٦/٢٢.

(٧) الكشاف: ٣٢٠/٤.

(٨) تفسير السمعاني: ١٧٣/٥.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(١٠) تفسير الطبري: ١٦٦/٢٢.

(١١) تفسير السمعاني: ١٧٣/٥.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧.

(١٣) التفسير البسيط للواحدى: ٤٨٨/٧. ولم أقف عليه.

(١٤) الدر المنثور: ٤٦٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٥) الدر المنثور: ٤٦٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

فوائد الآيات: [١٠-١٤]:

- ١- تقرير قاعدة: العاقل من اعتبر بغيره، إذ دلت قوله تعالى: {أَقْلَمَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا} [محمد: ١٠]، أن حكم الشيء حكم مثله، إذ قاس النظر على النظر، وبيّن أن القدرة على إذهاب المخاطبين كالقدرة على إذهاب السابقين، فإذا ساوهم في العلة والمعنى والأعمال؛ ساوهم في الحكم والوعيد والعاقبة.
- ٢- تقرير ولاية الله لأهل الإيمان والتقوى.
- ٣- بيان الفرق بين الماديين وأهل الإيمان والاستقامة على منهج الإسلام.
- ٤- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تخفيفاً من آلامه التي يعانيتها من إعراض المشركين وصوفهم عن الإسلام.

## القرآن

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)} [محمد : ١٥]

التفسير:

صفة الجنة التي وعداها الله المتقين: فيها أنهارٌ عظيمة من ماء غير متغيّر، وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه، وأنهار من خمر يتلذذ به الشاربون، وأنهار من عسل قد صُفّي من مما يخالطه من الشوائب، ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها، وأعظم من ذلك السّتر والتجاوز عن ذنوبهم، هل من هو في هذه الجنة كمن هو ماكث في النار لا يخرج منها، وسُقوا ماء تناهى في شدة حره فقطع أمعاءهم؟

قوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ} [محمد : ١٥]، أي: "صفة الجنة التي وعداها الله المتقين"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: صفة الجنة التي وعداها المتقون، وهم الذين اتقوا في الدنيا عقابه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه"<sup>(٣)</sup>.

قال السعدي: "أي: مثل الجنة التي أعدها الله لعباده، الذين اتقوا سخطه، واتبعوا رضوانه، أي: نعتها وصفتها الجميلة"<sup>(٤)</sup>.

قال الزجاج: "أي: مما عرفتموه من الدنيا من جناتها وأنهارها جنة"<sup>(٥)</sup>.

عن الضحاك: "{الْمُتَّقِينَ}"، قال: "الذين يتقون الشرك"<sup>(٦)</sup>.

عن السدي: "{المتقين}"، قال: هم المؤمنون"<sup>(٧)</sup>.

وفي قوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ} [محمد : ١٥]، قولان:

أحدهما: معناه: صفة الجنة التي وعد المتقون. قاله الخليل<sup>(٨)</sup>، وبه قال النضر بن شميل<sup>(٩)</sup>، وابن قتيبة<sup>(١٠)</sup>.

(١) أخرجه الثعلبي ٣٦٢ / ٨، وتفسير البغوي ٧ / ٢٤٥.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٣) تفسير الطبري: ١٦٦ / ٢٢.

(٤) تفسير السعدي: ٧٨٦.

(٥) معاني القرآن: ٩ / ٥.

(٦) أخرجه الطبري (١١٧٢٤): ص ١٠ / ٢١١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٩٢٤٨): ص ٦ / ١٧٥١.

(٨) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٥٠١ / ٣.

(٩) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز: ١١٤ / ٥، وذكره الزجاج في معاني القرآن: ١٥٠ / ٣، دون نسبة.

(١٠) انظر: غريب القرآن: ٢٠، وتأويل مشكل القرآن: ٥٦، ٢٧٠.

قال النحاس: "المعنى: على هذا صفة الجنة التي وعد المتقون.. كما تقول: صفة فلان أسمر، لأن معناه: فلان أسمر" (١).

وروي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: "مثل الجنة، أمثال الجنة، صفات الجنة. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وكذلك قرأها علي بن أبي طالب: أمثال" (٢).

الثاني: المعنى: فيما يتلى عليكم ويقص عليكم مثل الجنة. وهذا قول سيوييه (٣)، والمبرد (٤).

قال الزجاج: "وكلا القولين حسن جميل. والذي عندي - والله أعلم - أن الله عز وجل، عرفنا أمور الجنة التي لم نرها. ولم نشاهدها بما شاهدناه من أمور الدنيا وعائنها، فالمعنى {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ} جَنَّةٌ... (٥).

وقرأ علي بن أبي طالب: «مثل الجنة» (٦).

قوله تعالى: {فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} [محمد : ١٥]، أي: "فيها أنهارٌ عظيمة من ماء غير متغير" (٧).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره في هذه الجنة التي ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح، يقال منه: قد أسن ماء هذه البئر: إذا تغيرت ريح مائها فأنتنت" (٨).

قال السعدي: "أي: غير متغير، لا بوخم ولا بريح منتنة، ولا بمرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاهها، وأطيبها ريحا، وألذها شربا" (٩).

قال قتادة: "من ماء غير منتن" (١٠). وروي عن الضحاك، وعطاء الخراساني مثله (١١).

قال ابن عباس: "يقول: غير متغير" (١٢). وروي عن الحسن وقتادة مثله (١٣).

قال الفراء: "غير متغير، غير آسن" (١٤).

قال ابن قتيبة: "أي: غير متغير الريح والطعم و«الآسن»، نحوه" (١٥).

قال أبو عبيدة: "الأسن: المتغير الريح، يقال: قد أسن ماء، ركيته" (١٦).

وفي حديث مرفوع أورده ابن أبي حاتم: {غَيْرِ آسِنٍ} يعني: "الصافي الذي لا كدر فيه" (١٧).

عن سعد بن طريف، قال: "سألت أبا إسحاق عن: {مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ}، قال: سألت عنها الحارث، فحدثني: أن الماء الذي غير آسن تسنيم، قال: بلغني أنه لا تمسه يد، وأنه يجيء الماء هكذا حتى يدخل في فيه" (١٨).

قال عبد الله: "أنهار الجنة تُفَجَّر من جبل من مسك" (١٩).

- (١) معاني القرآن: ٥٠١/٣.
- (٢) رواه الفراء في معاني القرآن: ٦٠/٣.
- (٣) انظر: الكتاب: ١٩٦/١، ومعاني القرآن للزجاج: ١٤٩/٣.
- (٤) انظر: المقتضب: ٢٢٥/٣، ونقله عنه الأزهرى في "التهذيب" (مثل) ٤/ ٣٣٤١.
- (٥) معاني القرآن: ١٥٠/٣.
- (٦) انظر: المحرر الوجيز: ١١٤/٥.
- (٧) التفسير الميسر: ٥٠٨.
- (٨) تفسير الطبري: ١٦٦/٢٢.
- (٩) تفسير السعدي: ٧٨٦.
- (١٠) أخرجه الطبري: ١٦٧/٢٢.
- (١١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧.
- (١٢) أخرجه الطبري: ١٦٦/٢٢-١٦٧.
- (١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧.
- (١٤) معاني القرآن: ٦٠/٣.
- (١٥) غريب القرآن: ٤١٠.
- (١٦) مجاز القرآن: ٢١٥/٢.
- (١٧) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧.
- (١٨) أخرجه الطبري: ١٦٦/٢٢-١٦٧.
- (١٩) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣١٢/٧.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَدَهُ: {غَيْرَ آسَنِ} بِهَمْزَةٍ مَقْصُورَةٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: «غَيْرَ آسَنِ»، مَمْدُودًا<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ} [محمد : ١٥]، أي: "وأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَصِرْ فِيهِ حَمُوضَةٌ كَأَلْبَانِ الدُّنْيَا وَلَا مَا يَكْرَهُ مِنَ الطَّعْمِ"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وفيها أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَحْلُبْ مِنْ حَيَوَانَ فَيَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الضَّرْعِ، وَلَكِنَّهُ خَلَقَهُ اللَّهُ ابْتِدَاءً فِي الْأَنْهَارِ، فَهُوَ بَهِيئَتِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ عَمَّا خَلَقَهُ عَلَيْهِ"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة"<sup>(٤)</sup>.  
قال الصابوني: أي: "وأَنْهَارٌ جَارِيَاتٌ مِنْ حَلِيبٍ فِي غَايَةِ الْبَيَاضِ وَالْحَلَاوَةِ وَالِدَسَامَةِ، لَمْ يَحْمُضْ بِطُولِ الْمَقَامِ وَلَمْ يَفْسُدْ كَمَا تَفْسُدُ أَلْبَانُ الدُّنْيَا"<sup>(٥)</sup>.

عن عكرمة، قوله: "مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ"، قال: لم يحلب"<sup>(٦)</sup>.  
وفي حديث مرفوع: «لَمْ يَخْرُجْ مِنْ ضَرْوَعِ الْمَاشِيَةِ»<sup>(٧)</sup>.  
قال الفراء: "لم يخرج من ضروع الإبل ولا الغنم برغوته"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن عطية: "قوله: في اللبن {لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ}، نفي لجميع وجوه الفساد في اللبن"<sup>(٩)</sup>.  
قوله تعالى: {وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} [محمد : ١٥]، أي: "وأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ يَتَلَذَّذُ بِهِ الشَّارِبُونَ"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وفيها أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ يَتَلَذَّذُونَ بِشَرِبِهَا"<sup>(١١)</sup>.  
قال ابن قتيبة: "أي: لذيدة. يقال: شراب لذ إذا كان طيباً"<sup>(١٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا، بل هي حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل، {لَا فِيهَا عَوَلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} [الصافات : ٤٧]، {لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ} [الواقعة : ١٩]، {بَبَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} [الصافات : ٤٦]"<sup>(١٣)</sup>.  
وفي حديث مرفوع: "لم تعصرها الرجال بأقدامها"<sup>(١٤)</sup>.  
عن سعيد بن جبير، في قوله: "وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ" قال: لم تَدْسُهُ الرَّجَالُ بِأَرْجُلِهَا"<sup>(١٥)</sup>.

قال ابن عطية: "قوله: {لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} جمعت طيب المطعم وزوال الآفات من الصداع وغيره {وَلَذَّةٌ} نعت على النسب، أي ذات لذة"<sup>(١٦)</sup>.

- 
- (١) انظر: السبعة في القراءات: ٦٠٠.
  - (٢) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٩٥٧/٩.
  - (٣) تفسير الطبري: ١٦٧/٢٢.
  - (٤) تفسير ابن كثير: ٣١٣/٧.
  - (٥) صفوة التفاسير: ١٩٣/٣-١٩٤.
  - (٦) أخرجه الطبري: ١٦٧/٢٢.
  - (٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٧): ص ٤٥، وابن أبي حاتم، والعقيلي في الضعفاء وقال: "غير محفوظ". [كنز العمال ٤٥٠٤]، وأخرجه العقيلي في الضعفاء (٨٦/١)، ترجمة ٩٨ إسماعيل بن عبيد الله بن سلمان.
  - (٨) معاني القرآن: ٦٠/٣.
  - (٩) المحرر الوجيز: ١١٤/٥.
  - (١٠) التفسير الميسر: ٥٠٨.
  - (١١) تفسير الطبري: ١٦٧/٢٢.
  - (١٢) غريب القرآن: ٤١٠.
  - (١٣) تفسير ابن كثير: ٣١٣/٧.
  - (١٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٧): ص ٤٥.
  - (١٥) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
  - (١٦) المحرر الوجيز: ١١٤/٥.

قال السعدي: "أي: يلتذ به شاربه لذة عظيمة، لا كخمر الدنيا الذي يكره مذاقه ويصدع الرأس، ويغول العقل"<sup>(١)</sup>.

عن سعد بن طريف، قال: "سألت عنها الحارث، فقال: لم تدسه المجوس، ولم ينفخ فيه الشيطان، ولم تؤذها شمس، ولكنها فوحاء"<sup>(٢)</sup>، قال: قلت لعكرمة: ما «الفوحاء»: قال: الصفراء"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى} [محمد : ١٥]، أي: "وأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ قَدْ صُقِّيَ مِنْ مِمَّا يَخَالطُهُ مِنَ الشَّوَابِ"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وفيها أنهار من عسل قد صُقِّيَ من القذى، وما يكون في عسل أهل الدنيا قبل التصفية، إنما أعلم تعالى ذكره عباده بوصفه ذلك العسل بأنه مصفى أنه خلق في الأنهار ابتداء سائلا جاريا سيل الماء واللبن المخلوقين فيها، فهو من أجل ذلك مصفى، قد صفاه الله من الأفضاء التي تكون في عسل أهل الدنيا الذي لا يصفو من الأفضاء إلا بعد التصفية، لأنه كان في شمع فصفي منه"<sup>(٥)</sup>.

قال السعدي: أي: "من شمع، وسائر أوساخه"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عطية: "وتصفية العسل مذهبة لمومه وضرره"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: وهو في غاية الصفاء، وحسن اللون والطعم والريح"<sup>(٨)</sup>.

وفي حديث مرفوع: "لم يخرج من بطون النحل"<sup>(٩)</sup>.

عن سعيد بن جبير: "وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى" قال: لم يخرج من بطون النحل"<sup>(١٠)</sup>.

عن حكيم بن معاوية، عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد"<sup>(١١)</sup>.

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "في هذه الأنهار تشخب من جنة عدن في جوبة، ثم تصدع بعد أنهار"<sup>(١٢)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة"<sup>(١٣)</sup>.

عن أنس بن مالك قال: "لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجري في أخدود في الأرض، والله إنها لتجري سائحة على وجه الأرض، حافاتا قباب اللؤلؤ، وطينها المسك الأذقر"<sup>(١٤)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٧٨٦.

(٢) في اللسان: الفوح: وجدانك الريح الطيبة. فاحت ريح المسك تفوح وتفيح، فوحا وفيحا. وفوحانا فيحانا: انتشرت رائحته.

(٣) أخرجه الطبري: ١٦٧/٢٢.

(٤) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٥) تفسير الطبري ١٦٨/٢٢.

(٦) تفسير السعدي: ٧٨٦.

(٧) المحرر الوجيز: ١١٤/٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٣١٣/٧.

(٩) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٧): ص ٤٥.

(١٠) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١١) المسند (٥/٥) وسنن الترمذي برقم (٢٥٧١) ورواه أبو نعيم في الحلية (٢٠٤/٦) عن طريق الجريري به، وقال: "غريب عن الجريري تفرد به عن حكيم".

(١٢) رواه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير: ٣١٣/٧، ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٣١٤) من طريق معلى بن أسد عن الحارث بن عبيد به.

(١٣) أخرجه أحمد (٣٣٩/٢، رقم ٨٤٥٥)، والبخاري (١٠٢٨/٣، رقم ٢٦٣٧) وابن حبان (٤٧١/١٠)، رقم (٤٦١١).

(١٤) رواه ابن أبي الدنيا كم في تفسير ابن كثير: ٣١٤/٧، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٥١٨/٤) وقال: "وروى ابن أبي الدنيا بسنده"، رواه أبو بكر ابن مَرثُويه، من حديث مهدي بن حكيم، عن يزيد بن

روي الطبراني عن عاصم بن لقيط: " أن لقيط بن عامر، خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له: نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: خرج فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمت المدينة لانتسلاخ رجب، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيبا، فقال: «أيها الناس ألا إني قد خبات لكم صوتي منذ أربعة أيام لأسمعكم اليوم، ألا فهل من امرئ بعثه قومه؟» ، فقالوا: أعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، «ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحب له أو يلهيه الضلال، ألا إني مسؤول، هل بلغت؟، ألا فاسمعوا تعيشتوا، ألا فاسمعوا تعيشتوا، ألا اجلسوا» ، قال: فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره، قلت: يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟، فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أنني أبتغي سقطه، فقال: «ضن ربك بخمس من الغيب لا يعلمهن إلا هو» ، وأشار بيده، فقلت: ما هن يا رسول الله؟، قال: «علم المنية، متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المنى حين يكون في الرحم قد علم ولا تعلمونه، وعلم ما في غد قد علم ما أنت طاعم غدا ولا تعلمه، وعلم يوم الغيب يشرف عليكم أزليين مشفقين، ويظل ربك يضحك قد علم أن عودتكم قريب» ، قال لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا، «وعلم يوم الساعة» قلت: يا رسول الله إني سائلك عن حاجتي فلا تعجلني، قال: «سل عما شئت» ، قلت: يا رسول الله علمنا ما تعلم الناس وما نعلم، فإننا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد من مذبح التي تعلق علينا، وخشم التي توازينا، توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها، قال: " تلبثون ما لبتتم ثم تبعث الصيحة، لعمر إلهك ما يدع على ظهرها من شيء إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، وأصبح ربك يتطوف في الأرض وخلت عليه البلاد، فأرسل ربك السماء بهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما يدع على ظهرها من قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه ويخلق من قبل رأسه فيستوي جالسا، يقول ربك: مهيم؟، لما كان فيه، يقول: يا رب أمس اليوم - لعهدته بالحياة يحسبه حديثا " قلت: يا رسول الله كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟، قال: " أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: الأرض أشرفت عليها وهي مدررة بالية فقلت لا تحيا أبدا، ثم أرسل عليها ربك السماء فلم يلبث عليها إلا يسيرا حتى أشرفت عليها فإذا هي شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض فتخرجون من الأضواء ومن مصارعكم فتنتظرون إليه ساعة وينظر إليكم " قلت: يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟، قال: " أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ساعة واحدة ويريانكم ولا تضامون في رؤيتهما، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وتروهما أن تروهما ويريانكم " قلت: يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟، قال: " تعرضون عليه بادية صفحاتكم لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم، فلعمر إلهك ما يخطئ وجه واحد منكم قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فيجعله مثل الحمم الأسود، ألا ثم ينصرف عنكم، ويتفرق على أثره الصالحون فيسلكون جسرا من النار يبطأ أحدكم على الجمرة، فيقول: حس، فيقول ربك: أوانه، ألا فيظلمون على حوض الرسول لا يظما والله بأهله، فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يظهره من الطواف والبول والأذى، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحدا " قلت: يا رسول الله فبم نبصر؟، قال: «مثل بصر ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرققت الأرض وواجهته الجبال» قلت: يا رسول الله فبم نجزي من سيئاتنا وحسناتنا؟، قال: «الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها أو يغفر» قلت: يا رسول الله فما الجنة والنار؟، قال: «لعمر إلهك، إن للنار لسبعة أبواب ما منهن باب إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهما بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما» قلت: يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة؟، قال: «على أنهار من عسل مصفى،

هارون، به مرفوعا، [انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٧]، ورواه أبو نعيم في الحلية (٢٠٥/٦) من طريق محمد بن أحمد الزهري عن مهدي بن حكيم بن مهدي به مرفوعا.



وأنتار من كأس ما بها من صدادع ولا ندامة، وأنتار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن، وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون، وخير من مثله معه وأزواج مطهرة» ، قلت: يا رسول الله أولنا فيها أزواج أو منهن مصلاحات؟، قال: «الصالحات للصالحين تلدونهن مثل لذاتكم في الدنيا وتلدونكم غير أن لا توالد» ، قال لقيط: قلت: ما أفضل ما نحن بالغون منتهون إليه، قلت: يا رسول الله على ما أباعك؟، فيسط يده وقال: «على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وزيال الشرك، لا تشرك بالله إلهها غيره» قال: قلت له: فما بين المشرق والمغرب؟، قال: وقبض وبسط أصابعه وظن أني مشترط شيئاً لا يعطينيه، قال: قلت: نحل منها حيث شئنا، ولا يجني امرؤ إلا نفسه فيسط يده وقال: «فلك، حل حيث شئت ولا تجني عليك إلا نفسك» ، قال: فانصرفنا عنه، وقال: «ها إن ذين، ها إن ذين لمن نفر، لعمر إلهك إنهم من أتقى الناس ربه في الدنيا والآخرة» ، فقال له كعب بن الخدارية، أحد بني بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟، قال: «بنو المنتفق» ، قال: بنو المنتفق أهل ذلك منهم، أهل ذلك منهم، فانصرفت وأقبلت عليه، فقلت: يا رسول الله هل لأحد ممن مضى قبلنا من خير في جاهليتهم؟، فقال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المنتفق لفي النار، قال: فكأنه وقع حر بين جلد وجهي ولحمه بما قال على رءوس الناس، وهممت أن أقول: أين أبوك يا رسول الله؟، فإذا الأخرى أجمل قلت، أو أهلك يا رسول الله؟، قال: " وأهلي، ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل: أرسلني إليك محمد صلى الله عليه وسلم فأبشر بما يسوؤك، تجر على وجهك وبطنك في النار "، قلت: يا رسول الله وما فعل ذلك بهم وكانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه، وكانوا يحسبونهم مصالحين؟، قال: «ذلك فإن الله بعث في آخر كل سبع أمم نبيا، فمن أطاع نبيه كان من المهتدين، ومن عصاه كان من الضالين»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} [محمد : ١٥]، أي: "ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة جميع الثمرات من مختلف الفواكه وغيرها"<sup>(٢)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "ولهؤلاء المتقين في هذه الجنة من هذه الأنهار التي ذكرنا من جميع الثمرات التي تكون على الأشجار"<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن عطية: "أي: من هذه الأنواع، لكنها بعيدة الشبه، إذ تلك لا عيب فيها ولا تعب بوجه"<sup>(٤)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: لأهل الجنة في الجنة مع ما ذكر من الأشربة من كل صنف من أصناف الثمرات، و«من»: زائدة للتوكيد"<sup>(٥)</sup>.  
قال السعدي: أي: "من نخيل، وعنب، وتفايح، ورمان، وأترج، وتين، وغير ذلك مما لا نظير له في الدنيا، فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم"<sup>(٦)</sup>.  
قال عكرمة: "فما في الدنيا من شجرة إلا وهي في الجنة، حتى الحنظل"<sup>(٧)</sup>.  
قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة، إلا وهي في الجنة، حتى الحنظل إلا أنه حلو"<sup>(٨)</sup>.

(١) المعجم الكبير للطبراني (٤٧٧): ص ٢١١/١٩-٢١٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(٣) تفسير الطبري ١٦٨/٢٢.

(٤) المحرر الوجيز: ١١٤/٥.

(٥) فتح القدير: ٤٢/٥.

(٦) تفسير السعدي: ٧٨٦.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٧٧٦): ص ٥٢٣ / ٢، وذلك في تفسير قوله تعالى: {لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} [البقرة: ٢٦٦]! والأشبه أنه تفسير لهذه الآية، وربما ذكره في تفسيرها، لكنه من المفقود من تفسيره.

(٨) تفسير الثعلبي: ٣٥٦/٢٥. ط. دار التفسير. وانظر: "معالم التنزيل" للبخاري ٤٥٣ / ٧، "الجامع لأحكام القرآن" ١٧ / ١٧٩، "الباب التأويل" للخازن ٨ / ٨، "البحر المحيط" لأبي حيان ١٩٥ / ٨.

قوله تعالى: {وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ} [محمد : ١٥]، أي: "وعفو من الله لهم عن ذنوبهم التي أذنبوها في الدنيا، ثم تابوا منها، وصَفَحَ مِنْهُ لَهُمْ عَنِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا"<sup>(١)</sup>.  
 قال أبو الليث السمرقندي: " {وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ} لذنوبهم في الآخرة. ويقال: في الدنيا"<sup>(٢)</sup>.  
 قال ابن عطية: "معناه: وتنعيم أعطته المغفرة وسببته، فالمغفرة إنما هي قبل الجنة"<sup>(٣)</sup>.  
 قال سهل: "المغفرة من ربهم في الجنة: ما يغشاهم عند النظر إلى الحق من أنواره"<sup>(٤)</sup>.  
 قال السعدي: " ثم قال: {وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ} يزول بها عنهم المرهوب"<sup>(٥)</sup>.  
 قال الشوكاني: "وتنكير «مغفرة» للتعظيم، أي: ولهم مغفرة عظيمة كائنة من ربهم"<sup>(٦)</sup>.  
 عن قتادة، في قوله: " {أولئك لهم مغفرة}، يقول: مغفرة لذنوبهم"<sup>(٧)</sup>.  
 عن ميمون بن مهران في قول الله تعالى: {أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم}، قال: وجبت لهم المغفرة"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ} [محمد : ١٥]، أي: "هل مَنْ هُوَ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ كَمَنْ هُوَ مَاكُثٌ فِي النَّارِ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا"<sup>(٩)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "أَمَّنْ هُوَ فِي هَذِهِ الْجَنَّةِ الَّتِي صَفَتْهَا مَا وَصَفْنَا، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن ابي زمنين: " وهذا على الاستفهام، يقول: أهؤلاء المتقون الذين وعدوا الجنة فيها ما وصف {كمن هو خالد في النار}، على ما وصف؟! أي: ليسوا بسواء"<sup>(١١)</sup>.  
 قال الماتريدي: "أي: ليس من وعد له ما ذكر من الجنة وهو خالد فيها متنعماً بما ذكر من ألوان الثمار والتنعيم بما ذكر من المياه والخمور والألبان، كمن هو خالد في النار وما ذكر"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كمن هو خالد في النار؟ ليس هؤلاء كهؤلاء، أي: ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدرجات"<sup>(١٣)</sup>.  
 قال السعدي: "فأي هؤلاء خير أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها، وتضاعف عذابها"<sup>(١٤)</sup>.

قوله تعالى: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [محمد : ١٥]، أي: "وسُقُوا مَاءً تَنَاهَى فِي شِدَّةِ حَرِّهِ فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ"<sup>(١٥)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "وسُقِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ خُلُودٌ فِي النَّارِ مَاءً قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ فَقَطَّعَ ذَلِكَ الْمَاءَ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ أَمْعَاءَهُمْ"<sup>(١٦)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ١٦٨/٢٢.

(٢) بحر العلوم: ٣٠١/٣.

(٣) المحرر الوجيز: ١١٤/٥.

(٤) تفسير التستري: ١٤٥.

(٥) تفسير السعدي: ٧٨٦.

(٦) فتح القدير: ٤٢/٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٧٢١): ص ٦/٢٠٠٨.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٤١٩٦): ص ٣/٧٦٧.

(٩) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(١٠) تفسير الطبري: ١٦٨/٢٢.

(١١) تفسير ابن ابي زمنين: ٢٤٠/٤.

(١٢) تاويلات أهل السنة: ٢٧٢/٩.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٣١٤/٧.

(١٤) تفسير السعدي: ٧٨٦.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٠٨.

(١٦) تفسير الطبري: ١٦٨/٢٢.

قال ابن كثير: "وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا"، أي : حارا شديداً الحر، لا يستطيع. {فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ}، أي : قطع ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء، عيادا بالله من ذلك" (١).

قال الواحدي: أي: "شديد الحر، تستعر عليه جهنم منذ خلقت، فقطع أمعاءهم في الجوف، من شدة الحر.. والأمعاء: جميع ما في البطن من الحوايا، وأحدها: معاء" (٢).

قال يحيى: "الحميم: الحار الذي لا يستطيع من حره" (٣).

قال الشوكاني: "الحميم: الماء الحار الشديد الغليان، فإذا شربوه قطع أمعاءهم" (٤).

قال السعدي: " {وَسُقُوا} فيها {مَاءٌ حَمِيمًا} أي: حارا جدا، {فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ}، فسبحان من فاوت بين الدارين والجزءين، والعاملين والعملين" (٥).

قال السدي: "الحميم: الذي قد انتهى حره" (٦).

قال ابن زيد: "الحميم: دموع أعينهم، تجمع في حياض النار فيسقونه" (٧).

عن أبي أمامة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، في قوله: {وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَنْجَرُغُهُ} [إبراهيم: ١٦ - ١٧]، قال: «يُقَرَّبُ إِلَيْهِ، فَيَتَكَرَّهُه، فَإِذَا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ، وَوَقَعَتْ قَرُوءَ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبْرِهِ، يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ}. وَيَقُولُ اللَّهُ: {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ} [الكهف: ٢٩]» (٨).

روي عن محمد بن عبيد الله الكاتب، قال: "قدمت من مكة، فلما صرت إلى «طيزناباذ» (٩)، [فَرَأَيْتُ كَرَمًا فِيهِ عَنَبٌ كَثِيرٌ] (١٠) فذكرت بيت أبي نواس: بطيزناباذ كرم؟ ما مررت به ... إنا تعجبت مما يشرب الماء؟ فهتف بي هاتف، أسمع صوته، ولا أراه: وفي جهنم ماء ما تجرعه خلق ... فأبقي له في البطن أمعاء" (١١).

(١) تفسير ابن كثير: ٣١٤/٧.

(٢) التفسير الوسيط: ١٢٣/٤-١٢٤.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٤/٢.

(٤) فتح القدير: ٤٢/٥.

(٥) تفسير السعدي: ٧٨٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢١.

(٨) أخرجه أحمد ٣٦/٦١٥ (٢٢٢٨٥)، والترمذي ٤/٥٣٨ - ٥٣٩ (٢٧٦٣)، والحاكم ٢/٣٨٢ (٣٣٣٩)، ٢/٤٠٠ (٣٣٩٣)، ٢/٤٩٦ (٣٧٠٤)، أخرجه الطبري ٢٢/١٦٨-١٦٩، وابن أبي حاتم (١٢٢٣٦): ص ٢٢٣٩/٧.

وأورده الثعلبي ٣١٠/٥.

قال الترمذي: «هذا حديث غريب، وهكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث، وقد روى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخ قد سمع من النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأخته قد سمعت من النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث رجل آخر ليس بصاحب». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وقال الألباني في الضعيفة ١٤/٩٢٤ (٦٨٩٧): «ضعيف».

(٩) «طيزناباذ»-كلمة اعجمية-: بكسر أوله وسكون ثانية ثم زاي مفتوحة ثم نون ويعد ألفها باء موحدة وآخره ذال معجمة: موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج (معجم البلدان لياقوت ٣/٥٦٩).

(١٠) زيادة في تفسير السمعاني: ١٧٥/٥.

(١١) رواه الواحدي في التفسير الوسيط: ١٢٣/٤-١٢٤، وانظر: معجم البلدان لياقوت: ٤/٥٥، وآثار البلاد وأخبار العباد للزويني: ٤١٨، طبقات الشافعية الكبرى: ٢٤٢/٥.

وروي نحوه ابن أبي الدنيا في الهواتف (٣٩): ص ٤٧. وليس فيه محمد بن عبيد الله الكاتب، وإنما الكلام لأبي نواس. قال: "حدثني عبيد الله بن عمرو، حدثنا يحيى، عن الحسن بن عطية، حدثني موسى بن أبي حبيب، عن عبد المجيد صاحب مص الذي مدحه أبو نواس قال: قال لي أبو نواس، «خرجت إلى الكوفة فلما صرت بطيزناباذ حضرني عنب، فقلت:

بطيزناباذ كرم؟ ما مررت به ... إنا تعجبت مما يشرب الماء؟

فوائد الآية الكريمة:

- ١- التقوى هي السبب المورث للجنة هكذا جعلها الله عز وجل، والتقوى هي بعد الإيمان فعل المأمورات وترك المنهيات من سائر أنواع الشرك والمعاصي.
  - ٢- بيان بعض نعيم الجنة من الشراب والفواكه.
  - ٣- بيان بعض عذاب النار وهو الخلود فيها وشرب الحميم.
  - ٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء، وأن لا مماثلة بين أهل السعادة وأهل الشقاء.
- نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

انتهى الجزء الثاني والثلاثون من التفسير، يليه الجزء الثالث والثلاثون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١٦) من سورة «محمد».

---

فجاءني هاتف من تحت الشجرة  
وفي جهنم ماء ما تجرعه خلق ... فأبقي له في البطن أمعاء".



